درة التنزيل وغرة التأويل

إسلام ويب
islamweb.net

حقوق الطبع محفوظة للناشر
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير
والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها
من الطرق إلا بإذن خطي من الناشر

الموضوع: المحكم والمتشابه
عنوان الكتاب: درة التنزيل وغرة التأويل
تأليف: أبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني
المعروف بالخطيب الإسكافي (ت٤٢٠هـ)
دراسة وتحقيق وتعليق: الدكتور محمد مصطفى آيدين

طبعة خاصة
بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
دولة قطر

١٤٤٦هـ-٢٠٢٥م

ISBN: 978 - 9957 - 23 - 152 - 1

هذا الكتاب وقف لله تعالى، طبع على نفقة
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر
وهو يوزع مجانًا ولا يجوز بيعه
turathuna@islam.gov.qa

أروقة للدراسات
رقم الهاتف: ٦ ٥١٦ ٣٥ ٦٤ (٠٠٩٦٢)
رقم الجوال: ٧٧٧ ٩٢٥ ٤٦٧ (٠٠٩٦٢)
ص. ب : ١٩١٦٣ عمّان ١١١٩٦ الأردن
البريد الإلكتروني : info@arwiqa.net
الموقع الإلكتروني : www.arwiqa.net

أوقاف AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate of Endowments

إسلام ويب
islamweb.net

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
Ministry of Endowments and Islamic Affairs
State of Qatar • دولة قطر

أوقاف AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate of Endowments

دُرَّةُ التَّنزِيلِ وغُرَّةُ التَّأوِيلِ

لأبي عَبْدِ اللهِ محمّد بْنِ عَبْدِ اللهِ الأصْبَهانيّ

المعْرُوفِ بالخَطِيبِ الإسْكافيّ

المتوفّى سنة ٤٢٠ هجريّة

دراسةُ وتحقيقُ وتعليقُ

الدّكتُور مُحمّد مُصطفَى آيدِين

أستاذ التّفسيرِ وعُلومِ القُرآن

كليّة الشّريعة بجامعة قطر

الجزءُ الثّاني

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشّؤون الإسلاميّة

بتمويل الإدارة العامّة للأوقاف

دولة قطر

إسلام ويب
islamweb.net

بسم الله الرحمن الرحيم

إسلام ويب
islamweb.net

سورة الأنعام[١]

[٤٣] الآية الأولى منها[٢]:

قوله عز وجل: ﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: ٥].

وقال في سورة الشعراء [٦]: ﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

للسائل أن يسأل فيقول: قد ذكَر في الآية التي في الأنعام ما كذَّبوا به وهو الحق لمّا جاءهم، وقال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾، وفي سورة الشعراء لم يذكُر ما كذَّبوا به، وجعَل بدلَ «سوف» السينَ[٣]، فهل كان يجوز أحدهما مكانَ الآخر؟

فالجواب[٤] أن يقال: إن الآية الأولى قد وفّى المعنى فيها حقَّه من اللفظ؛

---

(١) في (ع): «تسع عشرة آية».

(٢) في (ك): «من سورة الأنعام». ولفظ «منها» سقط من (أ).

(٣) في (أ، ب): «قد ذكر في إحدى الآيتين ﴿فَسَوْفَ﴾ و﴿بِٱلْحَقِّ﴾، وفي الآية الأخرى لم يذكر ما كذَّبوا به، وجعل بدل «سوف» السين»، ومثلهما (ع) ولكن من دون قوله: «الآية»، والمثبت من (ك).

(٤) في (ب): «والجواب».

إسلام ويب islamweb.net

لأنها سابقة للثانية ـ وإن كانتا مكيتين[١] ـ فأُشبِعت ألفاظُ[٢] الأولى مستوفيةً لمعناها[٣].

وفي الآية الثانية اعتمد على[٤] الاختصار لِما سبق في الأولى من البيان، فاقتصر[٥] على قوله[٦]: ﴿كَذَّبُواْ﴾. وهذا اللفظ إذا أُطلِق كان لِمن كذَّب بالحقّ. ألا ترى قوله عز وجل: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٥]؟ وإذا قُيِّد[٧] جاز أن يقول: كذَّب الكذبَ[٨]، وكذَّب الصدقَ، وكذَّب مسيلمةَ، وكذَّب النبيَّ ﷺ، إلا أنه إذا[٩] عُرِّي من التقييد[١٠] لم يصحَّ إلا لِمن[١١] كذَّب بالحق، فصار قوله تعالى في الشعراء من هذا القبيل بعد البيان الذي سبق في سورة الأنعام[١٢].

ولمّا بُنِيت[١٣] هذه الثانية على الاختصار والاكتفاء بالقليل من الكثير، جُعِل فيها بدلَ «سوف» السينُ وحدها، وهي مؤدِّيةٌ معناها.

---

(١) أي: آية سورة الأنعام وآية سورة الشعراء. وفي (ك): «إذ سورة الأنعام مكية وإن كانت الشعراء مثلها في أنها أُنزلت حيث أُنزلت».

(٢) في (ط): «الأولى».

(٣) في (ب): «لمعنى هي».

(٤) في (ك): «والثانية اعتمد فيها».

(٥) في (ب، ع): «واقتصر».

(٦) «قوله» أُثبِتت من (ك).

(٧) أي: الكذبُ.

(٨) ما جاء في هذه الأمثلة بعد الفعل «كذَّب» مفعولٌ، وقيدٌ تقيَّد به الفعلُ «كذَّب»، ففي الأمثلة إشارة إلى أن الكذب إذا قُيِّد يحتمل أن يُقيَّد بالحق وغير الحق بخلاف وروده مطلقًا.

(٩) في (ب): «وإذا» بدل «إلا أنه».

(١٠) في (أ): «التثقيل»، وفي (ب): «القبيل»، وكلاهما خطأ، والمثبت من (ح، خ، ر، ك).

(١١) في (ك): «مَن» بدل «لمن».

(١٢) ومثله في سورة القمر [٣]: ﴿وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾.

(١٣) في (ب): «بينت»، وهو خطأ.

إسلام ويب islamweb.net

ومـن النحويِّين[١] مَـن ذهب إلى أنها مأخوذة من «سـوف» وإن كان ذلك عندنا ليس بصحيح[٢].

[٤٤] الآية الثانية[٣]:

قوله عز وجل متصلًا بالآية التي تقدَّم ذكرُها: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا[٤] مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ [الأنعام: ٦].

وقال في سـورة الشـعراء متصلًا بتلـك الآية التي ذكرنـا[٥]: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧].

---

(١) النحـاة المقصـودون هـم الكوفيـون، حيـث إنهم ذهبـوا إلى أن «السـين» التـي تدخل على الفعل المسـتقبل نحو «سـأفعل» أصلها «سـوف» وهـي مأخوذة منهـا. والمؤلف رحمه الله يـرى مذهـب البصريِّين، حيـث إنهم يردُّون على الكوفيِّين في قولهم: «إن السـين تدل على الاستقبال كما أن «سوف» تدل على الاستقبال»، فيجيبون عن ذلك بقولهم: هذا باطل؛ لأنه لو كان الأمر كما زعموا لَكان ينبغي أن يسـتويا في الدلالة على الاسـتقبال على حدٍّ واحد، فلمّـا اختلفـا فـي الدلالة دل على أن كل واحد منهما حرف مسـتقل بنفسـه، غير مأخوذ من صاحبه. نقلًا عن الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري (٢: ٦٤٧).
وأمّا مدة الاستقبال في «السين» و«سوف» فقد أشار ابن هشام إلى أن السين المفردة حرف توسـيع، وذلـك أنهـا تقلب المضارع من الزمـن الضيِّق وهو الحال إلى الزمن الواسـع وهو الاسـتقبال، و«سـوف» مرادفة للسين عند الكوفيِّين، أو أوسـع منها وهو مذهب البصريِّين. يُنظَر: مغني اللبيب (ص١٨٤، ١٨٥).

(٢) في (ع): «غير صحيح».

(٣) في (ك): «من سورة الأنعام».

(٤) في (أ، ب، د، ع): «قوله تعالى: ألم يروا كما أهلكنا...»، والمثبت من المصحف الشـريف ومن (ك، ح، خ، ر، و).

(٥) قولـه: «متصـلًا بتلـك الآية التي ذكرنـا» أُثبِت من (ح، خ، ر، س). وفـي (ك، و): «وقال في سورة الشعراء ما اتصل بمثل الآية التي أشبهت».

إسلام ويب islamweb.net

للسائل أن يسأل فيقول: ما بال الألف في الآية الأولى[١] دخلت على «لم»، وفي الآية الثانية[٢] دخلت على «ولم»[٣] فكان بين الألف و«لم» واوُ عطف، ولم يكن في سورة الأنعام[٤]؟ وما الفصل بين «ألم» و«أولم»؟ فهل صلَح ما في الشعراء مكانَ ما في سورة الأنعام[٥] أم لا[٦]؟

والجواب أن يقال: إنّ[٧] الألف تدخل على واو العطف في الاستخبار والإنكار والتقريع، على تقدير أن تكون الجملة التي فيها[٨] «الواو» معطوفة على كلامٍ مثلِها يقتضيها، وذلك كقولك لقائلٍ[٩]: «هل رأيت زيدًا ثَمَّةَ[١٠]؟»: أوَزيدٌ[١١]؟ ممَّن يكون ثَمَّةَ، فصوَّرتَه[١٢] بصورة مَن ثبَت ذلك عنده أو قاله،

---

(١) في (ب): «في الأولى».
(٢) في (ب، ك): «وفي الثانية».
(٣) في (ب): «أولم».
(٤) في (ب): «في الأنعام»، وفي (ع): «ولم تكن في هذه السورة».
(٥) في (ب): «في الأنعام».
(٦) «أم لا» ليست في (ك).
(٧) «إنّ» ليست في (أ).
(٨) في (ك): «قبلها». قلت: لِكليهما وجه.
(٩) في (ب، ع): «لقائل يقول».
(١٠) أي: هناك. قال ابن دريد في جمهرة اللغة (١: ٨٥): «ثَمَّ ـ بالفتح ـ: كلمة يشار بها إلى المكان». وفي المفردات للراغب (ص١٧٧): «إشارة إلى المتبعّد من المكان». وفي تفسير القرطبي (١٩: ١٤٤): «ثَمَّ ظرف مكان؛ أي: هناك». وفي المصباح المنير (١: ٨٤): «ثَمَّ ـ بالفتح ـ: اسم إشارة إلى مكان غير مكانك». وكلام صاحب المصباح المنير يدل على أن «ثمَّ» اسم يشار به إلى القريب بمعنى هنا والبعيد بمعنى هناك. والله أعلم. وفي المعجم الوسيط (ص١٠١): «وقد تلحقه التاء فيقال: ثَمَّة، ويوقف عليها بالهاء».
(١١) جملة «أوَزيد» مقول القول لـ: «كقولك».
(١٢) في (أ، ك): «تصوره»، وفي (ع): «تصوَّرتَه»، والمثبت من (ب، ح، خ).

إسلام ويب islamweb.net

فاستفهمتَه وعطفتَ على ما توهَّمتَ[١] أنه في علمه أو وهمِه[٢].

فكل موضع فيه بعد ألف الإنكار واوٌ ففيه تبكيت على ما يسهِّل الطريق إلى ما بعد[٣] الواو، فالاعتبار[٤] به لكثرة أمثاله، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾، كأنّ قائلًا قال[٥]: كذَّبوا الرسول[٦] وغفلوا عن الفكر والتدبُّر، فقد[٧] فعلوا ذلك ولم ينظروا إلى المشاهَدات التي تنبِّه[٨] الفكرَ فيها من[٩] الغفلة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ [الملك: ١٨، ١٩]، كأنه قال: كذَّبوا ولم ينظروا إلى ما يردَع[١٠] عن الغفلة من الفكر في المشاهَدات.

وكذلك قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾[١١] [النحل: ٤٨]؛ لأن ذلك مشاهَد.

وكلُّ ما فيه «واو» مثل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾[١٢] فهو تنبيه على ما تقدَّمتْه في التقدير

---

(١) أي: تخيّلتَ، وفي اللسان (١٢: ٦٤٣ وهم): «وتوهَّم الشيء: تخيَّله وتمثَّله، كان في الوجود أو لم يكن».

(٢) في (ب): «ووهمه». والوهْم ـ بسكون الهاء ـ: ما يقع في القلب من الخاطر. يُنظَر: القاموس المحيط (ص١٥٠٧ خطر)، والمعجم الوسيط (ص١٠٦٠).

(٣) «إلى ما بعد» تكرر في (أ).

(٤) في (ب): «فلا اعتبار».

(٥) في (أ): «كأنه قال».

(٦) في (ب، ك، ع): «فقال».

(٧) في (ع): «الرسل».

(٨) في (ع): «تنبيهُ الفكرِ».

(٩) في (أ): «عن».

(١٠) في (ك): «يدع».

(١١) «﴿وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾» ليست في (ع).

(١٢) في (ب، ك): «﴿أَوَلَمْ﴾».

إسلام ويب islamweb.net

أمثالٌ[١] منبِّهة لِكثرتها، فالتبكيت فيه أعظم، فهذا كلُّه في المشاهَد وما في حكمه.

وما ليس فيه «واو» مثل: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ﴾ فهو ممّا[٢] لم يُقدَّر قبله ما يُعطَف عليه ما بعده؛ لأنه من باب ما لا[٣] يكثُر مثلُه، وذلك فيما يؤدِّي إلى علمه[٤] الاستدلالاتُ[٥] كقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾[٦] [الأنعام: ٦]، وهذا ممّا[٧] لم يشاهدوه ولكن[٨] علِموه.

وكذلك قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٣١] هو ما[٩] الطريقُ إلى العلم به الاستدلالُ لا المشاهَدة.

فهذا ونحوه ممّا لم يكثُر في معلومهم أشباهُه، فهم يُنبَّهون عليه ابتداءً من غير تقديرِ تنبيهٍ على شيءٍ مثلِه ممّا قبله.

---

(١) في (أ، ع): «أمثال له».

(٢) في (أ، ب، ع): «ما»، والمثبت من (ك، ر، ح).

(٣) في (ب): «ما لم».

(٤) في (أ، ب): «إلى علم»، والمثبت من (ك، ح، و).

(٥) الاستدلال هو تقرير الدليل لإثبات المدلول. التعريفات للجرجاني (ص١٧). وقال الشيخ حبنّكة في كتابه ضوابط المعرفة (ص١٤٩): «الاستدلال هو التوصُّل إلى حكم تصديقي مجهول بملاحظة حكم تصديقي معلوم، أو بملاحظة حكمين فأكثر من الأحكام التصديقية المعلومة».

(٦) في (ع): «﴿مِّدْرَارًا﴾ إلى قوله: ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾».

(٧) في (أ، ك، ع): «ما»، والمثبت من (ب).

(٨) في (ك): «وإنما» بدل «ولكن».

(٩) في (ب): «ممّا».

إسلام ويب islamweb.net

فإن عارض مُعارِضٌ بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾[١] [النحل: ٧٩] وقال[٢]: هذا من القِسم الذي يُشاهَد[٣]، وحقُّه أن يكون مُلحَقًا بقوله[٤]: ﴿أَوَلَمْ﴾ كما كان [قوله][٥]: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ [الملك: ١٩]، وهما[٦] في شيء واحد، فما بالهما اختلفا من حيث وجب أن يتفقا؟

والانفصال[٧] أن يقال: إنا علَّلنا موضعَ «ألم» بما يوجب[٨] أن يكون هذا الموضعُ من أماكنها، ألا ترى أنّا قلنا: هو كلُّ موضع يُنبَّهون عليه ابتداءً من غير تنبيه على شيء مثلِه ممّا قبله، فعلَّلنا المشاهَدات بما يُخرِج هذا عنها؛ لأن قبل هذه الآية[٩]: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ﴾ [النحل: ٧٨، ٧٩]، فبُنِيت هذه الآية على التي[١٠] أخبر الله فيها عن أول أحوال[١١] الإنسان، وأنه أخرجهم أطفالًا صغارًا من بطون أمهاتهم،

---

(١) تتمة الآية هي: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

(٢) «وقال» أُثبِتت من (ك، خ، د).

(٣) في (ح، خ): «الذي هو مشاهَد»، وفي (ع): «وهذا من القِسم المشاهَد».

(٤) في (أ): «أن يكون كقوله»، وفي (ب): «أن يكون فقوله»، وفي (ع): «أن يكون بقوله»، والمثبت من (ك).

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

(٦) أي: آية سورة النحل، وآية سورة الملك.

(٧) أي: الجواب أو الرد على الاعتراض.

(٨) في (ك): «يجب».

(٩) هي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾.

(١٠) في (ع): «على الآية».

(١١) في (ب): «حال».

إسلام ويب islamweb.net

لا يعلمون شيئًا من[١] منافعهم فيقصدوها[٢]، ولا من مَضارِّهم[٣] فيجتنبوها، ثم بصَّرهم حتى عرفوا[٤] ونبَّههم على ما يشاهده[٥] كلُّ حيٍّ من[٦] تصرُّف الطير في الهواء وعجزِه عن مثل ذلك. وكان هذا مقرونًا بأُولى الأحوال، ولم يتقدَّمه أمثالٌ له يقع التنبيهُ عليها قبله فيكونَ في حكم ما يُعطَف على ما تقدَّمه.

فإن عارض بقوله عز وجل: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ۞ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ [الروم: ٣٦، ٣٧]، وقال: إنّ ذلك ممّا[٧] يُعلَم ولا يُشاهَد، وحكمُه أن يكون بـ«ألم»[٨].

قيل له: التوسعة في الرزق والتقتيرُ[٩] فيه لمّا كانت لهما[١٠] أماراتٌ تُرى وتُشاهَد من أحوال الغِنى والفقر[١١]، صار أمرهما كالمشاهَدات، فكانا[١٢] ممّا شُوهدت أمثالٌ لهما فعُطِف عليها.

---

(١) «شيئًا من» ليست في (ب، ك، ع).

(٢) في (ك): «فيقصدونها»، وفي (ر): «فيقصدوا لها»، والمثبت هو الأرجح؛ لأنّ «أنْ» تُضْمر بعد فاء السببية إذا كانت مسبوقةً بنفيٍ محضٍ كقوله تعالى: ﴿لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ﴾ [فاطر: ٣٦]. يُنظَر: قطر الندى (ص٧١).

(٣) في (ب، ك، ع): «ولا مضارهم».

(٤) في (ب): «عرفوه».

(٥) في (ب): «يشاهدوه».

(٦) في (ب): «حتى» بدل «مِن».

(٧) ليست في (ع).

(٨) في (ب): «ما لم»، وفي (ع): «يكون ألم».

(٩) أي: التضييق في الرزق. المصباح المنير (٢: ٤٩٠).

(١٠) في (ع): «لها».

(١١) في (ب): «الغني والفقير».

(١٢) في (ب): «وكانا».

إسلام ويب islamweb.net

فإن سأل عمّا جاء بالفاء في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٩] وقال: ما الفرق بين هذا المكان الذي جاءت فيه الفاء وبين[١] الأماكن التي جاءت فيها الواو؟ وهل كان يصح في اختيار الكلام[٢] الواوُ مكانَ الفاء هاهنا؟

فالجواب أن يقال: الفاء هاهنا أولى؛ لأنّ قبلها: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۞ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ۞ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٧-٩]. فكأنه[٣] قيل فيهم: إنهم كذَّبوا الله ورسولَه بما أنكروه من البعث، فلم يتفكَّروا ولم يخشوا عَقِيب هذا المقال[٤] نِقمةً[٥] تنزل بهم، فقيل: لم يتفكَّروا ولم يخشوا، أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض؟ أي: هم لا ينفكُّون[٦] من أرضٍ تُقِلُّهم وسماءٍ تُظِلُّهم. والذي جعلها تحتهم وفوقهم قادرٌ على أن يخسف الأرض بهم، أو يُسقِط السماء عليهم[٧]، فهذا موضع

(١) في (ب): «من» بدل «وبين».
(٢) في (ب): «المكان».
(٣) من هنا إلى قوله: «أي: هم لا ينفكون» سقط من (أ)، وأُثبت من (ب، د)، وإلى قوله: «وما خلفهم من السماء والأرض» سقط من (ع).
(٤) هو ما قاله أولئك الكفار الذين أنكروا البعث والحياة الآخرة على سبيل السخرية والاستهزاء: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۞ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ [سبأ: ٧، ٨].
(٥) أي: عقوبةً.
(٦) في (ب): «لا يتفكّرون»، وفي (د): «هم لا ينقلون».
(٧) يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [سبأ: ٩].

إسلام ويب islamweb.net

الفاء[١]، .....

(١) يعني أن هذا الموضع موضع الفاء بعد الهمزة للاستفهام.

ولقد كثُر الاستفهام في القرآن الكريم، وهو أغنى بأساليبه وبتنوُّع معانيها. ومن الأدوات التي استخدمها القرآن الكريم: الاستفهام بالهمزة، وهل، ومتى، وأيّان، وأين، وكيف، وكم، وأنّى... ولكلٍّ منها أغراض مختلفة، منها: الإنكار والتقرير والتنبيه والتعجيب والتشويق والتهويل والتحقير. ومن أهمِّ ما يمتاز به الاستعمال القرآني للاستفهام بالهمزة تجرُّدُه من حرف العطف، ومصاحبته له. والاستفهام بالهمزة يتجرَّد من العاطف إذا كانت الجملة الاستفهامية لم يسبقْها شيء يصحّ أن يربط به، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]. ويتجرّد أيضًا من العاطف إذا كانت الجملة الاستفهامية وقعت ممّا قبلها موقعَ الاستئناف البياني الذي يكون جوابًا لسؤالٍ مقدَّر، ومن ذلك قوله تعالى الذي نحن بصدد بيانه: ﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۞ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ [الأنعام: ٥، ٦]، فكأنه قيل: وما الذي سيلحق هؤلاء المكذِّبين؟ فقال: ألم يروا كمْ أهلكْنا؟

ومن أساليب الاستفهام بالهمزة في القرآن أيضًا أنْ يصاحب الهمزةَ أو يتلوها العاطفُ (الواو أو الفاء) والنافي مثل «أولم» و«أفلا».

والآيات التي تناولها المؤلف رحمه الله هي الآيات التي لم تُربَطْ فيها همزة الاستفهام بما قبلها، وكذلك الآيات التي رُبِطت فيها الهمزة بما قبلها بالواو أو الفاء. ونحن نعلم أن الواو لِمطلق الربط من غير إفادة ترتيب أو تسبُّب، بخلاف الفاء؛ لأنها تفيد ترتيب الجملة الاستفهامية على ما سبقها، وتربطها به ربطًا قويًّا. ونجد أن المصنف رحمه الله قرَّر أن كل موضع فيه بعد ألف الإنكار «واو» أو «فاء» فالاعتبار به: المشاهدة، وكل موضع ليس فيه «واو» أو «فاء» بعد ألف الإنكار فالاعتبار به الاستدلال.

وذهب إلى ذلك الكرماني ولخَّص كلامه فقال: «الجواب: ما كان الاعتبار فيه بالمشاهدة ذكره بالألف وواو العطف أو فائه، وما كان الاعتبار فيه بالاستدلال ذكره بالألف وحده، ولا ينقُضُ هذا الأصلَ قولُه: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ﴾ في النحل؛ لجريانها مجرى الاستئناف ولاتصالها بقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾، وسبيلها الاعتبار بالاستدلال، فبنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ﴾ عليه». غرائب التفسير للكرماني (١: ٣٥٢)، والبرهان له (ص١٦٥) بتصرف يسير فيهما. =

إسلام ويب islamweb.net

لا موضعُ غيرها لِما بيَّنّا[١].

[٤٥] الآية الثالثة منها[٢]:

قولـه تعالـى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١١].

وقال في سورة النمل [٦٩]: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

وقـال في سـورة العنكبـوت [٢٠]: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣].

وقال في سورة الروم [٤٢]: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾.

للسـائل أن يسـأل فيقول: التي في سورة الأنعام جعَل ما بين السير والنظر فيها مُهلةً متراخية، عبَّر عنها بـ«ثم»، وسائرُ الآي جُعِلت المُهلة بينهما[٤] فيها[٥] أقلَّ، فعبَّر عنها بالفاء، فما الذي خصَّص الأولى بـ«ثم» والباقيةَ بالفاء؟

= وقال ابن جماعة: «إن كان السياق يقتضي النظر والاستدلال جاء بغير واو، وإن كان يقتضي الاعتبار بالحاضر والمشاهدة جاء بالواو أو الفاء». كشف المعاني (ص١٦٥).

(١) في (أ): «لا موضع غير ما بيَّنّا»، وفي (ع): «الواو» بدل «غيرها»، والمثبت من (ب، ك)، وفي (ب، ع) بعد «لما بيَّنّا»: «والسلام».

(٢) «منها» ليست في (ع)، وفي (ك): «من سورة الأنعام».

(٣) في (ع) إلى قوله: «﴿كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾». (٤) أي: بين السير والنظر.

(٥) «فيها» ليست في (ب، ك، ع).

إسلام ويب islamweb.net

والجواب[١] عن ذلك أن يقال: إنّ قوله: ﴿سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ﴾ يدلُّ على أنّ السير يؤدِّي إلى النظر فيقعُ بوقوعه، وليس كذلك «ثُم». ألا ترى أنّ «الفاء» وقعت في الجزاء، ولم تقع فيه «ثُم»؟

فقوله في سورة الأنعام: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ﴾ لم يجعل النظر فيه واقعًا عَقِيب السير، متعلِّقًا وجودُه بوجوده؛ لأنّه بعَث على سير بعد سير لِما تقدَّم من الآية التي تدلُّ على أنه تعالى حداهم[٢] على استقراء البلاد ومنازل أهل الفساد، وأن يستكثروا من ذلك ليروا أثرًا بعد أثرٍ، في ديارٍ بعد ديارٍ قد عُمِّم[٣] أهلُها بدمارٍ؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦].

فذكر في قوله: ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ﴾ يعني[٤]: قرونًا كثيرة أهلكناهم[٥]، ثم قال: ﴿وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ﴾، فدعا إلى العلم بذلك بالسير في البلاد ومشاهدة هذه الآثار، وفي ذلك ذهابُ أزمنةٍ كثيرة ومُدَدٍ طويلة تمنع النظر من ملاصقة السير، كما قال في المواضع الأُخَر التي دخلتها الفاءُ لِما قُصِد فيها[٦] من معنى التعقيب واتصال النظر بالسير، إذ ليس

---

(١) في (ب): «فالجواب».

(٢) أي: حثّهم وبعثهم، وفي المصباح المنير (١: ٢٥): «حَدَوْتُ بالإبل: حَثَثْتُها على السير. وحدوتُه على كذا: بعثتُه عليه».

(٣) في (أ، ع): «عمّ».

(٤) في (ك): «أي».

(٥) في (ك): «أهلكهم».

(٦) «فيها» ليست من (ب، ك، ع).

إسلام ويب islamweb.net

فـي شـيء من الأماكن التي استُعملت فيها الفاءُ ما في هـذا المكان من البعث على استقراء الديار وتأمُّل الآثار، فجعَل السير في الأرض في هذا المكان[١] مأمـورًا به علـى حِدة، والنظرَ بعده مأمـورًا به على حِدة[٢]، وسـائرُ الأماكن[٣] التي دخلتها الفاء علَّق فيها وقوعَ النظر بوقوع السير؛ لأنّه لم يتقدَّم الآيةَ[٤] ما يحدو[٥] على السير الذي حدا عليه فيما قبل هذه[٦] الآية التي في سورة الأنعام، فلذلك خُصَّت بـ«ثُم»[٧] التي تفيد تراخيَ المُهلة بين الفعلين[٨]. والله أعلم[٩].

[٤٦] الآية الرابعة منها[١٠]:

قولـه تعالـى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

وقـال في سـورة يونـس [١٠٧]: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾.

(١) في (ب، ك، ع): «الموضع».
(٢) من قوله: «والنظر بعده...» إلى هنا سقط من (أ).
(٣) في (ك): «وفي سائر الأماكن».
(٤) في (ب): «لأنه لم يقع في الآية».
(٥) في (ب): «ما يحد فيه»، والمثبت هو الصواب، ومعناه: ما يحثُّ.
(٦) «هذه» ليست في (ك)، وفي (ع): «الآية التي في سورة الأنعام».
(٧) قال الرماني: «ثُمّ: من الحروف الهوامل ـ أي: غير العوامل ـ، ومعناها: العطف، وهي تدلّ على التراخي والمهلة، وذلك نحو قولك: قام زيد ثم عمرو، والمعنى: أنّ عمرًا قام بعد زيد، وبينهما مهلة». معاني الحروف للرماني (ص١٠٥).
(٨) أي: السير والنظر.
(٩) «والله أعلم» ليست في (ك).
(١٠) «منها» ليست في (ع)، وفي (ك): «من سورة الأنعام».

إسلام ويب islamweb.net

للسائل أن يسأل فيقول[١]: ما الذي أوجب أن يقرِن إلى جملتَي الشرط والجزاء في الآية الأولى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ﴾[٢] ويجعلَ جواب الشرط الثاني: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، ثم قرَن في الآية الثانية[٣] إلى جملتَي الشرط والجزاء: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ ويجعل[٤] جوابه: ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ فخالف الأول؟

والجواب[٥] أن يقال: إن السورتين اللتين وقعت فيهما الآيتان[٦] مكيتان، والأُولى منهما قبل الثانية.

فأما التي في سورة الأنعام[٧] وهي: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ فمعناها: إنْ يُمسِسْك[٨] الله ضُرًّا[٩] ـ وهو سوء الحال ـ فلا مُزيلَ له غيرُ الله[١٠]، ولا يملك ما يُعبَد من دونه كشفَه.

ومعنى ﴿يَمْسَسْكَ﴾: يُنِلْك[١١]؛ لأن المُماسّة في الأعراض مجاز وتوسُّع

---

(١) في ذكر السؤال خللٌ في (ك)، والمثبت من (أ، ب). وفي (ح، خ، ر): «لِمَ اختلف اللفظ في العطف؟».

(٢) في (ب): «وإن يمسسك بخير».

(٣) في (ب): «في الثانية».

(٤) في (ع): «وجعل».

(٥) في (ب): «الجواب».

(٦) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «الآيتان فيهما».

(٧) في (ب، ك): «في الأنعام».

(٨) في (ك): «إن يمسّك».

(٩) قال الراغب (ص٥٠٣): «الضُّرّ ـ بضمّ الضاد ـ: سوء الحال، إمّا في نفسه لقلّة العلم والفضل والعِفة، وإمّا في بدنه لِعدم جارحة ونقص، وإمّا في حالة ظاهرة من قلة مال وجاهٍ».

(١٠) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «غيره».

(١١) في (ع): «يُنيلُك». قال الطبري (٧: ١٦٠): «يُصِبْك»، وقال ابن عطية في معنى ﴿يَمْسَسْكَ﴾: «يُصِبْك ويُنِلْك».

إسلام ويب islamweb.net

في اللغة، فمعنى مسَّه الله بضُرّ: أناله الله[١] ضُرًّا وأوصله إليه[٢].

وقوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ أي: إنْ يُنِلْك[٣] خيرًا يُرْجَ الأكثرُ[٤] منه؛ لأنه[٥] قادر عليه وعلى أمثاله، والدليل على أنّ المعنى هذا[٦]: أنّ الجزاء[٧] إذا كان جملة ابتداءٍ وخبرٍ فإنّ معنى الخبر يكون[٨] جزاءً ومقدَّرًا[٩] في مكان الفاء، كقولك: إن زُرتَني فأنا مُكرِمٌ لك، وإنْ أحسنتَ إليَّ فأنا قادر على مقابلتك، والتقدير[١٠]: إنْ زُرتَني أُكرِمْك[١١]، وإنْ أحسنتَ إليَّ قدَرتُ على مقابلتك، وفي قولك[١٢]: قدَرتُ على مقابلتك ضمانُ[١٣] المقابلة.

وأنتَ إذا قدَّرتَ قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: وإنْ[١٤] يُنِلْك خيرًا يقدِر عليه، لم يستقم الكلام؛ لأنّ الجزاء حقُّه أن يكون بعد الشرط، والقدرة على الفعل لا تكون بعده، والمعنى: إنْ يُنِلْك خيرًا يُرْجَ لأمثاله؛

---

(١) لفظ الجلالة ليس في (ب، ك، ع).

(٢) قال القرطبي في معنى الآية: «المسّ والكشف من صفات الأجسام، وهو هنا مجاز وتوسُّع، والمعنى: إنْ تنزلْ بك يا محمد شدة من فقرٍ أو مرض فلا رافع له إلا هو، وإنْ يصبْك بعافية ورخاء ونعمةٍ فهو على كل شيء قدير من الخير والضر». تفسير القرطبي (٦: ٣٩٨).

(٣) في (ب): «ينيلك».

(٤) في (ب، ع): «لأكثر».

(٥) في (أ، ب، ع): «فإنه»، والمثبت من (ك).

(٦) في (ك): «هو».

(٧) في (ب): «الخبر».

(٨) لفظ «يكون» تكرَّر في (أ).

(٩) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «يكون جزاؤه مقدَّرًا».

(١٠) في (أ، ع): «التقدير» من دون الواو.

(١١) في (ع): «أكرمتك».

(١٢) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «وفي قوله».

(١٣) من قوله: «التقدير» إلى هنا سقط من (ك).

(١٤) في (ب، ك): «إنْ» من دون الواو.

إسلام ويب islamweb.net

لأنه قادرٌ عليه[١] وعلى كل شيء. وكونه تعالى «قادرًا» من صفات النفس، وإنالةُ[٢] الخير فعلٌ من أفعاله، فلا يصحُّ أن يكون كونُه[٣] قادرًا متأخِّرًا عنها[٤].

فالمعنى: إنْ نقَلك إلى سوء حال لم يملِك كشفَه عنك غيرُه، وذلك كشدائد[٥] الدنيا من الأمراض والآلام والنقصان في الأموال. وإنْ نقَلك إلى حُسن حال، كان بعده قادرًا على أمثاله، ومالكًا لأضعافه؛ لأنه قادر على كل ما يصحُّ أن يكون مقدورًا عليه له[٦]، فهذا وصفُه بالقدرة على النفع والضرّ.

وأمّا[٧] الآية الثانية[٨] ففيها نفيُ أن يغالبَه مُغالِب، ويمنعَه عمّا يريد فعلَه مانعٌ؛ لأنّ معناها[٩]: إذا أنزَل بك مكروهًا لم يقدِر أحدٌ على دفع ما يريد إيقاعَه بك، وإنْ أراد إحلالَ خيرٍ بك لم يرُدَّه أحدٌ عنك، وهو معنى: «لا مانعَ لِما أعطيتَ، ولا معطيَ لِما منعتَ»[١٠].

---

(١) «عليه» سقطت من (أ)، وفي (ك): «عليها»، والمثبت من (ب).

(٢) في (أ): «فإنالة»، وفي (ب): «إنالة»، والمثبت من (ك، ح، خ).

(٣) «كونه» سقطت من (أ، ع).

(٤) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «عليها».

(٥) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «وكذلك شدائد الدنيا».

(٦) في (أ): «أن يكون مقدورًا له» من دون «عليه»، وفي (ك): «مقدورًا عليه» من دون «له»، والمثبت من (ب).

(٧) في (أ): «فأما».

(٨) هي الآية [١٠٧] من سورة يونس.

(٩) في (ك): «لا معناها».

(١٠) هذا من الأذكار الواردة في السنة، فقد رواه البخاري في كتاب الدعوات: باب الدعاء بعد الأذان (١١: ١٣٣ برقم ٦٣٣٠)، وفي القدر: باب ما يكره من كثرة السؤال ومَن تكلُّف ما لا يعنيه. ومسلم في كتاب المساجد: باب استحباب الذكر بعد الصلاة (رقم ٥٩٣). والحديث عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه. ولفظه ـ كما في صحيح مسلم ـ أنّ رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة وسلَّم قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك =

إسلام ويب islamweb.net

ورتبة[١] هذا الوصف بعد رتبة[٢] الوصف الأول؛ لأنه يُوصَف الفاعلُ أوّلًا بقدرته[٣] على الضدَّين، وليس كلُّ مَن كان كذلك كان ممتنعًا عن أن يقهره قاهر فيحول بينه وبين ما يريد فعله، فإذا وصفه بأنه قادرٌ كان وصفُه بأنه قادرٌ غالبٌ للقادرين لا يدفعه عن مُراد له[٤] دافعٌ وصفًا[٥] ثانيًا، فلاقَ بكل موضعٍ ما ورد فيه ونطَق القرآنُ به[٦].

فالذي اقتضى هذا الوصفَ في الآيتين[٧] قولُه تعالى قبل الأولى[٨]: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤]؛ أي: إني[٩] لا أعبد إلهًا معه فأُشرك به.

وقوله قبل الآية الثانية[١٠]: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، ومثلهما قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الزمر: ٣٨].

= وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد».

(١) في (ب): «رتبته».
(٢) ليست في (ع).
(٣) قوله: «بقدرته» غير واضح في (أ).
(٤) في (ع): «مراده».
(٥) في (ك): «ووصفًا».
(٦) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «بذلك».
(٧) لفظ «الآيتين» سقط من (ك).
(٨) أي: الآية [١٧] من سورة الأنعام.
(٩) لفظ «إني» سقط من (ك).
(١٠) أي: الآية [١٠٧] من سورة يونس.

إسلام ويب islamweb.net

[٤٧] الآية الخامسة منها[١]:

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١].

وقال تعالى في سورة يونس [١٧]: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

للسائل[٢] أن يسأل عن موضعين في الآيتين[٣]:

أحدهما: عن[٤] الواو في أول الآية الأولى وهو ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾[٥]، والفاء في أول الآية الثانية وهو ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾[٦].

والثاني: عن[٧] اختصاص آخر الآية الأولى بقوله: ﴿ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[٨]، واختصاصِ آخر الآية الثانية[٩] بقوله: ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[١٠].

والجواب عن الأول أن يقال[١١]: إنّ ما تقدَّم الآيةَ الأولى[١٢] من قوله:

---

(١) «منها» ليست في (ع)، وفي (ك): «من سورة الأنعام».

(٢) صيغة السؤال في (ح، خ، س): «لِمَ قال: ﴿وَمَنْ﴾ في الأولى، وقال في الأخرى: ﴿فَمَنْ﴾؟ ولِمَ ختم الآية الأولى بقوله: ﴿ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾، والأخرى بقوله: ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾؟».

(٣) في (ب): «في الموضعين».

(٤) «عن» سقطت من (ك).

(٥) «وهو ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾» أُثبِتت من (ك).

(٦) «وهو ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾» أُثبِتت من (ك).

(٧) «عن» سقطت من (ك).

(٨) في (ك): «إنه لا يفلح الظالمون».

(٩) في (أ، ب، ع): «الأخرى».

(١٠) في (ك): «إنه لا يفلح المجرمون».

(١١) في (أ، ب، ك): «والجواب عن الأول وعطفه»، في (ع): «... وعطفه بالواو»، والمثبت من (ح، خ، س).

(١٢) «الآية الأولى» أُثبِتت من (ح، خ، س).

إسلام ويب islamweb.net

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ إلى قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ [١] جملٌ عُطِف صدورُ بعضها على بعض بالواو، ولم تتعلَّق [٢] الثانيةُ بالأولى تعلُّقَ [٣] ما هو [٤] من سببها، فأُجري قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ مُجراها، وعُطِف [٥] بالواو عليها، ألا ترى قوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنْ بَلَغَ﴾ وبعده: ﴿وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩]؟

وأمّا الثانية [٦] فإنّ ما قبلها عُطِف بعضها [٧] على بعض بالفاء، كقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦]، فتعلَّق [٨] كلُّ ما بعد الفاء بما قبله تعلُّقَ المسبَّب [٩] بسببه؛ لأنّ المعنى: لو أراد الله ألّا يوحى إليَّ هذا القرآنُ لَما تلوتُه عليكم ولا عرَّفكم [١٠] إياه في هذا الوقت الذي أخبرتُكم [١١] أنّ الله بعثني به

(١) ذلك في الآيتين [١٩، ٢٠] من سورة الأنعام.
(٢) في النسخ المعتمدة: «تعلّق»، وفي (ع): «يعلّق»، والمثبت من (و).
(٣) في (أ، ب، ع): «تعليق»، والمثبت من (ك، و).
(٤) في (ك): «ما يكون» بدل «ما هو».
(٥) «وعطف» سقطت من (أ، ب، ع)، وأُثبتت من (ك).
(٦) أي: الآية الثانية وهي من سورة يونس.
(٧) في (ع): «بعضه».
(٨) في (أ): «فعلّق».
(٩) في (أ): «السبب».
(١٠) في (ك): «ولما عرّفتكم إياه»، والمثبت هو قول جمع من المفسرين كابن عباس وقتادة. والضمير يعود على لفظ الجلالة، ومعناه ـ كما في تفسير ابن الجوزي (٤: ١٥) ـ: «ولا أعلمكم اللهُ به». وانظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٩٤)، وتفسير ابن جرير (١١: ٩٧).
(١١) في (أ): «أخبركم».

إسلام ويب islamweb.net

إليكم، وهذا يؤدِّيكم إلى أن تعلموا أني طويتُ[١] فيكم[٢] قبل هذا كثيرًا[٣] من أيام عمري ولم يتهيَّأ لي ذلك، ولا تلوتُ عليكم شيئًا[٤] ممّا تلوتُه[٥] الآن، فيؤدِّيكم هذا إلى[٦] أن تعرفوا صحّة ما أقول: إنه من عند الله، لا من فعلي وقولي، فعُطِف بعضُ هذا الكلام على بعض بالفاء. وقوله بعده: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾؛ أي: إذا عرفتم أنه[٧] ليس من قولي لظهوره مني بعدما لم يكن فيما مضى من عمري، فليس أحدٌ أشدَّ إضرارًا[٨] بنفسه منكم في قولكم على الله ما لم يقُله، فهذا موضع الفاء. وكلُّ موضعٍ في القرآن يكون بعد هاتين الآيتين بالواو أو بالفاء[٩] فاعتبِره بما بيَّنتُه لك. وفي الأعراف أيضًا: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾[١٠] بالفاء، فالجواب عنه مثلُ ما مضى.

والجواب عن السؤال الثاني[١١] أنه لمّا قال في الآية الأولى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ وكان المعنى أنه[١٢] لا أحدَ أظلمُ لنفسه ممّن

(١) أي: قطعتُ، وفي القاموس المحيط (ص١٦٨٦ طوي): «طوى البلاد: قطعها».
(٢) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «فيكون»، وهو خطأ.
(٣) في (ك): «أكثر».
(٤) «شيئًا» ليست في (ب).
(٥) في (ع): «مما أنا أتلوه».
(٦) في (ب): «إلى هذا».
(٧) أي: القرآن.
(٨) في (ب): «ضرارًا».
(٩) في (أ، ك): «والفاء»، والمثبت من (ب، خ).
(١٠) بقية الآية: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ﴾ الآية [٣٧] من سورة الأعراف.
(١١) وهو اختصاص آخر الآية الأولى بقوله: ﴿ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾، واختصاص آخر الثانية بقوله: ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.
(١٢) «أنه» سقطت من (أ).

إسلام ويب islamweb.net

وصف الله تعالى بخلاف وصفه[١] فأوردها[٢] العذابَ الدائم؛ كان[٣] قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ﴾ عائدًا[٤] إلى مَن فعل هذا الفعل؛ أي: لا يظفَر[٥] برحمة الله ولا يفوز بنجاة نفسه مَن كان ما ذُكِر من فعله، فبناءُ[٦] الآخِر على الأول اقتضى أن يكون: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

وأمّا الآية الثانية في سورة يونس[٧] وتعقيبُها بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[٨] دون قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وإن كان الوصفان[٩] لفريق واحد، فلأنها تقدَّمتها الآيةُ التي تضمَّنت وصْفَ هؤلاء القوم بما عاقبهم به فقال: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[١٠] [يونس: ١٣]، فوصفهم بأنهم[١١] مجرمون عند تعليق الجزاء بهم. وقال بعده: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾[١٢] [يونس: ١٤، ١٥] إلى الموضع الذي أبطل فيه حُجّتَهم ودفع[١٣] سؤالهم وهو: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ

(١) «وصفه» سقطت من (ك).
(٢) الفاعل هو الشخص الظالم، وفي (ح، خ): «فأورده».
(٣) «كان» جواب «لمّا قال في الآية الأولى». (٤) في (ب): «عائد».
(٥) في (ع): «الذي يظفر» بدل «أي: لا يظفَر».
(٦) في (أ، ك، ع): «فبنى»، والمثبت من (ب، د).
(٧) في (ك): «يونس عليه السلام». (٨) في (ب): «لا يفلح الظالمون».
(٩) أي: الظلم والإجرام. وفي (ك): «الموضعان» بدل «الوصفان».
(١٠) أُثبتت الآية من (ب، ك). (١١) في (ك): «أنهم».
(١٢) أُثبتت الآية الثانية من (ح، خ، ر، س)، وفي (ع) إلى قوله: «﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾».
(١٣) في (ب): «رفع».

إسلام ويب islamweb.net

هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُ﴾[١] [يونس: ١٥]، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾؛ ليُعلَم أنّ هؤلاء سبيلُهم في الضلال سبيلُ القوم الذين أخبر عن هلاكهم[٢]، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [يونس: ١٣] ليوقع التسوية بينهم في الوصف كما أوقع[٣] التسوية بينهم[٤] في الوعيد[٥].

[٤٨] الآية السادسة منها[٦]:

قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[٧] [الأنعام: ٢٥].

وقال في سورة يونس [٤٢، ٤٣]: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ * وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ﴾.

للسائل[٨] أن يسأل عن قوله تعالى: ﴿مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ﴾[٩] في الآية الأولى، وتوحيدِ الضمير العائد إلى «مَن» حملًا على لفظها، وعن قوله: ﴿مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ﴾ في الآية الثانية[١٠]، وجمعِ الضمير العائد إلى «مَن» حملًا

---

(١) في (ب): «﴿أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥٓ﴾».

(٢) في (ب): «إهلاكهم».

(٣) «كما أوقع» سقطت من (ب).

(٤) «بينهم» سقطت من (ب).

(٥) في (ع): «لتوقع التسوية بينهم في الوعيد».

(٦) «منها» ليست في (ع).

(٧) الآية في (ب، ك) إلى قوله تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾.

(٨) صيغة السؤال في (ح، خ، ر، س): «لِمَ وحَّد ﴿يَسۡتَمِعُ﴾ في الآية الأولى وجمع في الثانية؟».

(٩) «﴿إِلَيۡكَ﴾» ليست في (ع).

(١٠) «في الآية الثانية» أُثبتت من (ب).

إسلام ويب islamweb.net

على معناها، ولماذا اختصَّ[١] الأولُ بالتوحيد والثاني بالجمع؟ وهل كان يجوز في الاختيار عكسُ ذلك[٢] في المكانين؟

والجواب[٣] أن يقال: إنّ[٤] لكلٍّ من الموضعين ما يوجب اختصاصَه باللفظ الذي جاء فيه. فأمّا قوله[٥] تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾، فقد قيل فيه: إنه في قوم من الكفار[٦] كانوا[٧] يستمعون إلى[٨] النبي ﷺ وإلى قراءته بالليل، فإذا عرفوا بها[٩] مكانَه رجَموه وآذَوْه ومنَعوه من الصلاة خوفًا مِن[١٠] أن يسمَعه منهم مَن تَدعوه دواعي الحقِّ فيُسلِم[١١]. وهذا في قومٍ قليلي[١٢] العدد

(١) في (ب، ك، ع): «خصّ».
(٢) «ذلك» سقطت من (ك).
(٣) في (ك): «فالجواب».
(٤) «إنّ» ليست في (ك، ع).
(٥) في (ك): «قولهم».
(٦) جاءت تسميتهم في رواية أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنّ أبا سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابنَي ربيعة، وأمية وأبيًّا ابنَي خلف؛ استمعوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا للنضر: يا أبا قُتَيْلة، ما يقول محمد؟ قال: والذي جعلها بيته ما أدري ما يقول، إلا أني أرى تحريك شفتيه يتكلَّم بشيء، وما يقول إلا أساطير الأولين، مثل ما كنت أحدِّثكم عن القرون الماضية. فأنزل الله تعالى هذه الآية. يُنظَر: أسباب النزول للواحدي (ص٢٠٩)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣: ١٨)، وتفسير البغوي (٢: ٩٠)، وتفسير القرطبي (٦: ٤٠٥).
(٧) في (ب، ع): «وكانوا».
(٨) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ع): «مِن».
(٩) أي: بالقراءة. و«بها» سقطت من (أ).
(١٠) «مِن» أُثبِتت من (ب).
(١١) قال الماوردي في تفسيره (١: ٥١٦): «قيل: إنهم كانوا يستمعون في الليل قراءة النبي ﷺ في صلاته، وفيه وجهان؛ أحدهما: يستمعون قراءته لِيردوا عليه. والثاني: لِيعلموا مكانه فيؤذوه، فصرفهم الله عن سماعه بإلقاء النوم عليهم وبأن جعل على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه».
(١٢) في (أ): «قليل»، وفي (ك): «في قوم قليلين العدد»، وفي (ع): «وهذا من قومٍ قليلي»، =

إسلام ويب islamweb.net

يرصدونه عليه السلام بالليل، وكان الله عز وجل يمنعهم عنه بنوم يُلقيه عليهم، وحجابٍ يحجُبه به عنهم[١]؛ لِقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]، فصار[٢] ذلك كالكِنان[٣] على قلوبهم، وكالصَّمَم[٤] في آذانهم.

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ۞ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾ الآيتين[٥]، فهو في كل الكفار الذين يستمعون مسموعًا هو حُجّة عليهم، وهو القرآن، ولا ينتفعون بسماعه، فكأنهم صُمٌّ عنه[٦].

فلمّا كانت «مَن» تصلُح للواحد فما فوقه، ويجوز أن يعود الضمير إلى لفظه[٧] وهو لفظ الواحد، وإلى[٨] معناه[٩] وهو ما يراد به من واحد أو اثنين أو

= والمثبت من (ب).

(١) في (أ): «منهم»، والمثبت من (ب، ك، ح).

(٢) في (ب): «فكان».

(٣) أي: كالغطاء، قال الزجاج في معاني القرآن (٢: ٢٦٣): «أكِنّة: جمع كِنان وهو الغطاء، مثل: عِنان وأعنّة».

(٤) قال الراغب في المفردات (ص٤٩٢): «الصمم: فُقدان حاسة السمع، وبه يُوصَف مَن لا يُصغي إلى الحق ولا يقبله».

(٥) هما [٤٢، ٤٣] من سورة يونس. و«الآيتين» ليست في (ع).

(٦) قال الزجاج في معاني القرآن (٣: ٢٢): «ظاهرهم ظاهرُ مَن يستمع، وهم لشدة عداوتهم وبغضهم النبي ﷺ وسوء استماعهم بمنزلة الصُّمِّ».

(٧) في (ع): «لفظها».

(٨) في (ب): «إلى» من دون الواو.

(٩) في (ع): «معناها».

إسلام ويب islamweb.net

ثلاث[١]، واختلف هذان المكانان في القلة[٢] والكثرة؛ حُمِلت[٣] في موضع القلّة على حكم اللفظ، وعاد الضمير إليها بلفظ الواحد، فقال: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾، وفي موضع الكثرة على حكم المعنى، وعاد الضمير إليها بلفظ الجمع، فقال: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾؛ ليُفاد بالاختلاف[٤] هذا المعنى، فلم يصلُح[٥] في كل مكان إلا اللفظُ الذي خصَّه مع[٦] القصد الذي ذكرتُ[٧].

فإن قال قائل[٨]: فعلى هذا وجب في الاختيار: «ومنهم مَن ينظرون[٩] إليك»؛ لأنهم[١٠] الأكثرون كالمستمعين.

---

(١) في (ب، ع): «أو ثلاث أو واحدة»، وفي (ك): «أو ثلاثة أو واحدة».

(٢) في (ع): «هذا المكان بالقلة».

(٣) «حُملت» جواب «فلمّا كانت مَن تصلح».

(٤) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «باختلاف».

(٥) في (ب، ع): «يصح».

(٦) في (أ): «مِن».

(٧) خلاصة ما قاله المصنف رحمه الله: قال في سورة الأنعام: ﴿يَسْتَمِعُ﴾ بالإفراد، وفي يونس: ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ بالجمع؛ لأن ما في الأنعام نزل في قومٍ قليلين، وهم: أبو سفيان والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة وأمية وأُبيّ بن خلف، فنُزِّلوا منزلة الواحد، فأُعيد الضمير في قوله تعالى: ﴿يَسْتَمِعُ﴾ على لفظ «مَن». وما في يونس نزل في جميع الكفار، فناسب الجمع.
يُنظَر: فتح الرحمن للأنصاري (ص١٦٢)، وتفسير الآلوسي (٧: ١٢٥).
وأمّا ما يتعلَّق باختلاف الضمير في سورة الأنعام من قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ فقال الآلوسي في تفسيره (٧: ١٢٥): «أفرد ضمير «مَن» في ﴿يَسْتَمِعُ﴾ وجمعه في قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾؛ نظرًا إلى لفظه ومعناه».
يُنظَر: تفسير الآلوسي (٧: ١٢٥).

(٨) في (ر): «فإن قيل».

(٩) في (أ، ب): «ينظر»، والمثبت من (ح، خ، ر).

(١٠) في (ك): «هم».

إسلام ويب islamweb.net

قلت: إنّ المستمعين لمّا كانوا محجوجين بما يستمعونه من القرآن كانوا الأكثرين في الحِجاج[١]، وليس كذلك المنظورُ إليه؛ لأنّ الآيات التي رُئِيت بالعين لم تكثُر كثرةَ آيات القرآن التي سُمِعت بالآذان، فباين السامعون الناظرين في الكثرة عند الحِجاج؛ فلذلك عاد الضمير[٢] إليهم بلفظ الواحد[٣].

[٤٩] الآية السابعة منها[٤]:

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنعام: ٤٠].

وقال بعدها: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٤٧].

فقال في هذين الموضعين: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾[٥].

وقال في هذه السورة: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾[٦] [الأنعام: ٤٦].

---

(١) أي: البراهين والأدلة، والحِجاج ـ بكسر الحاء ـ والحُجَج: جمع الحُجّة وهي البرهان. لسان العرب (٢: ٢٢٨ حجج).

(٢) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «اللفظ».

(٣) قال القرطبي في تفسيره (٨: ٣٤٦): «قال: ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ على معنى «مَن»، و﴿يَنظُرُ﴾ على اللفظ». وقال الأنصاري في فتح الرحمن (ص١٦٣): «إنما لم يجمع في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾؛ لأن الناظرين إلى المعجزات أقل من المستمعين للقرآن».

(٤) «منها» ليست في (ع)، وفي (ك): «من سورة الأنعام».

(٥) «فقال: في هذين الموضعين: أرأيتكم» سقطت من (أ)، والمثبت من (ب، ك). وفي (ح، خ): «فذكر في هاتين الآيتين: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾».

(٦) في (ع) إلى قوله: «﴿وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾».

إسلام ويب islamweb.net

وقال في سورة يونس[١] [٥٠]: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[٢]: لأيِّ معنًى قال في الموضعين الأولين[٣] اللذين[٤] قدَّمنا[٥] ذِكرَهما: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾، وفي الموضعين الأخيرين[٦]: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾؟ وهل كان في الاختيار أن يكون أحدُهما مكانَ الآخر أم لا[٧]؟

فالجواب أن يقال: إنّ النحويِّين في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ على مذهبين[٨]:

---

(١) في (ب): «في سورة يونس».
(٢) في (أ): «للسائل أن يقول».
(٣) ليست في (ع).
(٤) «اللذين» ليست في (ب، ك).
(٥) «قدَّمنا» ليست في (ك).
(٦) في (ب، ك، ع): «الآخرين».
(٧) «أم لا» ليست في (ك)، وفي (ع): «أن تكون إحداهما مكان الأخرى أم لا».
(٨) اختلف العلماء في «التاء» و«الكاف» في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ على ثلاثة مذاهب:
أ ـ التاء فاعل والكاف حرف خطاب تُبيّن أحوال التاء، وهذا قول البصريِّين كما أشار إليه المؤلف فيما بعد.
ب ـ التاء حرف خطاب والكاف هي الفاعل، وهي بمنزلة الكاف في «دونك زيدًا»، فتجد الكاف في اللفظ خفضًا وفي المعنى رفعًا؛ لأنها مأمورة، وكذلك هذه الكاف موضعها نصب وتأويلها رفع، وهذا قول الفراء في معاني القرآن (١: ٣٣٣). وهذا الرأي لم يذكره المؤلف؛ لأن الجمهور ذهبوا إلى بطلانه. يُنظَر لِعلة بطلانه وفساده: معاني القرآن للزجاج (٢: ٢٤٦)، ومشكل إعراب القرآن للقيسي (١: ٢٦٦)، والبيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري (١: ٣٢١).
ج ـ التاء فاعل ـ كما في الرأي الأول ـ والكاف ضمير في موضع المفعول الأول، وقد استساغ هذا الرأي المؤلفُ رحمه الله وقال عنه: «صحيح محتمل»، وذكره بقوله فيما بعد: «ومن مذهب أهل الكوفة في الآيتين: أن التاء اسم، والكاف اسم مضمر». وهذا قول الكسائي من نحاة الكوفة كما ذكر ذلك السمين الحلبي في الدر المصون (٤: ٦١٩). =

إسلام ويب islamweb.net

أحدهما: مذهب أهل البصرة[١]، وهو أنّ الكاف في «أرأيتَك زيدًا عاقلًا» للخطاب كالكاف في «ذلك»[٢] وليست باسم، ويقولون للاثنين: أرأيتَكما زيدًا عاقلًا، وللجماعة[٣]: أرأيتَكم زيدًا عاقلًا[٤]، وأرأيتَك زيدًا عاقلًا[٥]؟ بمعنى: أعلمتَه[٦] عاقلًا؟ والتاء لا تتغيَّر عن الفتح، وهي[٧] علامة الضمير دون الكاف، واكتُفي بتثنية الكاف وجمعها عن تثنية التاء [وجمعها][٨].

ومن مذهب أهل الكوفة في الآيتين[٩] أن التاء اسم، والكاف اسم مُضمَر[١٠]، والتقدير: أرأيتم أنفسَكم إنْ أتاكم[١١] عذاب الله. التاء موحَّدة اللفظ[١٢] مع الكاف التي تختلف باختلاف[١٣] المخاطَبين اكتفاءً باختلافها

= قال ابن الأثير في النهاية (٢: ١٧٨): «وفي الحديث «أرأيتَك» و«أرأيتَكما» و«أرأيتَكم»، وهي كلمة تقولها العرب عند الاستخبار بمعنى أخبِرني، وأخبِراني، وأخبِروني. وتاؤها مفتوحة أبدًا».

(١) هذا المذهب هو اختيار الزجاج في معاني القرآن (٢: ٢٤٦).

(٢) في (ع): «ذلك والنَّجاءَكَ».

(٣) «وللجماعة» ليست في النسخ المخطوطة، وأُثبِتت من (ط).

(٤) «أرأيتكم زيدًا عاقلًا» سقطت من (ك)، و«زيدًا عاقلًا» سقطت من (أ)، والمثبت من (ب).

(٥) «وأرأيتك زيدًا عاقلًا» أُثبِتت من (ك).

(٦) ذلك المعنى باعتبار الرؤية علميّة.

(٧) في (أ، ب، ع): «وهو»، والمثبت من (ر).

(٨) زيادة يقتضيها السياق.

(٩) «الآيتين» سقطت من (ك)، وفي (ع): «الاثنين».

(١٠) هذا رأي الكسائي من أهل الكوفة كما أشرتُ إليه في الحاشية (٨) في الصفحة السابقة.

(١١) في (ع): «أرأيتم» بدل «إنْ أتاكم».

(١٢) أي: تثبُت التاءُ على الفتح في جميع الحالات ولا تتغيَّر.

(١٣) في (ع): «اختلاف».

إسلام ويب islamweb.net

عن اختلاف التاء[١].

ولا اختلاف[٢] في ترادف[٣] الخطابين «التاء» و«الكاف» على المذهبين، ولا يترادفان إلا عند المبالغة في التنبيه، والمبالغةُ فيه هو أن يعلم المخاطَبُ أنه[٤] لا تنبيهَ بعده.

وما يتصل بقوله: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ في الموضعين[٥] كلامٌ يدلُّ على ما إذا وقع[٦] لم ينفع[٧] عنده الزجرُ والتنبيه.

ألا تراه يقول: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾، وعند إتيان العذاب وقيام الساعة لا ينفع الانتباهُ ولا يقع[٨] التنبيه؟ و﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ فعل متعدٍّ[٩] إلى مفعولين، والجملةُ التي

(١) ذكر هذا المذهب الطبري في تفسيره (٧: ١٩١) فقال: «وقال بعض نحويِّي الكوفة: الكاف مِن «أرأيتَك» في موضع نصب... فهذا يُثنّى ويُجمَع ويُؤنَّث فيقال: أرأيتماكما، أرأيتموكم، وأرأيتُنّكنّ... ثم كثر به الكلام حتى تركوا التاء موحَّدةً للتذكير والتأنيث والتثنية والجمع، فقالوا: أرأيتَكم زيدًا ما صنع؟ وأرأيتَكن ما صنع؟ فوحَّدوا التاء وثنَّوُا الكاف وجمعوها فجعلوها بدلًا من التاء...».

(٢) في (ك): «ولا خلاف».

(٣) أي: في تتابع الخطابين واجتماعهما، ففي اللغة: ترادَفا: تعاوَنا وتناكحا وتتابعا. القاموس المحيط (ص١٠٥٠ ردف).

(٤) في (ك، ع): «أن».

(٥) في آيتَي الأنعام [٤٠، ٤٧]. وفي (أ): «في الموضعين: أرأيتكم».

(٦) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «على إذا ما وقع».

(٧) في (أ): «لم يقع».

(٨) في (أ، ب، ك، ع): «ولا ينفع»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).

(٩) في (ك): «يتعدى».

إسلام ويب islamweb.net

هي: ﴿إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ مضمَّنة[١] مفعولَيه.

وكذلك[٢] قوله: ﴿أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً أَوۡ جَهۡرَةً هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، معناه: أعلِمْتم إن أتاكم[٣] العذابُ مفاجأةً من حيث لا يُعلَم[٤]، أو عَيانًا من حيث يُشاهَد، هل يُهلَك عنده إلا القومُ الظالمون[٥]، وهم المخاطَبون؛ أي: هل[٦] يُهلَك غيرُكم[٧]؟

فلمّا علَّق بـ«أرأيتكم» جملةً تتضمَّن مفعولَيها، ومعنى الجملة تَناهي الأمر في تخويفهم بالخشونة إلى حيث[٨] ينقطع التنبيه عندها[٩]؛ كان[١٠] هذا الموضعُ أحقَّ المواضع بالمبالغة فيه لمرادَفة[١١] التنبيه[١٢]، فلذلك أتى بالتاء والكاف اللتين لا تخلُوان[١٣] من الخطاب على المذهبين.

---

(١) في (ب): «متضمنة».
(٢) في (ب): «فكذلك».
(٣) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «جاءكم».
(٤) «من حيث لا يعلم» سقط من (ب).
(٥) في (ب، ك، ع): «غير الظالمين».
(٦) «هل» سقطت من (ك).
(٧) الاستفهام في الآية للتقرير؛ أي: قل تقريرًا لهم باختصاص الهلاك بهم: أخبِروني إن أتاكم عذابه جل شأنه حسبما تستحقونه هل يهلك بذلك العذاب إلا أنتم؛ أي: هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه؟ تفسير الآلوسي (٧: ١٥٤).
(٨) «إلى حيث» سقطت من (أ).
(٩) «عندها» سقطت من (ب، ك، ع).
(١٠) «كان» جواب «فلما علّق».
(١١) في (أ، ب، ع): «بمرادفة»، والمثبت من (ح، خ، ر).
(١٢) أي: بأن يُجمَع بين علامتَي خطاب وهما: التاء والكاف؛ وذلك للدلالة على أن المتوعَّد به وهو الاستئصال بالهلاك واقع وشديد لا يحتاج إلى مزيد من هذا التنبيه، بخلاف الموضعين اللذين ذُكر فيهما ﴿أَرَءَيۡتَكُمۡ﴾ حيث لم يُذكَر في غيرهما الاستئصال بالهلاك، ومن هنا جُمِع بين علامتَي الخطاب في ﴿أَرَءَيۡتَكُمۡ﴾.
(١٣) في (أ): «لا يخلوان».

إسلام ويب islamweb.net

على أنّ مذهب الكوفيِّين في الآيتين صحيح محتمل، فالآية الأولى تقديرها: أرأيتم[١] أنفسَكم داعيةً غيرَ الله إن أتاكم عذابُ الله[٢]؟ والآية الثانية[٣] تقديرها: أرأيتم أنفسَكم غيرَ هالكة[٤] إن أتاكم عذاب الله بغتة[٥] أو جهرة؟ وأرأيتم أنفسَكم[٦] هل يُهلَك غيرُها؟ لأنهم هم الظالمون.

أمّا الآيتان الأخريان[٧] اللتان اقتصر فيهما على ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ ولم يترادف[٨] في كل واحدة[٩] منهما الخطابان[١٠] الدالّان على التناهي[١١] في التنبيه إلى حيث لا تنبيهَ بعده بذكر ما يفزَعون به ويُنذَرون قُربَ حلوله؛ فلأن الجملتين[١٢] بعدهما لم تتضمَّنا[١٣] من المبالغة فيما يحذَرون ما ينقطع التنبيهُ عنده.

أمّا الأولى فقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۦ﴾؛ أي: أعلِمتم إنْ سلَبكم الله صحةَ ما تُحِسُّون[١٤] به المشاهَدات، وتعلَمون به المُغيَّبات، إلهًا[١٥] غيرَ الله يردُّها عليكم؟ وليس هذا استئصالًا كما في الآيتين المتقدِّمتين.

---

(١) في (أ، ب): «أرأيتكم»، والمثبت من (ك، ر، س).
(٢) في (ك): «عذابه».
(٣) في (أ): «والآية» من دون «الثانية».
(٤) «غير هالكة» سقطت من (أ)، وفي (ب): «غير الله»، وهو خطأ، والمثبت من (ك، ر).
(٥) أي: فجأة، وفي لسان العرب (٢: ١٠ بغت): «البغت والبغتة: الفجأة».
(٦) «وأرأيتم أنفسكم» أُثبِتت من (ب، ك).
(٧) في (ك): «الأخرتان».
(٨) في (أ، ك): «ولم يرادف».
(٩) في (أ): «واحد».
(١٠) هما التاء والكاف.
(١١) في (أ): «التاهي»، وهو خطأ نسخي.
(١٢) هما الآية [٤٦] من سورة الأنعام، والآية [٥٠] من سورة يونس.
(١٣) في (ك): «لم يتضمَّنا».
(١٤) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «ما تخشون»، وهو خطأ.
(١٥) في (ط): «إله».

إسلام ويب islamweb.net

وأمّا[١] قوله: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ فلأنّ قبله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٤٨]، مُخبِرًا أنهم استعجلوا العذابَ وقيامَ الساعة فنُزِّلوا منزلةَ مَن لا يخافون ما أُوعِدوا به[٢]، ولذلك[٣] قال: ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾، فلم يكن فيه صريحُ الاستئصال والإفصاح بالهلاك، فكأنه لم يبلُغ حدًّا لا مزيدَ للتنبيه فيه[٤]، بل هم في تلك[٥] الحال أحوجُ ما كانوا إلى الزجر، إذ لم يبلُغ منتهاه كما بلَغ في الآيتين[٦] الأخريين، وصار[٧] التقدير: أعلِمتم أيَّ شيء يستعجل المجرمون من عذاب الله؟ أي: هم يستعجلون هلاكهم ولا يعلمون[٨]. ومعناه[٩]: أعلِموا هم ـ طالبين[١٠] هلاكَ أنفسهم ـ ما[١١] يستعجلونه من نزول[١٢] عذاب الله بهم؟

---

(١) في (أ): «فأما».

(٢) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «من لا يخاف ما أوعد به».

(٣) في (أ): «وكذلك».

(٤) في (أ): «لا مزيد عليه تنبيه فيه»، وفي (ك): «لا مزيد التنبيه فيه»، والمثبت من (ح، خ، ر، س، ط).

(٥) في (أ، ب): «ذلك»، والمثبت من (ك، خ، ر).

(٦) هما الآية [٤٠] والآية [٤٧] من سورة الأنعام.

(٧) «وصار» غير واضحة في (أ).

(٨) أي: ولا يعلمون كُنْهه.

(٩) «ومعناه» ليست في (ب، ك)، وفي (أ): «أي»، والمثبت من (خ، ر، س).

(١٠) «طالبين» سقطت من (ب).

(١١) في جميع النسخ: «بما». قلت: «ما» مفعول «علم»، ولعل الصواب ما أثبتُّه.

(١٢) «نزول» غير واضحة في (ب).

إسلام ويب islamweb.net

فقد بان هذا[١] الفرق بين الآيات وما ترادفت فيه علامتا[٢] الخطاب وغيرِه[٣] ممّا جرى على أصل الكلام. والعلم عند الله تعالى.

[٥٠] الآية الثامنة منها[٤]:

قوله عز وجل: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الأنعام: ٧٠].

وقال في سورة الأعراف [٥٠، ٥١]: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۞ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾.

وقال في سورة العنكبوت [٦٤]: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞ﴾ فقدَّم اللهو على اللعب في هاتين الآيتين[٥].

وجاء في سورة الحديد [٢٠]: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ﴾ فقدَّم اللعب هنا[٦] على اللهو كما قدَّمه[٧] في سورة الأنعام.

للسائل أن يسأل فيقول[٨]: إذا كانت «الواو» للجمع بين الشيئين والأشياء بلا ترتيب، فهل لتقديم أحد الاسمين على الآخر في موضع دون موضع،

(١) في (ر): «لك» بدل «هذا».
(٢) في (ر): «علامة».
(٣) في (أ، ب): «دون غيره»، والمثبت من (ك).
(٤) في (ك): «من سورة الأنعام».
(٥) من قوله: «فقدَّم اللهو» إلى هنا سقط من (ك).
(٦) «هنا» أُثبِتت من (ح، خ، ر).
(٧) «قدَّمه» ليست في (ك).
(٨) في (أ): «للسائل أن يقول».

إسلام ويب islamweb.net

وتقديمِ الآخر عليه في غير ذلك الموضع، فائدةٌ تخصُّه[١]، أم كان جائزًا في كل مكان تقديمُ أيِّهما شاء[٢] المتكلِّم لا لغرض يخصُّه[٣]؟

فالجواب[٤] أن يقال: إنّ[٥] الآية الأولى التي في سورة الأنعام[٦] في قوم[٧] من الكفار[٨]، كانوا إذا سمعوا آيات الله هزَلوا[٩] عندها واستهزؤوا بها، فهذا اتخاذهم دينَ الله لعبًا، وهو كما قال في آية أخرى[١٠]: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

وقوله عز وجل: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ كقوله: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، فهؤلاء[١١] قوم حضروا النبيَّ ﷺ وسمعوا القرآن، وعبثوا عند سماعه، ولعبوا[١٢] بآياته، وأجرَوها مُجرى أفعالٍ يُستروَح إليها، ولا نفعَ

(١) في (أ): «تخصصه»، وفي (ك): «تختصه»، والمثبت من (ب).
(٢) «شاء» سقطت من (أ).
(٣) في (ك): «يختصه».
(٤) في (ب): «والجواب».
(٥) في (ب، ك): «أمّا».
(٦) هناك آية أخرى في سورة الأنعام [٣٢] لم يذكرها المؤلف وهي: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ قدّم اللعب فيها على اللهو.
(٧) في (ب، ك): «فإنها»، والمثبت من (أ).
(٨) قال الماوردي في تفسيره (١: ٥٣٥): «فيهم قولان؛ أحدهما: أنهم الكفار الذين يستهزؤون بآيات الله إذا سمعوها، قاله علي بن عيسى. والثاني: أنه ليس قوم إلا ولهم عيد يلهون فيه إلا أمة محمد ﷺ، فإن أعيادهم صلاة وتكبير وخير، قاله الفراء في معاني القرآن (١: ٣٣٩)».
في (أ، ب): «في هذه السورة»، والمثبت من (ك).
(٩) أي: مزحوا ولم يجدُّوا. والهزل ـ كما في القاموس المحيط (ص١٣٧٣هزل) ـ: نقيض الجِدّ.
(١٠) «أخرى» سقطت من (أ).
(١١) في (أ): «حتى فهؤلاء»، وهو خطأ.
(١٢) في (ك): «وتلعّبوا»، وفي (ط): «تلاعبوا».

إسلام ويب islamweb.net

في عُقباها[١]، ثم شُغِلوا بدنياهم عن تدبُّرها، وألهتْهم حلاوتُها عن الفكر في صحتها، فأول أفعالهم لعب، وثانيها لهو، واللعب فعلٌ في غاية[٢] الجهل تُتعجَّل منه مَسرّةٌ.

واللهو قال فيه صاحب العين[٣]: «ما شغَل الإنسانَ من هوًى وطَرَب»[٤].

فهؤلاء لمّا فعلوا عند سماع القرآن من الاستهزاء والعبث أُطلِق على فعلهم اسمُ «اللعب»[٥]، ثم لمّا شُغِلوا عنه باستحلاء[٦] الدنيا كان هذا لهوًا منهم بعد اللعب، وكان[٧] أولُ دينهم لعبًا، وما بعده لهوًا، فلذلك قُدِّم «لعب» على «لهو» في هذه الآية.

وأمّا قوله في سورة الأعراف: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۞ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا﴾ [الأعراف: ٥٠، ٥١]، وتقديمُ اللهو على اللعب في هذه الآية، فلأنّ الكافرين هنا لعامة الكفار، غيرُ مختصٍّ[٨] بمَن[٩] سمِع

(١) أي: في آخرها. وفي (أ): «في عقابها»، والمثبت من (ب، ك).

(٢) في (أ، ب، ك، ط): «في طاعة»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).

(٣) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، أبو عبد الرحمن البصري، من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، وهو أستاذ سيبويه النحوي، توفي سنة (١٧٠هـ). تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١: ١: ١٧٧)، والأعلام (٢: ٣١٤).

(٤) كتاب العين للخليل (٤: ٨٧)، وجاء فيه: «اللهو: ما شغلك من هوًى أو طرب».

(٥) اللعب هو الفعل الذي ليس فيه قصد صحيح، قال الراغب (ص٧٤١): «لعب فلان: إذا كان فعله غير قاصد به مقصدًا صحيحًا».

(٦) في (ب): «بحلاوة».

(٧) في (ب): «فكان».

(٨) «مختص» تكرَّرت في (أ).

(٩) في (أ): «ثم»، وهو خطأ من الناسخ.

إسلام ويب islamweb.net

الآيات، فقُدِّم فعلُ أكثرهم على فعل أقلّهم، وهم الذين شغلتهم الحياة الدنيا[١] وحلاوتها، والولاية وغباوتها[٢]، واستحلاء ما مرَنت[٣] عليه طباعها، وهذا هو اللهو.

ثم كانت أفعالهم التي اقتدوا فيها بآبائهم لمّا طابت لهم[٤]، ولم يجدوا[٥] في العاقبة نفعًا عليهم، كاللعب الذي ينطوي على أفعال تبطُل في الآجِل وإن سرَّت في العاجل، وهذا بعدَ الأول[٦].

وأكثر الكفار دأبُهم[٧] اللهوُ وإن شغلتهم الحال التي استصحبوها عن الفكر فيما[٨] يطرأ عليها[٩]، فوجب لهذا[١٠] تقديمُ ذكر «اللهو» لوجهين[١١]: لِتقدُّمه على ما هو كاللعب، ولأنه فعل أكثرهم. واللعب الذي أُريد به[١٢] في

---

(١) في (أ): «الدنيا».

(٢) في النسخ المعتمدة وفي المطبوعة: «والولادة وعادتها»، والمثبت من (ح، خ، ر، س). والغباوة: عدم المعرفة والجهل.

(٣) أي: تعوَّدت، وفي القاموس (ص١٥٩٢ مرن): «مرَن على الشيء مُرونًا ومَرَانةً: تعوَّده».

(٤) «لهم» سقطت من (أ).

(٥) في (أ): «ولم يجد»، والمثبت من (ب، ك). والعبارة في (ح، س): «ثم كان اتباعهم للذين اقتدوا فيها بآبائهم لما طاب لهم ولم يُجد».

(٦) أي: اللعب بعد اللهو.

(٧) في (أ، ب، ك، ط): «داؤهم»، والمثبت من (ح، خ، د، س).

(٨) في (أ): «عن النظر عمّا»، والمثبت من (ب، ك).

(٩) في (ح، ر، س): «عن الفكر فيما نظروا فيها».

(١٠) في النسخ المعتمدة: «هنا» بدل «لهذا».

(١١) في (ك): «للوجهين».

(١٢) «به» سقط من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

الآية الأولى[١] فعلُ أقلّهم، وهو هناك[٢] أولُ ما رُدَّ به ما جاء به الرسول ﷺ.

وأمّا قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾، وتقديمُ اللعب فيه على اللهو، فلأنّ معناه: الحياة الدنيا لمن اشتغل بها [و][٣] لم يتعب لغيرها من أعمال الآخرة[٤]، مقسومة[٥] من الصبا[٦]، وهو وقت اللعب، وبعده اللهو، وهو الترويح عن النفس بملاعبة النساء[٧]، ويتبَع ذلك أخذُ الزينة لهن ولغيرهن، ومِن أخذ الزينة تنشأ مباهاةُ الأَكْفاء[٨]، ومفاخرةُ الأشكال[٩] والنظراء[١٠]، ثم بعده المكاثرةُ[١١] بالأموال والأولاد، فترتيب الحياة على هذه الأحوال يوجب تقديمَ حال[١٢] اللعب على حال اللهو.

واللهو إذا أُطلِق في كلامهم فهو[١٣] اجتلاب المَسرّة بمخالطة النساء، ولذلك قال امرؤ القيس[١٤]:

---

(١) يعني آية سورة الأنعام. ولفظ «الأولى» ليس في (أ).

(٢) «هناك» سقطت من (ك).

(٣) زيادة الواو يقتضيها السياق.

(٤) «من أعمال الآخرة» سقطت من (ب، ك).

(٥) «مقسومة» غير واضحة في (أ).

(٦) في (ب): «بين الصبا».

(٧) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «وهو الترويح والاشتغال بالنساء».

(٨) أي: مفاخرة الأمثال. والأكفاء جمع الكفء: المثل.

(٩) الأشكال جمع الشكل، وهو الشبه والمثل أيضًا. القاموس المحيط (ص٦٤ كفأ).

(١٠) النظراء جمع النظير، وهو المثل. القاموس المحيط (ص٦٢٣ نظر).

(١١) أي: المغالبة، وفي القاموس المحيط (ص٦٠٢ كثر): «كاثروهم: غالبوهم».

(١٢) «حال» سقطت من (ب).

(١٣) في (أ، ك): «هو»، والمثبت من (ب).

(١٤) هو امرؤ القيس بن حجر الكندي، وهو من أهل نجد، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، توفي سنة ٨٠ قبل الهجرة. الشعر والشعراء لابن قتيبة (١: ١٠٥)، والأعلام للزركلي (٢: ١١).

إسلام ويب islamweb.net

ألا زَعَمَتْ بَسْباسَةُ اليومَ أنّني كَبِرْتُ وألّا يُحْسِنَ اللهوَ أمثالي[١]

وقال آخر:

لَهَوْنا بِمَنْجولِ البَراقِعِ حِقْبَةً فما بالُ دهرٍ لَزَّنا بالوَصاوِصِ[٢]

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۞ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦، ١٧]، قيل في تفسير اللهو: المرأة، وقال قتادة: اللهو بلغة أهل اليمن: المرأة[٣]؛ أي: لفعلْناه

(١) ديوان امرئ القيس (ص٢٨)، ومعاني القرآن للفراء (١: ١٥٣)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١: ٧٦)، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص١٦٣)، وجاء في معاني القرآن للفراء ومجاز القرآن لأبي عبيدة: «السرّ» بدل «اللهو»، وكلاهما بمعنى الجماع. وبسباسة: امرأة من بني أسد عيَّرت امرأ القيس بالكبر، وأنه لا يحسن اللهو، فنفى ذلك عن نفسه بقوله:

كذبتِ، لقد أُصْبي على المرءِ عِرسَه وأمنعُ عِرسي أن يُزَنَّ بها الخالي

(٢) هكذا ورد في النسخ التي بأيدينا وفي النسخة المطبوعة. ولم أقف عليه بهذا اللفظ إلا عند ابن دريد في جمهرة اللغة (١: ٢١٠): «وصوص، الوصوصة، وهو أن يصغِّر الرجل عينه ليستثبت النظر وينظر من خَلَل أجفانه، ومنه سُمِّي البرقع الصغير العينِ وصواصًا، قال الشاعر:

غَنِينا بمَنجولِ البراقعِ حِقْبَةً فما بالُ دهرٍ غالَنا بالوصاوص

يقول: إنه كان يتحدَّث في شبابه إلى جَوارٍ شوابَّ ينْجُلْن أعين براقعهن لِتبدو محاسنهن، فلمّا أسنَّ صار يتحدَّث إلى عجائز يُوصوصنَ براقعهن ليخفى تغَضُّنُ وجوههن».

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧: ١٠) فقال: «حدَّثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة: قوله: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾... واللهو بلغة أهل اليمن: المرأة». إسناد هذا الأثر حسن؛ لأنّ بشر بن معاذ صدوق. تقريب التهذيب (رقم ٧٠٢)، ويزيد بن زريع ثقة ثبت. التقريب (رقم ٧٧١٣)، وسعيد هو سعيد بن أبي عروبة ثقة حافظ، وكان من أثبت الناس في قتادة. التقريب (رقم ٢٣٦٥). وأورده السيوطي في الدر المنثور (٥: ٦٢٠) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم. قلت: لا دخل لذكر المرأة في هذه الآية لا سباقًا ولا لحاقًا، ولفظ «لهو» عام يشمل كلّ ما يدخل في معناه من المرأة والغناء والمعازف والخمور وسائر هذا الباب.

إسلام ويب islamweb.net

من حيث يختصُّ بعلمنا[١]، فلا[٢] يطَّلع عليه غيرُنا[٣]، تعالى الله عن الصاحبة والولد، فعلى هذا سُمِّيت المرأةُ لهوًا باسم الفعل لِكثرة ما يقع ذلك[٤] بها.

وأمّا قوله تعالى في سورة العنكبوت [٦٤]: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾، فليس المرادُ به أن الحياة الدنيا كلَّها لهوٌ ولعب، وليست شيئًا غيرَها؛ لقوله: ما هي إلا هُما[٥]؛ لأنه لو كان المرادُ هذا لَكان لقائل[٦] أن يقول: ما هذه الحياة الدنيا إلا خوفٌ وحزن، فالخوف[٧] اضطراب[٨] القلب لِتوقُّع مكروه، والحزنُ ألمُه لفقد محبوبٍ. ثم إن هذه الحياة تنطوي على أنواع من[٩] عبادة الله تعالى وعلى تلاوة كتابه، وعلى ما[١٠] يُكسِب رضا الله عز وجل، ويوجب ثوابَه الدائم، فكيف[١١] يقال فيما يتضمَّن كلَّ هذه الخيرات: ليس هو إلا لهوًا ولعبًا؟ بل المراد: المبالغة في وصف قِصَر مُدَّة الدنيا بالإضافة إلى مُدَّة الأخرى، فكأنه[١٢] قال: ما أمدُ الحياة الدنيا[١٣] إلا كأمد

---

(١) في (ط): «بعملنا».
(٢) في (أ): «ولا».
(٣) هذا معنى قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾. وقال الطبري في معناه (١٧: ١٠): «لو أردنا أن نتخذ زوجة وولدًا لاتخذنا ذلك من عندنا، ولكنا لا نفعل ذلك، ولا يصلح لنا فِعله ولا ينبغي؛ لأنه لا ينبغي أن يكون لله ولد ولا صاحبة».
(٤) «ذلك» سقطت من (ب).
(٥) قوله: «لقوله: ما هي إلا هما» ليس في (ح، ر، س).
(٦) هكذا في (ب، ك)، وفي (أ): «للقائل».
(٧) في (أ): «والخوف».
(٨) في (أ، ب، ك): «ألم القلب»، والمثبت من (خ).
(٩) في (ك): «على».
(١٠) «على ما» تكررت في (أ).
(١١) في (أ): «كيف» من دون الفاء.
(١٢) في (أ): «وكأنه».
(١٣) أي: زمن الحياة الدنيا وغايتها. قال الراغب (ص٨٨): «الأمد والأبد يتقاربان لكن الأبد عبارة عن مدة الزمان التي ليس لها حدّ محدود، والأمد: مدة لها حدّ مجهول إذا =

إسلام ويب islamweb.net

أزمنة اللهو واللعب، فهي[١] أزمنة تُستقصَر لِشغل النفس بحلاوة ما يُتعجَّل، كما قال القائل:

شُهورٌ يَنْقَضين وما شَعَرْنا ... بأنْصافٍ لهنّ ولا سَرارِ[٢]

وقال آخر[٣]:

وليلةٍ إحدى اللَّيالي الزُّهرِ ... لم تكُ غيرَ شَفَقٍ وفَجرِ[٤]

والدليل على أن المراد هذا[٥] ما ذكرتُ[٦] قبلُ، وما ذكره[٧] الله تعالى بعدُ من قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]؛ أي: أن حياتها تبقى أبدًا، ولا تعزُب[٨] أمدًا. وإنما قدَّم اللهو على اللعب هنا[٩]؛ لأن الأزمنة التي يقصِّرها اللهوُ أكثرُ من الأزمنة التي يقصِّرها اللعبُ؛ لأنّ التشاغل به أكثر.

= أُطلِق». وفي اللسان (٣: ٧٤ أمد): «الأمد: الغاية كالمدى».

(١) في (ك): «وهي».

(٢) ديوان الصمة القشيري (ص٧٨، رقم ٢٣)... والسَّرار: آخر ليلة من الشهر يسْتسِرُّ فيها القمر. الفائق للزمخشري (٢: ١٧١)، ولسان العرب (٤: ٣٥٧ سرر).

(٣) في (ك): «وكما قال المتأخر»، وفي (ح): «وقال الراجز».

(٤) لم أقف على قائله، والمعنى: يتحدَّث عن سرعة انقضاء الليل بحيث رأى أن الليل كله لم يزد عن قدر ما بين طلوع الفجر إلى بزوغ الشفق. والزُّهْر: ثلاث ليالٍ من أول الشهر. اللسان (٤: ٣٣٢ زهر). والبيت أورده الآلوسي في تفسيره (٧: ١٣٤).

(٥) «هذا» سقطت من (أ).

(٦) في (ك): «ذكرنا».

(٧) في (أ، ب): «ما ذكر»، والمثبت من (ك، ر، ح).

(٨) أي: لا تخفى ولا تغيب أبدًا. وفي (أ، ب، ك): «لا تعرف»، والمثبت من (ح، ر، س).

(٩) في (ب، ك): «هنا على اللعب»، بتقديم وتأخير.

إسلام ويب islamweb.net

فلمّا كان[١] معظمَ ما يستقصر، وجب تقديمُ ما يكثُر على ما هو دونه[٢] في الكثرة؛ لأن ذلك آخِذ[٣] بالشَّبَه، وأبلغ[٤] في وصف المشبَّه[٥]، ولا خلافَ أن الناس[٦] أزمنتُهم المشغولةُ باللهو أكثرُ من أزمنتهم المشغولة باللعب، وإن طِيبها[٧] لهم يُخيِّل قِصَرَها إليهم[٨]، ويتفاوت طِيبُها على حسب تفاوت[٩] ميل النفس[١٠] إلى محبوبها.

فمعظم ما يُرِي الزمانَ الطويل[١١] قصيرًا زمانُ اللهو بالنساء، وهو الذي نشأت منه[١٢] فتنةُ الرجال وهلاكُ أهل الحبّ. فهذا الكلام في[١٣] هذه الآي. والسلام[١٤].

[٥١] الآية التاسعة منها[١٥]:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ [الأنعام: ٩٥].

(١) اسم «كان»: هو، ضمير عائد على اللهو. وفي (ب، ك): «كانت».
(٢) في (أ، ب): «على ما دونه»، والمثبت من (ك، ح).
(٣) «آخذ» سقطت من (أ).
(٤) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «وأكبر وأبلغ».
(٥) حيث تُشبَّه سرعةُ انقضاء الحياة الدنيا بسرعة انقضاء أيام اللهو.
(٦) «أن الناس» سقطت من (ك).
(٧) «وإن طيبها» غير واضحة في (أ).
(٨) «إليهم» سقطت من (ك).
(٩) «تفاوت» سقطت من (ك).
(١٠) في (ك): «النفوس».
(١١) «الطويل» سقطت من (أ).
(١٢) «منه» سقطت من (أ).
(١٣) في (أ): «مِن».
(١٤) «والسلام» ليست في (ك).
(١٥) هذه الآية لم تثبت في النسخ التي بأيدينا إلا في (أ، ب، د).

إسلام ويب islamweb.net

وقال في سور أُخَر(١) قبلها(٢) وبعدها(٣): ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الروم: ١٩].

للسائل أن يسأل فيقول(٤): لِمَ عُطِف الاسمُ على لفظ الفعل ولم يُعطَف عليه لفظُ الفعل، كما قال في السور الأُخَر؟ وإذا عُطِف عليه بلفظ(٥) الاسم وهو ﴿مُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾(٦)، هلّا ذُكِر اللفظُ الأول بالاسم فيقول: «مخرج الحي من الميّت»، فما الفائدة في ذلك؟ وما الفرق بينها وبين الآي الأُخَر؟

والجواب أن يقال: إن أول هذه الآية ذُكِر بلفظ الاسم وهو ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾، فكان اللائق به أن يقال(٧): «ومخرج الحيّ من الميت»، ولكنه لمّا اجتمع ثلاثة(٨) حروف من حروف العلة دفعةً واحدة، وهي: الواو(٩) من ﴿ٱلنَّوَىٰ﴾، والياء(١٠) من ﴿ٱلنَّوَىٰ﴾، والواو من ﴿وَمُخْرِجُ﴾ [وهي](١١) واو

(١) في (أ): «أخرى».

(٢) أي: قبل آية سورة الأنعام، وذلك في قوله تعالى من سورة آل عمران [٢٧]: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾.

(٣) أي: بعد آية سورة الأنعام، وذلك في موضعين؛ أحدهما: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣١]. والثاني: الآية [١٩] من سورة الروم المذكورة في النص.

(٤) في (أ): «للسائل أن يقول».

(٥) في (أ): «لفظ».

(٦) في (أ، ب): «مخرج الميت»، والمثبت من (ر).

(٧) «أن يقال» سقطت من (ب).

(٨) في (أ): «ثلاث».

(٩) في (ب): «واوان».

(١٠) يعني الأصل. قال السمين الحلبي في كتابه عمدة الحفاظ (٤: ٢٧٤): «النوى للثمرة عجمُها، وهو الذي ينبُتُ منه الشجرُ، والواحدة: نواة... ولام النواة ياء؛ لأنّ عينها واو».

(١١) زيادة يقتضيها السياق.

إسلام ويب islamweb.net

العطف؛ نُقِل عن لفظ الاسم إلى لفظ الفعل لمّا كان «يُخرِج» و«مُخرِج» بمعنًى واحد، فقال: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾، فجعل الجملة وهي: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ خبرَ الابتداء(١)، كما تقول: إنّ زيدًا ضاربُ عمرٍو يُكرِمُ(٢) بَكرًا، ومُكرِمٌ جعفرًا، فهذا أفصح(٣) من أن تقول: إنّ زيدًا ضاربُ عمرٍو(٤)، ومُكرِمُ بَكرٍ، ومُكرِمُ جعفرٍ، فلهذا المعنى قال: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾.

فلمّا انتهى إلى العاطف من قرينه(٥) لم تكن فيه تلك العلّةُ التي كانت في المعطوف عليه، فأُجري على ما أُجري عليه أولُ الآية، وهو: ﴿فَالِقُ ٱلۡحَبِّ﴾(٦) وما بعده: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا﴾(٧) [الأنعام: ٩٦]، وعاد إلى لفظ الاسم وهو: ﴿وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾، وعطَفه على ﴿فَالِقُ ٱلۡحَبِّ﴾، وليس في الآي الأُخَر(٨) ما في هذه الآية قبلها وبعدها من الاسمية،.....

(١) قال السمين في الدر المصون (٥: ٥٧): «قوله: ﴿يُخۡرِجُ﴾ يجوز فيه وجهان؛ أحدهما: أنها جملة مستأنفة فلا محلّ لها. والثاني: أنها في موضع رفع خبر ثانٍ لـ«إن»».

(٢) في النسخ المخطوطة: «مكرم»، وما أثبتُّه هو الذي يناسب صيغة المضارع في الآية الكريمة.

(٣) كلام المؤلف رحمه الله فيه شيء من الغموض؛ لأنه لم يذكر لنا في الكلام الذي أورده لماذا كان المثال الأول أفصح من المثال الثاني.

(٤) في (ب): «وعمرو»، وهو خطأ.

(٥) في (ب): «قرينته».

(٦) في (د): «فالق الحب والنوى».

(٧) في جميع النسخ: ﴿وَجَاعِلُ اللَّيْلِ﴾، باسم الفاعل، وهو قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر، والمثبت هو ما في المصحف، وهو قراءة عاصم وحمزة وأبي عمرو. كتاب السبعة لابن مجاهد (ص٢٦٣).

(٨) وهي الآية [٢٧] من سورة آل عمران، والآية [٣١] من سورة يونس، والآية [١٩] من سورة الروم، حيث ذكر في هذه الآيات العاطف والمعطوف على لفظ الفعل بخلاف ما في آية =

إسلام ويب islamweb.net

فذُكِر فيها[١] على لفظ الفعل عاطفُها ومعطوفها. فبان الفرق بينهما[٢] على ما بيَّنتُ. والله أعلم[٣].

= الأنعام، وهو قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ حيث قبله وبعده أسماء الفاعل.

(١) أي: في تلك الآيات غير آية سورة الأنعام.

(٢) أي: بين ما جاء في سورة الأنعام وبين ما جاء في السور الأخرى، وبيانُ ذلك: أنّ ما في سورة الأنعام وقع بين اسمَي فاعل وهما: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ﴾ [الأنعام: ٩٥]، و﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، واسم الفاعل يُشبه الاسمَ من وجهٍ، فيدخله الألف واللام والتنوين والجار، ويشبه الفعل من وجهٍ، فيدخله الألف واللام والتنوين والجار، ويشبه الفعلَ من وجه، فيعمل عمل الفعل؛ ولهذا جاز العطف عليه بالاسم نحو قوله: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [آل عمران: ١٧]، وجاز عليه العطف بالفعل، نحو قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [الحديد: ١٨]، وعلى ضوء قاعدة عمل اسم الفاعل بالشَّبهَين: وقع بين ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ وبين ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ قولُه تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ بلفظ الفعل، و﴿مُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ بلفظ الاسم، بخلاف ما في آل عمران ويونس والروم؛ لأن ما قبله وبعده أفعالٌ. يُنظَر: البرهان للكرماني (ص١٧٣). قال ابن المنير في الإنصاف (٢: ٣٧): «فالوجه ـ والله أعلم ـ أن يقال: كان الأصل ورود قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ بصيغة اسم الفاعل أسوة بأمثاله من الصفات المذكورة في هذه الآية... إلا أنه عدل عن اسم الفاعل إلى الفعل المضارع في هذا الوصف، وهو قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ إرادةً لتصوير إخراج الحيّ من الميت، واستحضاره في ذهن السامع، وذلك إنما يتأتّى بالمضارع دون اسم الفاعل والماضي...». بتصرف يسير.

قال الفخر الرازي في تفسيره (١٣: ٩٨): «قوله: ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ معطوف على قوله: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾، وقولُه: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ كالبيان والتفسير لقوله: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾؛ لأنّ فلْق الحبّ والنوى بالنّبات والشجر النامي من جنس إخراج الحيّ من الميّت؛ لأنّ النامي في حكم الحيوان، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: ١٩]. وفيه وجه آخر: وهو أن لفظ الفعل يدل على أن ذلك الفاعل يعتني بذلك الفعل في كل حين وأوانٍ. وأما لفظ الاسم فإنه لا يفيد التجدُّد والاعتناء به ساعة فساعة».

(٣) في (ب، د): «والسلام» بدل «والله أعلم».

إسلام ويب islamweb.net

[٥٢] الآية العاشرة منها[١]:

قوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧].

والآية الثانية بعدها: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨].

والآية الثالثة: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٢] [الأنعام: ٩٩].

للسائل أن يسأل فيقول[٣]: ما الذي أوجب في اختيار الكلام أن يقال في الأولى: ﴿يَعْلَمُونَ﴾، وفي الثانية: ﴿يَفْقَهُونَ﴾، وفي الثالثة: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾؟ وهل صلَح بعضُ ذلك مكانَ بعض أم في كلٍّ معنًى يخصُّ اللفظَ الذي جاء عليه[٤]؟

فالجواب[٥] أن يقال: إن قوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ جاء بعد آيات نبَّهت على معرفة الله تعالى، وهي من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[٦] [الأنعام: ٩٥-٩٧]، فكان جميعُ ذلك دالًّا على العلم بالله تعالى وبوحدانيته، وهو أشرف[٧] معلوم.

---

(١) في (ك): «الآية التاسعة من سورة الأنعام»، حصل هذا الاختلاف في عدّ الآيات عندما سقطت الآية السابقة من هذه النسخة وبعض النسخ الأخرى كما أشرنا.

(٢) في (ك): «قوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ * وَهُوَ ٱلَّذِى أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾».

(٣) في (أ): «للسائل أن يقول».

(٤) في (ب، ك) تكرَّر ذكر الآيات في صيغة السؤال. وفي (ح، خ، ر): «فلِمَ خص آخر الآية الأولى بقوله: ﴿يَعْلَمُونَ﴾، والثانية بقوله: ﴿يَفْقَهُونَ﴾، والثالثة بقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾؟».

(٥) في (ك): «والجواب».

(٦) في (ك) اختلاف يسير في ذكر الآيات.

(٧) «أشرف» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

ولا لفظَ من ألفاظ «يعلمون» و«يعقلون» و«يفقهون» و«يشعرون» إلا ولفظةُ «يعلمون» أعلى منه، ولذلك صحَّت في الخبر[١] عن الله تعالى ولم يصحَّ فيه غيرُها[٢] من الألفاظ التي ذُكِرت[٣]، فلما كان المعلومُ أشرفَ المعلومات عبَّر عن الآيات التي نُصِبت للدلالة عليه باللفظ الأشرف.

وأما ما استعمل فيه ﴿يَفْقَهُونَ﴾ فهو بعد قوله[٤]: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ [الأنعام: ٩٨]، فأخبر عن ابتدائه[٥] الإنسانَ وإنشائِه إياه[٦]، ثم نبَّهه[٧] بما أراه[٨] من تنقُّله[٩] من حال إلى حال، من عدم إلى وجود، ومن مكانٍ إلى مكان، ومن[١٠] صُلب إلى رَحِم، ومن بطن أُمٍّ إلى وجه الأرض[١١]، ومن وجه الأرض إلى بطنها، على أنه كما نُقِل[١٢] من موت إلى حياة، ومن حياة إلى موت، كذلك يُنقَل من الموت إلى الحياة[١٣]، ومن

(١) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «فجاء خبر».
(٢) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «ولم تصح فيه غيرها».
(٣) في كلام المصنف إشارة إلى أنه لا يُخبَر عن الله تعالى إلا بألفاظ وردت في الشرع.
(٤) «قوله» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٥) في (ك): «ابتداء».
(٦) ممسوح في (ب).
(٧) في (ب، ك): «نبه».
(٨) في (ك): «أرى».
(٩) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «من نقله».
(١٠) في (ك): «من» من دون الواو.
(١١) من قوله: «ومن بطن» إلى هنا سقط من (ك).
(١٢) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «ينقل».
(١٣) في النسخ المعتمدة والمطبوعة هكذا، وفي (خ، ر، س): «من الحياة إلى الموت».

إسلام ويب islamweb.net

القبر إلى المحشر، ومنه إلى إحدى الدارين؛ لأن[١] الاستيداع[٢] في الدنيا، والمستقرَّ في العقبى[٣] كما نُقِل في التفاسير[٤].

فنطقت[٥] تلك الأحوالُ الحادثة لمن يفهمها ويفطن لها، ويستدلُّ بمُشاهَدها[٦] على مُغيَّبها، أن بعد الموت بعثًا وحشرًا وثوابًا وعقابًا، وهذا ممّا يُفطَن له، فـ﴿يَفْقَهُونَ﴾ أولى به[٧].

---

(١) من هنا إلى قوله: «في التفاسير» سقط من (ك).

(٢) الاستيداع: طلب الترك، وأصله مشتق من الودع، وهو الترك على أن يُسترجَع المُستودَع. يقال: استودعه مالًا إذا جعله عنده وديعة، فالاستيداع مُؤذِن بوضع مؤقَّت، والاستقرار مُؤذِن بوضع دائم أو طويل. يُنظَر: تفسير ابن عاشور (٧: ٣٩٦).

(٣) هذا قول الحسن، وهو أحد الأقوال التسعة التي ذكرها ابن الجوزي (٣: ٩٢) في معنى المستقَر والمستودَع، ومنها: المستقر في الأرحام والمستودع في القبر، ومنها: المستقر في الأرض والمستودع في الأصلاب. قال الطبري (٧: ٢٩١): «وأَولى التأويلات في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله جل ثناؤه عمّ بقوله: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ كلَّ خلقه الذي أنشأ من نفس واحدة، مستقرًّا ومستودعًا، ولم يخصِّص من ذلك معنًى دون معنًى. ولا شكَّ أنّ من بني آدم مستقرًّا في الرحم، ومستودعًا في الصلب، ومنهم من هو مستقر على ظهر الأرض أو بطنها، ومستودع في أصلاب الرجال، ومنهم مستقر في القبر، مستودع على ظهر الأرض. فكل «مستقر» أو «مستودع» بمعنًى من هذه المعاني، فداخل في عموم قوله: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ ومراد به، إلا أن يأتي خبر يجب التسليم له بأنه معنيٌّ به معنًى دون معنًى، وخاصّ دون عام».

(٤) يُنظَر: تفسير الماوردي (١: ٥٤٨)، وتفسير ابن عطية (٥: ٢٩٨)، وتفسير ابن الجوزي (٣: ٩٢)، وتفسير أبي حيان (٤: ١٨٨).

(٥) غير واضحة في (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(٦) في النسخ المعتمدة والمطبوعة: «بشاهدها»، والمثبت من (ح، ر، س).

(٧) قال البيضاوي رحمه الله: «ذكر مع ذكر النجوم ﴿يَعْلَمُونَ﴾ لأنّ أمرها ظاهر، ومع ذكر تخليق بني آدم ﴿يَفْقَهُونَ﴾ لأن إنشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة =

إسلام ويب islamweb.net

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩] بعدما عدَّ نِعَمه على خلقه، وما وسَّعه من رزقه من الحَبِّ المُعَدِّ[١] للأقوات، ومن ضروب الأشجار وصنوف الثمار[٢]، وكان هذا مستدعيًا[٣] للإيمان به، المشتملِ على شكر نعمته، والقيامِ بما فرض من طاعته، وأوجب من عبادته؛ كانت الآياتُ في ذلك مُعرَّضة لمن آمن بالله[٤]، فلذلك قال في الأخير[٥]: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. والله أعلم.

[٥٣] الآية الحادية عشرة منها[٦]:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

= دقيق غامض يحتاج إلى استعمال فطنة وتدقيق نظر». تفسير البيضاوي في هامش حاشية الشيخ زاده (٢: ٢٩٢).

(١) في (ك): «المؤدَّى».

(٢) يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩٩].

(٣) ممسوح في (ب).

(٤) قال أبو حيان (٤: ٦٠١): «الآيات: العلامات الدالة على كمال قدرته وإحكام صنعه وتفرُّده بالخلق دون غيره. وظهورُ الآيات لا ينفع إلا لمن قدَّر الله له الإيمان، فأما من سبق قدرُ الله له بالكفر، فإنه لا ينتفع بهذه الآيات. فنبَّه بتخصيص الإيمان على هذا المعنى». وانظر أيضًا: الدر المصون للسمين الحلبي (٥: ٨٢).

(٥) في (ب): «الآخر».

(٦) في (ك): «الآية العاشرة من سورة الأنعام».

إسلام ويب islamweb.net

وقال في سورة المؤمن[١] [٦٢]: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[٢]: لماذا قدَّم في سورة الأنعام ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ على قوله[٣]: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، وقدَّم في سورة المؤمن: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ على قوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[٤]؟

والجواب أن يقال: لأن[٥] ما في هذه السورة جاء بعد قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، فلما قال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أتى بعده بما يدفع قولَ مَن جعل لله شريكًا[٦] فقال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، ثم قال: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

وفي سورة المؤمن جاء هذا[٧] بعد قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٨] [غافر: ٥٧]، فكان الكلام على تثبيت خلق الإنسان[٩]، لا على نفي الشريك عنه هنا[١٠]، كما كان في الآية الأولى، فكان تقديم ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ هاهنا[١١] أولى[١٢]. والله أعلم.

---

(١) يعني سورة غافر.
(٢) في (أ): «للسائل أن يقول».
(٣) «قوله» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).
(٤) «على قوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).
(٥) في (ك): «لأن هذا جاء بعد قوله».
(٦) في (ك): «له شركاء».
(٧) «هذا» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).
(٨) «﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾» ليست في (أ).
(٩) في (ك): «الناس».
(١٠) «هنا» أُثبتت من (ح، ر، س).
(١١) في (ب): «بعده بما هنا».
(١٢) قال ابن جماعة في كتابه كشف المعاني (ص١٦٤): «لمّا تقدَّم هنا ـ أي: في الأنعام ـ: =

إسلام ويب islamweb.net

[٥٤] الآية الثانية عشرة منها[١]:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقال بعده: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

للسائل أن يسأل فيقول[٢]: كيف قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾ في الأولى، وفي الثانية[٣]: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾؟ وهل في المكانين ما يوجب اختلافَ الاسمين؟

والجواب أن يقال: إن الأولى قبلها: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]؛ أي: كان للأنبياء قبلك أذًى[٤] من قِبَل العدوّ[٥] من الإنس والجن، ولو شاء مَن ربّاك[٦]، وربَّك[٧]، وقام بمصالحك؛ لألجأهم إلى موافقتك وتركِ مخالفتك، وإن كان

= ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾، فناسب تقديم كلمة التوحيد النافية للشرك ردًّا عليهم، ثم ذكر الخلق. ولمّا تقدَّم في المؤمن كونه خالقًا بقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾، ناسب تقديم كلمة الخلق ثم كلمة التوحيد».

(١) في (ك): «الآية الحادية عشرة منها».

(٢) في (أ): «للسائل أن يقول»، وفي (ك) خلل في ذكر السؤال.

(٣) في (ب): «الثاني».

(٤) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ) غير واضح، وفي (ب): «آذاء».

(٥) في (م): «العدوين».

(٦) «ربَّ» و«رَبَّى» فعلان بمعنًى واحد، قال الجوهري في الصحاح (١: ١٣٠ ربب): «رَبَّ الضيعةَ: أي أصلحها وأتمها. وربَّ فلانٌ ولدَه يربُّه ربًّا، وربَّبه وتربَّبه بمعنًى؛ أي: ربّاه». وقال (٦: ٢٣٥٠ ربو): «وربَّيته تربية وتربَّيْتُه: أي غذوته». وقال الزجاجي: «الرب: المصلح للشيء، يقال: ربْتُ الشيء أربُّه رَبًّا ورِبابةً: إذا أصلحته وقمت عليه، وربُّ الشيء: مالِكه، فالله عز وجل مالك العباد ومُصلِحهم ومُصلِح شؤونهم». اشتقاق أسماء الله للزجاجي (ص٣٢).

(٧) لفظ «ربك» سقط من (أ).

إسلام ويب islamweb.net

مَن يقوم بتربيتك[١] يحجِزهم عن مَضَرّتك[٢]، وأن يظفروا بمرادهم من[٣] عداوتك؛ فقد تضمَّن قوله: ﴿رَبُّكَ﴾ هذا المعنى.

وقوله في الآية الأخرى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾[٤] جاء بعد قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦]، فأخبر أنهم أقاموا لله الذي يحقُّ إفرادُه بالعبادة شركاءَ[٥]، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: ولو شاء مَن نعمتُه عليهم نعمةٌ توجب التألُّهَ[٦] ألّا يعبدوا سواه ما تمكَّنوا من فعله، فهذا موضعٌ لم يَلِقْ به إلا الاسمُ الذي يفيد معنًى فيه حُجّةٌ عليهم دون غيره من الأسماء، فأفاد كلُّ اسم من الاسمين في مكانه ما لم يكن ليُستفاد[٧] بغيره[٨].

والله أعلم[٩].

---

(١) في (أ): «بربابتك».

(٢) في (ح، خ، ر، س): «كما قام بتربيتك في حجزهم ودفع مضرتهم عنك»، وفي (أ): «بربابتك» بدل «بتربيتك»، والمثبت من (م).

(٣) في (م): «عن».

(٤) في (ب): «ولو شاء الله».

(٥) في (ب): «شريكًا».

(٦) «التألُّه» ليست في (ك).

(٧) في (م): «يستفاد» من دون اللام.

(٨) قال العلامة الآلوسي (٨: ٦): «إنما قال سبحانه هنا: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾، وفيما يأتي: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾، فغاير بين الاسمين في المحلّين؛ لأنّ ما قبل هذه الآية ـ أي: الأولى ـ من عداوتهم له عليه الصلاة والسلام كسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام التي لو شاء منعهم عنها فلا يَصِلون إلى المضرة أصلًا؛ يقتضي ذِكرَه بهذا العنوان ـ أي: عنوان الربوبية ـ إشارة إلى أنه مربِّيه في كنف حمايته، وإنما لم يفعل ذلك لأمر اقتضته حكمته، وأما الآية الأخرى فذكر قبلها إشراكهم فناسب ذكره ـ عز اسمه ـ بعنوان الألوهية التي تقتضي عدم الإشراك».

(٩) في (ب): «والسلام».

إسلام ويب islamweb.net

[٥٥] الآية الثالثة عشرة منها[١]:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٧].

وفي سورة القلم[٢] [٧]: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

للسائل أن يسأل عن الفرق بين اللفظين، وحذفِ الباء وإثباتها[٣]، وهل كان يصحُّ ما في سورة القلم أن يكون في سورة الأنعام، وما في سورة الأنعام أن يكون مكانَها[٤]؟

والجواب أن يقال: إنّ مكان[٥] كل واحد يقتضي ما وقع فيه، وبين اللفظين فرقٌ في المعنى يوجب اختصاصَ اللفظ الذي جاء له بمكانه[٦].

فقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ معناه: الله أعلم[٧] أيُّ المأمورين يضلُّ عن سبيله، أزيدٌ أم عمرو[٨]؟ .....

(١) في (ك): «الآية الثانية عشرة منها».
(٢) في (أ): «في سورة (ن)».
(٣) أي: حذف الباء الداخلة على «مِن» في آية الأنعام، وإثباتها في آية سورة القلم.
(٤) في (أ، ب): «وهل كان يصح اللفظ الذي هاهنا هناك، والذي هناك هنا؟»، والمثبت من (ك).
(٥) «إن مكان» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).
(٦) «بمكانه» سقطت من (ب، ك).
(٧) في (ب): «يعلم».
(٨) في هذا المعنى جعل المصنف «مَن» للاستفهام بمعنى «أيّ»، وهو اختيار الفراء في كتابه معاني القرآن (١: ٣٥٢)، والطبري في تفسيره (٨: ١٠)، والنحاس في كتابه إعراب القرآن (١: ٥٧٧)، والقيسي في كتابه مشكل إعراب القرآن (١: ٢٨٥). وإليه ذهب الزجاج في كتابه معاني القرآن (٢: ٢٨٦) فقال: «موضع «مَن» رفعٌ بالابتداء، ولفظها لفظ الاستفهام، =

إسلام ويب islamweb.net

وهذا المعنى يقتضيه[١] ما تقدَّم هذه[٢] الآيةَ وما جاء بعدها ممّا تعلَّق بها، فالذي قبلها: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]؛ أي: إن تُطِع الكفارَ يُضلُّوك عن طاعة الله وعبادته، ثم أخبر أنه يعلم مَن الذين[٣] يُغوونه[٤] ويُضِلُّونه ومَن الذين لا يتمكَّنون[٥] من إضلاله، وبعد هذه الآية: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٩].

وأما قوله[٦]: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ فمعناه[٧] غير معنى ما في الآية الأولى[٨]؛ أي: الله أعلم بأحوال مَن ضلَّ، كيف كان ابتداءُ ضلاله، وما يكون من مآله؟ أيُصِرُّ على باطله أم يرجع عنه إلى حقِّه[٩]؟ وقبلها: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۞ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ [القلم: ٥، ٦].

= المعنى: إن ربك هو أعلم أيُّ الناس يَضلُّ عن سبيله، وهذا مثل قوله: ﴿لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا﴾ [الكهف: ١٢]». وذهب السمين في الدر المصون (٥: ١٢٧) والآلوسي (٨: ١٢) إلى أن «مَن» موصولة في محل نصب على المفعولية بفعلٍ دلَّ عليه قوله: «أعلم»، فكأنه قال: إن ربك يعلم من يضل عن سبيله. والذي ألجأ هؤلاء إلى هذا هو أن صيغة أفعل التفضيل لا تتعدّى.

(١) في (أ): «يقتضي»، وفي (ب): «يقتضي به»، والمثبت من (ك، ح، ر).

(٢) في (ب) «في هذه»، ولا وجه له.

(٣) في (ك): «الذي يُضِلُّونه ويُغوونه».

(٤) أي: يُضِلُّونه ويُغوونه في الغيّ والضلال. وغوى: ضلّ، وأغواه: أضلّه. اللسان (١٥: ٤٠).

(٥) في (ك): «الذي يتمكن».

(٦) في (ك): «قوله في الآية الأخرى».

(٧) في (أ): «معناه»، والمثبت من (ب، ك).

(٨) في (ك): «غير ما في معنى الأولى».

(٩) ما ذكره المؤلف إلى هنا يتعلَّق بورود الفعل بلفظ المضارع «يضلّ» في الأنعام، وروده بلفظ الماضي «ضلّ» في سورة القلم.

إسلام ويب islamweb.net

مَن جعَل ﴿ٱلْمَفْتُونُ﴾ بمعنى الفُتون كالمعقول بمعنى العقل[١]، كان معناه: فستعلم ويعلمون[٢]، بك أو بهم الفُتون[٣]، وخَبالُ[٤] العقل وفسادُ الرأي[٥]؟

ومَن جعَل[٦] ﴿ٱلْمَفْتُونُ﴾: المُبتلَى بفساد التمييز، وهو حكاية معنى قولهم: إنه ﷺ مجنون[٧]، كان كما يقال: في أيِّ الفرقتين المجنونُ؟ أفِي فرقة الإسلام أم في فرقة الكفر[٨]؟ و«الباء» تقارب معنى «في»[٩] كما يقال: فيه عيب، وبه عيب، فينوب كلٌّ واحد من الحرفين مَنابَ الآخر في أداء المعنى[١٠].

---

(١) في (أ): «كالمفعول بمعنى الفعول»، وفي (ب): «كالمعقود بمعنى العقد»، وفي (ك): «كالمفعول بمعنى الفعل»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).

(٢) في (أ): «ستعلم وسيعلمون»، والمثبت من (ب، ك). وجاء في تفسير ابن كثير (٤: ٦٣١) ما يؤيد المثبَت «فستعلم ويعلمون».

(٣) في (أ): «المفتون»، وهو خطأ، والمثبت من (ب، ك).

(٤) قال الراغب (ص٢٧٤): «الخبال: الفساد الذي يُورث اضطرابًا كالجنون والمرض المؤثِّر في العقل والفكر».

(٥) في (ب، ك): «وخبال الرأي وفساد العقل».

(٦) يعني: من أجرى «المفتون» على أنه اسم مفعول.

(٧) ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٥١].

(٨) قال الزجاج في معاني القرآن (٥: ٢٠٥): «في المفتون قولان للنحويين، قالوا: المفتون هاهنا بمعنى الفتون. المصادر تجيء على المفعول. تقول العرب: ليس لهذا معقول؛ أي: عقل، وليس له معقود رأيٍ، بمعنى عقد رأي... فالمعنى: فستبصر ويبصرون بأيكم الفتون؟ وفيه قول آخر: بأيكم المفتون، بالفِرقة التي أنت فيها، أو فرقة الكفار التي فيها أبو جهل والوليد بن المغيرة ومن أشبههما، فالمعنى على هذا: فستبصر ويبصرون في أيِّ الفريقين المجنون؟ أفي فرقة الإسلام أم في فرقة الكفر؟». وانظر أيضًا: معاني القرآن للفراء (٣: ١٧٣).

(٩) في (أ): «فيه»، والمثبت من (ب، ك).

(١٠) في (ح، خ، ر، س): «فيتناوبان في أداء المعنى».

إسلام ويب islamweb.net

ويجوز أن تكون «الباء» بمعناها[١] على ما يقال: فلان بالله وبك؛ أي: ثباتُه به وبك[٢]، معناه[٣]: ستعلم[٤] بأيِّ الطائفتين ثباتُ الجنون ودوامُ الفتون[٥].

وإذا[٦] كان مدارُ الكلام على أنه سيُبصِر بأيِّكم الخبالُ والجنون؛ كان قوله تعالى[٧]: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾؛ أي: الله أعلم بي وبكم، وبالمخبَّل[٨] والمجنون[٩] مني ومنكم.

وإذا قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾؛ أي: هو أعلم بابتداء ضلاله وانتهاء أمره، وهل يُقِيم على كفره أم يُقلِع عن غيِّه لرشده؟ فقد بان لك أنّ كلَّ موضع أتى فيه بما اقتضاه المعنى من اللفظ[١٠].

---

(١) في (أ، ب): «معناها»، والمثبت من (ك). قلت: يعني المعنى الذي لا يفارقها وهو الإلصاق.

(٢) «وبك» سقطت من (ك).

(٣) في (ك): «أي».

(٤) في (ب): «سيعلم».

(٥) في (ب): «المفتون»، وفي (ك): «وقوام الفتون».

(٦) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «ولو».

(٧) سقطت من (ب)، ومن هنا إلى قوله: «وإذا قال» سقط من (ك).

(٨) في (أ، ب): «المخبّل»، والمثبت من (ح، ر، س). والمخبل: المجنون اللسان (١١: ١٩٨).

(٩) في (أ): «المجنون» من دون الواو، والمثبت من (ب).

(١٠) تبيَّن لنا ممّا سبق أن المصنف ذكر ما يتعلَّق بسقوط الباء في آية الأنعام، وثبوتها في سورة القلم. وأما ورود المضارع في قوله: ﴿يَضِلُّ﴾ من سورة الأنعام، وورود الماضي في قوله: ﴿ضَلَّ﴾ من سورة القلم، فذكره في ضمن كلامه. وللتوضيح أنقل كلام ابن جماعة حيث قال في كشف المعاني (ص١٦٦): «لمّا تقدَّم هنا ـ أي: في الأنعام ـ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وتأخَّر: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١١٩]؛ ناسب ﴿مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾. وبقية الآيات إخبار عمّن سبق منه الضلال، فناسب الفعل الماضي».

إسلام ويب islamweb.net

[٥٦] الآية الرابعة عشرة منها[١]:

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وقال في سورة يونس [١٢]: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[٢]: ما فائدة اختصاص الأول[٣] بـ«الكافرين»، والثاني[٤] بـ«المسرفين»؟

والجواب أن يقال: إن الأول قبله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

والمراد بالمَيْت هاهنا[٥]: الكافر، والنور: الإيمان وحياته به، ومَن في الظلمات: مَن استمرَّ به الكفر ولم ينتقل عنه[٦]، فكان ذِكرُ «الكافرين» بعده[٧] أولى.

---

(١) في (ك): «الآية الثالثة عشرة».

(٢) في (أ): «للسائل أن يقول».

(٣) في (ك): «المكان الأول».

(٤) في (ك): «والمكان الثاني».

(٥) في (أ): «الكافر هنا»، وفي (ح): «هنا الكافر»، والمثبت من (ب، ك).

(٦) قال الزجاج في معاني القرآن (٢: ٢٨٨): «جاء في التفسير أنه يعني بقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ...﴾ النبيّ ﷺ وأبو جهل بن هشام، فالنبي ﷺ هُدِي وأُعطي نورَ الإسلام والنبوة والحكمة، وأبو جهل في ظلمات الكفر. ويجوز أن تكون هذه الآية عامةً لكل من هداه الله ولكل من أضله الله، فأعلم الله جل وعزّ أنّ مَثَل المهتدي مَثَل الميت الذي أُحيِي وجُعِل مستضيئًا يمشي في الناس بنور الحكمة والإيمان، ومَثَل الكافر مَثَل مَن هو في الظلمات لا يتخلَّص منها». وما ذكره المصنف يدل على اختياره العموم. وقال القرطبي في تفسيره (٧: ٧٨): «والصحيح أنها عامة في كل مؤمن وكافر».

(٧) في (ب): «بعدها».

إسلام ويب islamweb.net

وأما المكان الثاني فإنّ قبله[١]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾ [يونس: ٧]، فهذا[٢] صفةُ كفّارٍ نعَّموا أبدانهم ودنَّسوا[٣] أديانهم، واقتصروا على عمارة الحياة الدنيا[٤] واطمأنّوا بها، ولم يتعَبوا[٥] لطلب الأخرى، وهم المسرفون الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٤٣]؛ لأنهم غلَوا في إيثار الدنيا وتعجُّل نعيمها، وتجاوزوا الحدَّ في عمارتها، والإعراضِ عما هو[٦] أهمُّ لهم[٧] منها.

ويجوز أن يكون الكفار سُمُّوا مسرفين لمجاوزتهم الحدَّ[٨] في العصيان، إذ يقال[٩] لمن أفرط في ظلم: أسرف[١٠]، والذين رضُوا بالحياة الدنيا، واطمأنُّوا بها، وغفَلوا عن تدبُّر آيات الله تعالى يقال لهم: مسرفون[١١]، على وجهين؛ **أحدهما**[١٢]: المبالغة في تنعيم النفوس، وجعلُهم الدنيا حظَّهم ممّا[١٣] عرَضوا

---

(١) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «فكان قبله»، وفي (ك): «فقبله».
(٢) في النسخ المعتمدة: «وهذا»، والمثبت من (ح، ر، س).
(٣) في (ب، ك): «ونسوا».
(٤) في (أ): «على عمارة الدنيا»، والمثبت من (ب، ك).
(٥) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «ولم يبعثوا».
(٦) في (ب): «هم»، وهو خطأ.
(٧) «لهم» أُثبِتت من (ح، خ، ر، س).
(٨) «الحد» سقطت من (ك).
(٩) في (ب): «إذ كان يقال». ومن هنا إلى قوله: «يقال لهم: مسرفون» سقط من (ك).
(١٠) قال ابن دريد في جمهرة اللغة (٢: ٧١٦): «السَّرَف: التبذير، أسرف الرجل في ماله إسرافًا، إذا عَجِل فيه وأكل ماله سَرَفًا، ثم كثر ذلك في كلامهم حتى قالوا: قتَلَ فلانٌ بني فلان فأسرف، إذا جاوز في ذلك المقدار».
(١١) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «مسرفين».
(١٢) «أحدهما» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(١٣) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «فيما».

إسلام ويب islamweb.net

له[١] من النعيم. والثاني: مجاوزتهم الحدَّ في معصية الله تعالى.

فلمّا قال: ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس: ١١]، وأشار إلى مَن تقدَّم ذِكرُهم في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾ [يونس: ٧]، ثم وصف حالَ[٢] الإنسان في الشدة والرخاء، وانقطاعَه في الشدة إلى الدعاء، ونسيانَه له في الرخاء، فسمّى الذين هذه[٣] صفتُهم مسرفين[٤] على أحد الوجهين اللذين ذكرنا؛ لإسرافهم في الحالين. والله أعلم[٥].

[٥٧] الآية الخامسة عشرة منها[٦]:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١].

وقال في سورة هود [١١٧]: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[٧]: لِمَ كان[٨] في الأول[٩]: ﴿غَٰفِلُونَ﴾، وفي الثاني[١٠]: ﴿مُصْلِحُونَ﴾[١١]؟

---

(١) «له» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٢) في (أ): «حالي»، والمثبت من (ب، د).
(٣) في (ب): «هم».
(٤) «مسرفين» سقطت من (ك).
(٥) «والله أعلم» ليست في (ب، ك).
(٦) في (ك): «الآية الرابعة عشرة منها».
(٧) في (أ): «للسائل أن يقول».
(٨) في (ب، ك): «قال».
(٩) في (ب، ك): «في الأولى».
(١٠) في (ب): «والثاني»، وفي (ك): «وفي الآخرة».
(١١) لم يذكر المصنف رحمه الله الفرق بين ﴿مُهْلِكَ﴾ باسم الفاعل، وبين ﴿لِيُهْلِكَ﴾ بلام الجحود الداخلة على الفعل المضارع. وإنما ذكر ذلك في الآية العاشرة حسب اصطلاحه =

إسلام ويب islamweb.net

والجواب: أنّ[١] ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدَّم ذِكرُه من العقاب في قوله: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [الأنعام: ١٢٨]، وبعده: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا﴾ [الأنعام: ١٣٠]، والمعنى[٢]: ذلك العقاب[٣]؛ لأنه لم يكن ربُّك ليفعلَه من قَبل أن يحتجَّ عليهم برسل يَهدونهم[٤] ويُنذرونهم ما وراءهم من محذورهم، ولا يتركونهم في غفلة من أمورهم؛ فاقتضى هذا المكانُ[٥] أن يقال: لم يؤخذوا[٦] وهم غافلون، بل كانوا مُنبَّهين بالإعذار والإنذار[٧] على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

= من سورة هود، وانظر من هذا الكتاب (٢: ٢٥٦).

(١) في (أ): «عن»، وهو خطأ، والمثبت من (ب، ك).

(٢) في (أ، ب): «يعني العقاب في يوم القيامة»، والمثبت من (ك، ح، خ، ر، س)، وهو أليقُ هنا.

(٣) هذا المعنى ينبني على أن «ذلك» مبتدأ محذوف الخبر، وهو رأي سيبويه كما في معاني القرآن للزجاج (٢: ٢٩٢)، ومعاني القرآن للنحاس (١: ٥٨٠). قال الآلوسي في تفسيره (٨: ٢٨): «ذلك: إشارة إلى إتيان الرسل أو السؤال المفهوم من ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ﴾ أو ما قُصَّ من أمرهم، أعني شهادتهم على أنفسهم بالكفر، واستيجاب العذاب». وأجاز الفراء في معاني القرآن (١: ٣٥٥) أن يكون «ذلك» في موضع نصب بمعنى «فعل ذلك»، وأجازه الطبري أيضًا في تفسيره (٨: ٣٨).

(٤) «يهدونهم» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(٥) في (أ): «هذا الكلام»، والمثبت من (ب، ك).

(٦) في (ب): «لم يؤاخذ»، وهو خطأ. وفي (ك): «لم يؤاخذوا»، والمثبت ذُكِر أيضًا في ملاك التأويل (١: ٣٤٩).

(٧) الإعذار هو: إرسال الرسل إلى الإنس والجن ودعوتهم إلى الله، وذلك بأن الله تعالى لا يؤاخذ عباده إلا بعد أن يُعذِر إليهم بإرسال رسله مبشرين ومنذرين حتى ينتهوا من غفلتهم، والإنذار هو تهديد للكافرين الذين أنكروا رسل الله سبحانه وتعالى.

إسلام ويب islamweb.net

وأما الموضع الثاني الذي ذكر فيه: ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ فللبناء[١] على ما تقدَّم، وهو قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾[٢] [هود: ١١٦]، فدلَّ على أن القوم كانوا مفسدين حتى نهاهم أُولُو بقيّةٍ[٣] عن الفساد في الأرض، فإنّ[٤] نقيضَ الفساد الصلاحُ، فقال: لم يكن الله لِيهلكَهم وهم مصلحون؛ فاقتضى ما تقدَّم في كل آية ما أُتبِعت[٥] من «الغافلين» و«المصلحين».

[٥٨] الآية السادسة عشرة منها[٦]:

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٧] [الأنعام: ١٣٥].

وقال في سورة هود [٩٣] في قصة شعيب: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٨].

---

(١) في (ك): «لبناء».

(٢) في (أ) إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، والمثبت من (ب، ك).

(٣) أي: أصحاب تمييز، وأصحاب طاعة. يُنظَر: عمدة الحفاظ للسمين الحلبي (١: ٢٥٠)، واللسان (١٤: ٨١ بقي).

(٤) في (ب، ك): «فكان».

(٥) أي: ما أعقبت به.

(٦) في (ك): «الآية الخامسة عشرة».

(٧) تتمة الآية: ﴿إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

(٨) تتمة الآية: ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾.

إسلام ويب islamweb.net

وقال في سورة الزمر [٣٩]: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن الآية التي في سورة هود: لِمَ جاءت بحذف «الفاء» من «سوف»، وجاءت الآيتان الأخريان[١] بإثباتها فقال: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وهل يصلُح ما فيه الفاء مكانَ ما لا فاء فيه[٢]؟

والجواب[٣] أن يقال: أمَر الله نبيَّه ﷺ في سورة الأنعام بأن[٤] يخاطب الكفار على سبيل الوعيد: اعملوا على طريقتكم[٥] وجِهَتكم، أو على تمكُّنكم[٦]، فسوف تعلمون؛ أي: اعملوا[٧] فستُجزَون وتعلمون إساءتكم إلى أنفسكم[٨].

فالعمل[٩] سبب للجزاء الذي عبَّر عنه بقوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، فالفاء[١٠] متعلِّقة بقوله: ﴿ٱعْمَلُواْ﴾، والتقدير: اعملوا فسوف تعلمون، إني

(١) في (ب): «الأخرتان».

(٢) صيغة السؤال في (ح، ر، س): «لِمَ حذف «الفاء» من «سوف» في سورة هود خاصة دون الأخريين؟».

(٣) في (ك): «فالجواب».

(٤) في (أ): «أن»، والمثبت من (ب، ك).

(٥) في (ك): «اعملوا على مكانتكم على طريقتكم».

(٦) قال الزجاج في معاني القرآن (٢: ٢٩٣): «المعنى: اعملوا على تمكُّنكم. ويجوز أن يكون المعنى: اعملوا على ما أنتم عليه، ويقال للرجل إذا أمرتَه أن يثبُت على حال: على مكانتك يا فلان؛ أي اثبُت على ما أنت عليه».

(٧) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «إني عامل».

(٨) في (ب): «وتعلمون أنكم أسأتم إلى أنفسكم»، وفي (ك): «أنكم أنتم أسأتم».

(٩) في (ب): «والعمل»، وسقطت من (ك).

(١٠) غير واضحة في (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

عامل[١] فسوف أعلم، فحُذِف للعلم به. وكذلك ما في سورة الزمر خطاب من الله تعالى لنبيّه[٢] ﷺ على هذا الوجه.

وأما[٣] في سورة هود فإنه حكاية عن شعيب عليه السلام لمّا تجاهل قومُه عليه فقالوا له[٤]: ﴿يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١]، فقال لهم: ﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وتعرفون عملي[٥]، وإن قلتم: إنّا[٦] لا نفقه أكثرَ ما تقوله[٧]، فجعل ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مكانَ الوصف[٨] لقوله: ﴿عَٰمِلٌ﴾،

---

(١) «عامل» سقطت من (ب).

(٢) في النسخ المعتمدة: «للنبي»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).

(٣) في (ك): «وما».

(٤) «له» ليس في (أ).

(٥) في (ب): «عمله»، وفي (ع): «ويعرفون عمله».

(٦) «إنا» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(٧) في (أ): «ما قلته»، وفي (ب): «تقول»، والمثبت من (ك، د).

(٨) يعني أن قوله تعالى: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ صفة لقوله: ﴿عَٰمِلٌ﴾؛ أي: إني عامل سوف تعلمون، فحذف الفاء. قال ابن الجوزي في تفسيره (٤: ١٥٣): «فإن قال قائل: كيف قال هاهنا: «سوف»، وفي سورة أخرى «فسوف»؟ فالجواب: أن كلا الأمرين حسنٌ عند العرب، إن أدخلوا الفاء دلُّوا على اتصال ما بعد الكلام بما قبله، وإن أسقطوها بنَوُا الكلام الأول على أنه قد تمَّ، وما بعده مستأنف». وقال ابن عاشور في تفسيره (١٢: ١٥٣): «فجملة ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ هنا ـ أي: في سورة هود ـ جُعِلت مستأنفة استئنافًا بيانيًّا؛ إذ لمّا فاتحهم بالتهديد كان ذلك ينشئ سؤالًا في نفوسهم عمّا ينشأ على هذا التهديد، فيجاب بالتهديد بـ«سوف تعلمون»... ففي خطاب شعيب عليه السلام قومَه من الشدة ما ليس في الخطاب المأمور به النبيّ ﷺ في سورة الأنعام جريًا على ما أرسل الله به رسوله محمدًا ﷺ من اللين لهم ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾، وكذلك التفاوت بين معمولي «تعلمون»، فهو هنا ـ أي: في سورة هود ـ غليظ شديد: ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾، وهو هنالك ليِّن: ﴿مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾».

إسلام ويب islamweb.net

فلم يصحَّ على هذا المعنى[١] دخولُ الفاء، وقصَد هذا المعنى لِما أظهروا مِن جهلهم به[٢] وأنهم لا يعرفون كثيرًا مما[٣] يقوله لهم، فقال لهم[٤]: ﴿إِنِّي عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عملي[٥] وتعرفونه بعدما أنكرتموه.

[٥٩] الآية السابعة عشرة منها[٦]:

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وقال في سورة النحل [٣٥]: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[٧] [النحل: ٣٥].

للسائل أن يسأل هنا[٨] عن مسألتين:

إحداهما[٩]: أنه ذكر في الثانية: ﴿مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ ولم يذكره[١٠] في الأولى، وهل كان يجوز لو وُصِلت إحداهما بما وُصِلت به الأخرى؟

والثانية: تأكيد[١١] الضمير في سورة النحل، ثم العطف عليه، وفي سورة الأنعام لم يُؤكَّد، وعُطِف عليه: ﴿وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾. والفصل الذي يقوم مَقام

---

(١) ليست في (ع).
(٢) «به» سقطت من (أ).
(٣) في (أ، ع): «لا يعرفون ما»، والمثبت من (ب).
(٤) «لهم» سقطت من (ك).
(٥) في (ب، ع): «عمله».
(٦) «منها» سقطت من (ك، ع).
(٧) «﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾» ليست في (ع).
(٨) في (ع): «هاهنا».
(٩) في (ب): «أحدهما».
(١٠) في (ع): «يذكر».
(١١) في (ع): «توكيد».

إسلام ويب islamweb.net

التأكيد[١] في المكانين حاصل[٢].

والجواب أن يقال: إنّ[٣] قوله: ﴿مَآ أَشۡرَكۡنَا﴾[٤] مُستغنٍ عن ذكر المفعول بـه[٥]، وإن كان في الأصل متعدِّيًا إليه، كقوله[٦]: ﴿أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾[٧] [الأنعام: ١٥١]، وإنما لم يحتَج إلى ذكر المفعول به كما احتاج إليه ﴿عَبَدۡنَا﴾[٨]؛ لأن الإشراك يدلُّ على إثبات شريك لا يجوز إثباته، والعبادةُ لا تدلُّ على إثبات معبودٍ لا يجوز إثباته[٩]؛ لأنها تدلُّ على معبود هو مُثبَت لا يصحُّ نفيُه، فقوله: ﴿مَا عَبَدۡنَا﴾ غيرُ مُستنكَر[١٠] أن يعبُدوا، وإنما المُستنكَر أن يعبُدوا غيرَ الله شيئًا، فكان[١١] تمام المعنى بذكر قوله: ﴿مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ﴾.

وكذلك[١٢]: ﴿وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ﴾، لا بدّ مع قوله[١٣]: ﴿حَرَّمۡنَا﴾ من قوله: ﴿مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ﴾[١٤]، ولم يحتَج إليه[١٥] بعد قوله: ﴿مَآ أَشۡرَكۡنَا﴾؛

---

(١) في (ع): «التوكيد».

(٢) صيغة السؤال في (ح، خ، ر، س): «لِمَ ذكر في الثانية: ﴿مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ﴾، ولم يذكر في الأولى؟ ولِمَ أكَّد الضمير بـ«نحن» في سورة النحل، ولم يؤكد في سورة الأنعام؟».

(٣) «إنّ» أُثبِتت من (ح، خ، ر، س).

(٤) في (ع): «﴿أَشۡرَكۡنَا﴾».

(٥) «به» سقطت من (أ).

(٦) في (ع): «لقوله».

(٧) أول الآية: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾.

(٨) في (أ، ب): «عندنا»، وهو خطأ، والمثبت من (ك).

(٩) في (ك): «لا تجوز عبادته».

(١٠) في (ب): «المستنكر».

(١١) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ع): «وكان».

(١٢) من هنا إلى قوله: «ولم يحتج إليه» اختلَّ في (أ)، وأُثبِت من (ب، ك).

(١٣) ليست في (ع).

(١٤) قوله: «﴿مِن دُونِهِۦ﴾» ليست في (ع).

(١٥) ليست في (ع).

إسلام ويب islamweb.net

لأن الإشراك دالٌّ على أن صاحبه يعبد[١] شيئًا من دون الله، ولا يدلُّ ﴿عَبَدْنَا﴾[٢] على ذلك، فوُفِّي اللفظان[٣] في سورة النحل حقَّهما من التمام[٤].

والجواب عن السؤال الثاني، وهو تأكيدُ علامة الإضمار[٥] في سورة النحل بـ«نحن»، وتركُ ذلك في سورة الأنعام مع أنّ بَعد واو العطفِ «لا» في الموضعين: هو أن كلَّ ما أكَّد معنى الفعل[٦] الذي ضميرُ الفاعل كالجزء منه إذا وَلِيَه، ولم تكثُر الحواجز بينهما، قام مَقام التأكيد[٧] بعلامة الإضمار مثل «أنا» و«نحن».

وقوله[٨]: ﴿مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ «أشركنا» منه منفيّ بـ«ما»[٩]، و«لا» بعد الواو مؤكِّد معنى «ما» الداخلة على الفعل، وكأنها[١٠] مؤكِّدة للفعل. وإذا أكَّدتَ الفعل وعلامةُ الإضمار جزءٌ منه فكأنما[١١] أكَّدتها، ومثله قوله[١٢]: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: ١١٢]، و﴿مَن تَابَ﴾[١٣] عُطِف على المُضمَر[١٤]

---

(١) في النسخ المعتمدة: «يحرِّم»، والمثبت من (خ).
(٢) في (أ): «عندنا»، وهو خطأ.
(٣) في (ك): «اللفظين».
(٤) يعني المصنف رحمه الله أن لفظ الإشراك مُؤذِن بالشريك فلم يقل: ﴿مِن دُونِهِۦ﴾، بخلاف: ﴿عَبَدْنَا﴾؛ لأن لفظ «عبدنا» ليس مُؤذِنًا بإشراك غيره، فلذلك جاء: ﴿مِن دُونِهِۦ﴾. يُنظَر: كشف المعاني لابن جماعة (ص١٦٨).
(٥) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ب، ع): «الضمير»، وفي (ع): «توكيد» بدل «تأكيد».
(٦) «الفعل» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٧) في (ع): «التوكيد».
(٨) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ع): «فقوله».
(٩) في (ب): بـ«لا»، وهو خطأ.
(١٠) في (ب): «فكأنها».
(١١) في (ب): «فكأنها».
(١٢) «قوله» ليست في (ب، ك).
(١٣) في (ك): «ومن تاب معك».
(١٤) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «الإضمار».

إسلام ويب islamweb.net

في قوله[١]: ﴿فَٱسْتَقِمْ﴾، وصحَّ لأن قوله: ﴿كَمَآ أُمِرْتَ﴾ بمعنى: استقامةً مثلَ ما أُمِرت[٢] به، فـ﴿كَمَآ أُمِرْتَ[٣]﴾ في موضع المصدر، والمصدر هو[٤] تأكيد[٥] للفعل نفسه، فصار مثلَ تأكيد[٦] ما هو كجزءٍ منه، فكان[٧] هذا التأكيدُ[٨] للفعل[٩] يليه في هذا[١٠] المكان[١١]، وفي[١٢] قوله: ﴿مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾.

فأمّا قوله: ﴿مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ لم يكن الفصلُ[١٣] مؤكِّدًا لنفس[١٤] الفعل، كما كان المصدرُ في قوله: ﴿فَٱسْتَقِمْ﴾، وكما كان[١٥] «لا» بعد واو العطف في قوله: ﴿وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ مؤكِّدةً[١٦] معنى «ما»[١٧] التي تنفي الفعل، فتصير كأنها مؤكِّدةٌ ما هو كبعض الفعل؛ لأن الفصل[١٨] هاهنا بالمفعول به ـ وهو ﴿مِن شَىْءٍ﴾ ـ وبقوله: ﴿مِن دُونِهِۦ﴾، ومعناه: ما عبدنا غيرَه شيئًا، فيكون بمعنى الاستثناء، وليس شيءٌ من هذين مؤكِّدًا[١٩] لنفس[٢٠] الفعل، فلمّا لم يؤكِّداها، وجاءت: ﴿وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ وكانت «لا» مؤكِّدةً إلا

---

(١) في (أ): «لقوله»، والمثبت من (ب، ك).
(٢) «أمرت» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٣) في (ع): «أمرت به»، وهو خطأ.
(٤) «هو» أُثبِتت من (ح، خ).
(٥) في (ع): «توكيد».
(٦) في (ع): «توكيد».
(٧) في (ع): «فكأنَّ».
(٨) في (أ، ع): «المؤكد»، والمثبت من (ب).
(٩) في (ب): «لفعل».
(١٠) في (ب): «كل» بدل «هذا».
(١١) الواو سقطت من (أ).
(١٢) في (ع): «في».
(١٣) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ط): «الفعل»، وفي (ع): «المفعول»، والمثبت هو الصواب.
(١٤) في (ك): «نفس».
(١٥) في (ب): «كانت».
(١٦) في (أ، ع): «مؤكدًا»، وفي (ك): «مؤكد»، والمثبت من (ب، ج).
(١٧) «ما» سقطت من (ب).
(١٨) في (ب): «الفعل».
(١٩) في (ب): «مؤكد».
(٢٠) في (ك): «نفس».

إسلام ويب islamweb.net

أنها لم تَلِ[١] علامةَ الضمير المعطوف عليها[٢] لحجزه بينهما بقوله: ﴿مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾، والحواجز إذا كثُرت وبعُدت ما بين الكلمتين؛ اختير إعادةُ العامل مع أنّ في المتقدِّم كفايةً كقوله[٣] عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]، وكقوله: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ [النمل: ٦٧]، وكقوله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥]، فلمّا بعُد الخبر ـ وهو ﴿مُّخْرَجُونَ﴾ ـ من ﴿أَنَّكُمْ﴾ الأولى أُعيدت.

وإذا[٤] كان الاختيارُ ما ذكرنا فيما طال الفصلُ[٥] فيه، وكان الفصلُ في قوله تعالى: ﴿مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ قد طال بجارَّين ومجرورَين بين علامة الضمير في ﴿عَبَدْنَا﴾ وبين «لا» المؤكِّدة لـ«ما» التي تنفي الفعل الذي علامةُ الضمير في تضاعيفه[٦] كجزء من أجزائه[٧] وكحرف[٨] من حروفه؛ احتاج الضميرُ في العطف عليه إلى ما يؤكِّده[٩]، .....

(١) في (أ): «لم تك»، والمثبت من (ب، ك).

(٢) يعني أن قوله تعالى: ﴿وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ عطف على النون في ﴿أَشْرَكْنَا﴾.

(٣) في (أ، ك): «لقوله»، والمثبت من (ب، ح، خ).

(٤) في (ب): «فإذا».

(٥) في (ب): «الفعل».

(٦) «في تضاعيفه» غير واضحة في (ك).

(٧) «كجزء من أجزائه» ليست في (أ، ع)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(٨) في (ع): «وبحرف».

(٩) خلاصة كلام المصنف: زيدت «نحن» في آية النحل؛ لأنه حالَ بين الضمير في «عبدنا» وبين ما عُطِف عليه حائلٌ وهو قوله: ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ فأُكِّد بقوله: ﴿نَحْنُ﴾. وأما في آية الأنعام فلم يَحُل بين الضمير والمعطوف عليه حائل. يُنظَر: كشف المعاني لابن جماعة (ص١٦٨).

إسلام ويب islamweb.net

فلذلك أدخل «نحن» هاهنا[١]، ولم تدخُل في قوله: ﴿مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾. فافهمه، فإنه من دقيق النحو، وفّقنا الله وإياكم[٢] لمعرفته[٣].

[٦٠] الآية الثامنة عشرة منها[٤]:

قوله تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال في سورة بني إسرائيل[٥] [٣١]: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡ﴾[٦].

للسائل أن يسأل فيقول[٧]: قوله عز وجل[٨]: ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ﴾ هو ما عليه الاختيارُ في كلام العرب من تقديم ضمير المخاطَب على ضمير الغائب بناءً على قولك: أعطيتُكه. والآية في سورة بني إسرائيل قُدِّم فيها الضميرُ الغائب على المخاطَب[٩]، فكأنها[١٠] بُنيت على قولك: «أعطيتُهك»[١١]، وهذا ليس بمختار، فما الذي أوجب اختصاصَ الأول بتقديم ضمير المخاطَب،

---

(١) في (ب، ع): «هنا».
(٢) «وإياكم» ليست في (ك)، وفي (أ، ع): «وإياك».
(٣) في (ب، ع): «لمعرفته. والسلام».
(٤) «منها» ليست في (ع)، وفي (ك): «الآية السابعة عشرة».
(٥) أي: سورة الإسراء.
(٦) قوله: «﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖ﴾» ليس في (ع).
(٧) في (أ): «للسائل أن يقول».
(٨) في (ع): «في هذه السورة».
(٩) في (ع): «قُدِّم ضمير الغائب على ضمير المخاطب».
(١٠) في (أ، ع): «وكأنها».
(١١) في النسخ الخطية والمطبوعة: «أعطيتهوك»، والصواب ما أثبتناه.

إسلام ويب islamweb.net

وأوجب اختصاصَ الثاني بتقديم ضمير الغائب؟

والجواب أن يقال أوّلًا: ليس الضميران إذا اتصلا بالفعل كالضميرين إذا انفصل أحدهما وعُطِف على الآخر؛ لأن قوله[١]: أكرمتُه[٢] وإيّاك، مثلُ قوله[٣]: أكرمتُك وإيّاه في أنّ كل واحد منهما مختارٌ[٤] في مكانه الذي يوجب تقديمَ ما قُدِّم وتأخيرَ ما أُخِّر، بخلاف ما يُختار إذا اتصلا بالفعل في مثل: أعطيتُكه[٥].

فأما قوله في سورة الأنعام: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ فلأنّ قبله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ﴾؛ أي: من أجل إملاق[٦] وانقطاع مال وزاد، وهذا نهي[٧] عن قتلهم مع فقرهم وخوفهم على أنفسهم إذا لزِمتهم مؤونةُ[٨] غيرِهم، فكأنه قال: الذي يدعوكم إليه مِن حالكم في أنفسكم ثم في غيركم لا يجب أن تُشفِقوا منه؛ فإني أرزقكم وإياهم.

وأما الآية الثانية فإنه قال فيها: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ﴾، والإملاق غير واقع، فكأنه قال: خوفَ الفقرِ على الأولاد، وكان عقبَ[٩] هذا إزالةُ الخوف عنهم، ثم عن القاتلين؛ أي: لا تقتلوهم لِما تخشون[١٠] عليهم من الفقر، فالله يرزقهم

---

(١) في (ب، ع): «قولهم».
(٢) في (ك): «أكرمتهم».
(٣) في (ب، ع): «قولهم».
(٤) في (أ): «مختارًا»، وهو خطأ.
(٥) في (أ، ب): «ما أعطيتكه»، والمثبت من (ك، ح).
(٦) أي: من أجل فقر. قال ابن قتيبة: «الإملاق: الفقر. يقال: أملَقَ الرجلُ فهو مُملِق: إذا افتقر». تفسير غريب القرآن (ص١٦٣).
(٧) في (ب): «غنى»، وهو خطأ.
(٨) أي: نفقة غيرهم. تقول اللغة: مان الرجلُ أهلَه يمونهم مَوْنًا ومؤونةً: كفاهم وأنفق عليهم وعالهم. اللسان (١٣: ٤٢٥ مون).
(٩) في (ب، ع): «عقيب».
(١٠) في (ع): «أتخشون» بدل «لِما تخشون».

إسلام ويب islamweb.net

وإيّاكم[١]، فقدَّم في كلِّ موضع من الموضعين ما اقتضى تقديمَه، وأخَّر ما اقتضى الموضعُ[٢] تأخيرَه. والله أعلم[٣].

[٦١] الآية التاسعة عشرة منها[٤]:

قوله تعالى في الوصية الأولى من هذه السورة[٥]: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وفي الثانية: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وفي الثالثة[٦]: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

---

(١) وجَّه هذه الآية ابن كثير (٢: ٣٠٢) فقال: «قوله تعالى: ﴿مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ قال ابن عباس وغيره: هو الفقر؛ أي: ولا تقتلوهم من فقركم الحاصل، وقال في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾؛ أي: لا تقتلوهم خوفًا من الفقر في الآجل، ولهذا قال هناك ـ أي: في سورة الإسراء ـ: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ فبدأ برزقهم للاهتمام بهم؛ أي: لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم، فهو على الله. وأما هنا فلما كان الفقر حاصلًا قال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾؛ لأنه الأهم هنا».

وقال أبو حيان (٤: ٢٥١): «فبدأ أوّلًا بقوله: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ﴾ خطابًا للآباء، وتبشيرًا لهم بزوال الإملاق وإحالة الرزق على الخلّاق الرزّاق، ثم عطف عليهم الأولاد... وأما في سورة الإسراء فبُدِئ فيها بقوله تعالى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ﴾ إخبارًا بتكفُّله تعالى برزقهم فلستم أنتم رازقيهم، وعطف عليهم الآباء...» بتصرف يسير، وفي هذا بيان وتجلية لكلام المصنف رحمه الله تعالى.

(٢) «الموضع» سقطت من (أ، ع)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(٣) «والله أعلم» ليست في (ب، ع).

(٤) «منها» ليست في (ع)، وفي (ك): «الآية الثامنة عشرة».

(٥) في (ب، ك): «من هذه الآية».

(٦) هذه الوصايا الثلاث جاءت في ثلاث آيات وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ =

إسلام ويب islamweb.net

للسائل أن يسأل فيقول[١]: ما الذي اقتضى[٢] في الأولى: ﴿تَعْقِلُونَ﴾، وفي الثانية: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾، وفي الثالثة: ﴿تَتَّقُونَ﴾؟ وهل صلَحت الثانيةُ مكانَ الأولى في اختيار الكلام؟[٣]

والجواب[٤] أن يقال: قدَّم الله تعالى الوصيةَ بالأشرف الأعظم[٥] وهو الإيمان بدلَ الشرك، وفيه أداء حقِّ أكبر المُنعِمين[٦]، ثم الإحسانُ إلى الوالدين ونعمتهما على الولد أكبرُ النِّعَم بعد نعمة الله تعالى، فحقُّهما يتلو حقَّه، ثم الإحسانُ[٧] إلى الأولاد[٨] بتربيتهم[٩]، وتركِ ما كانت عليه العرب في جاهليتها من وأد البنات[١٠] للفقر والإملاق، .....

= رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓا أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣].

(١) في (أ): «للسائل أن يقول».

(٢) «اقتضى» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).

(٣) في (ع) حتى قوله: «﴿تَتَّقُونَ﴾».

(٤) في (ب): «الجواب».

(٥) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «والأعظم».

(٦) في (أ): «النعمين»، وفي (ب): «النعمتين»، والمثبت من (ك، ح).

(٧) من قوله: «ثم الإحسانُ إلى الوالدين» إلى هنا سقط من (ك).

(٨) «إلى الأولاد» سقطت من (ب).

(٩) في (ك): «بتربيتها».

(١٠) أي: دفنُها حيّة، قال الجوهري في الصحاح (٢: ٥٤٦ وأد): «وأد ابنته يَئِدُها وأْدًا فهي موءودة؛ أي: دفنها في القبر وهي حيّة».

إسلام ويب islamweb.net

ثم أن[١] لا يقربوا ما لعلَّه يكون سببَ ولدٍ لا يصحُّ نسبُه، وهذا في النهي[٢] عن سبب الإحداث كالأول في النهي عن[٣] سبب الإهلاك، ثم أن يحقنوا الدماء ولا يسفكوها إلا بحقها[٤]، وهو[٥] أن يقتلوها للقصاص، والزنى بعد الإحصان، والكفرِ بعد الإيمان.

فهذه خمسة تتعلَّق بأكبر[٦] الحقوق وأوكد الأصول، فالشرك[٧] اعتقاد

---

(١) «أن» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك، ع).

(٢) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «نهي».

(٣) «عن» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(٤) إلى هنا تقدَّم خمس وصايا، بعضها ورد بصيغة النهي عن الشيء، وبعضها بصيغة الأمر بضده، وهي: الشرك بالله، والإحسانُ إلى الوالدين، وتحريم وأد البنات، وتحريم الاقتراب من الفواحش، ومنع قتل النفس بغير حق. وتلك المعاني يشير إليها قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

(٥) أي: الحق الذي تُقتَل به النفسُ. ذلك ما بيَّنه رسول الله ﷺ ـ فيما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ـ: «لا يحِلُّ دمُ امرئٍ مسلمٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأنِّي رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيِّب الزاني، والمُفارِق لدينه التاركُ للجماعة» أخرجه البخاري في كتاب الديات، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري (١٢: ٢٠١ برقم ٦٨٧٨). وجاء في سنن النسائي (برقم ٤٠١٩) في حديث عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحِلُّ دمُ امرئٍ مسلمٍ إلا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفسًا بغير نفس...» كتاب تحريم الدم، باب ذكر ما يحل به دم مسلم. قال ابن حجر في الفتح (١٢: ٢٠٢): «حديث عثمان رضي الله عنه أخرجه النسائي بسند صحيح».

(٦) في (ع): «بأكثر».

(٧) في (أ، ب، ع): «والشرك»، والمثبت من (ك، ح، خ).

إسلام ويب islamweb.net

مذهبٍ باطل بهوًى، وتركُ الإحسان إلى الوالدين[١] يكون[٢] إمّا لمحبة مالٍ لا يَسمَح به لهما، أو اتِّباعِ هوًى يدعو إلى مخالفتهما، ووأدُ البنات لخوف الفقر والعار، والزنى وما يقبُح جدًّا من المعاصي[٣] التي[٤] تحمِل عليها[٥] الشهوةُ، وقتلُ النفس بغير حقٍّ يدعو إليه شفاءُ غيظِ النفس[٦] الأمّارة بالسوء. وكلُّ ذلك قبيح في العقول يحتاج[٧] في ذبِّ[٨] النفس[٩] عنها إلى زاجر من عقل يدفع الهوى؛ فلذلك[١٠] قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: تستعملون العقل الذي يحبِس نفوسَكم عن قبيح الإرادات وفواحش[١١] الشهوات.

وبعد هذه الخمسة خمسة أخرى[١٢] هي متعلِّقة بالحقوق في الأموال دون النفوس، فأوّلُها حفظُ مال اليتيم عليه؛ لأنه لا يقوى على حفظه، والأطماعُ

---

(١) في (ع): «للوالدين».
(٢) ليست في (ع).
(٣) كاللواط ونكاح أزواج الآباء.
(٤) «التي» أُثبِتت من (خ).
(٥) في (ب): «عليهما»، وفي (ع): «عليه».
(٦) أي: غضبها الشديد. قال الراغب في المفردات (ص٦١٩): «الغيظ: أشد غضب». وفي (ك): «شفاء غيظ والنفس الأمارة بالسوء».
(٧) في (ك): «ويحتاج».
(٨) في (أ، ع): «ذم»، وفي (ب) غير واضح، والمثبت من (ك).
(٩) أي: في طرد النفس عنها ومنعها. قال في اللسان (١: ٣٨٠ ذنب). «الذبّ: الدفع والمنع والطرد».
(١٠) في (ب): «فلهذا».
(١١) في (ب): «وقوله» بدل «وفواحش» وهو خطأ.
(١٢) يشير إليها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

إسلام ويب islamweb.net

تمتدُّ إلى ماله، وذو الولد يفكِّر[١] في حاله، وما يكرهه لولده فلا يستجيزه[٢] لولد غيره، وبعده العدلُ[٣] في الكيل[٤]، وإيفاءُ الكيلِ والوزنِ بالقسط[٥]، وهو الذي توعَّد الله تعالى عليه[٦] في قوله[٧]: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۞ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۞ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[٨] [المطففين: ١-٣]، ومعنى قوله[٩]: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[١٠] [الأنعام: ١٥٢]؛ أي: إذا اجتهَدَت في التحرِّي وتوخِّي القسط، فقد أُسقِطَ عنها ما يتعذَّر[١١] تجنُّبه مِن أقلِّ القليل فيما[١٢] يُكال ويُوزَن[١٣]، والرابع: القولُ بالعدل، وهو في الحكم والشهادة، والخامسُ: الوفاءُ بعهد الله، وهو أن يحلف بالله في غير معصية.

وكلُّ هذه[١٤] قد دُعِي فيها[١٥] الإنسانُ إلى تذكُّر حاله ورضاه في نفسه لو

---

(١) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ع): «يتفكَّر».
(٢) في (ك): «لا يستجيزه»، وفي (ع): «يستخيره».
(٣) في (ب، ك، ع): «التعديل».
(٤) في (ب): «المكيل».
(٥) من قوله: «وإيفاء» إلى هنا سقط من (ك).
(٦) لفظ «عليه» من (ك).
(٧) في (ع): «بقوله».
(٨) هكذا في (ب، ك)، وفي (أ): «﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ الآيات».
(٩) «قوله» سقطت من (ب).
(١٠) في (ع): «﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾»، وهو خطأ.
(١١) في (ب): «يتعدد»، وهو خطأ.
(١٢) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «ممّا».
(١٣) يعني أن تحديد أقل القليل في الكيل والميزان متعذِّر فيُعفَى عنه لأنه لا يدخل في الوسع فلم يكلفه الله تعالى به.
(١٤) في (ب): «هذا». و«هذه» يُشار بها إلى الوصايا المذكورة في الآية الثانية.
(١٥) في (ب): «فيه».

إسلام ويب islamweb.net

كان هو المُعامَلَ[١] بما يُعامِل هو به غيرَه؛ أي: لو كان ولدُه اليتيمَ، أو كان الذي يُكال لـه[٢] ويُوزَن لـه[٣]، أو كان الذي يُحكَم به عليه[٤]، أو تُقام الشـهادةُ بما لا يلزَمه[٥]، أو يُحلَف بالله على إذهاب[٦] حقٍّ له، أو يُحلَف له[٧] بما يلزَمه[٨] الوفاءُ به، فلا يرضينَّ[٩] من ذلك لغيره إلا ما[١٠] يرضاه لنفسه، فذكَّرهم حالًا مرَّت[١١] لهم، أو يخافون[١٢] مرورَها عليهم[١٣]؛ فلذلك قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

وأما الآية الأخيرة وهي: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فمعناه[١٤]: الشرع الذي شرَعتُه[١٥] لكم هو طريقٌ أشرعتُه[١٦] إلى نعيمكم الدائم فاسـلكوه، ولا تتَّبعوا الديانات المخالفة له فتُبعِدَكم[١٧] عن سـبيله المؤدِّي إلى

---

(١) في (ب): «العامل»، وهو خطأ.
(٢) «له» سقطت من (أ، ع)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٣) «له» أُثبِتت من (ع).
(٤) في (ب): «يحكم عليه».
(٥) في (ك): «يلزمه».
(٦) في (ب): «ذهاب».
(٧) «له» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٨) في النسخ المعتمدة: «يلزم»، والمثبت من (ح، خ).
(٩) في (ب): «فلا يرضى».
(١٠) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «بما».
(١١) في (ب): «أمرت»، وهو خطأ.
(١٢) في (ب): «أيخافون».
(١٣) ذكَّرهم الله تعالى بإيفاء الكيل والميزان، والعدل في القول، والوفاء بالعهد، فكانوا يفعلونها ويفتخرون بالاتصاف بها، فأمرهم الله تعالى بذلك لعلهم يذكرون إن نسوها.
(١٤) في النسخ المعتمدة: «أي»، والمثبت من (ح، خ، ر).
(١٥) في (ك): «شرعه».
(١٦) في (أ): «شرعته»، والمثبت من (ب، ك). ومعنى «أشرعته»: أي جعلته مُفضِيًا ومؤدِّيًا إلى نعيمكم، وفي اللسـان (٨: ١٧٧ شـرع): «شرعت البابَ إلى الطريق: أي أنفذتُه إليه، وشَرَعَ البابُ والدارُ شروعًا: أفضى إلى الطريق، وأشرعه إليه».
(١٧) غير واضحة في (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

نعيمه[(١)]، لعلكم تتجنَّبون بلزومه معصيتَه، وتتقون بطاعته عقوبتَه[(٢)]، فأتبعَ كلَّ صنف من الوصيّة ما اقتضاه معناها. وبالله التوفيق[(٣)].

---

(١) في (أ): «إليه»، وفي (ك، ع): «نعمه»، والمثبت من (ب، ح، خ).

(٢) الآية الأخيرة وهي: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ تُجمِل ما جاء في الآيتين المتقدمتين المشتملتين على عشرة تكاليف؛ لأن الصراط المستقيم هو الجامع للتكاليف، وقد أمر الله تعالى باتباعه ونهى عن اتباع غيره من الطرق، ولهذا ختمها بالتقوى التي هي ملاك العمل وخير الزاد. وفي الختام بالتقوى إشارة إلى أن من اتبع هذا الصراط فقد وقاه الله عذاب النار. وأما ختم الآية الأولى بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وختم الثانية بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فالآية الأولى ـ كما قال الكرماني في البرهان (ص١٧٩) ـ: «مشتملة على ذكر خمسة أشياء كلها عظام جِسام، وكانت الوصية فيها من أبلغ الوصايا، فختمها بما في الإنسان من أشرف السجايا وهو العقل الذي امتاز به الإنسان عن سائر الحيوان. والآية الثانية مشتملة على خمسة أشياء يقبح تعاطيها وارتكابها، وكانت الوصية فيها تجري مجرى الزجر والوعظ، فختمها بقوله: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: تتّعظون بمواعظ الله تعالى».

قال ابن عطية في تفسيره (٥: ٢٠٠): «ومن حيث كانت المحرَّمات الأُوَل لا يقع فيها عاقل قد نظر بعقله؛ جاءت العبارة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، والمحرَّمات الأُخَر شهوات وقد يقع فيها من العقلاء مَن لم يتذكَّر؛ جاءت العبارة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، ثم لما كان ركوب الجادّة الكاملة يتضمَّن فعل الفضائل، وتلك درجة التقوى؛ جاءت العبارة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾».

(٣) في (ك): «تمت المسائل في سورة الأنعام وانقضت عن ثماني عشرة آية وعشرين مسألة»، وكذا في (و)، وفي (ح، خ): «تمت سورة الأنعام عن ثماني عشرة آية وعشرين مسألة». قلت: انقضت سورة الأنعام عن تسع عشرة آية وإحدى وعشرين مسألة، وقد بيَّنّا سبب ذلك من احتمال إضافة الشيخ رحمه الله بعض المسائل في الدرس. والله أعلم.

إسلام ويب islamweb.net

سورة الأعراف[١]

[٦٢] الآية الأولى منها[٢]:

قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۞ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾[٣] [الأعراف: ١٢، ١٣].

وقال في سورة الحجر [٣٢-٣٤]: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۞ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾[٤].

وقال في سورة ص [٧٥]: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ الآية، قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ الآية [٧٦][٥].

للسائل أن يسأل فيقول[٦]: إذا كان هذا في قصة واحدة، ووقع في

---

(١) في (ع): «تسع وعشرون».
(٢) في (ب): «من سورة الأعراف».
(٣) لفظ «قال» في أول الآية أُثبت من (ك).
(٤) لفظ «قال» في أول الآية ليس في (ع).
(٥) من قوله: «وقال في سورة ص: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ الآية، قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ الآية» أُثبت من في (ح، خ، ر، س).
(٦) في (أ): «للسائل أن يقول».

إسلام ويب islamweb.net

كلام الله[١] تعالى حكايةً عما قال إبليس، وعمّا قيل[٢] له عندما كان يظهر من عصيانه[٣]، فلماذا اختلفت الحكايتان والمحكيُّ شيء واحد؟

والجواب ما قلتُه[٤] فيما قبله[٥]، وأقوله[٦] فيما بعده من أنّ[٧] اقتصاص ما مضى إذا لم يُقصَد به أداءُ الألفاظ بأعيانها، وإنما المقصود ذكر المعاني، فإن الألفاظ إذا اختلفت وأدَّت[٨] المعنى المقصود كان اختلافها واتفاقها سواءً[٩].

فقوله[١٠] عز وجل هاهنا[١١]: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، وقوله في سورة[١٢] الحجر [٣٢]: ﴿يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾، وقوله في سورة ص [٧٥]: ﴿يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ أقوالٌ ثلاثة، في بعض ألفاظها اختلاف وفي المعنى اتفاق، وهي: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾ و﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ و﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾.

---

(١) لفظ الجلالة سقط من (ك).
(٢) «قيل» سقطت من (ك).
(٣) «عصيانه» غير واضحة في (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٤) في (ك): «ما قلناه».
(٥) ذلك في الآية الرابعة من سورة البقرة حسب ترتيب المؤلف، وانظر من هذا الكتاب (١: ٢١٩).
(٦) «وأقوله» غير واضحة في (أ)، وأُثبِتت من (ب)، وفي (ك): «ونقوله».
(٧) «أن» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٨) في (د، ط): «أفادت».
(٩) في (ح، خ، ر): «فاختلاف الألفاظ لا يضر إذا اتفق المعاني».
(١٠) في (ك): «وقول الله تعالى».
(١١) أي: في الآية [١٢] من سورة الأعراف. وفي (ب، ع): «هنا»، وهو سقط من (ك).
(١٢) «سورة» ليست في (أ، ب، ع)، وأُثبِتت من (ك).

إسلام ويب islamweb.net

فأما[١] قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥] ففيه زيادةُ إخبارٍ عن حالٍ[٢] لم تكن في الآيتين المتقدِّمتين، ولم يقل عندهما: إنه لم يكن هناك خطاب إلا ما حكيناه فيهما، فتكون الزيادة معدودة في الاختلاف.

وأما قوله، وهو حكاية ما كان من جواب إبليس في سورة الأعراف [١٢] وفي سورة ص [٧٦]: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾، وفي سورة الحجر [٣٦]: ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[٣]، وفي سورة بني إسرائيل [٦١]: ﴿قَالَ[٤] ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾، فإنه يحصُل للسامع في[٥] الآيات الأربع معنًى واحد[٦]، وهو ذِكرُ ما حمَله على ترك السجود لآدم عليه السلام، لمّا كان مخلوقًا من النار، وآدم[٧] مخلوقًا من الطين، ورأى[٨] أصلَه أشرفَ من أصله، وإن كان في إحداهما[٩] ذكر بعض ما دعاه إلى ما فعل، وفي الأخريين[١٠] ذكر كلّه من مقابلة أصله

(١) في (ب): «وأمّا».
(٢) في (ك): «الحال».
(٣) «﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).
(٤) ليست في (ع).
(٥) في (ر، ع): «من».
(٦) في (أ، ب): «واحدًا»، والمثبت من (ك).
(٧) «آدم» غير واضحة في (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).
(٨) في (ر): «رأى» من دون الواو.
(٩) أي: في آية سورة الحجر [٣٣] وهي: ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾. والضمير في قوله: «إحداهما» يرجع إلى آيتَي سورة الحجر وسورة الإسراء. وفي (ع): «اثنتين منهن».
(١٠) أي: في آية الأعراف [١٢]، وآية سورة ص [٧٦]. وفي (أ، ب، ك): «الآخرتين»، والمثبت من (ح، ر).

إسلام ويب islamweb.net

بأصله، وتوهُّمِه[١] أنه أشرف، وأن سجود الأشرف لما دونه لا يجوز.

وكذلك ما حكاه الله[٢] تعالى من قوله له[٣] في سورة الأعراف [١٣]: ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾[٤] لا يخالف قولَه في سورة الحجر [٣٤، ٣٥]: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ۞ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، ولا يخالف أيضًا قوله في سورة ص[٥] [٧٧، ٧٨]: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ۞ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾؛ لأنه إذا أمره[٦] بالخروج من الجنة أو من السماء[٧] فقد أمره[٨] بالهبوط إلى الأرض.

وقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ﴾ [الحجر: ٣٥] و: ﴿لَعۡنَتِيٓ﴾ [ص: ٧٨][٩] واحد؛

---

(١) في (ب): «ويوهمه»، وهو خطأ.
(٢) لفظ الجلالة ليس في (ب، ك).
(٣) «له» ليست في (أ، ب)، وأُثبتت من (ك).
(٤) في (أ): «﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾ الآية»، والمثبت من (ب، ك).
(٥) في (ك): «في ص».
(٦) في (أ، ع): «أمر»، والمثبت من (ب، ك).
(٧) ذكر المصنف القولين المحتملين في عودة الضمير في قوله تعالى: ﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾. قال ابن الجوزي في تفسيره (٣: ١٧٥): «في هاء الكناية قولان؛ أحدهما: أنها ترجع إلى السماء؛ لأنه كان فيها، قاله الحسن، والثاني: إلى الجنة، قاله السدي». وقال ابن عطية في تفسيره (٥: ٤٤٢): «وقوله تعالى: ﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾ أمرٌ من الله عز وجل لإبليس بالهبوط في وقت عصيانه في السجود، فيظهر من هذا أنه أُهبط أوّلًا وأُخرِج من الجنة وصار في السماء؛ لأن الأخبار تظاهرت أنه أغوى آدم وحواء من خارج الجنة، ثم أُمِر آخِرًا بالهبوط من السماء مع آدم وحواء...». وقال ابن كثير (٢: ٣٢٧): «ويحتمل أن يكون عائدًا إلى المنزلة التي هو فيها في الملكوت الأعلى».
(٨) في (أ، ع): «أمر»، والمثبت من (ب، ك).
(٩) أول الآية: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [ص: ٧٨].

إسلام ويب islamweb.net

لأن اللعنة[١] في الحقيقة إبعادُ الله مَن يعصيه عن الخير، ثم لعنُ الملائكةِ والناس من التَّبع لِلَعنِه، نعوذ بالله منها[٢].

[٦٣] الآية الثانية منها[٣]:

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۞ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤، ١٥].

وقال في سورة الحجر [٣٦-٣٨] وسورة ص [٧٩-٨١]: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۞ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۞ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾.

للسائل أن يسأل عن إدخال الفاء في قوله: ﴿رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ﴾[٤] في سورتَي[٥] الحجر وص[٦]، وحذفها منه في سورة الأعراف.

والجواب أن يقال: إن قوله: ﴿أَنظِرۡنِيٓ﴾ في سورة الأعراف وقع مستأنَفًا، غيرَ مقصود به عطفٌ على ما يقع به هذا السؤال عَقِيبه؛ فلم يحتَج إلى الفاء.

والجواب[٧] أيضًا: لمّا لم يكن إجابةً له إلى ما طلب، لم يكن أيضًا معطوفًا

(١) قال الراغب في المفردات (ص٧٤١): «اللعن: الطرد والإبعاد على سبيل السخط، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة، وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه».
(٢) في (ب، ع): «منه».
(٣) «منها» ليست في (ع)، وفي (ب): «من سورة الأعراف».
(٤) في (ب): «﴿رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾»، وفي (ع): «﴿فَأَنظِرۡنِيٓ﴾».
(٥) في (أ، ب، ع): «في سورة»، والمثبت من (ك، ح).
(٦) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «والصاد».
(٧) في (ب، ك): «وجواب آخر»، والمثبت من (أ، ر).

إسلام ويب islamweb.net

عليه بالفاء[١]، وإنما سأل تأخير أجله، فقال: ﴿إِنَّكَ﴾[٢] في حكمي ممّن أُخِّر أجَلُه[٣]، لا لأجْل مسألتك.

وأما في[٤] الآيتين في سورتَي[٥] الحجر و«ص» فإنه قال عزَّ من قائل: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ﴾[٦]، وجاء بعد[٧] إخبار الله بلعنه له، فكأنه[٨] قال: يا ربّ إنْ لعنتني وآيستني[٩] من الجنة[١٠] فأخِّرْ[١١] أجلي إلى يوم يُبعَثون، ويوم يُبعَثون هو يوم القيامة، لا يوم الإماتة[١٢]، فلم تقع الإجابة إلى ما طلَب؛ لأنه قال: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾؛ أي: إلى[١٣] الوقت الذي هو آخِر أوقات الإحياء[١٤]. فاقتضى إضمارُ «إن لعنتني يا رب»[١٥] أن يأتي

---

(١) من قوله: «وجواب آخر» إلى هنا سقط من (ب).

(٢) «إنك في» سقطت من (ب).

(٣) في (ب): «اخترت أجله».

(٤) «في» سقطت من (ب).

(٥) في (أ، ع): «سورة»، والمثبت من (ك، ح).

(٦) في (أ) من دون «قال».

(٧) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «بعده».

(٨) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «وكأنه».

(٩) أي: قنَّطتَني وقطعتَ أملي من الجنة. قال الجوهري في الصحاح (٣: ٩٠٦ أيس): «آيسني منه فلان مثل أيأَسَني»، وقال صاحب القاموس (ص٧٥١، يأس): «وأيْأَسْتُه، وآيسْتُه: قنَّطتُه».

(١٠) في (ب، ك): «من الخير».

(١١) في (أ، ك): «أخّر»، والمثبت من (ب، ر).

(١٢) في (أ، ب، ع): «إلى يوم يبعثون، وهو يوم القيامة، وليس يوم الإماتة، إنما هو يوم البعث والإحياء». وفي العبارة خلل، والمثبت من (ح، خ، ر).

(١٣) «إلى» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(١٤) «أوقات الإحياء» ليست في (ع).

(١٥) كذا في أكثر النسخ. و«يا رب» غير واضحة في (أ).

إسلام ويب islamweb.net

بالفاء فيقول[١]: «فأنظِرني» ويأتي في جوابه[٢] بها، وهو قوله[٣]: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾؛ لأن التقدير: إن طلبتَ تأخيرَ[٤] الأجل وتنفيسَ[٥] المهل من أجْل أنْ لُعِنْتَ فإنك[٦] مؤخَّرُ الموت لِما[٧] حكمتُ به لك، لا لإجابتك[٨] إلى مسألتك، فهو معطوف على السؤال عطْفَ الكلامِ على الكلام الذي يقتضيه، لا عطفَ الإيجابِ[٩] على السؤال؛ لأن الله تعالى لم يُجِب[١٠] عاصيًا مثلَه إلى ما يسأل[١١].

فدخول الفاء في الموضعين[١٢] لتقدُّم ذكر اللعن، وأنّ المعنى: إنْ آيستَني من رحمتك فأخِّر أجلي لأنال من عدُوّي الذي كان سبب ذلك[١٣] ما أقدِر عليه من الإغواء[١٤] له[١٥]، ولمن يكون من[١٦] نسله، واستشفى بذلك لجهله[١٧]، نعوذ بالله من طاعة الهوى المؤدي إلى سبيل الرَّدى[١٨].

---

(١) في (ك): «فيكون فيقول».
(٢) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «جوابه» من دون «في».
(٣) «قوله» أُثبِتت من (ح، خ).
(٤) في (ع): «تقدير».
(٥) في (ب): «وتنفس».
(٦) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «فأنت».
(٧) في (ب، ك): «بما».
(٨) في (ك، ع): «لا بإجابتك». و«لا» سقطت من (ب).
(٩) في (ع): «الإجابة».
(١٠) في (ب، ك، ع): «لن يجيب».
(١١) في (ب): «يسأله».
(١٢) أي: في سورة «الحجر»، وسورة «ص».
(١٣) «ذلك» غير واضحة في (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(١٤) أي: من الإضلال، يقال: أغواه: أضلّه وأوقعه في الغيّ والضلال.
(١٥) في (ب): «لي»، وهو خطأ.
(١٦) «من» سقطت من (ك).
(١٧) في (ك): «ذلك بجهله».
(١٨) أي: إلى سبيل الهلاك. وفي اللسان (١٤: ٣١٤ ردي): «الردى: الهلاك».

إسلام ويب islamweb.net

[٦٤] الآية الثالثة منها[١]:

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[٢] [الأعراف: ١٦، ١٧].

وقال في سورة الحجر [٣٩، ٤٠]: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[٣].

وقال في سورة ص [٨٢، ٨٣]: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[٤].

للسائل أن يسأل في هذه الآي[٥] عن شيئين:

أحدهما: اختلاف المحكيّات، ففي موضع: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾، وفي موضع: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾[٦]، وفي آخر[٧]: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾.

والثاني: حذف الفاء في سورة الحجر من قوله[٨]: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾، وإثباتها في الآيتين الأخريين.

---

(١) «منها» ليست في (ع).

(٢) قوله تعالى: «قال» من أول الآية ليس في (أ، ع).

(٣) قوله تعالى: «قال» من أول الآية ليس في (ك).

(٤) «قال» ليست في (ع)، ومن قوله: «وقال في سورة ص» إلى هنا سقط من المطبوعة.

(٥) في (ط): «الآية»، وهو خطأ.

(٦) قوله: «وفي موضع ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾» ليس في (أ، ب، ع)، وأُثبت من (ك، ق).

(٧) في (أ): «وفي الأخرى»، والمثبت من (ب، ك).

(٨) في (ب، ع): «عن قوله». وفي (ك): «قال» بدل «من قوله».

إسلام ويب islamweb.net

والجواب عن اختلاف الألفاظ[١] المحكية أن يقال: متى حُمِلت الباء على القَسَم في قوله: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ و: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾[٢] في الآيتين[٣] بشهادة الآية الثالثة[٤]، وهي: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾؛ لم يكن هناك اختلاف في المعنى[٥]؛ لأن المراد في قوله: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾[٦]: بإغوائك إيّاي، وهو يحتمل وجوهًا من المعاني[٧]:

أحدها[٨]: أن يكون المراد[٩]: بتخييبك إيّاي لأجتهدنَّ في تخييبهم، وهذا ظاهر الكلام؛ لأن القَسَم متلقًّى باللام[١٠]، ولأن[١١] قوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ في مقابلتهما[١٢]

---

(١) في (ب): «ألفاظ».

(٢) قوله: «و﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾» ليس في النسخ المعتمدة، وأُثبِت من (خ).

(٣) أي: في الآية [١٦] من الأعراف، والآية [٣٩] من الحجر.

(٤) هي الآية [٨٢] من سورة ص.

(٥) يرى المصنف رحمه الله تعالى أن الباء قسميّة، ويستدل على ذلك بقوله تعالى في سورة ص: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾. وذكر العلامة الآلوسي (١٤: ٥٠) جواز جعل الباء للقسم و«ما» مصدرية وقال: «وإقسامه بعزة الله تعالى المفسَّرة بسلطانه وقهره لا ينافي إقسامه بهذا ـ أي: بإغواء الله تعالى إيّاه ـ؛ لأنه فرع من فروعها ـ أي: من فروع العزّة ـ، وأثر من آثارها، فلعلّه أقسم بهما جميعًا، فحكى تارة قسمه بهذا، وأخرى بذاك».

(٦) «بما أغويتني» ليست في (أ، ب، ع)، والمثبت من (ك، ق).

(٧) في (ب، ك، ع): «من المعنى».

(٨) أُثبِتت من (ع)، وفي النسخ: «أحدهما».

(٩) أي: المراد بقوله: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾.

(١٠) أي: لام جواب القسم في قوله تعالى: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ بمعنى: أقسم بإغوائك إيّاي لأقعدن لهم، ولأزيِّنن لهم.

(١١) في (أ، ك): «لأنك» من دون الواو، وفي (ر): «أو لأن»، والمثبت من (م).

(١٢) كذا في أكثر النسخ؛ أي: في مقابلة آيَتَي الأعراف والحجر، وفي (أ): «في مقابلتها».

إسلام ويب islamweb.net

من الآية الأخرى. وتخييبُ الله إياه[١] هو بعزّته، ومنه قول الشاعر[٢]:

..... ومَن يَغْـوَ لا يَعدَمْ على الغَيِّ لائما[٣]

أي: مَن يخِب لم ينَل خيرًا. يشهد لذلك صدر البيت، وهو:

فمَن يَلـقَ خيرًا يَحمَدِ النـاسُ أمرَهُ[٤] .....

والثاني: أن يكون المراد: بإهلاكك إيّاي[٥] بأنْ لعنتَني، وهذا الفعل أيضًا عزّة من الله تعالى.

وكذلك إن حُمِل على معنى الحكم بغوايته فهو عزة من الله تعالى.

وإذا كان[٦] كذلك تساوت[٧] في المعنى، وكلٌّ قَسَمٌ، والإغواء الذي هو التخييب أو الإهلاك أو الحكم بالغواية، كلُّ ذلك عزّة من الله تعالى، فالقسم به كالقسم بعزّته.

---

(١) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «له».

(٢) الشاعر هو المرقَّش الأصغر، واختُلف في اسمه، فقيل: هو عمرو بن حرملة، وقيل: ربيعة بن سفيان، والاسم الثاني رجّحه الشيخ أحمد شاكر، والمرقَّش الأكبر عمّ المرقَّش الأصغر، وكان الأصغر أشعر المرقَّشَين وأطولهما عمرًا. الشعر والشعراء لابن قتيبة (١: ٢١٤).

(٣) البيت في الشعر والشعراء لابن قتيبة (١: ٢١٥)، والصحاح للجوهري (٦: ٢٤٠٥ غوي)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤: ١٩٢، ٣٩٩) واللسان (١٥: ١٤٠ غوي). وغوِيَ يغوَى من باب فرِح، ويأتي من باب ضرَب. والغيّ: الضلال والخيبة.

(٤) في (ك):

«فمن يلق خيـرًا يحمَدِ النـاسُ أمْرَهُ ومَن يغو لا يعدمْ علـى الغيِّ لائما»

حيث تكرَّر الشق الثاني في البيت.

(٥) حكى ذلك الطبري في تفسيره (٨: ١٣٣) وقال: «هو من قولهم: غَوِيَ الفصيلُ يغوَى غوًى، وذلك إذا فقد اللبن فمات».

(٦) في (ك): «كانت».

(٧) أي: الآيات الثلاث.

إسلام ويب islamweb.net

والجواب عن السؤال الثاني، وهو حذف الفاء من[١] قوله: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ فلأن الدعاء في الصدر[٢] يُستأنَف بعده الكلامُ، والقصة غير مقتضاة[٣] لما قبلها كما اقتضاها قوله: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ﴾[٤]، والفاء توجب اتصالَ ما بعدها بما قبلها.

والنداء أوّلًا يوجب القطعَ واستئنافَ الكلام لا سيّما[٥] في قصة لا يقتضيها[٦] ما قبلها، فلم تحسُن الفاء مع قوله: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾، والموضعان الآخران لم يدخل الكلامَ فيهما نداءٌ يوجب استئنافَ ما بعده، فلذلك وُصِل القَسَم فيهما بالأول بدخول الفاء[٧].

[٦٥] الآية الرابعة منها[٨]:

قوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف: ٤٤، ٤٥].

(١) في (ب، ك): «مع»، وفي (ع): «عن».

(٢) في (أ، ط): «في المصدر»، وفي (ع): «الدعاءَ المُصَدَّرَ»، والمثبت من (ب، ك، ح)، والمراد صدر الكلام.

(٣) في (خ، ر): «غير مقتضية».

(٤) جزء من آية الحجر [٣٦] وآية سورة ص [٧٩] وهي: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

(٥) في النسخ المعتمدة: «سيّما»، والمثبت من (خ، ق)، وهو الصواب؛ لأن «سيّما» تدخل عليها «لا» كما في مغني اللبيب (ص١٨٦).

(٦) أي: لا يحتاج ربط القصة بما قبلها. وفي (خ): «لا تقتضي».

(٧) تعليل المؤلف في هذه العبارة ـ فيما يبدو لي ـ غير واضح؛ لأن القصة واحدة من بدايتها إلى نهايتها، فالتفرقة بين قوله: ﴿فَأَنظِرْنِيٓ﴾ وقوله: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ تفرقة في غير محلها.

(٨) «منها» ليست في (ع).

إسلام ويب islamweb.net

وقال في سورة هود [١٨، ١٩]: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ * ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن إعادة «هم»[(١)] في قوله: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾[(٢)] في سورة هود، وتركِ ذلك في سورة الأعراف[(٣)].

والجواب أن يقال: إن الذي في سورة الأعراف جاء[(٤)] على أصله غيرَ مَزيدٍ فيه ما يجري مَجرى التوكيد، والذي في سورة هود جاء بعد قوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ فأشيرَ إليهم، ثم قال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فأظهرَ ذِكرَ «الظالمين» في موضع الإضمار، ولو أُجريَ على الحكم في إضمار الاسم عَقِيب الذكر لَكان: «ألا لعنة الله عليهم»؛ لأن المراد بـ«الظالمين» هم المشار إليهم بقوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾.

فلمّا أظهر[(٥)] مكانَ الإضمار تضمَّن معنى «هم»[(٦)]؛ أي: الظالمون هم الذين كذبوا على ربهم[(٧)]، وأشيرَ[(٨)] بالكلام المتقدِّم إليهم، فلما استمرَّ

(١) في (ب): «إعادتهم».
(٢) قوله: «في قوله: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾» ليس في (أ، ب، ع)، وأُثبت من (ك).
(٣) في (أ، ب): «في هذه السورة»، وفي (ع): «في السورة»، والمثبت من (ك).
(٤) من قوله: «والجواب» إلى هنا سقط من (ك).
(٥) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «ظهر».
(٦) في النسخ الأخرى: «معنى قوله: «وهم» هم».
(٧) من قوله: «فلما أظهر» إلى هنا سقط من (ك).
(٨) في (ر): «أشير» من دون الواو.

إسلام ويب islamweb.net

الكلام على الإضمار بعد ذكر «الظالمين» صار[١] الظاهرُ كأنهم غيرُ المشار إليهم بقوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾، فأُعيد «هم» في قوله: ﴿هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾[٢] لتحقُّق[٣] الكفر[٤] عليهم بنسبة الأوصاف المتقدِّمة إليهم، وأوّلُها كذبُهم على ربهم، ثم ظلمُهم لأنفسهم، وصدُّهم عن سبيل الله، ووصفُهم لها بدلَ الاستقامة بالاعوجاج[٥]، وكفرُهم[٦] في هذه الأفعال بالله، واستحقاقُهم به عقوبةَ الله[٧] في الآية.

فلمّا لم يُصرَف الخبرُ الثاني في سورة[٨] الأعراف مصرفَ ما ليس هو بالأول لم يحتَج إلى توكيده[٩].

ولمّا عُدِل في سورة هود عن إعادة الضمير إلى الأول، ووُضِع مكانَه ظاهرٌ[١٠] يحتمل أن يكون غير الأول، وعُنِي بـ«هم»[١١] أنهم هم؛ كان الموضعُ موضعَ توكيد لتحقيق[١٢] الخبر عنهم بالكفر، وتثبيته عليهم بأوكد لفظ؛ لأنّا[١٣]

---

(١) في (ب): «جاز»، وهو خطأ.
(٢) في (ك): «﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾».
(٣) في (ع): «ليُحَقِّقَ».
(٤) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ع): «الكلام».
(٥) حيث يطلبون الاعوجاج لسبيل الله ويذمُّونها، أو يطلبون لها تأويلًا أو إمالة إلى الباطل، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾. قال الآلوسي في تفسيره (٨: ١٢٣): «فالعِوج ـ بالكسر ـ: إمّا على أصله وهو الميل، وإما بمعنى التعويج والإمالة».
(٦) في (أ، ب، ع): «فكفرهم»، والمثبت من (ك، ح، خ، د).
(٧) (خ) خالية عن قوله: «في الآية».
(٨) «سورة» سقطت من (أ).
(٩) في (ب): «توكيد».
(١٠) في (ك): «ظاهرًا».
(١١) في النسخ المعتمدة: «به»، والمثبت من (ح، خ، د، ر).
(١٢) في (أ): «ليتحقق».
(١٣) في (ب، ك): «لا أنّا».

إسلام ويب islamweb.net

لمّا قلنا[١]: هم هم، فهو[٢] المُعاد في قوله: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾، إلا أنّا[٣] نبيِّن[٤] بذلك أن المكانَ مكانُ توكيد[٥] لنفرِّق[٦] بينه وبين الأول.

[٦٦] الآية الخامسة منها[٧]:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ﴾[٨] [الأعراف: ٥٧].

وقال في سورة[٩] الفرقان [٤٨]: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا﴾[١٠].

وقال في سورة الروم [٤٨]: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ﴾[١١].

---

(١) في (ع): «لأنّا ما».
(٢) في (خ، ر، س): «فهُم».
(٣) في (أ، ب): «أن»، والمثبت من (ك، خ، ر، و).
(٤) في (ع): «إلا لنبيِّن».
(٥) يعني بالتوكيد الإعلام بأنهم هم المذكورون لا غيرهم، ولم يقع «هم» هاهنا ضمير فصل؛ لأن ضمير الفصل إنما يكون بين معرفتين كما في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]. يُنظَر: تفسير ابن عطية (٧: ٢٦٤).
(٦) في (أ، ب، ع): «ليفرق».
(٧) «منها» ليست في (ع).
(٨) في (أ) إلى قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ﴾ وفي (ك) إلى آخر الآية، وفي (ع): «﴿نُشۡرَۢا﴾» وهي قراءة ابن عامر، والمثبت من (ب).
(٩) «سورة» سقطت من (ك).
(١٠) في (ع): «﴿نُشۡرَۢا﴾» وهي قراءة ابن عامر، وفي (ب، ك، ع): «﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا * لِّنُحۡيِيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا﴾» [الفرقان: ٤٨، ٤٩].
(١١) في (أ) إلى قوله تعالى: ﴿فَيَبۡسُطُهُۥ﴾، والمثبت من (ب)، وفي (ك) إلى آخر الآية [٥٠] من سورة الروم.

إسلام ويب islamweb.net

وقال في سورة الملائكة[١] [٩]: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾[٢].

للسائل أن يسأل فيقول[٣]: هذه[٤] الآي الأربع قد خُصَّت آيتان[٥] منها بقوله: ﴿يُرۡسِلُ﴾ على لفظ المستقبل، وآيتان[٦] بقوله: ﴿أَرۡسَلَ﴾ على لفظ الماضي، فهل في كل مكان ما يقتضي اللفظَ الذي خصَّه، أم[٧] كلٌّ جائز لو جاء عليه[٨]؟

والجواب أن يقال: بل لكلٍّ ما يوجب في الاختيار اللفظَ الذي جاء عليه، وإن كان وصفُ الله[٩] عز وجل بأنه أرسل الرياح فبسَط بها السحاب فساقه[١٠] فأنزل منه الأمطار فأحيا بها البلاد، كوصفه بأنه يفعل ذلك في المستقبل؛ لأنه قادر كما كان، وقد عوَّدنا[١١] فِعلَ ذلك وأعلمَناه[١٢] مُشاهَدة.

---

(١) أي: سورة فاطر.

(٢) في (أ) إلى قوله تعالى: ﴿فَسُقۡنَٰهُ﴾، والمثبت من (ب، ك).

(٣) في (أ): «للسائل أن يقول».

(٤) «هذه» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(٥) في (ب، ك): «اثنتان».

(٦) في (ب، ك): «اثنتان».

(٧) في (ع): «أو».

(٨) صيغة السؤال في (ح، خ، ر): «لِمَ خُصَّت آيتان من هذه الآيات الأربع بقوله: ﴿يُرۡسِلُ﴾، وآيتان بقوله: ﴿أَرۡسَلَ﴾؟».

(٩) في (أ، ب، ع): «وإن كان الله عز وجل وصفه»، والمثبت من (ك).

(١٠) في (ب): «فسقى منه الأمصار»، وفي (ك): «الأمطار» بدل «الأمصار».

(١١) في النسخ المعتمدة: «عوّد»، والمثبت من (خ).

(١٢) في (ب، ك): «وأعلمنا»، والمثبت من (ر).

إسلام ويب islamweb.net

إلا أن الآية التي في سورة الأعراف[١] جاء فيها ﴿يُرْسِلُ﴾ بلفظ المستقبل؛ لأن قبلها[٢]: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۞ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٣] [الأعراف: ٥٥، ٥٦]، فكان[٤] في ذلك بعثٌ على الدعاء والتضرُّع، وتعليقِ الخوف والطمع بما يكون منه من الرحمة وصنوف ما رزَق الله[٥] الخلقَ من النِّعَم[٦]، فكان لفظُ المستقبل أشبهَ بموضع الخوف والطمع للداعين[٧]، وأدعى لهم إلى الدعاء[٨].

وأما في سورة الفرقان، ومجيءُ هذا اللفظ فيها بلفظ الماضي، فلأن قبل الآية[٩]: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۞ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾[١٠] [الفرقان: ٤٥-٤٨]،

---

(١) في (أ، ب، ع): «في هذه السورة»، والمثبت من (ح، خ، ر). وفي (ك): «الآية الأولى في سورة الأعراف».

(٢) أي: قبل الآية [٥٧] من سورة الأعراف.

(٣) في (أ) إلى قوله: ﴿وَخُفْيَةً﴾، والمثبت من (ب، ك).

(٤) «في» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(٥) لفظ الجلالة ليس في (ب).

(٦) في (ب، ك): «من النعمة».

(٧) في (ب): «للراغبين»، وفي (ك): «والداعين».

(٨) يعني أنّ «يرسل» بلفظ المستقبل أنسبُ للخوف والطمع؛ لأنهما يقعان في المستقبل. وفي (ع): «الخوف والطمع الدَّاعيَين إلى الدعاء».

(٩) أي: قبل الآية [٤٨] من سورة الفرقان.

(١٠) في (أ) إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا﴾، والمثبت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

فلمّا عدَّد أنواع ما أنعَم به، وكان إرسالُ الرياح من[١] جملته؛ عدَّه مع ما تقدَّمه[٢]، وأخبَر[٣] منه عمّا فعَله وأوجَده[٤].

وأما في سورة الروم فإن قبل الآية[٥]: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ﴾[٦] [الروم: ٤٦]، فبنى قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ على البناء الذي جعل عليه ما هو من آياته[٧]، فحثَّ على الاعتبار بما يُعتاد مِن فِعله[٨]، تبارك الله سبحانه وتعالى[٩].

وأما في سورة الملائكة، واختيارُ لفظ[١٠] الماضي فيها على المستقبل، فلأن أولها[١١]: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١] بمعنى فطر وجعل، وخاتمة هذه العَشر من مبتدأ السورة: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ [فاطر: ٩]، فلمّا افتتح العَشر من أول السورة[١٢] بالتمدُّح بما صنع،

---

(١) في (ب، ك، ع): «في» بدل «من».

(٢) في (أ): «بعد ما تقدَّمه»، وفي (ب، ع): «عدَّه مَعَدَّ ما تقدَّمه»، والمثبت من (ك).

(٣) في (أ): «فأخبر»، والمثبت من (ب، ك).

(٤) ذلك في قوله تعالى: ﴿مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ و﴿لَجَعَلَهُۥ﴾ و﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ﴾ و﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ و﴿جَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾. ولما تقدّم التعبير بالماضي مرّات ناسب ذلك ذِكرَ إرسال الرياح بلفظ الماضي فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾.

(٥) أي: قبل الآية [٤٨] من سورة الروم. و«فإن قبل الآية» سقطت من (ك).

(٦) في (أ) إلى قوله تعالى: ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾، والمثبت من (ب، ك).

(٧) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ [الروم: ٤٦].

(٨) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «من فضله».

(٩) جملة الثناء ليست في (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).

(١٠) في (ب، ع): «اللفظ».

(١١) أي: أول سورة فاطر.

(١٢) «أول» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك). و«من أول السورة» ليست في (ع).

إسلام ويب islamweb.net

أتبَعه ما كان من جنسه ممّا فعل، فكان اختيارُ(١) لفظ الماضي هاهنا لذلك(٢)، فافهمه فإنه يفتَح عليك ما يُشبِهه(٣) إن شاء الله تعالى.

[٦٧] الآية السادسة منها(٤):

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقال في سورة هود [٢٥]: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾.

وقال في سورة المؤمنين(٥) [٢٣]: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾.

للسائل(٦) أن يسأل عن حذف الواو من ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾(٧) في سورة الأعراف(٨)، والإتيانِ بها(٩) في سورتَي(١٠) هود والمؤمنين.

والجواب أن يقال: إن الآيات التي تقدَّمت قولَه تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾(١١) في سورة الأعراف(١٢) إلى أن اتصلت به في وصف ما

(١) في (أ، ب، ع): «الاختيار»، والمثبت من (ك). وفي (ح): «فاختيار لفظ الماضي لذلك».
(٢) في (ب، ع): «كذلك».
(٣) في (أ، ب، ع): «يشتبه»، والمثبت من (ك، ر).
(٤) «منها» ليست في (ع).
(٥) هكذا في جميع النسخ الخطية والمطبوعة، على الإضافة، وفي المصحف سورة «المؤمنون» على حكاية اسم السورة الكريمة.
(٦) في (ك): «وللسائل».
(٧) في (ك): «من ﴿لَقَدْ﴾».
(٨) في (أ، ك، ع): «في هذه السورة»، والمثبت من (ك).
(٩) في (ك): «وإثباتها».
(١٠) في (أ، ب، ع): «سورة»، والمثبت من (ك، د).
(١١) في (ب، ك، ع): «﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾».
(١٢) في (أ، ب، ع): «في هذه السورة»، والمثبت من (ك).

إسلام ويب islamweb.net

اختصَّ الله عز وجل به من أحداث خلقه وبدائع فعله[١] من حيث قال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤] إلى أن ذكَر[٢] الشمس والقمر، والرياح والأمطار والنبات[٣]، والسهل من الأرض والطيِّب[٤]، والحَزْن منها والصَّلْد[٥]، ولم يكن فيها ذكرُ[٦] بَعثة نبيٍّ ومخالفة مَن كان له من عدوّ، فصار كالأجنبيّ من الأول فلم يُعطَف عليه، واستُؤنف ابتداء كلام[٧] ليدلَّ على أنه في حكم المنقطع من الأول.

وليس[٨] كذلك الآيةُ التي[٩] في سورة هود؛ لأنّ أولها افتُتح إلى أن انتهى[١٠] إلى قصة نوح بما هو احتجاجٌ على الكفار بآيات الله التي أظهرها

(١) في (أ): «والبدائع من فضله»، وهو خطأ، وفي (ب، ك، ع): «والبدائع من فعله»، والمثبت من (ح، خ، ر).

(٢) «ذكر» غير واضحة في (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(٣) في (أ، ب، ع): «والنبات والأمطار»، والمثبت من (ك، ح، ر).

(٤) في (أ): «الطيبة»، وفي (ب، ك، ع): «الطيب» من دون الواو، وأثبتنا الواو من (ح، خ).

(٥) السهل من الأرض نقيض الحَزْن. اللسان (١٣: ٣٤٩ سهل). والحَزْن: ما غلظ من الأرض وهو الخشن. اللسان (١٣: ١١٣ حزن). والطيب من الأرض: الأرض الزكية، الجيّدة التربة التي تصلح للنبات. يُنظَر: المفردات للراغب (ص٥٢٧)، واللسان (١: ٥٦٣ طيب). والصَّلْد: المكان الذي لا ينبت. المفردات (ص٤٩٠)، واللسان (٣: ٢٥٧ صلد). ويشير المصنف رحمه الله هنا إلى الآيات [٥٤-٥٨] من سورة الأعراف.

(٦) «ذكر» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ك).

(٧) في (ب): «الكلام».

(٨) كذا في (ب، ك)، وفي (أ): «ليس» من دون الواو، وفي (ح، خ): «ولا».

(٩) «التي» أُثبِتت من (خ، و).

(١٠) «إلى أن انتهى» سقطت من (أ، ط، ع)، وأُثبِتت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

على أيدي أنبيائه وألسنتهم صلوات الله عليهم[١]، وتوعُّدٌ لهم على كفرهم، وذكرُ قصة من قصص مَن تقدَّمهم[٢] من الأنبياء الذين جحد بآياتهم أُمَمُهم[٣]، فعُطِفت[٤] هذه الآية على ما قبلها إذ كانت مثلها. ألا ترى أن[٥] أول السورة: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۞ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾ [هود: ١، ٢]، وبعد العَشر منها: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ﴾[٦] إلى قوله: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ﴾[٧] [هود: ١٢، ١٣]، ثم وصَف حالَ من آمن بالله ورسله، وأخبت[٨] إلى ربه، وحالَ من افترى على ربه، وحصَل على خسران نفسه[٩]، وشبَّههما بحال من انطوى[١٠] على ذكره في قوله[١١]: ﴿مَثَلُ

(١) «وألسنتهم صلوات الله عليهم» سقطت من (أ، ع)، وأُثبِتت من (ب، ك). وفي (ب): «على جماعتهم» بدل «عليهم».

(٢) في (ر): «وذكر قصص من تقدَّمهم».

(٣) في (أ): «أممهم آياتهم»، وفي (ب، ع): «آياتهم أممهم»، والمثبت من (ك، ح، خ).

(٤) في (أ، ب، ك، ع): «فعطف»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).

(٥) لفظ «أن» ليس في (ك)، وفي (ع): «ترى بيانَ».

(٦) في (أ) إلى قوله تعالى: ﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ﴾، والمثبت من (ب، ك).

(٧) في (أ) إلى قوله: ﴿مُفۡتَرَيَٰتٖ﴾، والمثبت من (ب، ك).

(٨) أي: اطمأن إلى ربّه وتواضع وخشع له. قال في اللسان (٢: ٢٧ خبت): «أخبت إلى ربه أي: اطمأن إليه» وذكر من معانيه: التواضع والخشوع. وفي تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٠٢): «الإخبات: التواضع والوقار».

(٩) في (ك): «ربه»، وهو خطأ.

(١٠) في (ب): «ينطوي».

(١١) في النسخ المعتمدة: «وشبههما في قوله بحال من انطوى على ذكره: ﴿مَثَلُ»، والمثبت من (خ، ر).

إسلام ويب islamweb.net

﴿ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾[١] [هود: ٢٤]؛ فاقتضى تشابهُ[٢] القصتين عطفَ الثانية على الأولى[٣].

وأما في سورة المؤمنين[٤] فإن قبل هذه الآية منها: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، ثم قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧]، ثم انقطعت[٥] الآي إلى قوله: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٢]، فكان ما[٦] تقدَّم في هذا المكان مثلَ ما تقدَّم الآيةَ[٧] في سورة الأعراف، إلا أنه باينَه بأن كان فيه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ وقولُه[٨]: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾[٩]، ثم انقطعت[١٠] إلى

---

(١) في (أ) إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَصَمِّ﴾، والمثبت من (ب، ك).

(٢) «تشابه» غير واضحة في (ك).

(٣) إن الذي تقدَّم قصة نوح عليه السلام في هذه السورة هو ذكر رسالة محمد ﷺ. وأوجُه التشابه بين قصة نوح وبين القصة التي تتضمَّن الحديث عن رسول الله ﷺ كثيرة، أبرزها:

أولًا: دعوة كلٍّ منهما قومَه إلى عقيدة التوحيد وإلى عبادة الله الواحد الأحد، قال تعالى في أول السورة عن رسول الله ﷺ: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هود: ٢]، وقال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هود: ٢٦].

ثانيًا: أن كلًّا منهما نذير لقومه، قال تعالى في بداية السورة عن رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود: ٢]، ثم قال عن نوح عليه السلام: ﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [هود: ٢٥].

ثالثًا: أن كلًّا منهما أنذر قومه عذاب يوم عظيم، قال تعالى حكاية عن محمد ﷺ: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣]، وقال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود: ٢٦].

(٤) في (ك): «المؤمنون».

(٥) في (ب): «انعطفت».

(٦) في (ب): «ممّا».

(٧) لفظ «الآية» سقط من (ك).

(٨) «وقوله» سقطت من (أ، ع)، وأُثبتت من (ب، ك).

(٩) في (ب، ع): «﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ﴾».

(١٠) في (ب): «انعطفت».

إسلام ويب islamweb.net

قولـه: ﴿وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ﴾، والفُلـك التي يُحمَل عليها مما[١] اتخذه نـوح عليه السـلام، فدخلـت[٢] واو العطف في قصة نوح عليه السـلام للَّفظَين المتقدِّمَين، وهما: ﴿وَلَقَدۡ﴾[٣] في رؤوس الآيتَين، وللمعنى المقتضى من ذكر ﴿ٱلۡفُلۡكِ﴾ الذي نجّى[٤] الله عليه مَن جعله أصلَ الخلق وبَذْرَ[٥] هذا النسل.

[٦٨] الآية السابعة منها[٦]:

قوله تعالى متصلًا بقوله: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾[٧] [الأعراف: ٥٩].

وقال في سورة هود [٢٥، ٢٦]: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ * أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾.

وقال في سورة المؤمنين[٨] [٢٣]: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

للسـائل أن يسـأل عن اختلاف المحكيّـات كقوله بعـدَ ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ

(١) في (ب): «إنما».
(٢) في (أ، ب، ع): «فدخل»، والمثبت من (ك، ح، خ).
(٣) في (أ): «﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾»، وفي (ع): «﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا﴾»، والمثبت من (ب، ك).
(٤) «نجّى» غير واضحة في (ب).
(٥) في (أ): «بدء»، وفي (ب): «بذر» من دون الواو، والمثبت من (ك، د، و). والبَذر ـ بفتح الباء ـ: ما عُزِل للزراعة من الحبوب، والنسلُ. القاموس المحيط (ص٤٤٤ بذر).
(٦) «منها» ليست في (ع).
(٧) في (ك): «ولقد»، وهو خطأ. وقوله: «نوحًا» سقط من (ب).
(٨) في (ر): «المؤمنون».

إسلام ويب islamweb.net

غَيْرُهُۥ﴾: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، وقال في سورة هود[١]: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾، وفي «المؤمنين»: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ والقصة قصة واحدة.

والجواب أن يقال: إنّ[٢] للأنبياء صلوات الله عليهم مقاماتٍ[٣] مع أممهم يُكرَّر[٤] فيها الإعذار والإنذار، ويُرجَع فيها ـ عودًا على بدءٍ ـ الوعدُ والوعيد، ولا يكون دعاؤهم إلى الإيمان بالله، ورفضِ عبادة ما سوى الله تعالى في موقف واحد بلفظ واحدٍ[٥] لا يتغيَّر عن حاله، مثلَ[٦] الواعظِ يفتنُّ[٧] في مقاله، والجاحدِ المنكِرِ تختلف أجوبته في مواقفه، فإذا جاءت المحكيّات على اختلافها لم يُطالَب ـ وقد اختلفت[٨] في الأصل ـ باتفاقها؛ لأنه قال لهم مرّة باللفظ الذي حُكِي[٩]، ومرة أخرى[١٠] بلفظ آخر في معناه كما ذُكِر.

---

(١) «وقال في سورة هود» سقطت من (ب، ك، ع).

(٢) «إنّ» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(٣) في (ك): «مفالات».

(٤) في (أ، ب، ع): «يكون»، والمثبت من (ك، ح، خ، ر).

(٥) في (ب): «واحدًا».

(٦) في النسخ المعتمدة: «بل»، والمثبت من (ق).

(٧) قال الجوهري في الصحاح (٦: ٢١٧٧ فنن): «افتنّ الرجل في حديثه وفي خطبته: إذا جاء بالأفانين. والأفانين: الأساليب، وهي أجناس الكلام وطرقه». وفي (ب، ع): «يفنن»، وفي (خ): «يتفنن».

(٨) في (ح، خ): «وقد اختلف».

(٩) في (ك): «لأنه قال باللفظ الذي حُكي مرة».

(١٠) «أخرى» أُثبِتت من (ك).

إسلام ويب islamweb.net

وكذلك الجواب[١] يَرِد من أقوام يكثُر[٢] عددهم ويختلف[٣] كلامهم ومقصدهم، وصدقُ الخبر يتناول الشيء على ما كان عليه، فلا وجه إذًا للاعتراض على هذا[٤] ونحوه[٥].

[٦٩] الآية الثامنة منها:

متصلة بهذه الآية[٦]، قولُه تعالى[٧]: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٠، ٦١].

وقال في سورة هود [٢٧]: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾[٨].

وقال في سورة المؤمنين [٢٤]: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا

(١) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «والجواب».

(٢) في (ك): «كثر».

(٣) «ويختلف» غير واضحة في (ك).

(٤) في (أ، ب، ع): «بهذا»، وفي (ك): «لهذا»، والمثبت من (ح، خ).

(٥) في (ع): «أو نحوه».

(٦) يشير بها إلى الآية السابقة التي تناولها في المبحث السابق، وهي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩]. وانظر من هذا الكتاب (٢: ١٠٢).

(٧) في (ب): «الآية متصلة بهذه الآية من سورة الأعراف»، ولفظ «الآية» من قوله: «بهذه الآية» سقط من (أ)، وفي (ك، ع): «الآية الثامنة متصلة بهذه الآية من سورة الأعراف»، والمثبت من (م).

(٨) في (ب، ك، ع): «﴿مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾».

إسلام ويب islamweb.net

هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[١] الآية[٢].

للسائل أن يسأل فيقول[٣]: لأيِّ معنًى خلت «قال»[٤] في سورة الأعراف من الفاء، وقد جاء مثلها في السورتين بالفاء وهو «فقال»[٥]؟

والجواب أن يقال: إن الموضعين اللذين دخلتهما الفاء ما بعدهما ممّا اقتضاه كلامُ[٦] النبي ﷺ ممّا رآه الكفار جوابًا له، فكان[٧] بناءُ الجواب على الابتداء يوجب دخول الفاء.

وليس كذلك الآيةُ في سورة الأعراف[٨]؛ لأنهم في جوابهم صاروا كالمبتدئين له بالخطاب، غيرَ سالكين طريق الجواب؛ لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ﴾ [الأعراف: ٦٠، ٦١]، فكان كلامهم له كالكلام الذي يبتدئ به الإنسانُ صاحبَه، فلذلك جاء بغير فاءٍ مخالفًا[٩] طريقةَ ما الكلامُ بعده مبنيٌّ بناءَ الجواب.

وممّا أُخرِجَ من الأجوبة مُخرجَ الابتداء بالكلام وإنْ كان في ضمنه[١٠]

(١) في (ب، ك، ع): «﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾».
(٢) «الآية» ليست في (ع).
(٣) في (أ): «للسائل أن يقول».
(٤) «قال» سقطت من (أ، ب، ط، ع)، وأُثبتت من (ك).
(٥) صيغة السؤال في (ح، خ): «فلِمَ خلا «قال» من الفاء في سورة الأعراف خاصة؟».
(٦) «كلام» سقطت من (ك).
(٧) في (ك): «وكان».
(٨) يعني قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ فإنه جاء بغير الفاء.
(٩) في (أ): «بغير فاء مخالفة لفاء طريقة...»، والمثبت من (ب، ك).
(١٠) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «في ضميره».

إسلام ويب islamweb.net

الجوابُ قولُه[١] تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ * قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾[٢] [العنكبوت: ٣١، ٣٢]، فلم يأتِ بالفاء في اللفظين اللذين[٣] كان ما بعد كل واحدٍ منهما كالجواب لما قبله.

وممّا يؤكِّد صحة هذا القول[٤] قولُه تعالى فيما كان من[٥] جواب عاد لهودٍ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[٦] [الأعراف: ٦٥، ٦٦]، ولم يقل: «فقال الملأ»؛ لأنّ ما بعد «قال» هنا مسلوكٌ به طريقَ الابتداء بالخطاب[٧]، إذ رُمِي بالسفاهة كما رمي نوح عليه السلام بالضلالة[٨]، فلم تدخُل[٩] على واحد منهما الفاءُ التي تجعل الثانيَ متعلِّقًا بالأول تعلُّقَ الجواب بالابتداء.

---

(١) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ط): «مثل قوله».

(٢) في (أ): «﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ الآية»، والمثبت من (ب، ك).

(٣) في (ك): «اللفظتين اللتين». وهما «قال» في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا﴾، و«قالوا» في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ﴾.

(٤) في (ب): «صحة ذلك»، وفي (ك): «صحة هذا».

(٥) «من» سقطت من (ك).

(٦) في (أ): «﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ الآيتين». وفي (ك) إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾، والمثبت من (ب).

(٧) في (ب): «فالخطاب».

(٨) في (ك): «بالضلال».

(٩) في (ك): «يدخل».

إسلام ويب islamweb.net

[٧٠] الآية التاسعة منها[١]:

قوله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢] [الأعراف: ٦٢].

وقال[٣] في قصة[٤] هود: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨].

للسائل أن يسأل عن الفرق بين قوله: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ وبين قوله[٥]: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾، وما الذي اقتضى الاسمَ في الآخِر والفعلَ في الأول؟ وهل كان يصحُّ أحدُهما مكانَ صاحبه؟

والجواب عن ذلك من وجهين:

أحدهما: أن يقال: إن معنى كلام نوح عليه السلام ما نطق[٦] به القرآن، ومعنى كلام هود عليه السلام ما ذكره[٧] الله تعالى حاكيًا عنه، وليس لقائل أن يقول: إذا كان القولان صحيحين في موضعهما فهلّا[٨] قال أحدُهما قولَ الآخر؟

---

(١) «منها» ليست في (ع)، وفي (ب): «من سورة الأعراف».

(٢) هذه الآية الكريمة وردت أثناء قصة نوح عليه السلام، إذ إنه عليه السلام قال هذا القول لأشراف قومه ورؤسائهم تبريئًا لذمته بتبليغهم رسالة ربّه ونصحه لهم.

(٣) في (ع): «وقال في هذه السورة».

(٤) في (ب): «سورة»، وهو خطأ.

(٥) في (ك): «وقوله» بدل «وبين قوله».

(٦) في (ب): «ينطق».

(٧) في النسخ المعتمدة: «ذكر»، والمثبت من (خ، د).

(٨) في (ع): «موضعيهما هلّا».

إسلام ويب islamweb.net

والوجه الثاني أن يقال: إن قول نوح عليه السلام جوابُ مَن ضُلِّل؛ لأنه قيل له: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، وهود عليه السلام قيل له: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: ٦٦].

والضلال من صفات الفعل، تقول: ضلَّ فهو ضالٌّ، والسفاهة من صفات النفس وهي[(١)] ضد الحِلم[(٢)]، وهو معنًى ثابت يُولِّد الخفّة والعجلة المذمومتين، والحِلم[(٣)] معنًى ثابت يُولِّد الأناة المحمودة، فكان[(٤)] جوابُ مَن عِيب بفعل مذموم نفيَه[(٥)] بفعل محمود، لا بل بأفعال تنفي[(٦)] ما ادَّعوه عليه، وهي أن قال: لستُ ضالًّا ولكني رسول من ربّ العالمين أؤدي إليكم ما تحمَّلتُ من أوامره، وأدعوكم بإخلاص إلى صلاح[(٧)] أمركم، وأعلم ـ من سوء عاقبة ما أنتم عليه ـ ما لا تعلمون[(٨)]. فنَفَى[(٩)] الضلالَ بهذه الأفعال.

وهود عليه السلام لمّا رُمِي بالسفاهة وهي من الخصال المذمومة الثابتة[(١٠)]،

---

(١) في (أ، ب، ك): «وهو»، ولعل الصواب ما أثبتُّه؛ لأنه راجع إلى «السفاهة». والله أعلم.

(٢) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «الحكم»، وهو تصحيف.

(٣) في (أ): «الحكم»، وهو خطأ، والمثبت من النسخ الأخرى.

(٤) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «فكلّ».

(٥) خبر «كان». وفي (ب): «يقيه».

(٦) في (ب): «تتقي»، وهو خطأ.

(٧) في (ع): «إصلاح».

(٨) يشير رحمه الله إلى معنى الآيتين [٦١، ٦٢] من سورة الأعراف، وهما: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

(٩) الفاعل: نوح عليه السلام.

(١٠) في (أ): «البطيئة»، وفي (ع): «البطيّة»، وفي (ب): «الباقية»، والمثبت من (ر) وهو الصواب.

إسلام ويب islamweb.net

وليست من الأفعال[١] التي ينتقل الإنسان عنها إلى أضدادها في الزمن القصير مِرارًا كثيرة، فكان نفيُها بصفات ثابتة تُبطِلها أولى، كما كان نفيُ الفعل المذموم بالفعل المحمود أولى[٢].

فقوله: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[٣]؛ أي: أنا ثابت لكم على النصح ثقةً[٤] في النفس[٥]، لا أنتقل[٦] من[٧] النصح إلى الغش، ولا أتبدَّل[٨] خيانةً بالأمانة. وكان جوابُ كلٍّ من الكلامين ما لاق به واقتضاه[٩].

[٧١] الآية العاشرة منها[١٠]:

قولـه تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟

(١) من قوله: «وهود لمّا رُمي» إلى هنا سقط من (ك).
(٢) في (ب): «أول»، وهو خطأ.
(٣) في (أ، ب، ك، ع): «﴿نَاصِحٌ﴾»، وفي (خ): «﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ﴾»، والمثبت من (م).
(٤) في (ع): «صفةً». (٥) في (ر، م): «من النفس».
(٦) في (أ، ك): «لا تنتقل»، وفي (ع): «لا تنتقل لكم»، وفي (ب): «ينتقل»، والمثبت من (م).
(٧) في (أ، ع): «عن».
(٨) في (أ، ك، ع): «ولا تتبدَّل»، وفي (ب): «ولا يتبدَّل»، والمثبت من (م).
(٩) قال ابن جماعة (ص١٧٩): «... أنّ الضلال فعل يتجدَّد بترك الصواب إلى ضده، ويمكن تركه في الحال، فقابله بفعل يناسبه في المعنى فقال: ﴿وَأَنصَحُ﴾. والسفاهة صفة لازمة لصاحبها، فقابلها بصفة في المعنى فقال: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ﴾». وقال ابن عاشور (٨: ٢٠٣): «قال في قصة نوح: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾، وقال في قصة هود عليهما السلام: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾، فنوح قال ما يدل على أنه غير مُقلِع عن النصح للوجه الذي تقدَّم، وهود قال ما يدل على أن نصحه لهم وصف ثابت فيه، متمكِّن منه، وأن ما زعموه سفاهةً هو نصحٌ».
(١٠) «منها» ليست في (ع)، وفي (ب): «من سورة الأعراف».

إسلام ويب islamweb.net

بِـَٔايَـٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾[١] [الأعراف: ٦٤].

وقال في سورة يونس [٧٣]: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾[٢].

للسائل أن يسأل فيقول[٣]: لِمَ اختصَّت الآيةُ الأولى بقوله: ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾[٤]، والثانيةُ بقوله: ﴿فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ﴾[٥] وزاد فيها ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ﴾[٦]؟

والجواب أن يقال: السورتان مكيتان جميعًا، إلا آيةً[٧] في سورة الأعراف[٨]،

---

(١) في (أ) إلى قوله تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَا﴾، وتتمة الآية من (ك)، وفي (ب) خلل.

(٢) في (أ) إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ﴾، وتتمة الآية من (ب)، وفي (ك) إلى قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ﴾.

(٣) في (أ): «للسائل أن يقول».

(٤) في النسخ المعتمدة: «أنجيناه»، والمثبت من (ح، خ، ر). والآية في (ع) إلى قوله: «﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾».

(٥) الآية في (ع) إلى قوله: «﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾».

(٦) السؤال سقط من (ك).

(٧) في (أ، ع): «والآية» بدل «إلا آية»، وفي (ب): «الآية»، وفي (ك): «إلا أنه»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).

(٨) ما ذكره المصنف رحمه الله من أنّ آيةً من سورة الأعراف ليست مكية هو قول قتادة. قال السيوطي في الدر المنثور (٣: ٤١٢): «أخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن قتادة قال: آية من الأعراف مدنية، وهي: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ [الأعراف: ١٦٣] إلى آخر الآية، وسائرها مكية». وفي رواية عن ابن عباس أنّها مكية دون استثناء آية منها. وأما سورة يونس فإنها مكية، قال السيوطي (٤: ٣٣٩): «أخرج النحاس وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت سورة يونس بمكة».

إسلام ويب islamweb.net

وقولـه[١]: «أنجينـا»[٢] أصل في هذا البـاب؛ لأن «أفعلتُ»[٣] فـي باب النقل أصل لـ«فعلـتُ» وهـو أكثـر، تقول: نجـا وأنجيته[٤]، كمـا تقول: ذهـب وأذهبتُه، ودخل وأدخلتُه[٥].

فأمّا «فعَّلته» فمن القلّة[٦] بحيث يمكن عدُّه، نحو «فزِع وفزَّعته»، و«خاف وخوَّفته»، وقد يُجاء معه الهمزة[٧] فيقال: أفزعتُه وأخفْتُه، ولا يُجاء مع تشديد العين الهمزةُ[٨]، ولا تقول: ذهَّبته، ودخَّلته في «أذهبتُه، وأدخلتُه»[٩].

(١) في (أ): «قوله تعالى»، والمثبت من (ب، ك).

(٢) في (ع): «أنجيناه».

(٣) في (ك): «أفعل».

(٤) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «ونجيته»، وهو خطأ هنا.

(٥) في (ع): «وخرج وأخرجتُه».

(٦) لا خلاف لدى النحاة أن تشديد العين في «فعَّل» يفيد تكثير الفعل، قال سيبويه في الكتاب (٤: ٦٤): «تقول: كسـرتُها وقطعتُها، فإذا أردت كثرة العمل قلت: كسَّـرتُه وقطَّعتُه ومزَّقتُه». ولكن المصنف رحمه الله يشـير بقوله: «فمن القلّة» إلى قلة اسـتعمال «فعَّل» بتشديد العين في باب نقل الفعل إلى التعدية بمعنى «أَفْعَلَ». وهو ما قرَّره سيبويه في «الكتاب» (٤: ٥٥) فقـال: «فأكثـر ما يكون على «فَعَـلَ» إذا أردت أن غيره أدخله في ذلـك يُبنَى الفعل منه على «أفعلت»...، وقد يجيء الشـيء على «فعَّلت» فيَشـرَك «أفعلت» كما أنهما قد يشـتركان في غير هذا، وذلك قولك: فرِح وفرَّحته، وإن شـئت قلت: أفرحتُه، وغرِم وغرَّمتُه، وأغرمتُه إن شئت، كما تقول: فزَّعتُه وأفزعتُه».

(٧) في (أ، ب، ع): «بالهمزة»، والمثبت من (ك، ح، خ).

(٨) في (أ، ب، ع): «بالهمزة»، والمثبت من (ك، ح، خ).

(٩) يشـير إلى أن المعنى يختلف في هذين المثالين، حيث إن «فعَّل» هنا ليسـت بمعنى «أفعل»، بـل تفيـد معنـى التكثير، وهـذا كما قال سـيبويه (٤: ٦٣): «وقالـوا: أغلقتُ البـابَ، وغلَّقتُ الأبواب حين كثَّروا العمل». وقوله: «في أذهبته وأدخلته» سقط من (أ)، وأُثبِت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

فالآية الأولى جاءت على الأصل الأكثر[١]، ولهذا أكثرُ ما جاء في القرآن جاء على «أنجيناه»[٢] كقوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ [الأعراف: ٧٢]، وكقوله[٣]: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء: ٦٥]، وكقوله[٤]: ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [العنكبوت: ٢٤].

وليست الجيم المزيدة المشدَّدة[٥] في ﴿نَجَّيْنَٰهُ﴾ للكثرة، وإنّما هي المُعاقِبة[٦] للهمزة، بدلالة قوله تعالى في ذي النون[٧]: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ [الأنبياء: ٨٨] ولا كثرةَ هناك.

وأما قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ﴾[٨] فهو[٩] الأصل، و«مَن» تجيء بمعناها[١٠]، وتكونان مشتركتين[١١] في معانٍ، و«الذين» خالصةٌ للخبر،

---

(١) وهو «أَفْعَلَ» حيث إنه أصل في باب الفعل إلى التعدية.

(٢) في (ك، خ): «أنجيناه»، وفي (ع): «أنجينا».

(٣) في (أ): «قوله»، والمثبت من (ب، ك). (٤) في (ب، ع): «وقوله».

(٥) «المشددة» سقطت من (ب، ك، ع).

(٦) أي: هي الجيم التي تُزاد أحيانًا بمعنى «أنجاه» مثل: «فزَّعتُه وأفزعتُه» كما تقدَّم. ويعني بالمُعاقِبة: أي التي تَخلُف الهمزة وتأتي مكانها مرة دون أخرى، ويقال: «إبل معاقبة: ترعى مرة في حَمْض ـ أي: نبت حامض أو مالح ـ ومرة في خُلَّة ـ أي: نبت حلو ـ». اللسان (١: ٦١٥ عقب).

(٧) ذو النون وصف؛ أي: صاحب الحوت، لُقِّب به يونس بن متّى عليه السلام لابتلاع النون إياه. والنون: الحوت. بعثه الله تعالى إلى أهل قرية «نينوى» وهي قرية من أرض الموصل. يُنظَر: تفسير القرطبي (١١: ٣٢٩)، وتفسير ابن كثير (٣: ٣٠٦).

(٨) ذلك في الآية [٦٤] من سورة الأعراف. (٩) في (أ): «وهو»، والمثبت من (ب، ك).

(١٠) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «لمعناها».

(١١) في (ب، ك، ع): «وتكون مشتركة».

إسلام ويب islamweb.net

مخصوصةٌ[١] بالصلة[٢]، فاستعمل الأصل[٣] في اللفظين، وهما[٤]: «أنجينا»[٥] و«الذين».

ولمّا كرَّر هذا الذكرَ كان العدولُ إلى اللفظين الآخرين اللذين هما بمعناهما، وهما: «نجَّينا» و«مَن» أشبهَ بطريقةِ الفصحاء وعادةِ البلغاء.

وأمّا[٦] قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ في الآية الثانية فإنه زيادة في الخبر عن أحوال الذين نجوا من الغرق فصاروا خلفاء للهالكين. وقيل: كانوا ثمانين نفسًا[٧]، وهلك سائر أهل الأرض.

فإن قال قائل[٨]: كان الإغراق[٩] قبل أن جُعِلوا خلائف، فكيف قُدِّم عليه؟

---

(١) في (ب، ك، ع): «محشوّة».

(٢) أي: «الذين» لفظ لا يخرج عن الموصولية، بخلاف «مَن» فإنها تخرج إلى الاستفهام والشرط.

(٣) «الأصل» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ك، ر)، وفي (ب): «ما يستعمل في الأصل».

(٤) «وهما» أُثبِتت من (ر، و).

(٥) في (ع): «أنجَى».

(٦) في (ب، ك، ع): «فأما».

(٧) هذا القول منسوب إلى ابن عباس رضي الله عنه كما في تفسير ابن أبي حاتم (الأثر: ٥٥٨، في الجزء الذي حقَّقه الأخ حمد أبو بكر في جامعة أم القرى)، وتفسير الطبري (رقم ١٨١٨١)، وتفسير الماوردي (٢: ١٩٤)، وتفسير ابن كثير (٢: ٣٥٨). وقال ابن جرير (١٢: ٤٣): «والصواب من القول بذلك أن يقال كما قال الله: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠] يصفهم بأنهم كانوا قليلًا، ولم يُحدَّد عددُهم بمقدار ولا خبر عن رسول الله ﷺ صحيح...».

(٨) «قائل» ليست في (أ، ك، ع) وأُثبِتت من (ب).

(٩) في النسخ المعتمدة: «فالإغراق»، والمثبت من (ح، ر).

إسلام ويب islamweb.net

قلنا[١]: يجوز أن يكون معنى ﴿وَجَعَلَنَهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ إنما قُدِّم لأنه من صفة الذين أنجاهم[٢]، فلمّا أخبر عنهم بذلك ضمَّ إليه الخبرَ الثاني، ويجوز أن يكون معنى ﴿وَجَعَلَنَهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ أي: حكمنا لهم بذلك، ثم كان الإغراقُ بعده على أن «الواو» لا ترتيب فيها، ولا يمتنع أن يكون المذكور بعدها مقدَّمًا على ما قبلها.

[٧٢] الآية الحادية عشرة منها[٣]:

قوله تعالى في قصة صالح: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٤] [الأعراف: ٧٣].

وقال في سورة هود [٦٤]: ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ قَرِيبٌ﴾[٥].

وقال في سورة الشعراء [١٥٥، ١٥٦]: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٦].

---

(١) في النسخ المعتمدة: «قيل»، والمثبت من (ح، خ).

(٢) في (أ): «من صلة أنجاهم»، وفي (ب، ع): «من صفة أنجاهم»، والمثبت من (ك، ح، خ).

(٣) «منها» ليست في (ع)، وفي (ب): «من سورة الأعراف».

(٤) أول الآية: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، وفي (أ): «﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ الآية»، والتتمة من (ب، ك).

(٥) في (أ) إلى قوله تعالى: ﴿فَذَرُوهَا﴾، والتتمة من (ب، ك).

(٦) لفظ «قال» من أول الآيتين سقط في (ك).

إسلام ويب islamweb.net

للسائل أن يسأل عن اختلاف الخبر الواحد في الأماكن الثلاثة، وهو[١] حكايةُ ما قاله صالح عليه السلام لقومه لمّا حذَّرهم التعرُّضَ للناقة[٢].

والجواب أن يقال: إن[٣] هؤلاء سألوا أن يُخرِج لهم من هضْبة ملساء[٤] ناقةً، فسأل الله تعالى صالحٌ عليه السلام[٥]، وفي[٦] خبر آخر: أنه بدأهم بهذه الآية، لا عن مسألةٍ كانت منهم[٧]، فانفرجت عن ناقة[٨] بعدما تمخَّضتْ تمخُّضَ المرأة[٩]،.....

(١) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «وهي». (٢) في (ب): «لتعرّض الناقة».

(٣) «إن» ليست في (أ).

(٤) أي: من صخرة صُلبة ليس بها شيء. والهضبة ـ كما قال ابن منظور ـ: «كل جبل خُلِق من صخرة واحدة، وقيل: كل صخرة راسية صلبة ضخمة». اللسان (١: ٧٨٤ هضب)، والملساء مؤنث «الأملس»، قال ابن دريد في جمهرة اللغة (٢: ٨٦٠): «والشيء الأملس مثل الصخرة الملساء ونحوها، وأرض إمْلِيس والجمع أمالِيس، وهي الملساء التي لا شخوص ولا شجر فيها».

(٥) في (ع): «ذلك».

(٦) من هنا إلى قوله: «فانفرجت» سقط من (ك).

(٧) لم أجد هذا الخبر. والذي ذهب إليه جمهور المفسرين أنهم هم الذين كانوا سألوا صالحًا أن يأتيهم بآية. قال ابن عطية (٥: ٥٥٩): «قال بعض الناس: إن صالحًا جاء بالناقة من تلقاء نفسه، وقالت فرقة وهي الجمهور: بل كانت مقترحة». وقال الطبري (٨: ٢٤٤): «إنما استشهد صالح ـ فيما بلغني ـ على صحة نبوته عند قومه ثمود بالناقة؛ لأنهم سألوه إياها آية ودلالة على حقيقة قوله».

(٨) أي: تحرَّكت تلك الهضبة أو الصخرة ـ كما في بعض الروايات ـ ثم انشقت فخرجت من وسطها الناقة.

(٩) أي: مثل ما يدنو وِلادُ المرأة ويأخذها الطلق. المصباح المنير (٢: ٥٦٥). قلت: وهذا كلام لم يثبُت بخبر صحيح فيما نعلم، وهو تكلُّف ظاهر؛ لأن المعجزة لا يلزمها هذا التكلُّف. والله أعلم.

إسلام ويب islamweb.net

والناقةُ عُشَراءُ[١]، فنُتِجت[٢] بعد ذلك فصيلًا[٣]، فكانت تَرِد ماءً لهم[٤] بين جبلين يومًا[٥] فتشربه كلَّه وتسقيهم اللبن بدله، وللقوم شِرْبُ[٦] يومٍ يخصُّهم، فثقُل عليهم أمرُ شربِها وانقطاعِ الماء يومًا عن مواشيهم بسببها[٧]، وحذَّرهم صالحٌ عليه السلام التعرُّضَ لها إلى أن عقرها[٨] أحمرُ ثمود، فصار سببَ هلاكهم[٩].

فالآية الأولى من[١٠] سورة[١١] الأعراف عامّة في جُمَل[١٢] ما كان من وعظه لهم؛ لأنه قال: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: آيةٌ تشهد بصحتها

(١) يعني أن الناقة التي خرجت عُشَراءُ، كما جاء في بعض الروايات: ثم انصدعت عن ناقة عشراء جَوْفاء وَبْراء. قال ابن دريد في جمهرة اللغة (٢: ٧٢٨): «ناقة عشراء: إذا بلغت في حملها عشرة أشهر، وقرُب ولادها».

(٢) قال الإسكافي ـ مؤلِّفنا ـ في كتابه مبادئ اللغة (ص١٤٣): «وقد نُتِجت الناقة، والقائم عليها ناتج»، وفي المصباح (٢: ٥٩٢): «يقال: نُتِجت الناقة ولدًا إذا وضعته، وقد يقال: نَتَجت الناقة ولدًا بالبناء للفاعل».

(٣) الفصيل: ولد الناقة إذا فُصِل عن أمه. مبادئ اللغة (ص١٤٣)، والمصباح (٢: ٤٧٤).

(٤) في (ك): «ماءهم».

(٥) كذا في أكثر النسخ. ولفظ «يومًا» ذُكِر في (أ) بعد «كلّه».

(٦) أي: نصيب من الشراب. قال الراغب في المفردات (ص٤٤٨): «والشِّرب: النصيب منه».

(٧) «بسببها» سقطت من (ب).

(٨) أي: نحرها، وفي المصباح (٢: ٤٢٠): «عقَر البعير ـ من باب ضرَب ـ: ضرب قوائمه بالسيف، وقيل: عقره أيضًا: إذا نحره».

(٩) يُنظَر لقصة صالح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم مع قومه ثمود: تفسير الطبري (٨: ٢٢٤-٢٣١)، وتفسير ابن عطية (٥: ٥٥٩-٥٦٤)، وتفسير البغوي (٢: ١٧٥-١٧٨)، وتفسير ابن كثير (٢: ٣٦٤).

(١٠) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ك، ع): «في».

(١١) ليست في (ع).

(١٢) في (و): «في جملة».

إسلام ويب islamweb.net

نفوسُكم أنها من قدرة الله تعالى المختصة بفعله، لا بفعل غيره[١]، ثم قال: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [هود: ٦٤]؛ أي: هذه[٢] ناقةٌ ليست مِلكَ أحدٍ منكم[٣]، وإنما هي لله استخرجها من الصخرة أو الهضبة أمارةً لصدق نبيه ﷺ لتؤمنوا عندها[٤]، فاتركوها تَرْعَ[٥] في الصحارى[٦] التي هي أرض الله من الكلأ الذي هو من[٧] نعمة الله تعالى، ولا تتعرَّضوا لها بسوء فيأخذَكم عذاب أليم[٨] ينال منكم ويؤلمكم.

وهذه المعاني المجمَلة في الآية الأولى[٩] زِيدت بيانًا في الآيتين[١٠]، فالآية[١١] الأولى تحذير للقوم[١٢] على طريق العموم. وأمّا[١٣] قوله تعالى في الثانية: ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: ٦٤] بعدما قال في الآية[١٤] الأولى: ﴿أَلِيمٌ﴾، فإنه اختصَّ هذا المكانَ بـ﴿قَرِيبٌ﴾ لِما بعده[١٥] من قوله:

---

(١) في (ق): «بفعله الذي لا يفعله غيره». (٢) في (ب، ك): «هي».
(٣) في (ع): «هذه ناقة الله ليست ملكًا لأحدٍ منكم».
(٤) في (ح، ر): «بها».
(٥) أي: تسرح بنفسها. وفي المصباح (١: ٢٣١): «رَعَت الماشيةُ تَرعَى رعيًا فهي راعية: إذا سرحت بنفسها».
(٦) «في الصحاري» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٧) «من» ليست في (ك). (٨) «أليم» أُثبِتت من (خ، ر).
(٩) أي: الآية [٧٣] من سورة الأعراف، وهي التي ذُكِرت أوّلًا.
(١٠) أي: في الآية [٦٤] من سورة هود، وآيتَي سورة الشعراء [١٥٥، ١٥٦].
(١١) في (ب، ك): «فالأولى». (١٢) في (ك): «الأول»، وهو خطأ.
(١٣) في النسخ المعتمدة: «فأما»، والمثبت من (خ).
(١٤) في (ب، ك): «في الأولى».
(١٥) في (أ): «لما تقدَّم»، وهو خطأ، والمثبت من (ب، ك، ح، خ، د).

إسلام ويب islamweb.net

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥]، قدَّر[١] المدة التي بينهم وبين هلاكهم، وقرَّب[٢] ما توعَّدهم به من عذاب الله لهم[٣]، والقريب لا ينافي الأليم بل هو أشدُّ ألمًا، إذ لم يكن بعدَ مَهْلٍ. فاختصاص الآية الثانية بـ﴿قَرِيبٌ﴾ دون ﴿أَلِيمٌ﴾ لِما ذكرنا من قُرب الميعاد المقرون ذِكرُه إلى ذكره[٤].

وأما الآية الثالثة واختصاصُها بقوله: ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٥٦] فلأنّ قبلها ذكر اليومين المقسومين[٥] بين الناقة وبينهم، كأنه قال لهم[٦]: إن منعتموها يومها بعقر ولا تتركونه لها[٧] أخَذكم عذابُ يوم عظيم.

فيومٌ تؤلمونها فيه فيكون به يومٌ يؤلمكم الله فيه بعذاب الاستئصال، وهو يوم عظيم[٨] عليكم، وكل ذلك بمعنًى واحد، وهو أنهم إن عقروها[٩] عُوقبوا، فالألفاظ المختلفة دائرةٌ على هذا المعنى، واختلافُها لاختلاف مواضعها المقتضية تغييرَ[١٠] الألفاظ فيها.

---

(١) في (ب، د، و، ع): «فقال»، وفي (ك، ح، خ): «فعلّل»، وفي (ط): «فذكر».

(٢) في (ح، ر): «وقرن».

(٣) «لهم» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(٤) في (ك): «إلى ما ذكره».

(٥) يشير إلى معنى الآية [١٥٥] من سورة الشعراء.

(٦) ليست في (ع).

(٧) في أكثر النسخ الخطية والنسخة المطبوعة: «تنزلونه بها»، والمثبت من (ق) وهو الأنسب، والله أعلم.

(٨) من قوله: «فيوم» إلى هنا سقط من (ك).

(٩) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «إن عقروا».

(١٠) في (ب): «لغير»، وفي (ك): «بتغيير»، وفي (ع): «تَغيُّر».

إسلام ويب islamweb.net

[٧٣] الآية الثانية عشرة منها[١]:

قولـه تعالى فـي قصة صالح عليه السـلام: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨].

وقال فيهم في سورة هود [٦٥]: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾.

وقال[٢] فيهم في هذه السورة بعد هذه الآية: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [هود: ٦٧].

وقال في قصة شعيب عليه السلام وقومه[٣] في سورة الأعراف[٤] [٩١]: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾[٥].

وقال في هذه القصة في سورة هود [٩٤]: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾[٦].

للسائل أن يسأل عن قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ﴾[٧] وتوحيدِ الدار في موضع، وجمعِها[٨] في موضع، وهل هناك فُرقان بين موضع الواحد وموضع الجمع[٩]؟

---

(١) «منها» ليست في (ع)، وفي (ب): «من سورة الأعراف».

(٢) من هنا إلى آخر الآية سقط من النسخ المعتمدة، وأُثبت من (ك، ق)، وفي (خ، ر): «وقال فيها بعد هذا».

(٣) «وقومه» سقطت من (أ، ب، ع) وأُثبتت من (ك، و).

(٤) قوله: «في سورة الأعراف» ذُكر في (ك) بعد «وقال».

(٥) في (ع) إلى قوله: «﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا﴾».

(٦) في (ب، ع): «﴿جَٰثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾».

(٧) في (ك): «في ديارهم».

(٨) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ) «وجمعه».

(٩) صيغة السؤال في (خ، ر): «فلِمَ وحَّد الدار في موضع وجمع في آخر؟».

إسلام ويب islamweb.net

والجواب أن يقال: إذا كان الجمع والتوحيد جائزَين كان وجه التوحيد[١] على طريقين:

أحدهما: أن يراد بدارهم بلدُهم، فيوحَّد ذهابًا إلى معنى «البلد»[٢]، وهو موحَّد.

أو يُذهَب به[٣] مذهبَ الجنس[٤] كما تقول: دينارهم شرٌّ من درهمهم، كما قال:

دينارُ آلِ سُليْمانَ ودِرهَمُهُمْ كالبابلِيَّينِ حُفّا بالعَفارِيتِ[٥]

---

(١) «جائزين كان وجه التوحيد» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).

(٢) في (ع): «الدار».

(٣) في (أ): «ويذهب مذهب»، وفي (ب): «ويذهب به مذهب»، وفي (ع): «والثاني أن يُذهَب به»، والمثبت من (ك، ح، خ).

(٤) يُنظَر: تفسير الطبري (٨: ٢٣٣)، وتفسير القرطبي (٧: ٢٤٢). وفي تفسير الماوردي (٢: ٣٦): «قال محمد بن مروان السدّي: كل ما في القرآن من «دارهم» فالمراد به مدينتهم، وكل ما فيه من «ديارهم» فالمراد به مساكنهم».

(٥) البيت في كتاب التنبيه على أوهام أبي عليّ في أماليه لأبي عبد الله البكري (ت٤٨٧هـ) (ص١٠٧). وقائل البيت: بَشّار بن بُرْد العقيلي (ت١٦٧هـ)، وهو أشهر المولَّدين على الإطلاق. يُنظَر لترجمته: تاريخ بغداد للخطيب (٧: ١١٢-١١٨)، والشعر والشعراء (١: ٧٥٧)، والأعلام (٢: ٥٢).

وفي هذا البيت يهجو بشّارٌ آلَ سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هشام. وقال بشّار: «فما قلت فيهم إلا بيتين وهما:

دينارُ آل سليمانَ ودرهمُهم كالبابلِيَّيْنِ حُفّا بالعفاريتِ

لا يُوجَدان ولا تلقاهما أبدًا كما سمعتَ بهاروتٍ وماروتِ»

أخطأت النسخ الخطية والمطبوعة في ذكر البيت. وفي (أ، ب، ط): «كنائلين»، وفي (ع): «كبابلين». وفي (أ، ط): «حفافًا»، وفي (ب، ع): «حقابًا». وفي (أ، ط، ع): «بالعراقيب». =

إسلام ويب islamweb.net

بقي الكلام في اختصاص موضع بالتوحيد وموضع بالجمع، وأن يقال: هل ذلك لفائدة تخصِّصه به؟

فنقول: إنه تعالى وحَّد ذلك[١] في كل مكان ذُكِر في ابتدائه[٢]: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [الأعراف: ٧٣، هود: ٦١]، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥، هود: ٨٤، العنكبوت: ٣٧]، ولم يُذكَر إخراجُ النبي ومَن آمن معه[٣] من بينهم، فجعلهم بني[٤] أبٍ واحدٍ، وجعلهم لذلك[٥] أهلَ دار واحدة، ورجاءً[٦] أيضًا أن يصيروا بالإيمان فِرقةً واحدة.

وكلُّ موضع أخبَر عن تفرقةٍ[٧] بينهم وإخراجِ النبي ومَن آمن منهم[٨] معه، أخبَر عنهم الإخبارَ الدالَّ على تفرُّق شملهم، وتشتُّت أمرهم، وذهابِ المعنى الذي كان يجمعهم لأبٍ واحد ودارٍ واحدة، وأن يصيروا مع المؤمنين فِرقةً واحدة[٩]، فقال: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا...[١٠] * وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [هود: ٦٦، ٦٧].

= والشاهد فيه: لفظ «دينارهم» مفرد، والمراد به الجنس.

(١) «ذلك» سقطت من (أ، ك) وأُثبِتت من (ب، خ).

(٢) «في» سقطت من (ك).

(٣) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ع): «ومن اتبعه».

(٤) في (ب): «بين»، وهو خطأ.

(٥) في (ك): «كذلك».

(٦) في (ب): «ورجاي»، وفي (ك): «ورجى».

(٧) في (ح، خ): «تفرقتهم»، وفي (ع): «تفرقِته».

(٨) ليست في (ع).

(٩) «فرقة واحدة» سقطت من (أ، ع)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(١٠) جميع النسخ الخطية والمطبوعة من دون هذا الفراغ الذي لا بد منه لئلا يُظَنَّ أن =

إسلام ويب islamweb.net

وقال[١]: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ [هود: ٩٤].

فإن قال قائل[٢]: فقد قال[٣] في قصة شعيب عليه السلام في سورة الأعراف [٩١]: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾[٤]، فوحَّد «الدار»، وقد خرج شعيب عليه السلام من بين أظهُرهم[٥]، ووقع الحكمُ بتفرُّق شملهم، فكان ما ذهبتَ[٦] إليه يقتضي أن يُجمَع «الدار» فيقال: «ديارهم»[٧] في هذا المكان.

والجواب أن يقال: إنه لم يتقدَّم[٨] في هذا الموضع ذِكرُ إخراجه[٩] من بينهم مع الذين آمنوا معه، كما ذُكِر في الموضعين الآخرين[١٠] في قصة

= قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ هو تمام قوله تعالى: ﴿بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾. والآيتان: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ۞ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾.

(١) من هنا إلى نهاية الآية أُثبِت من (ع).

(٢) «قائل» ليست في (ب، ك، ع) وأُثبِتت من (ك).

(٣) «فقد قال» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(٤) في (ب، ع): «﴿جَٰثِمِينَ ۞ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَا﴾».

(٥) في (ك): «من بينهم».

(٦) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ط): «ذهب».

(٧) في (ب): «دارهم»، وهو خطأ.

(٨) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «لم يقدِّمه»، وفي (ع): «يُقدِّم».

(٩) أي: ذكر إخراج شعيب عليه السلام.

(١٠) الموضع الأول الآية [٦٦] من سورة هود، حيث جاء فيه ذكر تنجية الله تعالى صالحًا والذين آمنوا معه برحمته من العذاب الذي وقع على الكافرين من قوم صالح عليه السلام. =

إسلام ويب islamweb.net

صالح[١] عليه السلام في سورة هود، وفي قصة شعيب فيها.

ألا ترى أنه قال في قصة صالح عليه السلام في سورة الأعراف وسورة هود قبل أن أخبَر[٢] أنه نجّاه ومَن آمن معه منهم لمّا جاء أمرُه مرتين، فوحَّد «الدار» فيهما[٣]، وفي الموضع[٤] الذي ذُكِرت قصتُه[٥] مع المؤمنين منهم جمع «الدار» فيها[٦]؟

وكذلك جاء[٧] في قصة شعيب في موضعين؛ أحدهما: جمَع[٨] فيه، وفي الآخر[٩] وحَّد[١٠]، والجمع حيث ذكَر إخراجَه منهم مع المؤمنين معه، فتدبَّره إن شاء الله تعالى.

= والآية هي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾. والموضع الثاني الآية [٩٤] من سورة هود، حيث جاء فيه ذكر تنجية الله تعالى شعيبًا والذين آمنوا معه. والآية هي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾.

(١) في أكثر النسخ: «في قصته»، وفي (أ): «هود»، والصواب ما أُثبت.

(٢) الموضع الذي أُخبِر فيه عن تنجية صالح عليه السلام مع قومه هو الآية [٦٦] من سورة هود.

(٣) هما قوله تعالى في سورة الأعراف [٧٨]: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾، وقوله تعالى في سورة هود [٦٥]: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖ﴾، كلاهما في قصة صالح عليه السلام.

(٤) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «فالموضع»، وفي (ب، ع): «والموضع».

(٥) في (أ): «ذكره بقصته»، وفي (ب، ك): «ذكر قصته»، والمثبت من (خ، ر).

(٦) «فيها» ليست في (ب، ك)، وفي (ع): «فيهما».

(٧) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ع): «كذلك في قصة».

(٨) ذلك في الآية [٩٤] من سورة هود.

(٩) في (ع): «والآخر».

(١٠) ذلك في الآية [٩١] من سورة الأعراف.

إسلام ويب islamweb.net

[٧٤] الآية الثالثة عشرة منها[١]:

قوله تعالى في قصة صالح[٢]: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩].

وقال في قصة شعيب[٣]: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٣].

للسائل أن يسأل عن إفراد «الرسالة» في قصة صالح، وجمعِها في قصة شعيب، وما الفائدةُ المخصِّصة[٤] لكل واحد من اللفظين بمكانه[٥]؟

والجواب عن ذلك أن يقال: إن الذي نطق به القرآنُ من تحذير صالح عليه السلام قومَه بعد أن أمرهم باتقاء الله تعالى وطاعته، هو أمرُ الناقة، والمنعُ من التعرُّض لها، فجعل الرسالة جملةً لما لم يُفصِّل تفصيلَ ما أتى[٦] به شعيب عليه السلام حين نهاهم عن عبادة الأوثان بدلالة قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾[٧] [هود: ٨٧]، ثم قال: ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَٱتَّقُوا۟

---

(١) «منها» ليست في (ع)، وفي (ب): «من سورة الأعراف».

(٢) في (ك): «في آخر قصة صالح».

(٣) في (أ): «وقال في قصة الذين كذبوا شعيبًا: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ۞ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾» [الأعراف: ٩٢، ٩٣]. و(ب، ع) مبدوءة من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، والمثبت من (ك).

(٤) في (ك): «المختصة».

(٥) في (ب، ك، ع): «لكل واحدةٍ من اللفظتين بمكانها».

(٦) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «لم يفصِّل كما أتى به».

(٧) في (أ) إلى قوله: ﴿أَن نَّتْرُكَ﴾، و(ب، ك) إلى قوله: ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا﴾، و(ع) إلى =

إسلام ويب islamweb.net

ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٧٨، ١٧٩]، ثم قال: ﴿أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ۞ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۞ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[١] [الشعراء: ١٨١-١٨٣]، وقال: ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٢] [الأعراف: ٨٦].

قيل في التفسير[٣]: هم العشّارون[٤]، عن قتادة والسُّدِّي، وقيل: كانوا يُقعِدون[٥] مَن قصَد شعيبًا فيُوعِدونه[٦] ويصدُّونه عن دين الله[٧]، فهذه التي

= قوله: ﴿مَا نَشَـٰٓؤُاْ﴾، والمثبت من (د).

(١) أُثبتت الآية من (ب، ك).

(٢) في (ع) إلى قوله: ﴿تُوعِدُونَ﴾. وتتمة الآية: ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾.

(٣) أي: في معنى قعودهم على الطرق.

(٤) أي: الذين كانوا يأخذون عُشر أموال الناس بالباطل. و«العشار» مأخوذة من قولهم: عَشَرتُ ماله أعشُره عُشرًا فأنا عاشر، وعشَّرته أيضًا فأنا مُعشِّر وعَشّار، إذا أخذتَ عُشره، فالعاشر والمُعشِّر والعَشّار: من يأخذ العُشر من الأموال.

و«العشّارون» هو قول السدي فقط، وقد أخرجه ابن جرير (١٢: ٥٥٧، رقم ١٤٨٥٢) عن السدي من طريق حميد بن عبد الرحمن عن قيس عن السدي قال: ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ قال: العشّارون. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسير سورة الأعراف (رقم ٦٤٩) عن السدي أيضًا بإسناد حسن حيث قال: «العاشر». وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣: ٥٠٢) ونسبه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن الشيخ عن السدي.

(٥) في (ع): «يَقعُدون على طريق».

(٦) أي: فيتوعَّدونه ويهدِّدونه. قال الزجاج في معاني القرآن (٢: ٣٥٤): «معنى ﴿تُوعِدُونَ﴾: أي: تُوعِدون مَن آمن بشعيب بالعذاب والتهدُّد، يقال: وعدته خيرًا، ووعدته شرًّا. فإذا لم تذكر واحدًا منهما قلت في الخير: وعدته، وفي الشر: أوعدته» اهـ.

(٧) في تفسير الماوردي (٢: ٣٨): «أنهم كانوا يقعدون على الطريق إلى شعيب يُؤذون مَن قصده للإيمان به ويخوِّفونه بالقتل، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة». =

إسلام ويب islamweb.net

أمر شعيبٌ بها قومَه أشياءُ كثيرة[١]، ليس[٢] ما أمر به[٣] صالحٌ قومَه[٤] مثلَها كثرةً[٥]، فلهذا جمع الرسالةَ فقال: ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾، وقال في قصة صالح[٦] عليه السلام: ﴿رِسَالَةَ رَبِّي﴾[٧].

وجواب ثانٍ[٨]: وهو على ما يُروى أن «الأيكة»[٩] غيرُ «مدين»، وأن شعيبًا بُعِث إلى أُمّتين[١٠]، وهذا عن قتادة[١١]. وقيل: الأيكة: الغَيضة[١٢] المُلتفّة،

= أخرجه ابن جرير (١٢: ٥٥٧، برقم ١٤٨٤٨) من طريق المثنى عن عبد الله بن صالح عن معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهو إسناد صحيح: «قوله: ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قال: كانوا يجلسون في الطريق فيُخبِرون من أتى عليهم أن شعيبًا عليه السلام كذّاب، فلا يفتنكم عن دينه».

وأخرجه أيضًا ابن أبي حاتم في تفسير سورة الأعراف (رقم الأثر ٦٤٨) بإسناد صحيح بمثله أيضًا. وأورده السيوطي في الدر (٣: ٥٠٢) عن ابن عباس ونسبه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. قال ابن كثير (٢: ٣٧٠): «والأول أظهر؛ لأنه قال: ﴿بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾ وهو الطريق، وهذا الثاني هو قوله: ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾».

(١) في (ع): «كبيرة».
(٢) في (ك): «وليس».
(٣) «به» سقطت من (أ).
(٤) ليست في (ع).
(٥) في (ب): «كثيرة».
(٦) في (ك): «وقال صالح».
(٧) قال الأنصاري في كتابه فتح الرحمن (ص١٩٨): «لأن ما أمر به شعيب قومه من التوحيد، وإيفاء الكيل، والنهي عن الصد، وإقامة الوزن بالقسط، أكثرُ مما أمر به صالح قومه».
(٨) في (خ): «وجواب آخر».
(٩) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ط): «أصحاب الأيكة».
(١٠) في (ع): «الفئتين».
(١١) ذكره القرطبي في تفسيره (١٣: ١٣٥) فقال: «رواه عبد الله بن وهب عن جرير بن حازم عن قتادة». وخبر قتادة أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩: ١١٠) مطوَّلًا عن قتادة.
(١٢) قال صاحب القاموس (ص٨٣٨ غيض): «والغيضة ـ بالفتح ـ: الأَجَمَة». وقال =

إسلام ويب islamweb.net

وأصحاب الأيكة[١] هم أهل مدين[٢]، فإذا[٣] حُمِل على الأول كان إلى كلِّ واحدة[٤] من أُمّتَيه[٥] رسالةٌ، فجُمِع لاختلاف قومه، وتخصيصِ كلٍّ منهم[٦] برسالة من الله.

فإن قال قائل: فبأيِّ عذاب الله[٧] أُهلِكوا[٨]، وقد نطق القرآن بالرجفة في

= (ص١٣٨٨ أجم): «والأجمة ـ محركة ـ: الشجر الكثير الملتفّ». قال الطبري (١٩: ١٠٧): «والأيكة: الشجر الملتفّ، وهي واحدة الأيْك، وكل شجر ملتفّ فهو عند العرب أيكة».

(١) «الأيكة» سقطت من (ك).

(٢) اختار القول الثاني الحافظ ابن كثير فقال: «هؤلاء ـ يعني أصحاب الأيكة ـ هم أهل مدين على الصحيح، وكان نبيّ الله شعيب من أنفسهم، وإنما لم يقل هاهنا: «أخوهم شعيب» لأنهم نُسِبوا إلى عبادة الأيكة، وهي شجرة، وقيل: شجر ملتفّ كالغيضة كانوا يعبدونها، فلهذا لمّا قال: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٦] لم يقل: «إذ قال لهم أخوهم شعيب»، وإنما قال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾، فقطع نسب الأخوة بينهم للمعنى الذي نُسِبوا إليه وإن كان أخاهم نسبًا. ومن الناس من لم يفطن لهذه النكتة، فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين، فزعم أن شعيبًا عليه السلام بعثه الله إلى أُمّتَين، ومنهم من قال: ثلاث أمم».

فأصحاب الأيكة وأهل مدين هما واحد، وما رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة شعيب عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قوم مدين وأصحاب الأيكة أُمّتان، بعث الله إليهما شعيبًا النبيَّ عليه السلام»، قال ابن كثير (٣: ٣٣٢): «هذا غريب، وفي رفعه نظر، والأشبه أن يكون موقوفًا، والصحيح أنهم أمة واحدة وُصِفوا في كل مقام بشيء، ولهذا وعظ هؤلاء ـ أي: أصحاب الأيكة ـ وأمرهم بوفاء المكيال والميزان كما في قصة مدين سواء بسواءٍ، فدل ذلك على أنهما أمة واحدة».

(٣) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «فإنما». (٤) في (أ، ك): «واحد»، والمثبت من (ب).

(٥) في النسخ المعتمدة: «أمته»، والمثبت من (د).

(٦) من قوله: «فجمع» إلى هنا سقط من (أ)، وأُثبِت من (ب، ك).

(٧) لفظ الجلالة ليس في (ك).

(٨) أي: قوم شعيب.

إسلام ويب islamweb.net

أمرهم[١]، ونطق بالصيحة التي خرُّوا لها وماتوا[٢]، ونطق بعذاب يوم الظُّلّة[٣]، وهي سحابة أظلَّتهم فأحرقهم الحرُّ[٤] تحتها، وهذه أنواع من العذاب مختلفة، وفي كل واحد منها[٥] ما يغني عن الآخَر في الإهلاك، فإذا أُهلِكوا بأحدها[٦] اكتُفي به عن[٧] غيرها؟

والجواب أن يقال: في التفسير عن محمد بن كعب[٨]، قال: عُذِّب قومُ شعيب بثلاثة أصناف[٩] من العذاب، أصابتهم الرجفة فخرجوا من ديارهم، ثم أصابهم حرٌّ شديد، ففَرِقُوا[١٠] من[١١] أن يدخلوا البيوت خوفَ الزلزلة، فبعث الله عليهم الظُّلّة، وهي سحابة أُنشِئت لهم فصاح رجل منهم: هل لكم في

---

(١) ذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٩١].

(٢) ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [هود: ٩٤].

(٣) ذلك في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٨٩].

(٤) في (ع): «الجمر».

(٥) «منها» ليست في (ب، ك، ع). وأُثبِتت من (ك).

(٦) في (ع): «بإحداها».

(٧) «عن» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(٨) هو محمد بن كعب بن سليم، أبو حمزة القرظي المدني، وهو تابعي جليل من كبار التابعين وأئمتهم، ثقة عالم كثير الحديث. توفي سنة (١٠٨هـ)، وقيل: (١١٧هـ)، وقيل: (١٢٠هـ). يُنظَر: تهذيب الأسماء واللغات (١: ١: ٩٠)، وسير أعلام النبلاء (٥: ٦٥)، والتقريب لابن حجر (رقم ٥٠٤).

(٩) في (ع): «أنواع».

(١٠) أي: فخافوا، قال صاحب المصباح (٢: ٤٧١): «فَرِق ـ من باب تعِب ـ: خاف».

(١١) «من» سقطت من (ب).

إسلام ويب islamweb.net

الظُّلّة؟ هل لكم في الظُّلّة؟ وفي رواية: عليكم بالظُّلّة[١]، فما رأيتُ كاليوم من ظلٍّ أطيبَ ولا أبرد، فلجؤوا إليها هربًا من الحرِّ الذي أصابهم، فلما اجتمعوا تحتها أمطرتهم نارًا فأحرقتهم. وقيل: صِيح بهم صيحةً واحدة فماتوا منها[٢]. فعلى هذا سُلِّطت عليهم الأنواعُ الثلاثة من العذاب عذابِ الاستئصال[٣].

(١) في (ب): «الظلة».

(٢) هناك روايات أخرى ذكرها المفسرون في كيفية العذاب الذي أرسله الله تعالى إلى أصحاب الأيكة. وأما رواية محمد بن كعب القرظي فأوردها السيوطي في الدر (٦: ٣١٩) ونسبها إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي. وقال البغوي في تفسيره (٢: ٤٠٠) عند تفسير الآية [٩٤] من سورة هود: «قيل: إن جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة فخرجت أرواحهم. وقيل: أتتهم صيحة من السماء فأهلكتهم». يُنظَر لتلك الروايات: تفسير الطبري (١٩: ١١٠)، وتفسير ابن الجوزي (٤: ١٥٤) عند تفسير الآية [٩٤] من سورة هود، و(٦: ١٤٣) عند تفسير الآية [١٨٩] من سورة الشعراء، وتفسير ابن كثير (٢: ٥٥٤)، والبحر المحيط (٧: ٣٧).

واختلاف الروايات في كيفية عذاب الظُّلّة يدل على أن القرآن الكريم والسنة الصحيحة لم يذكرا شيئًا من ذلك. قال ابن عطية في تفسيره (١١: ١٤٧): «للناس في حديث يوم الظلة تطويلات لا تثبُت، والحق أنه عذاب جعله الله تبارك وتعالى ظلّة، وذكر الطبري [انظر: ١٩: ١١٠] عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: من حدَّثك من العلماء ما عذاب يوم الظلة فكذِّبْه».

(٣) لقد أجاد الحافظ ابن كثير في ذكر الحكمة في سبب اختلاف تسمية عذابهم مع أنهم قوم واحد فقال في تفسيره (٢: ٧٠٩): «ذكر هاهنا ـ أي: في الآية [٩٤] من سورة هود ـ أنه أتتهم صيحة، وفي الأعراف [٩١] رجفة، وفي الشعراء [١٨٩] عذاب يوم الظلّة، وهم أمة واحدة، اجتمع عليهم يومَ عذابهم هذه النِّقَم كلها، وإنما ذكر في كل سياق ما يناسبه، ففي الأعراف لمّا قال: ﴿لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ﴾ [٨٨] ناسب أن يذكر هناك الرجفة، فرجفت بهم الأرض التي ظلموا بها وأرادوا إخراج نبيهم منها، وهاهنا ـ أي: في سورة هود ـ لمّا أساؤوا الأدب في مقالتهم على نبيهم ذكر الصيحة التي استلبثتهم =

إسلام ويب islamweb.net

[٧٥] الآية الرابعة عشرة منها[١]:

قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۞ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۞ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾[٢] [الأعراف: ٨٠-٨٣].

وقال في سورة النمل [٥٤-٥٨]: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۞ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۞ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۞ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾[٣].

وقال في سورة العنكبوت [٢٨-٣٠]: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۞ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[٤].

= ـ أي: استبطأتهم ـ وأخمدتهم، وفي الشعراء لمّا قالوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [١٨٧] قال: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٨٩] وهذا من الأسرار الدقيقة».

(١) «منها» ليست في (ع)، وفي (ب): «من سورة الأعراف».

(٢) في (أ) إلى قوله تعالى: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا﴾، وفي (ب، ع) إلى قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾، والتتمة من (ك).

(٣) في (أ) خلل في ذكر الآيات، والمثبت من (ب، ك).

(٤) في (أ) نقص في ذكر الآيات، والمثبت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

للسائل أن يسأل في هذه الآي[١] عن مواضع:

فالأول: قوله في سورة الأعراف [٨١]: ﴿شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾، وقال فيما وقع موقعه من سورة النمل [٥٥]: ﴿شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

والثاني: قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ في سورة الأعراف [٨٢] بالواو، وقال فيما أشبهه من سورة النمل [٥٦]: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ بالفاء، وهل صلَح أحدُهما مكانَ الآخر في الاختيار؟

والثالث: قوله في سورة الأعراف [٨٢]: ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم﴾ وقال في سورة النمل [٥٦]: ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ﴾، فأضمر في الأول وأظهر في الثاني.

والرابع: قوله في سورة الأعراف [٨٣]: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾، وفي سورة النمل[٢] [٥٧]: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ[٣] قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾.

والخامس: قوله في سورة[٤] الأعراف [٨٠]: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وقال في سورة النمل [٥٤]: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾.

والسادس[٥]: اختلاف المحكيّات، قال في سورة الأعراف [٨٢]: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم﴾، وفي النمل [٥٦]: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ

---

(١) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ع): «الآية».
(٢) في (ك): «وقال في النمل».
(٣) «﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾» ليست في (ع).
(٤) «سورة» ليست في (ب، ك، ع).
(٥) في ذكره اعتمدنا على (ح، خ، ر، س).

إسلام ويب islamweb.net

قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ﴾[١]، وفي العنكبوت[٢] [٢٩]: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

فأما[٣] المسألة الأولى، وهي مجيء ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾ في الأعراف، و﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ في سورة النمل[٤]، فالمُسرِف مُجهَّل[٥] بإسرافه، والجاهل مُسرِف بأفعاله[٦]، إذ الإسرافُ مجاوزة الحدِّ الواجب[٧] إلى الفساد، فيجوز أن يكون لوط عليه السلام لمّا كانت له مع قومه مَقامات[٨] قال في بعضها هذا اللفظَ، وفي بعضها اللفظَ الآخر[٩]، ولم يُنافِ أحدُهما الآخرَ[١٠].

(١) في (ع): «قال في سورة الأعراف والنمل: «فما كان جوابَ قومه إلا أن قالوا أخرجوهم» و«أخرجوا آل لوط»».

(٢) في (ع): «سورة النمل».

(٣) في (ك): «وأما».

(٤) في (أ، ب، ع): «في النمل»، والمثبت من (ك).

(٥) في (ب) اللفظ غير واضح، وفي (ك): «يجهل».

(٦) في (ك): «يسرف في أفعاله». قلت: قال الكرماني في غرائب التفسير (١: ٤١٣): «الجواب: كل إسراف جهلٌ، وكل جهلٍ إسرافٌ».

(٧) «الواجب» سقطت من (ك).

(٨) قال صاحب ملاك التأويل (١: ٥٤٤): «إن اختلاف مقالات الأنبياء لأممهم إنما هو لاختلاف مقاماتهم، إذ ليس دعاؤهم إياهم في موقف واحد ولا لقوم مخصوصين، بل يدعو النبي طوائف من قومه في أوقات مختلفة ومواطن شتى، وقد يكون للطائفة منهم خصوص مرتكب فيراعي نبيهم ذلك في دعائهم، وقد يخاطب ملأهم الأعظم في مواطن، والفئة القليلة منهم في موطن آخر، وربما أطال في موطن، وأوجز في موطن، وذلك بحسب ما يرونه عليهم السلام أجدى وأرجى، فلا يُشكِل على هذا اختلافُ أقوالهم ولا اختلافُ مجاوبة أممهم لهم...».

(٩) في (أ، ب): «وقال في المقام الآخر»، وفي (ع): «وقال في المقام الآخر اللفظَ الثاني»، والمثبت من (ك).

(١٠) في (أ، ب، ع): «صاحبه»، والمثبت من (ك).

إسلام ويب islamweb.net

ثم اختصاص[١] «مسرفين»[٢] بسورة الأعراف، فلأن[٣] الآيات التي قبلها فَواصلُها أسماءٌ جُمِعت هذا الجمعَ، من حيث قال: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٧٤] فكانت فاصلة هذه الآية: ﴿مُفْسِدِينَ﴾[٤]، وفاصلةُ ما بعدها: ﴿مُؤْمِنُونَ﴾[٥]، وما بعدها: ﴿كَٰفِرُونَ﴾[٦]، وبعدها: ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[٧]، وبعدها: ﴿جَٰثِمِينَ﴾[٨]، وبعدها: ﴿ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[٩]، وبعد ذلك إذ[١٠] انتهى إلى هذه الآية ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[١١]، فكان الاسمُ أحقَّ بالوضع في هذا المكان لتتساوى[١٢] الفواصل[١٣]، وفي سورة النمل تقدَّم الآيةَ التي فاصلتُها: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥] [قولُه تعالى][١٤]: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۞ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ

---

(١) في (ب): «اختلاف»، وهو خطأ.
(٢) في (ع): «﴿مُّسْرِفُونَ﴾».
(٣) في (ع): «لأن».
(٤) ذلك في الآية [٧٤] من الأعراف.
(٥) ذلك في الآية [٧٥] من الأعراف. وفي جميع النسخ الخطية والمطبوعة: «مؤمنين»، والمثبت من المصحف.
(٦) في (أ، ب، ع): «كافرين»، والمثبت من (ك)، وذلك في الآية [٧٦] من الأعراف.
(٧) ذلك في الآية [٧٧] من الأعراف.
(٨) ذلك في الآية [٧٨] من الأعراف.
(٩) ذلك في الآية [٧٩] من الأعراف.
(١٠) في (ع): «ذاك إذا».
(١١) في (ح، خ، ر): «وبعدها ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى هذه الآية». وذلك في الآية [٨٠] من الأعراف.
(١٢) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «لِتساوي».
(١٣) الفواصل هي النهايات التي تُختَم بها الآيات القرآنية، وهي آية من آيات الإعجاز في اتصالها بالآية، وفي انفرادها عنها، وفي توازنها أو استقلالها بذاتها.
(١٤) زيادة يحسُن ذكرها.

إسلام ويب islamweb.net

تُبْصِرُونَ﴾[١] [النمل: ٥٢-٥٤]، فلمّا تناسقت هذه الأفعال[٢] في هذه الفواصل التي قبل هذه الفاصلة[٣] كان بناؤها على ما قبلها بلفظ[٤] الفعل أولى[٥] بها، فجاء: ﴿تَجْهَلُونَ﴾ في هذا الموضع[٦]، و﴿مُّسْرِفُونَ﴾ في الأول[٧] لهذا[٨] من القصد. والله تعالى أعلم.

وأما[٩] المسألة الثانية في اختصاص[١٠] الواو بسورة[١١] الأعراف في قوله: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾، والفاءِ في سورة النمل: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾[١٢]، فلأنّ[١٣] قبلها: ﴿مُّسْرِفُونَ﴾ وهو اسم وإنْ أدّى معنى الفعل، و﴿تَجْهَلُونَ﴾ صريحُ لفظِ[١٤] الفعل. والأجوبة التي تتعلَّق[١٥] بالأول المبتدأِ به، إنما أصلُها في الأفعال التي تقع وتوجد لوجود غيرها، والواو والفاء جائزتان[١٦] في الموضعين إلا أنه يختار حيث جاء الأصلُ الذي وُضِعت الفاءُ

(١) اعتمدنا في ذكر الآيتين على (ب، ك).
(٢) هي: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ و﴿يَتَّقُونَ﴾ و﴿تُبْصِرُونَ﴾.
(٣) هي ﴿تَجْهَلُونَ﴾.
(٤) في (أ، ب، ك، ع): «على لفظ الفعل»، والمثبت من (ح، خ، ر).
(٥) «أولى» سقطت من (أ، ع)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٦) ذلك في الآيات [٥٢-٥٥] من سورة النمل، حيث جاء في خواتيهما أفعال على لفظ المضارع.
(٧) ذلك في الآيات [٧٤-٨٠] من سورة الأعراف، حيث جاء في خواتيمها صيغة اسم الفاعل.
(٨) في (ب): «أخذًا» بدل «لهذا».
(٩) في (ب): «فأما».
(١٠) في (ب): «في اختلاف»، وهو خطأ.
(١١) في (ع): «في سورة».
(١٢) من قوله: «والفاء» إلى هنا سقط من (أ، ع)، وأُثبِت من (ب، ك).
(١٣) في (ع): «فإن».
(١٤) ليست في (ع).
(١٥) في (أ، ع): «تعلّق»، والمثبت من (ب، ك).
(١٦) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «جاريتين».

إسلام ويب islamweb.net

فيه لتوجب ما بعدها لوجود ما قبلها، وهو الفعل، واختِيرت الواوُ حيث كان الملفوظُ به الاسمَ ليفرِّق بين الموضعين، فيختارَ لكلٍّ ما هو أليقُ به[١]، إذ ليس الاسمُ أصلًا فيما جُعِلت[٢] الفاءُ للجواب فيه[٣].

وأما المسألة الثالثة، وهي إضمار «آل لوط» في الأعراف حيث قال: ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم﴾، وإظهارُه[٤] في سورة النمل لمّا قال: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡ﴾، فالجواب[٥] عنه أن يقال[٦]: إن السورتين[٧] مكيتان، ومُوجِب هذا الإضمار والإظهار أن يكون ما جاء فيه الإظهارُ نازلًا قبل ما جاء فيه الإضمار، فلما أُظهِر[٨] في الآية المُنزلة قبلُ اعتُمد في القصة التي هي هي[٩] عند ذكرهم على الإضمار الذي أصلُه أن يكون بعد تقدُّم الذكر[١٠].

---

(١) في (ب): «به أليق»، و«به» سقطت من (ك).

(٢) في (ب): «جاءت».

(٣) يعني ذُكِرت الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ﴾ لأنه لا يكون التعقيب بالفاء بعد الاسم، وهو «مسرفون». وذُكِرت الفاء في سورة النمل: ﴿تَجۡهَلُونَ ۞ فَمَا كَانَ﴾، وفي سورة العنكبوت: ﴿وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ﴾، حيث إن الفاء هي الأصل في التعقيب. قال الآلوسي (٨: ١٧١): «والتعقيب بالفعل بعد الفعل حسنٌ دون التعقيب به بعد الاسم».

(٤) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «وإظهارها».

(٥) في (أ): «والجواب».

(٦) «أن يقال» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(٧) هما: سورتا الأعراف والنمل. وفي (ك): «السورتان».

(٨) في (ع): «ظهر».

(٩) «هي» الثانية سقطت من (ك).

(١٠) ذكر الآلوسي في تفسيره (٨: ١٧١) توجيهًا آخر في هذا الموضع فقال: «ولعلَّ ذكر ﴿أَخۡرِجُوهُم﴾ في سورة الأعراف، و﴿أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ﴾ في النمل، إشارةٌ إلى أنهم قالوا مرة هذا، وأخرى ذاك، أو أنّ بعضًا قال كذا، وآخر قال كذا».

إسلام ويب islamweb.net

وأما المسألة الرابعة وهي: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ في سورة الأعراف، وفي سورة النمل: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ فالجواب[١] عنها ما يدلُّ عليه[٢] الجوابُ عن[٣] المسألة الثالثة، وهو[٤] أن هذه القصة في سورة النمل[٥] نازلة قبل القصة[٦] التي[٧] في سورة الأعراف بدليل الإضمار والإظهار، وإذا بنينا على هذا فإنّ قوله: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾؛ أي: كتبنا عليها أن تكون من الباقين[٨] في القرية الهالكين[٩] مع أهلها، فلما ذكر في الآية المنزلة أولًا أحال في الثانية على الأولى في البيان فقال: ﴿كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾؛ أي[١٠]: في تقدير الله الذي قدَّره لها، وأخبر فيما قبلُ[١١] عن حكمه عليها.

وأما المسألة الخامسة فهي[١٢] قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وقال في سورة النمل:

---

(١) في (ب): «والجواب».
(٢) في (أ): «على».
(٣) في (أ): «من».
(٤) في (ب): «وهي».
(٥) «النمل» سقطت من (ك).
(٦) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «الآية».
(٧) «التي» سقطت من (ب، ك، ع).
(٨) قوله: «من الباقين» معنى قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾، قال الزجاج في معاني القرآن (٢: ٣٥٣): «قيل في ﴿ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ هاهنا قولان. قال أهل اللغة: ﴿مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ من الباقين؛ أي: من الباقين في الموضع الذي عُذِّبوا فيه... وقال بعضهم: ﴿مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ أي: من الغائبين عن النجاة». والمعنى الأول هو الذي تقتضيه اللغة؛ قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (ص١٧٠): «يقال: من مضى؟ ومن غبر؟ أي: ومن بقي؟».
(٩) في (خ، ر): «الهالكة». وكلاهما صحيح.
(١٠) «أي» ليست في (ب).
(١١) «قبل» سقطت من (أ، ك)، وأُثبتت من (ب).
(١٢) في (أ، ب، ع): «فعن»، والمثبت من (ك).

إسلام ويب islamweb.net

﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾، فالجواب عنها على ما بيَّنّا[١]، وهو أن ذِكرَ قصة لوط وقومِه نزل القرآنُ به قبل ذكره في سورة الأعراف، وتبكيتَهم على الفاحشة، وتعظيمَ أمرها، وفحشَهم فيها قبل الإخبار عن سبقهم إليها، فكان قوله: ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾؛ أي: لا تتكاتمون بها؛ لأنهم كانوا[٢] في مجالسهم لا يتحاشَون[٣] عنها، وقيل: ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ فُحشَها وشناعةَ قبحها، وهذه صفة ترجع إلى الفعلة نفسها، ثم إنهم لم يُسبَقوا إليها، كما قيل في الخبر: «ما نزا[٤] ذَكَرٌ على ذَكَرٍ حتى كان قومُ لوط»[٥]، وهذا وصفٌ حقُّه أن يجيء

(١) «على» ليست في (أ)، وفي (خ، ر): «على ما مرّ»، والمثبت من (ب، ك).

(٢) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «كانوا».

(٣) أي: لا يتنزَّهون عنها، وفي (أ): «لا يتحاشم»، وفي (ب): «لا يتناسون»، والمثبت من (ك، ح، ر).

(٤) في (ع): «يُرَى».

(٥) هذا الخبر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير سورة الأعراف (رقم ٦٣٠) فقال: حدثنا علي بن الحسن الهسنجاني، ثنا مسدّد، ثنا إسماعيل بن عُلَيّة قال: سمعت ابن أبي نجيح يقول: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: قال عمرو بن دينار: «ما نَزا ذَكَرٌ على ذَكَرٍ حتى كان قوم لوط».

وعلي بن الحسن الهسنجاني أخو عبد الله بن الحسن، قال ابن أبي حاتم: «كتبنا عنه، وهو صدوق ثقة». الجرح والتعديل (٣: ١٨١). ومسدّد هو مسدّد بن مسرهد بن مسربل أبو الحسن، ثقة حافظ. التقريب (رقم ٦٥٩٨). وإسماعيل بن عُلَيّة هو إسماعيل بن إبراهيم بن مِقسم الأسدي أبو بشر، المعروف بابن عُلَيّة، ثقة حافظ. التقريب (رقم ٤١٦). وابن أبي نجيح هو عبد الله بن أبي نجيح، أبو يسار، ثقة رُمِي بالقدر وربما دلَّس. التقريب (رقم ٣٦٦٢). وعمرو بن دينار المكي أبو محمد، ثقة ثبت. التقريب (رقم ٥٠٢٤).

والخبر إسناده صحيح. والمعنى: ما وطئ رجلٌ رجلًا حتى كان قومُ لوط. يقال: نزا عليه: أي وقع عليه ووطئه. النهاية لابن الأثير (٥: ٤٤). وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣: ٥٤٤) وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ =

إسلام ويب islamweb.net

بعد توفية الفاحشة حقَّ وصفها في نفسها، فأخَّر ذكرَه إلى الحكاية الثانية لهذه القصة، وقد خاطبهم لوط عليه السلام بذلك وبأكثر منه في مقامات إنكاره عليهم ودعائه لهم.

وأما المسألة السادسة فعن اختلاف المحكيّات، إذ كان في سورتَي[١] الأعراف والنمل: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡ﴾، و﴿أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ﴾، وقال في سورة العنكبوت: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، والجواب عن ذلك[٢] أن هؤلاء لمّا كرَّر عليهم لوط عليه السلام الإنكارَ وأعاد عليهم الإعذارَ والإنذار[٣]، قال في موقفٍ ما حكاه الله تعالى عنه[٤]، فكان جوابهم له[٥] في ذلك الموقف[٦] ما ذكره الله تعالى. والجواب الثاني[٧] وإن خالف الجوابَ الأول فهو من جهتهم، وإذا خالفوا بين الأجوبة تناولت الحكايةُ مختلفَها، على أنه لو كان كلُّ ذلك في موقف واحد لَكان جائزًا أن يكون جوابُ طائفة منهم ما[٨] ذُكِر أوّلًا، وجوابُ طائفة أخرى ما ذُكِر ثانيًا، وكلٌّ من الطائفتين قومه.

= والبيهقي وابن عساكر عن عمرو بن دينار.

(١) في (أ، ب، ع): «سورة»، والمثبت من (ك).

(٢) «عن ذلك» ليست في (ع).

(٣) «الإنذار» سقطت من (أ، ع)، و«الإعذار» سقطت من (ب)، والمثبت من (ك).

(٤) «عنه» سقطت من (ك، ع).

(٥) «له» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(٦) «الموقف» ليست في (ك).

(٧) أي: الجواب الذي صدر من قوم لوط، وهو: ﴿ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في سورة العنكبوت.

(٨) في (ك): «لمّا».

إسلام ويب islamweb.net

فإذا قيل: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾؛ أي: بعضِ قومه، فإذا كان[١] قاله بعضٌ ورضي به[٢] الآخرون[٣]، فكلهم قائلون أو في حكم القائلين، فلا يقدَح ما جاء من اختلاف أجوبتهم في الآيات[٤] التي نزلت في هذه القصة على ما يظنُّه المعترِض، وإنما يتعلَّق بمثله مَن جهِل للأنبياء عليهم السلام مواقفها، ولم يعرف اللغاتِ ومصارفَها، وهذا كثير في قصة موسى عليه السلام مع فرعون وحكايتها في هذه السورة وغيرها[٥] ممّا نقف عليه[٦] إن شاء الله.

[٧٦] الآية الخامسة عشرة منها[٧]:

تشتمل على ثلاث مسائل[٨]:

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠١].

وقال في سورة يونس [٧٤]: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

---

(١) «كان» ليس في (ب، ك، ع).
(٢) في (ع): «ورضيه».
(٣) في (ب): «آخرين».
(٤) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ع): «في الآية».
(٥) «وغيرها» ليست في (ب).
(٦) في (ب، ك): «فقف عليه» بدل «مما نقف عليه»، وفي (ع): «تقف عليه».
(٧) «منها» ليست في (ع)، وفي (ب): «من سورة الأعراف».
(٨) الجملة ليست في (ع).

إسلام ويب islamweb.net

للسائل أن يسأل عن اختلاف ما اختلف في الآيتين المتشابهتين، فلِمَ سقط[١] «به» في سورة الأعراف دون سورة يونس[٢]؟ ولِمَ قال: ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ﴾ في الأولى، و﴿نَطْبَعُ﴾ في الثانية؟ ولِمَ جعل الطبع على قلوب الكافرين في الأعراف، وعلى قلوب المعتدين في يونس؟

والجواب عن ذلك: أن سقوط «به» من قوله: ﴿كَذَّبُواْ﴾ هو للبناء على ما جُعِل صدرًا لهذه الآيات التي نزلت في الترغيب والترهيب، وهو: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[٣] [الأعراف: ٩٦]، فقوله[٤]: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ﴾ لم يُذكَر له مفعول، وانساقت الآيات بعد التحذير المتوالي بقوله[٥]: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾[٦] [الأعراف: ٩٧]، ثم خُتِمت بقوله: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ﴾ [الأعراف: ١٠١]، فالمكذِّبون هنا[٧] هم المكذِّبون في قوله: ﴿وَلَٰكِن

(١) في النسخ المعتمدة: «واختصاص ما في سورة الأعراف بسقوط «به» من قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾، ثم قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، وأثبت «به» في سورة يونس وهو: ﴿بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾». وفي ذكر الأسئلة اعتمدنا على (ح، خ، ر، س).

(٢) ذلك في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ﴾ من سورة الأعراف، حيث سقط الضمير المجرور «به»، وأُثبت في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ﴾ من سورة يونس.

(٣) في (أ) إلى قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾، والتتمة من (ب، ك).

(٤) سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).

(٥) من هنا إلى قوله: «خُتِمت» سقط من (أ)، وأُثبت من (ب، ك).

(٦) في (ع) إلى قوله: «﴿بَيَٰتًا﴾».

(٧) أي: في الآية [١٠١] من سورة الأعراف.

إسلام ويب islamweb.net

﴿كَذَّبُواْ﴾[١]، فدلَّ على ذلك بأن أُجرِي مُجراه في حذف ما يتعدّى إليه «كذَّب»[٢]، وما يتعدّى إليه «كذَّب» إذا كان غير مميِّز يتعدّى إليه بالباء، كقوله[٣]: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ [يونس: ٧٣]، وإذا كان من المميِّزين[٤] فإنه يتعدّى إليه[٥] بغير حرف إضافة، نحو «كذَّبه»، كقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِى﴾ [سبأ: ٤٥]، فالمحذوف في هذا المكان[٦] هو المفعول به، وهو الذي يتعدّى[٧] إليه الفعل بالباء.

وأما قوله تعالى في سورة يونس [٧٤]: ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾، وإثباتُ المفعول به هنا، فلأن قبله قصةَ نوح عليه السلام، وهي: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾[٨] [يونس: ٧١]، ثم بعده: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ﴾، ثم بعده: ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ [يونس: ٧٣]، فجاءت «كذَّب» أمام القصة المبنية على القصة التي قبلها متعدِّيةً[٩] إلى ما وجب لها في موضعها، فرُوعي[١٠] تعدِّيها، فلمّا وقعت الإشارة في قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ إلى[١١]

---

(١) ذلك في الآية [٩٦] من سورة الأعراف.
(٢) «كذَّب» أُثبتت من (خ، ر).
(٣) في (ك): «نحو».
(٤) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ع): «من المميِّز».
(٥) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «من المعدّى إليه».
(٦) أي: في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ﴾ [الأعراف: ١٠١].
(٧) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «يعدّى»، وفي (ع): «تعدّى».
(٨) في (ب، ك) إلى قوله تعالى: ﴿مَّقَامِى﴾.
(٩) في (ك): «متعدية به».
(١٠) في (ب، ط، ع): «ونَوْعَي».
(١١) في (ب، ك): «أي» بدل «إلى».

إسلام ويب islamweb.net

تكذيب من كذَّب من قوم نوح، اختير تعديةُ الفعل المكرَّر[١] على الفعل الأول، ليُعلَم[٢] أن هذا الفعل معنيٌّ به ما تقدَّم، فلما جاء ذاك متعدِّيًا جاء هذا مثلَه، ولمّا[٣] لم يجئ في الآية التي في سورة الأعراف متعدِّيًا لم يجئ فيما بُنِي عليه إلا محذوفَ المفعول به[٤].

وأما الجواب عن قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٠١]، و﴿كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ﴾ [يونس: ٧٤]، فلأن[٥] الآية في سورة الأعراف مبنية على ما تقدَّمها من الآيات[٦]، وهي تنتقل من[٧] الإضمار إلى الإظهار، ومن الإظهار إلى الإضمار، أعني في إخبار الله عز وجل عن نفسه لقوله[٨]: ﴿أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا﴾[٩] [الأعراف: ٩٧]، و﴿أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى﴾ [الأعراف: ٩٨]، وقوله بعده[١٠]: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٩] فأظهر، ولم يقُل: أفأمنوا مكرَنا.

---

(١) في (ب): «المكرور».
(٢) في (ب): «العلم».
(٣) كذا في (أ، ب)، وفي (ك، ع): «وكما».
(٤) خلاصة ما قاله المؤلف: قال الله تعالى في سورة الأعراف [١٠١]: ﴿بِمَا كَذَّبُواْ﴾ فلم يذكر متعلَّق التكذيب، وفي سورة يونس [٧٤] ذكره فقال: ﴿بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ﴾، والفرق أنه لمّا حذفه في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ﴾ [الأعراف: ٩٦] استمرَّ حذفه بعد ذلك، وأما في سورة يونس فقد أبرزه في قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ﴾ [يونس: ٧٣]، وفي قوله: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [يونس: ٧٣]، فناسب ذكره في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ﴾ [يونس: ٧٤] موافقةً. يُنظَر: البرهان للكرماني (ص١٩٥)، والدر المصون (٥: ٣٩٨).
(٥) في (أ): «فإن»، والمثبت من (ب، ك).
(٦) في (ع): «الآي».
(٧) وفي (ب): «إلى»، وهو خطأ.
(٨) في (ب، ع): «بقوله».
(٩) في (أ، ب): «﴿أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا﴾»، والمثبت من (ك).
(١٠) «بعده» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

فلمّا وقع هذا الإخبار[١] في هذا المكان، ثم جاء بعده: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٠٠] فأُجرِي الفعلُ على إضمار فاعله، ثم عاد إلى ذكر الطبع[٢]؛ كان إجراؤه على إظهار الفاعل[٣] أشبهَ بما بُنِيت عليه الآياتُ المتقدِّمة من الانتقال من الإضمار إلى الإظهار المختار استعمالُه في المكان.

وأما[٤] الآية التي في سورة يونس وهي: ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [يونس: ٧٤]، فلأن ما قبلها جارٍ على حدٍّ واحدٍ وسَنَنٍ لاحبٍ[٥] وهو إضمار الفاعل من حيث أخبر في قصة نوح قبله، وهي من مبتدأ العَشر: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ [يونس: ٧١] إلى أن قال: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ * ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾[٦]، فقال بعده: ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[٧] [يونس: ٧٣، ٧٤]، ولم يتقدَّمه ما يخالف هذا المنهج[٨]، ولم يُبْنَ على الطريقين، فأتبع الأولَ وحمَل[٩] عليه في إضمار الفاعل فيه.

---

(١) لفظ «الإخبار» غير واضح في (ك). وعلى هامش (ع): «حاشية: قوله: «هذا الإخبار» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾».

(٢) بعدها في (ع): «في الآية الأخرى».

(٣) في (ك): «على إظهاره للفاعل».

(٤) في (أ، ع): «فأما»، والمثبت من (ب، ك).

(٥) أي: على نهج واضح. ففي المعجم الوسيط (ص٤٥٦): «السَّنَن من الطريق: نهجه وجهته». واللاحب كما في القاموس المحيط (ص١٧١ لحب): «الطريق الواضح».

(٦) أثبتنا الآية من (ب، ك).

(٧) في (ع): «﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ﴾».

(٨) في (ك، ع): «النهج».

(٩) في (ك): «وعمل».

إسلام ويب islamweb.net

والمسألة الثالثة في هذه الآية قوله[١] في سورة[٢] الأعراف [١٠١]: ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، وفي سورة[٣] يونس [٧٤]: ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾، فالجواب[٤] عنها: أن الآيات التي تقدَّمت[٥] في سورة الأعراف تضمَّنت وصف الكفار؛ لأنه لا يُحذَّر عقابَ الله[٦] ومجيئَه بياتًا[٧] أو ضحًى[٨] إلا الكفارُ[٩]، ثم إطلاقُ الخاسرين لا يكون إلا في الكافرين، فلما وقع التصريح بصفات الكفر صَرَّح به عند ذكر الطبع، ولمّا كانت الآية في سورة يونس قد تقدَّمها في وصف الكفار ما كان كالكناية عنهم فقال[١٠]: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [يونس: ٧٣]، وما كلُّ مُنذَر كافرٌ، كنّى عن الكفار بعده عند ذكر الطبع بـ«المعتدين»، وما كلُّ معتدٍ كافرٌ، فمخالفةُ كل واحدة من الآيتين للأخرى إنما هي لموافقة ما قبل كل واحدة منهما من طرح الكلام وقصد الالتئام.

[٧٧] الآية السادسة عشرة منها[١١]:

قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۞ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۞ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۞ يُرِيدُ

---

(١) في (ع): «عن قوله».
(٢) في (ب، ك، ع): «في الأعراف».
(٣) ليست في (ع).
(٤) في (ب، ك، ع): «والجواب».
(٥) في (ع): «قد تقدَّمت».
(٦) في (ب، ك، ع): «عذاب الله».
(٧) أي: ليلًا، قال الراغب في المفردات (ص١٥٢): «البيات والتبييت: قصد العدوِّ ليلًا».
(٨) أي: نهارًا، قال الراغب (ص٥٠٢): «الضحى: انبساط الشمس وامتداد النهار، وسُمِّي الوقت به».
(٩) في (ب): «الكافر»، وفي (ع): «الكافرون».
(١٠) في (ب، ع): «وقال».
(١١) «منها» ليست في (ع)، وفي (ب): «من سورة الأعراف».

إسلام ويب islamweb.net

أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۞ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۞ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ۞ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۞ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۞ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾[1] [الأعراف: ١٠٦-١١٥].

وقال في سورة الشعراء مكان قوله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾[2] [الأعراف: ١٠٩]: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۞ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۞ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۞ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ۞ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ﴾[3] [الشعراء: ٣٤-٣٨].

للسائل أن يسأل في هذه القصة عن مسائل؛ **أولها**: قوله[4] في سورة الأعراف [١٠٩، ١١٠]: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۞ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾[5]، ثم قال[6] في سورة الشعراء [٣٤]: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾، فأخبر في الأولى أنّ قائلَ ذلك الملأُ من قومه، وفي الثانية أن فرعونَ هو القائلُ ذلك لملئه، وهذا اختلاف ظاهر[7] في الخبرين.

(١) أُثبتت الآيات من (ب، ك).
(٢) في (ع) إلى قوله: «﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾».
(٣) أُثبتت الآيات من (ب، ك).
(٤) «قوله» ليست في (ب).
(٥) «﴿مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾» ليست في (ع).
(٦) في (ع): «وقال».
(٧) تكرّر لفظ «ظاهر» في (أ).

إسلام ويب islamweb.net

والجواب أن يقال: إن قولَ الملأ[١] فيما حكاه الله تعالى في سورة الأعراف قولُ فرعون، أدّاه عنه رؤساءُ قومه[٢] إلى عامة أصحابه، والدليل على أن ذلك قولُه وأنهم فيه مؤدُّو[٣] رسالةٍ عنه قولُ العامة في جوابه: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف: ١١١]، فكان هذا خطابًا لفرعون ولم يكن للملأ؛ إذ لو كان لهم لكان[٤]: أرجوه[٥] وأخاه، وإذا كان كذلك لم يخالف ما قاله في الشعراء من أنه: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ﴾ [الشعراء: ٣٤]، بل يكون هو البادئَ بذلك لمن حوله ليؤدُّوا إلى مَن بعُد عنه قولَه[٦].

فإن قال قائل[٧]: فكيف اختصَّت سورةُ الأعراف بحكاية ما قال الملأ، وسورةُ الشعراء بما قاله فرعون؟

---

(١) هم سادة قوم فرعون ورؤساؤهم. وفي اللسان (١: ١٥٩ ملأ): «الملأ: الرؤساء، وقيل: أشراف القوم ووجوههم ورؤساؤهم ومقدَّموهم».

(٢) في النسخ المعتمدة: «ورؤساء قومه أدَّوا عنه ما كان من قوله»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).

(٣) في (أ، ع): «مؤدُّون»، والمثبت من (ب، ك).

(٤) في (ب، ك، ع): «لقيل»، والمثبت من (أ).

(٥) أي: أخّروه، وذلك إذ كان الخطاب للملأ، وهو من الإرجاء، وقال الطبري في تفسيره (٩: ١٦): «والإرجاء في كلام العرب: التأخير، يقال منه: أرجيت هذا الأمر وأرجأته، إذا أخّرته».

(٦) قد استشكل الزمخشري في تفسيره (٢: ١٠٢) إسناد القول إلى الملأ في سورة الأعراف وإسناده إلى فرعون في سورة الشعراء، فأجاب عن ذلك بثلاثة أوجه؛ **أحدها**: أن يكون هذا الكلام صادرًا من فرعون ومن ملئه، فحكى هنا عنهم وفي الشعراء عنه. **والثاني**: أنه قاله ابتداءً فتلقَّته منه الملأ ـ وهم خاصّته ـ فقالوه لأعقابهم. **والثالث**: أنهم قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك، يرى الواحد منهم الرأي فيكلِّم به من يليه من الخاصة، ثم تبلّغه الخاصةُ العامةَ. وانظر أيضًا: الدر المصون (٥: ٤٠٧).

(٧) «قائل» ليست في (ك، ط، ع).

إسلام ويب islamweb.net

قيل: إنّ أوّل مَن ردَّ قولَ موسى عليه السلام فرعونُ، ثم مالأه[١] عليه ملؤُه، وهو ما حكاه الله تعالى في سورة الشعراء واقتصَّ[٢] حالَه حيث أخبر عنه بما قاله: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٨]، إلى أن انتهت الآيات إلى القصة[٣] المُودَعة ذِكرَ السحرة، فقال فرعون للملأ حوله ما أدَّوه عنه إلى غيرهم، وسورةُ الشعراء مكية كسورة الأعراف، وترتيب الاقتصاص يقتضي أن تكون[٤] قبلها، وفي السورة الثانية[٥] أخبر عما أدّاه عنه[٦] ملؤُه إلى الناس الذين[٧] أجابوه بأنْ ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾، فكان قولُ فرعون للملأ حوله سابقًا قولَ الملأ الذين أدَّوا إلى غيرهم[٨] قولَه، فذُكِر حيث قصَد اقتصاصَ[٩] أوَّلِ مَن[١٠] دعاه موسى عليه السلام إلى طاعة الله تعالى[١١].

---

(١) عاونه عليه ملؤه. قال الراغب في المفردات (ص٧٧٦): «مالأته: عاونته»، وفي اللسان (١: ١٥٩ ملأ): «وقد مالأته على الأمر ممالأةً: ساعدته عليه وشايعته».

(٢) في (ب) «فاقتصر»، وفي (ط): «فاقتضى»، وكلاهما خطأ، وفي (ع): «واختصّ».

(٣) هي التي تبدأ بقوله تعالى: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ٣٨].

(٤) في (ب): «أن يكون».

(٥) أي: في سورة الأعراف.

(٦) «عنه» ليست في (ع)، وفي (ب): «أدّوه عنه».

(٧) في (أ): «الذي».

(٨) في (ب، ك): «عير».

(٩) في النسخ المعتمدة: «اختصاص»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).

(١٠) في النسخ المعتمدة: «ما»، والمثبت من النسخ السابقة.

(١١) قال ابن الزبير في ملاك التأويل (١: ٥٦١): «لمّا تقدَّم في سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ [الأعراف: ١٠٣] فوقع ذكر الملأ مبعوثًا إليهم مع فرعون؛ ناسب ذلك أن يُذكَروا في الجواب...، ولمّا تقدَّم في سورة الشعراء [١٦]: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ﴾ ثم جرى ما بعد من المحاورة ومراجعة الكلام بين موسى عليه السلام وفرعون، ولم يقع الملأ هنا؛ ناسب ذلك قوله: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ﴾ [الشعراء: ٣٤]؛ لأن فرعون هو الذي راجع وخُوطب، فجاء كلٌّ على ما يناسب» بتصرف يسير. =

إسلام ويب islamweb.net

[٧٨] الآية السابعة عشرة منها[١]:

قوله تعالى فيها[٢]: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف: ١١٠].

وقوله[٣] في سورة الشعراء [٣٥]: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[٤]: ذكر في الآية[٥] الأولى أنه قال[٦]: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ فحسب، وذكر في الثانية أنه قال[٧]: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾، والقول واحد، فلماذا اختلف؟

والجواب أن يقال: لمّا أسنَد الفعلَ في سورة الشعراء[٨] إلى فرعون، وحكى ما قاله وأنه قال للملأ حوله[٩] من قومه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الشعراء: ٣٤]، وكان أشدَّهم تمرُّدًا وأوّلَهم تجبُّرًا، وأبلغَهم فيما يردُّ به الحق؛

= ويقول الأستاذ المشرف على هذه الرسالة الدكتور عبد الستار حفظه الله: وأقرب من هذا أن يقال: حين جاء موسى وأظهر المعجزة حدث هرج ومرج، فقال فرعون ذلك القول، وقال الملأ ذلك القول تقليدًا له، أو ابتداءً من عند أنفسهم، فقصَّ القرآن كلامَ كلٍّ منهم، والله أعلم.

(١) «منها» ليست في (ع)، وفي (ب، ك): «من سورة الأعراف».

(٢) أي: في قصة موسى التي تقدَّم ذكرها آنفًا في الآية السابقة. ولفظ «فيها» ليس في (ب، ك، ع).

(٣) في (ب، ك): «وقال».

(٤) في (أ): «للسائل أن يقول».

(٥) «الآية» ليست في (ب).

(٦) «أنه قال» ليست في (ك).

(٧) في (ك) بدل ذلك: «وفي الثانية».

(٨) في النسخ المعتمدة: «في الأولى»، وفي (ع): «في الأول»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).

(٩) «حوله» أُثبِتت من (ك، و).

إسلام ويب islamweb.net

كان في قوله: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾ ذِكرُ السبب الذي يصل به[١] إلى الإخراج، وهو ﴿بِسِحْرِهِۦ﴾، فأشبع المقالَ[٢] بعد قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ بأن ذكر أنه ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾[٣].

وأما الموضع الذي لم يذكر فيه «بسحره» فهو ما حكى من قول الملأ في سورة الأعراف[٤]، حيث قال: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٩، ١١٠]، والملأ لم يبلُغوا مَبلغَ فرعون في إبطال ما أورده موسى عليه السلام، ولم يَجْفُوا[٥] في الخطاب جفاءَه، فتناولت الحكايةُ ما قاله فرعون على جهته بتكرير لفظ «السحر» من فعله[٦] بعدما أخرجه بصفته[٧] حيث قال: ﴿إِنّ هذا لَساحر عليم﴾[٨].

فإن قال قائل: فقد ذكر الله عز وجل في سورة طه [٦٣] عن الملأ أنهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾[٩].

---

(١) في (ب، ع): «به يصل».
(٢) في (ك): «المقالة».
(٣) في (أ): «يريد إخراجهم بسحره»، وفي (ب، ك): «يريد أن يخرجكم بسحره»، وفي (ع): «يريد إخراجكم بسحره»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).
(٤) في (ح، خ، ر، س): «وأما في سورة الأعراف فأسند الفعل إلى الملأ».
(٥) أي: لم يغلظوا. قال صاحب المصباح المنير (١: ١٠٤): «جفا الثوبُ يجفو إذا غلُظ، فهو جافٍ، ومنه جفاء البدو: وهو غِلَظهم وفظاظتهم».
(٦) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ع): «من لفظه».
(٧) في (ك، ر، ع): «في صفته».
(٨) من قوله: «من فعله» إلى هنا سقطت من (ب).
(٩) في (ك) إلى قوله تعالى: ﴿وَيَذْهَبَا﴾.

إسلام ويب islamweb.net

قيل له: قوله تعالى: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ۞ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٢، ٦٣] خبرٌ عن فرعون وملئه، فلما كان[١] من[٢] جملتهم غلَب أمرُه على أمرهم، ألا ترى أن ابتداء ذلك: ﴿وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾ [طه: ٥٦] وهذا خبر عن فرعون، ثم بعده: ﴿قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ۞ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ۞ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾[٣] [طه: ٥٧-٥٩] وهو خطاب لفرعون ومَن تبعه، ويجوز أن يكون له وحده على ما يُخاطَب به الملوكُ من لفظ الجمع كما يُخبِرون بمثله عن أنفسهم، فذكر قوله: ﴿بِسِحۡرِهِۦ﴾ فيما حكاه من كلام فرعون[٤]، فلذلك خلا منه الموضع الذي كان الخبرُ فيه[٥] عن الملأ من قومه[٦]. فاعلمه إن شاء الله تعالى[٧].

[٧٩] الآية الثامنة عشرة منها[٨]:

قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١١].

وقال في سورة الشعراء [٣٦]: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾.

---

(١) أي: فرعون.
(٢) في (ب، ك، ع): «في».
(٣) أُثبتت الآيات من (ب، ك).
(٤) في (ك): «عن فرعون» بدل «من كلام فرعون».
(٥) «فيه» ليست في (أ، ب).
(٦) في (ب): «من قوله»، وهو خطأ.
(٧) «إن شاء الله تعالى» ليست في (ك).
(٨) «منها» ليست في (ع)، وفي (ك): «من سورة الأعراف».

إسلام ويب islamweb.net

للسائل أن يسأل فيقول[١]: لأيِّ معنًى اختلف اللفظان في الآيتين، فكان في الأولى ﴿أَرۡسِلۡ﴾، وفي الثانية ﴿ٱبۡعَثۡ﴾؟ وهل يجوز[٢] أحدُهما مكانَ الآخر؟

والجواب أن يقال[٣]: اللفظتان نظيرتان، تُستعمَل إحداهما مكانَ الأخرى، وقد جاء[٤]: «بعث الرسولَ»[٥]، و«أرسله»[٦] معًا، إلا أن «أرسَل» يختصُّ بما لا يختصُّ به «بعَث»؛ لأن البعث لا يتضمَّن ترتيبًا، والإرسالُ أصله: تنفيذ من فوق إلى أسفل[٧].

و﴿أَرۡسِلۡ﴾ في سورة الأعراف حكايةُ قول العامة للملأ المؤدِّين كلامَ فرعون إليهم، فلما تعالى[٨] عليهم ولم يخاطبهم بنفسه كان قولُهم في

(١) في (أ): «للسائل أن يقول».
(٢) في (ع): «جاز».
(٣) «أن يقال» ليست في (أ).
(٤) في (أ، ع): «يقال»، والمثبت من (ب، ك).
(٥) كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [الجمعة: ٢].
(٦) كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣].
(٧) قال ابن الزبير في ملاك التأويل (١: ٥٦٥): «إن «أرسل» أخصُّ في باب الإرسال من البعث؛ إذ لا يقال: «أرسل» إلا فيما كان توجيهًا فيه معنى الانتقال حقيقة أو مجازًا، أمّا «بعث» فإنه يقع بمعنى الإرسال وبمعنى الإحياء... فلما كان الإرسال أخصَّ وقع الإخبار به أولًا ثم وقع ثانيًا بالبعث تنويعًا للعبارة، وعلى الترتيب في موضع اللفظ المطَّرد في القرآن». وقال الكرماني في البرهان (ص١٩٧): «لأن الإرسال يفيد معنى البعث ويتضمَّن نوعًا من العلوّ؛ لأنه يكون من فوق، فخصَّ هذه السورة لما التبس ليعلم أن المخاطب به فرعون دون غيره».
(٨) أي: ترفَّع. وفي (ع): «تعلَّى».

إسلام ويب islamweb.net

جواب ما استأمرهم فيه واستشارهم في فعله على الترتيب الذي رُتِّب لهم في الخطاب، فكانت الحكاية باللفظ[١] الذي يُفخَّم به المخاطَب، كما فُخِّم[٢] في تحميله ملأه أن يؤدُّوا كلامه إلى مَن دونهم.

ولمّا تناولت الحكايةُ في سورة الشعراء ما تولّاه فرعون بنفسه من مخاطبة قومه بإسقاط الحِجاب بينهم وبينه، وتسويةِ قدرهم بقدره، لقوله: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ﴾ [الشعراء: ٣٤]؛ كان هذا الموضعُ مخالفًا للموضع الأول في مقتضى الحال من التفخيم، فخُصَّ باللفظ الذي ليس فيه ما في الأول من التعظيم، وهو قوله: ﴿ٱبۡعَثۡ﴾.

[٨٠] الآية التاسعة عشرة منها[٣]:

قوله تعالى بعدما قال: ﴿يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٢]: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾ [الأعراف: ١١٣].

وقال في سورة الشعراء بعد: ﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾[٤] [الشعراء: ٣٧]: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ۞ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ۞ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ۞ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾[٥] [الشعراء: ٣٨-٤١].

---

(١) في (أ، ع): «اللفظ»، والمثبت من (ب، ك).

(٢) في (ب): «فخر».

(٣) «منها» ليست في (ع)، وفي (ب، ك): «من سورة الأعراف».

(٤) الآية كاملة: ﴿يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾. وفي (أ، ب، ع): «﴿سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾»، والمثبت من (ك).

(٥) تتمة الآية: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾.

إسلام ويب islamweb.net

للسائل أن يسأل فيقول[١]: المحكيُّ في الشعراء[٢] أكثرُ من المحكيِّ في سورة الأعراف بعد قوله: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحِرٍ عَلِيمٍ﴾ إلى أن انتهى قوله[٣] تعالى إلى ما هو خبر عن السحرة من قولهم لفرعون: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ [الشعراء: ٤١].

والجواب ما دلَّلنا عليه من[٤] أن ما في سورة الشعراء أشدُّ اقتصاصًا للأحوال التي كانت بين[٥] موسى وبين[٦] عدوِّه فرعون؛ لاشتماله على ذكر ابتداء مبعثه إليه حيث قال: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٠، ١١].

فجاء في هذه الآيات التي في ذكر السحرة من بيان ما جرى ما لم يجئ في التي[٧] في سورة الأعراف، فمنه قول الله تعالى[٨]: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ٣٨]، كما قال في سورة طه [٥٧-٥٩]: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ۞ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ۞ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾[٩]، فهذا هو[١٠] قوله: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ٣٨].

---

(١) في (أ): «للسائل أن يقول».
(٢) في (ع): «سورة الشعراء».
(٣) في (أ): «إلى قوله».
(٤) في (ك): «في».
(٥) في (أ): «من» بدل «بين»، والمثبت من (ب، ك).
(٦) في (أ): «من» بدل «بين»، والمثبت من (ب، ك).
(٧) أي: في الآيات التي. ولفظ «التي» ليس في (أ، ب، ع) وأُثبت من (ك).
(٨) في (ع): «قوله».
(٩) في (أ): «﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ الآيات»، والمثبت من (ب، ك).
(١٠) ليست في (ع).

إسلام ويب islamweb.net

وفي سورة الأعراف لمّا لم تبدأ[١] القصة فيها بذكر مبعثه عليه السلام، وابتداءِ أمره؛ لم تكن مبنيّةً على ما بُنِيَتا[٢] عليه من[٣] اقتصاص معظم حاله، وأولِ ما كان من مبعثه[٤] حيث يقول: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۞ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۞ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾[٥] [طه: ٢٤-٢٦].

فلمّا كان القصدُ في سورة الأعراف ذِكرَ الجمل من بعض ما كان، لا[٦] ذِكرَ تفصيله؛ كان الاقتصارُ بعد ذكر إرسال الحاشرين إلى السحرة ومجيئِهم يغني عن ذكر[٧] تواعُدهم ليوم يُظهِرون فيه حِيَلَهم وتمويهاتهم[٨]؛ إذ معلوم أنّ مثل ذلك الخَطْب[٩] الجسيم[١٠]، وحشرَ العددِ الكثير، ينتهي إلى يومٍ يُتواعَد إليه مشهودٍ[١١]، وعلى[١٢] هذا ينبني[١٣] الكلام في أكثرِ مُتشابِه هذه القصة[١٤].

(١) في (أ): «لم تبدو»، وهو خطأ، والمثبت من (ب، ك، ر).
(٢) في النسخ المعتمدة: «بنينا»، والمطبوعة: «بيتا»، والمثبت من (خ) وهو الصحيح.
(٣) في (ك): «في».
(٤) في (ك): «بعثته».
(٥) في (أ) إلى آخر الآية الأولى، وفي (ك، ع) إلى آخر الثانية، والمثبت من (ب).
(٦) «لا» أُثبِتت من (و).
(٧) «ذكر» ليست في (أ، ب، ع). وأُثبِتت من (ك، خ، ر).
(٨) في (ك): «وتمويههم».
(٩) أي: الأمر الشديد. وفي اللسان (١: ٣٦٠ خطب): «الخطب: الشأن والأمر».
(١٠) في (ب، ك): «العظيم».
(١١) يوم مشهود: يجتمع فيه الناس لأمر ذي شأن. المعجم الوسيط (ص٤٩٧).
(١٢) في (ع): «على» من دون الواو.
(١٣) في أكثر النسخ: «يُبنَى».
(١٤) ذُكِرت قصة موسى عليه السلام في بعض السور بإطناب كما في سورة الشعراء، =

إسلام ويب islamweb.net

[٨١] الآية العشرون منها[١]:

قولـه تعالـى في الآية التي قبل: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾[٢] [الأعراف: ١١٣].

وقال في سورة الشعراء [٤١]: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾[٣].

للسائل أن يسأل فيقول[٤]: كيف اختلفت[٥] الآيتان؟ وكيف جاز: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ﴾[٦] وحـقُّ الـكلام أن يكـون في ﴿قَالُوٓاْ﴾ واو أو فاء، نحو: جاء السحرة فرعون فقالوا: أإنّ لنا لأجرًا، أو: وقالوا؟

والجـواب أن يقـال: لمّا تقدَّم في سـورة الشـعراء ما شـرحُه أكثرُ، وما في سورة الأعراف أوجزُ وأخصر؛ كان قوله في الأعراف: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾

= حيـث جـاء ما بعد قوله تعالـى: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ٣٨] على وجه الإطناب ليناسـب ما تقدَّمه من محاورة موسـى عليه السلام ومكالمته فرعون من أول قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ [الشعراء: ١٠]، بخلاف سورة الأعراف حيث بُني الكلام فيها علـى الإيجـاز فـي البيان، والإكثار ـ فـي مقابل ذلك ـ من ذكر العديد مـن المواقف التي لم تُذكَر في سورة الشعراء، مثل السنين، والآيات التي أُرسِلت على فرعون وقومه، وطلب آلهة يعبدونها، وعبادة العجل، واختيار سبعين رجلًا.

(١) «منها» ليست في (ع)، وفي (ب، ك): «من سورة الأعراف».

(٢) في (أ، ك) إلى قوله تعالى: ﴿لَأَجْرًا﴾، والمثبت من (ب).

(٣) في (أ، ب، ع) إلى قوله تعالى: ﴿لَأَجْرًا﴾، والمثبت من (ك).

(٤) في (أ): «للسائل أن يقول».

(٥) في (ب، ك): «اختلف».

(٦) في (أ): «﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾»، والمثبت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

بمعنى ما كان بإزائه في سورة الشعراء[١]: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾، فلم يحتَج في جواب «لمّا» إلى «فاء» ولا إلى[٢] «واو»، وكذلك هنا[٣] في سورة الأعراف، لمّا قُصِد هذا المعنى دلَّ بحذف العاطف على هذا القصد، فكأنه قال: فلمّا جاء السحرةُ فرعونَ قالوا: أإنّ لنا لأجرًا[٤].

[٨٢] الآية الحادية والعشرون منها[٥]:

قوله تعالى[٦]: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ * قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾[٧] [الأعراف: ١١٣، ١١٤].

وقال في سورة الشعراء [٤٢]: ﴿قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾[٨].

للسائل أن يسأل عن زيادة ﴿إِذٗا﴾ في سورة الشعراء، وخلوِّ سورة الأعراف منها.

---

(١) في (ع): «في سورة الشعراء من قوله».

(٢) في (أ، ب، ك): «وإلى واو»، والمثبت من (ح، خ، ر، م).

(٣) في (أ): «ما»، وفي (ك): «هاهنا»، والمثبت من (ب، ح).

(٤) قال الزمخشري في تفسيره (٢: ١٠٢): «**فإن قلت**: هلّا قيل: وجاء السحرة فرعون فقالوا، **قلت**: هو على تقدير سائل سأل: ما قالوا إذ جاؤوه؟ فأجيب بقوله: ﴿قَالُوٓاْ أَإِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾». قال السمين في الدر المصون (٥: ٤١٣) بعد أن ذكر كلام الزمخشري: «وهذا قد سبقه إليه الواحدي إلا أنه قال: «ولم يقل: فقالوا؛ لأن المعنى: لمّا جاؤوا قالوا، فلم يصح دخول الفاء على هذا الوجه». والوجه الثاني: أنها في محل نصب على الحال من فاعل «جاؤوا»؛ قاله الحوفي».

(٥) «منها» ليست في (ع)، وفي (ك): «في سورة الأعراف».

(٦) في (ب): «قوله تعالى في سورة الأعراف».

(٧) «﴿قَالُوٓاْ﴾» ليست في (ع)، وفيها: «﴿أَإِنَّ﴾».

(٨) من قوله: «وقال» إلى هنا سقط من (أ). و«﴿قَالَ نَعَمۡ﴾» ليست في (ع).

إسلام ويب islamweb.net

والجواب أن معنى[١] قوله: ﴿إِذَا﴾ جوابٌ وجزاء[٢]، وكان من قول فرعون لهم: إن غلبتم فجزائي أن أجازيكم بإعلاء رُتبتكم، وتقريب منزلتكم، فلأجل ذلك أفعل هذا بكم، فاختصَّت[٣] سورة الشعراء بها[٤] دون غيرها؛ لأنها موضعٌ بُنِي على فصل[٥] اقتصاصٍ لِما جرى، لم يُبْنَ[٦] غيرُها عليه من نحو ما تقدَّم وما يجيء بعدُ[٧].

[٨٣] الآية الثانية والعشرون منها[٨]:

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ [الأعراف: ١١٥].

وقال في سورة طه [٦٥]: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾.

---

(١) «معنى» سقطت من (أ).

(٢) هو قول سيبويه. يُنظَر: الكتاب لسيبويه (٤: ٢٣٤)، ومغني اللبيب لابن هشام (ص٣٠).

(٣) في (أ): «فاقتضت»، والمثبت من (ب، ك).

(٤) أي: بـ«إذًا». في النسخ المعتمدة: «بهذا»، والمثبت من (ح، خ، م).

(٥) أي: تفصيل. وفي (أ، ب): «فضل»، والمثبت من (ك).

(٦) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «لم يبين».

(٧) لقد أوضح ابن الزبير في ملاك التأويل (١: ٥٦٧) كلام المصنف فقال: «إن «إذًا» تقع جوابًا وجزاء، والمعنى في السورتين ـ أي: الأعراف والشعراء ـ مقصود به الجزاء، فوقع الاكتفاء في الأعراف بقوله تعالى: ﴿نَعَمْ﴾. والمعنى: نعم لكم ما أردتم من الأجر وزيادة التقريب والحظوة، ولا شك أن المعنى: إن غلبتم فلكم ذلك... ثم ورد في سورة الشعراء مُفصَّحًا بالأداة المحرزة له، وهي ﴿إِذًا﴾ لِيناسب بزيادتها ما مضت عليه ـ أي: هذه السورة ـ من الاستيفاء والإطناب كما تقدَّم، وناسب سقوطها في الأعراف مقصود الإيجاز في هذه القصة».

(٨) «منها» ليست في (ع)، وفي (ك): «من سورة الأعراف».

إسلام ويب islamweb.net

للسائل أن يسأل عن اختلاف المحكيِّ في الموضعين مع أن ذلك في شيء واحد.

والجواب أن يقال[١]: إن المقصود معنًى واحد، فاختير[٢] في سورة الأعراف: ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾؛ لأن الفواصل قبله على هذا الوزان[٣]، واختير في سورة طه: ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ لذلك[٤].

ومثله قوله تعالى: ﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ في سورة الأعراف [١٢٠]، وسورة الشعراء [٤٦][٥]؛ لتكون الفاصلة فيهما مساويةً[٦] للفواصل قبلها، وبإزاء ﴿سَٰجِدِينَ﴾ قوله: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ في سورة طه [٧٠] لذلك[٧].

ومثله قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾[٨] في السورتين[٩] للفواصل التي حُمِلت[١٠] هذه عليها، وقال في سورة طه [٧٠]: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ فقدَّم «هارون» ليكون «موسى» فاصلةً مثل الفواصل المتقدِّمة.

---

(١) «أن يقال» أُثبتت من (ر).
(٢) في (ب، ك): «واختير».
(٣) في (ك): «الوزن».
(٤) «لذلك» أُثبتت من (خ، ر).
(٥) في (ع): «﴿فَأُلْقِيَ﴾»، والصواب أن موضع الأعراف: ﴿وَأُلْقِيَ﴾، وموضع الشعراء: ﴿فَأُلْقِيَ﴾.
(٦) في (و): «متساوية»، وفي (خ): «لتساوي الفواصل».
(٧) في (أ، ب، ك، ع): «كذلك»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).
(٨) «﴿قَالُوٓاْ﴾» ليست في (ع).
(٩) «في السورتين» ليست في (ع). هما سورة الأعراف [١٢١، ١٢٢] وسورة الشعراء [٤٧، ٤٨].
(١٠) في (أ، ب، ع): «جعلت»، والمثبت من (ك، و).

إسلام ويب islamweb.net

فهـــذا ونحوه ممّا يُراعى في الفواصل، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا﴾[١] و: ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا﴾[٢] فزيـــدت الألف، لا للبدل من التنوين، إذ لا تنوين مع الألـــف واللام، وإنما ذلك للتوفقة بينهما وبين الفواصل التي قبلهما وبعدهما، نحو ﴿تَقْتِيلَا﴾[٣] و﴿تَبْدِيلَا﴾[٤] و﴿قَرِيبًا﴾[٥] و﴿سَعِيرًا﴾[٦] و﴿نَصِيرًا﴾[٧]، وبعدهما[٨]: ﴿كَبِيرًا﴾[٩] و﴿وَجِيهًا﴾[١٠] و﴿سَدِيدًا﴾[١١] و﴿عَظِيمًا﴾[١٢].

[٨٤] الآية الثالثة والعشرون منها[١٣]:

قولـــــه تعالـــــى: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢١، ١٢٢].

وقال في سورة الشعراء [٤٧، ٤٨] مثله.

---

(١) من الآية [٦٦] في سورة الأحزاب.

(٢) من الآية [٦٧] في سورة الأحزاب. وفي جميع النسخ: «وأضلونا»، وهو خطأ.

(٣) من الآية [٦١] في سورة الأحزاب.

(٤) من الآية [٦٢] في سورة الأحزاب.

(٥) من الآية [٦٣] في سورة الأحزاب.

(٦) من الآية [٦٤] في سورة الأحزاب.

(٧) من الآية [٦٥] في سورة الأحزاب.

(٨) أي: بعد الآيتين [٦٦، ٦٧] اللتين تقدَّم ذكرهما آنفًا.

(٩) من الآية [٦٨] في سورة الأحزاب.

(١٠) من الآية [٦٩] في سورة الأحزاب.

(١١) من الآية [٧٠] في سورة الأحزاب.

(١٢) من الآية [٧١] في سورة الأحزاب.

(١٣) «منها» ليست في (ع)، وفي (ب): «من الأعراف»، وفي (ك): «من سورة الأعراف».

إسلام ويب islamweb.net

وقال في سورة طه [٧٠]: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾[١].

للسائل أن يسأل فيقول[٢]: لِمَ كرَّر[٣] ذِكرَ «ربّ» في السورتين[٤]، ولم يكرِّره في سورة طه، إنما قال: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾[٥]؟

والجواب أن يقال: إذا قيل: «رَب العالَمِين» فقد دخل فيهم موسى وهارون، وهما دَعَوا إلى رب العالمين لما قالا: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[٦] [الشعراء: ١٦]، إلا أنه كرَّر في السورتين[٧]: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾[٨] ليدلَّ[٩] بتخصيصهما[١٠] بعد العموم على تصديقهم[١١] بما جاءا به عليهما السلام عن الله تبارك وتعالى، فكأنهم قالوا[١٢]: آمنا بربّ العالمين، وهو الذي يدعو إليه موسى وهارون.

وأما في سورة طه فلم يذكر «رب العالمين»؛ لأنه كان[١٣] الكلامُ يَتِمُّ به[١٤]

(١) من قوله: «وقال في سورة الشعراء» إلى هنا سقط من (ب، ك)، وأُثبِت من (أ).
(٢) «للسائل أن يسأل فيقول» ليست في (أ، ب) وأُثبِتت من (ك).
(٣) في (أ): «ولِمَ تكرَّر»، وفي (ب): «لِمَ يكرِّر»، والمثبت من (ك، و).
(٤) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «الآيتين». (٥) في (ع): «رب هارون وموسى».
(٦) في (ب، ط): «رسولا»، وهو خطأ.
(٧) في (ب): «لأنه كرر في سورتين». وسقط من (أ، ع)، والمثبت من (ك، ر).
(٨) في (ع): «فقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون».
(٩) في (ب): «لتدل».
(١٠) كذا في أكثر النسخ، وفي (ع): «تخصيصُهما»، وفي (أ): «على تخصيصهم»، ولا وجه له.
(١١) في (ط، ع): «على تصديقهما»، ولا وجه له.
(١٢) في (ب، ك، ع): «فكأنه قيل».
(١٣) في (ك): «ما كان». (١٤) أي: بذكر «رب العالمين».

إسلام ويب islamweb.net

آيةً[١] كما تمَّ[٢] في السورتين[٣]، فيكون مقطعُ الآية فاصلةً مخالِفةً للفواصل التي بُنِيت عليها سورة طه[٤]، فقال تعالى: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾[٥]، وربهما هو رب العالمين، وكان القصدُ حكايةَ المعنى لا أداءَ اللفظ على جهته[٦] كما[٧] دلَّلنا عليه قبل[٨].

[٨٥] الآية الرابعة والعشرون منها[٩]:

قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٣].

وقال في سورة طه[١٠] [٧١]: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾[١١].

للسائل[١٢] أن يسأل عن موضعين من هذه الآية:

---

(١) في (ح، ر): «يتم بذاته» بدل «به آية»، وفي (خ) بدل ذلك: «بل إنه».

(٢) «تمّ» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(٣) أي: سورتي الأعراف والشعراء.

(٤) حيث إن سورة طه اكتُفي فيها بقوله تعالى: ﴿بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ من غير إعادة لفظ «رب» مراعاةً للفواصل؛ لأن فواصلها على نمط ﴿مُوسَىٰ﴾ مثل: ﴿أَتَىٰ﴾ [٦٩] و﴿أَبْقَىٰ﴾ [٧١] و﴿ٱلدُّنْيَآ﴾ [٧٢] و﴿أَبْقَىٰ﴾ [٧٣] و﴿يَحْيَىٰ﴾ [٧٤] وهكذا.

(٥) في (ع): «﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾».

(٦) في (ب): «على ما»، وفي (ك): «بما».

(٧) في (ع): «بما».

(٨) انظر من هذا الكتاب (١: ٢١٩)، حيث قال فيها: «إن ما أخبر الله تعالى به من قصة موسى عليه السلام وبني إسرائيل وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم، وما حكاه من قولهم، وقوله عز وجل لهم، لم يقصد إلى حكاية الألفاظ بأعيانها، وإنما قصد إلى اقتصاص معانيها».

(٩) «منها» ليست في (ع)، وفي (ب، ك): «من سورة الأعراف».

(١٠) في (ع): «طه والشعراء».

(١١) في (أ، ع): «﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾»، والمثبت من (ب، ك).

(١٢) في (ك): «وللسائل».

إسلام ويب islamweb.net

أحدهما[١]: إظهارُ[٢] اسم «فرعون» لعنه الله[٣] في سورة الأعراف في هذا اللفظ، وإضمارُه له في مثله من سورتَي[٤] طه والشعراء.

والثاني: قولـه: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾، وقـال في الموضعين الآخريـن: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾، ووجهُ اختلافهما[٥].

والجـواب عـن السـؤال[٦] الأول، وهـو إظهار اسـم فرعون[٧] في سـورة الأعـراف، وإضمـاره فيما سـواها: أن الذكـر العائد إلى فرعون بعُدَ في سـورة الأعـراف؛ لأنـه جـاء في الآية العاشـرة من الآية التـي أُضمِرَ فيهـا ذكرُه، وهي قوله: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الأعراف: ١١٤]، وجاء في الآية العاشرة مـن هـذه السـورة[٨]: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [الأعـراف: ١٢٣]، ولـم يبعُد هذا الذكرُ في الآيتين اللتين في سـورة طه والشـعراء؛ لأن فرعون مذكور في سورة طـه فـي جملة قومه الذين أخبر عنهـم بقولـه: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[٩] [طـه: ٥٧]، وبعـده: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ❊

---

(١) «أحدهما» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(٢) في (ع): «إظهاره».

(٣) «لعنه الله» أُثبِتت من (ب، ك).

(٤) في (أ، ب): «سورة»، والمثبت من (ك).

(٥) صيغـة السـؤال فـي (ح، خ، ر، س): «لِمَ أظهر اسـم فرعون في الأعـراف خاصة، ولِمَ قال: ﴿بِهِۦ﴾ في الأعراف و﴿لَهُۥ﴾ في غيرها؟».

(٦) في (ب، ك، ع): «الموضع»، والمثبت من (ح، خ، ر، س)، وسقط من (أ).

(٧) في (أ، ك، ع): «الاسم»، والمثبت من (ب).

(٨) ليس المراد أنها الآية العاشرة في سورة الأعراف، بل في الآية العاشرة اعتبارًا من الآية التي أضمر فيها ذكر فرعون، وهي قوله تعالى: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الأعراف: ١١٤]. ولفظ «السورة» سقط من (ك، ع).

(٩) في (أ، ك، ط): «قالوا»، وهو خطأ، والمثبت من المصحف الشريف ومن (ب).

إسلام ويب islamweb.net

قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾[١] [طه: ٦٠، ٦١]، وهذا خطابه لفرعون وقومه، وضميرُهم[٢] مُنطوٍ على ضميره، إلى قوله: ﴿فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا﴾ [طه: ٦٤].

والذكر في قوله[٣]: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ [طه: ٧١] إنما هو في السابع[٤] من الآي التي جرى ذكرُه فيها.

وكذلك في سورة الشعراء لم يبعُد الذكرُ بعده في سورة الأعراف، ألا ترى أن آخر ما ذكَر فيما اتصل بهذه الآية[٥] قولُه تعالى: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٤٢]، وذكَره بعد ذلك في الآية الثامنة[٦] من الآية التي جرى ذكره فيها.

فلما بعُدَ الذكرُ في سورة الأعراف خلافَ بُعْدِه في السورتين[٧]، إذ كان[٨] في إحداهما[٩] في السابعة،.....

(١) في (أ): «﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ﴾ الآيتين»، والمثبت من المصحف الشريف و(ب، ك).

(٢) «وضميرهم» سقطت من (ك). (٣) «في قوله» سقطت من (ك).

(٤) في (ك): «السابع» من دون «في».

(٥) وهي قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [الشعراء: ٤٩]. وفي (ع): «آخر ما ذكره اتصل بهذه الآية وهو قولُه».

(٦) هي الآية [٤٩] من سورة الشعراء، حيث إنها الآية الثامنة بعد الآية [٤٢] من هذه السورة.

(٧) في (ح، خ): «في غيرها من السورتين». (٨) أي: ذكر فرعون.

(٩) في (أ): «أحدهما»، وفي (ب): «في أحدهما»، والمثبت من (ك)، والمعنى: في إحدى السورتين، وهي سورة طه هنا حيث جاء فيها ذكر فرعون بعد سبع آيات. وأما سورة الشعراء فجاء فيها ذكر فرعون بعد ثماني آيات.

إسلام ويب islamweb.net

وفي الأخرى[١] في الثامنة، وهي في الأعراف في العاشرة؛ أُعيد ذكرُه الظاهرُ لذلك[٢].

والجواب عن السؤال الثاني ـ وهو قوله: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ في سورة الأعراف، و: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ في السورتين الأخريين ـ هو[٣] أن الهاء في ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ غيرُ الهاء في ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾، وكلُّ واحدة تعود إلى غير ما تعود إليه[٤] الأخرى.

فالتي[٥] في ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ تعود[٦] إلى رب[٧] العالمين؛ لأنه تعالى حكى عنهم أنهم[٨]: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢١] وهو الذي دعا إليه موسى عليه السلام. وأما الهاء في قوله[٩]: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ تعود[١٠] إلى موسى عليه السلام، والدليل على ذلك أنه جاء في السورتين بعدها[١١]: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ [طه: ٧١، الشعراء: ٤٩]، فالهاء في ﴿إِنَّهُۥ﴾ هي التي في ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾، فلا[١٢] خلاف أن هذه لموسى عليه السلام.

---

(١) في (ع): «والأخرى».
(٢) في (ك): «لهذا».
(٣) في (أ): «وهو».
(٤) «غير ما تعود» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٥) في (ك، ع): «فالذي».
(٦) «تعود» ليست في (أ، ب، ك، ع). وأُثبِتت من (ح، خ، ر).
(٧) في (ع): «لرب».
(٨) «أنهم» ليست في (ب، ك، ع).
(٩) «قوله» ليست في (أ، ك، ع)، وأُثبِتت من (ب).
(١٠) «تعود» ليست في النسخ المعتمدة، وأُثبِتت من (ح، خ، ر)، وفي (ع): «فلموسى».
(١١) في النسخ المعتمدة: «أنها جاءت في السورتين، وبعدها في كل واحدة منهما»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).
(١٢) في (أ، ب، ع): «ولا»، والمثبت من (ك).

إسلام ويب islamweb.net

والذي جاء بعد قوله: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ قولُه[١]: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [الأعراف: ١٢٣]؛ أي: إظهارُكم ما أظهرتم من الإيمان برب العالمين وقع على[٢] تواطؤ[٣] منكم، أخفيتموه لتستولوا[٤] على العباد والبلاد، ويجوز أن يكون الهاء[٥] في ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ ضميرَ موسى عليه السلام؛ لأنه يقال: آمن بالرسول؛ أي: أظهرتم تصديقه، وأقدمتم على خلافي قبل أن آذنت لكم فيه، وهذا مكر مكرتموه، وسرّ أسررتموه لتقلِّبوا[٦] الناسَ عليَّ؛ فاقتضى هذا الموضعُ الذي ذكر فيه «المكر» إنكارَ الإيمان به.

فأما الإيمان له في الموضعين الآخرين[٧] فاللام تفيد معنى[٨] الإيمان من أجله، ومن أجل ما أتى[٩] به من الآيات، فكأنه[١٠] قال: آمنتم برب العالمين لأجل ما ظهر لكم على يدَي[١١] موسى عليه السلام من آياته، والموضعُ[١٢] الذي ذكر فيه ﴿لَهُۥ﴾؛ أي[١٣]: من أجله، وعبَّر عنه باللام هو الموضع الذي

(١) «قوله» غير واضحة في (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٢) في (ع): «عن».
(٣) أي: اتفاق وتوافق، مصدر من تواطؤوا عليه: توافقوا. اللسان (١: ١٩٩ وطأ).
(٤) في (ك): «لتستوا». (٥) «الهاء» سقطت من (ك).
(٦) في (أ، ع): «لتفتنوا»، وفي (ق): «لتضلوا»، والمثبت من (ب، ك، م).
(٧) في (ب): «بالوصفين الآخرين».
(٨) «معنى» ليست في (ك).
(٩) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «جاء».
(١٠) في (أ، ب): «وكأنه»، والمثبت من (ك، ح، ر).
(١١) في (ب): «يد».
(١٢) في النسخ المعتمدة: «وفي الموضع»، والمثبت من (خ).
(١٣) «﴿لَهُۥ﴾؛ أي» سقطت من النسخ المعتمدة وأُثبِتت من (خ).

إسلام ويب islamweb.net

قصد فيه إلى الإخبار بـ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾، فلذلك خُصَّ باللام، والأول خُصَّ بالباء. وقد تدلُّ[١] اللام على الاتِّباع فيكون المعنى: اتبعتموه لأنه كبيركم في عمل السحر، وقد[٢] يؤمن بالخبر[٣] من لا يعمل عليه، ولا يتبع الداعيَ إليه[٤].

[٨٦] الآية الخامسة والعشرون منها[٥]:

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٣].

وقال في سورة طه [٧١]: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ﴾.

وقال في سورة الشعراء [٤٩]: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ﴾[٦].

للسائل أن يسأل فيقول[٧]: قال[٨] في سورة[٩] الأعراف: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾،

---

(١) في (ب): «يدل».
(٢) «وقد» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٣) في (ع): «بالخير».
(٤) ذكر ابن الزبير (١: ٥٧٢) في هذا الموضع توجيهًا آخر فقال: «والباء تحرز التصديق، واللام تحرز الانقياد والإذعان، فبُدِئ بالباء المعطية معنى التصديق، وهي أخصُّ بالمقصود من اللام، فاقتضى الترتيب تقديمها، ثم أعقب في السورتين بعد باللام حتى كأن قد قيل لهم: أصدقتموه منقادين له في دعائه إياكم إلى الإيمان بما جاء من عند الله؟ فحصل المقصود على أكمل ما يمكن».
(٥) «منها» ليست في (ع)، وفي (ب، ك): «من سورة الأعراف».
(٦) من قوله: «وقال في سورة الشعراء» سقط من (ب). وفي (ك): «﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾».
(٧) في (أ): «للسائل أن يقول».
(٨) في (ع): «لِمَ قال».
(٩) «سورة» أُثبِتت من (و).

إسلام ويب islamweb.net

ولم يقل في سورة طه، وإنما[١] أدخل الفاء على قوله[٢]: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ﴾ [طه: ٧١]، وأما في سورة الشعراء فإنه أتى بـ«سوف تعلمون» مع اللام فقال: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، فما وجه اختلاف هذه، واختصاص بعضٍ بمكانٍ دون غيره؟

والجواب أن يقال: إن قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ من الوعيد المُبهَم المعرَّض[٣] به؛ أي: فعلتَ بجهل ما تعرف مِن بعدُ نتيجتَه، وطرحتَ[٤] بَذْرَ[٥] شرٍّ، عند حصده تعلمُ نهايتَه[٦]. وهذا النوع من الوعيد أبلغُ من[٧] الإفصاح بقدره[٨]، على أنه قد قرَن إليه بيانَه، وهو: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ﴾ الآية [الأعراف: ١٢٤]، فنطق القرآن بحكاية التعريض[٩] بالوعيد والإفصاح بالتهديد معًا.

وأما[١٠] اختصاص سورة الشعراء بقوله: ﴿فَلَسَوْفَ﴾[١١] وزيادة اللام،

---

(١) في (أ، ب، ع): «ولِمَ»، والمثبت من (ك، و).

(٢) في (أ، ب، ع): «في قوله»، والمثبت من (ك، و).

(٣) في (ب): «المعوّض به»، وهو خطأ.

(٤) أي: رميت وألقيت، وهو من باب نفع. المصباح (٢: ٣٧٠).

(٥) البَذر ـ بفتح الباء ـ: في الحبوب كالحنطة والشعير. المصباح (١: ٤٠).

(٦) في (ك) من قوله: «أي: فعلتَ» إلى هنا بياض.

(٧) في النسخ المعتمدة: «في»، والمثبت من (خ، ر).

(٨) في (ب، ط): «بعذره»، وهو ساقط من (ك)، والمثبت من (أ، خ، ر).

(٩) التعريض: أن يُفهَم من اللفظ معنًى بالسياق والقرائن من غير أن يُقصَد استعمال اللفظ فيه أصلًا. معجم البلاغة العربية (ص٤١٢)، وقال الجرجاني في كتاب التعريفات (ص٦٢): «التعريض في الكلام: ما يفهم به السامع مراده من غير تصريح».

(١٠) في (أ، ب، ك، ع): «فأما»، والمثبت من (ح، خ، ر، س، م).

(١١) في (ع): «﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾».

إسلام ويب islamweb.net

فلتقريب ما خوَّفهم به من اطلاعهم عليه[١] وقُربه منهم، حتى كأنه في الحال موجود[٢]؛ إذ اللام[٣] للحال، فالجمع بينها وبين «سوف» التي للاستقبال، إنما هو لتحقيق الفعل، وإدنائه من الوقوع[٤]، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [النحل: ١٢٤]، فجمع بين اللام وبين يوم القيامة كما جمع بينها وبين «سوف» على ما قاله عز وجل: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧]، وقد بيَّنّا أن سورة الشعراء أكثرُ اقتصاصًا[٥] لأحوال موسى عليه السلام في بعثه[٦]، وابتداءِ أمره، وانتهاءِ حاله مع عدوّه[٧]، فجمعت لفظَ الوعيد المُبهَم مع اللفظ المقرِّب له، المحقِّق وقوعَه إلى اللفظ[٨] المُفصِح بمعناه، ثم وقع الاقتصار في السورة[٩] التي لم يقصِد فيها من اقتصاص الحال ما قصَد في سورة الشعراء على ذكر بعض ما هو[١٠] في موضع البسط والشرح، وهو التعريض بالوعيد مع الإفصاح به.

وأما[١١] في سورة طه فإنه اقتصر فيها على التصريح بما أوعدهم به وترك:

---

(١) في (ب، ك): «من اطلاعه عليهم»، والمثبت من (أ).

(٢) في (ب): «موجودًا».

(٣) في النسخ المعتمدة: «واللام»، والمثبت من (خ، ر).

(٤) «من الوقوع» سقطت من (ك).

(٥) في (ع): «إفصاحًا».

(٦) في (أ): «في نفسه»، وفي (ب، ع): «بعثته»، والمثبت من (ك)، وكلاهما مصدر بعَث.

(٧) انظر من هذا الكتاب (٢: ١٥٣، ١٥٤).

(٨) في (أ): «إلى القصد»، والمثبت من (ب، ك، د، ر).

(٩) أي: في سورة الأعراف.

(١٠) «هو» أُثبِتت من (خ)، وفي (ع): «ما في».

(١١) في النسخ المعتمدة: «فأما»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).

إسلام ويب islamweb.net

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وقال: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ﴾ [طه: ٧١]، إلا أنه جاء بدلَ هذه الكلمة ما[١] يعادلها ويقارب[٢] ما جاء[٣] في سورة الشعراء التي هي مثلُها في اقتصاص أحواله من ابتدائها إلى حين انتهائها، وهو قولُه بعده: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ٧١]، فاللام[٤] والنون في: ﴿لَتَعْلَمُنَّ﴾ للقسم، وهما لتحقيق الفعل وتوكيده، كما أن اللام[٥] في قوله: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الشعراء: ٤٩] لإدناء الفعل وتقريبه، فقد تجاوز[٦] ما في السورتين المقصودَ فيهما إلى اقتصاص الحال[٧] من إعلاء الحق وإزهاق[٨] الباطل.

[٨٧] الآية السادسة والعشرون منها[٩]:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١٠] [الأعراف: ١٢٤].

وقال في السورتين[١١]؛ طه [٧١] والشعراء [٤٩]: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ بالواو.

---

(١) في (ب، ك): «بما».

(٢) في (ب): «ويقاربها»، وفي (ك): «ويقال»، وهو خطأ.

(٣) «جاء» سقطت من (أ، ع)، وأُثبتت من (ب، ك).

(٤) في (أ): «واللام»، والمثبت من (ب، ك).

(٥) في (أ، ب، ع): «كما أتى باللام»، وفي (خ): «كاللام»، والمثبت من (ك).

(٦) في (ك): «توازن»، وفي (ح، خ): «تجاوب».

(٧) في (ب، ك): «الحالين».

(٨) أي: إبطال الباطل. وفي اللسان (١٠: ١٤٧): «زهَقَ الشيءُ يَزهَقُ زُهوقًا: بَطَل وهَلَك واضمحلّ».

(٩) «منها» ليست في (ع)، وفي (ب، ك): «من سورة الأعراف».

(١٠) «﴿أَجْمَعِينَ﴾» ليست في (ب، ع).

(١١) في (ب): «في سورة».

إسلام ويب islamweb.net

للسائل أن يسأل عن اختصاص ما في سورة الأعراف بـ«ثُمَّ»، والأخريين بالواو.

والجواب أن يقال: إن السورتين اللتين اختصَّتا بالواو هما المبنيّتان على الاقتصاص(١) الأكثر والبسط الأوسع، والواوُ أشبه بهذا المعنى؛ لأنه(٢) يجوز أن يكون ما بعدها ملاصقًا لما قبلها كالتعقيب الذي يُفاد بالفاء، ويجوز أن يكون متراخيًا عنه كالمهلة التي تُفاد بـ«ثُمّ»، لا بل يجوز أن يكون ما بعدها مقدَّمًا على ما قبلها، ومُجامِعًا لها(٣)؛ إذ هي موضوعة للجمع ولا ترتيب فيها(٤)، فكانت(٥) الواو أشبه بهذين المكانين.

و«ثُمَّ» تختصُّ(٦) بأحد(٧) المواضع التي تصلُح الواو لجميعها(٨)، فلما

(١) في النسخ المعتمدة: «إن السورتين اللتين جاءت الواو فيهما بهذا اللفظ منهما المبنيان على الاقتصاص»، والمثبت من (ح، خ، ر، س، م).

(٢) في (خ، و): «لأنها».

(٣) في (ع): «له».

(٤) القول بأن الواو لا تفيد الترتيب مردود، حيث قال الرماني في كتابه معاني الحروف (ص٥٩): «وذهب قطرب وعلي بن عيسى الربعي إلى أنه يجوز أن تكون ـ أي: الواو ـ مرتبة نحو قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وهذا كلام مرتّب، ويؤنس بهذا أيضًا قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤]، وأنه لو كف أيديهم قبل كف أيدي عدوهم لَكان في ذلك محنة لهم ومشقة عليهم». قال ابن هشام في مغني اللبيب (ص٤٦٤): «وقول السيرافي: «إن النحويين واللغويين أجمعوا على أنها لا تفيد الترتيب» مردودٌ، بل قال بإفادتها إياه قطرب والربعي والفراء وثعلب وأبو عمر».

(٥) في (ك): «وكانت».

(٦) في (أ): «تخص»، والمثبت من (ب، ك).

(٧) في (أ): «ما حوى»، والمثبت من (ك). وفي (ب): «آخر».

(٨) في (ب): «بجميعها».

إسلام ويب islamweb.net

كانت مُقتصَرًا بها على بعض ما وُضِعت له الواو، استُعملت حيث اختصرت الحال، فاقترن بكل مكان ما يليق[١] بالمقصود فيه. فلذلك خُصَّت «ثُمَّ» بسورة الأعراف[٢]، و«الواو» بالسورتين[٣] الأخيرتين[٤]. والله أعلم.

[٨٨] الآية السابعة والعشرون منها[٥]:

قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾[٦] [الأعراف: ١٢٥].

وقال في سورة الشعراء [٥٠]: ﴿قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾.

للسائل[٧] أن يسأل عن زيادة قوله: ﴿لَا ضَيۡرَ﴾ على ما ذكر في سورة الأعراف، واختصاصِ تلك بها دون هذه.

والجواب أن يقال: إنهم قابلوا وعيده بما يهوِّنه[٨] ويُزيل ألمه من انتقالهم إلى ثواب ربهم مع المتحقِّق[٩] من مُنقلَب مُعذِّبهم[١٠]، فجاء في سورة الشعراء ـ وهي التي قُصِد بها الاقتصاص الأكبر[١١] ـ: ﴿لَا ضَيۡرَ﴾؛ أي: لا ضرر علينا،

(١) في (ب، ك، ع): «فاقترن بكلٍّ ما كان أليق».
(٢) في (ب، ع): «في سورة».
(٣) في (أ، ب): «في السورتين»، والمثبت من (ك).
(٤) في النسخ المعتمدة: «الأخريين»، والمثبت من (و)، والسورتان هما: طه والشعراء.
(٥) «منها» ليست في (ع)، وفي (ب، ك): «من سورة الأعراف».
(٦) في (ع): «﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾».
(٧) في (ك): «وللسائل».
(٨) في (ب): «يوهونه»، وهو خطأ.
(٩) في (ك): «التحقق».
(١٠) هذا القول ما قاله السحرة الذين آمنوا بموسى عليه السلام لمّا رأوا تهديد فرعون ووعيده، وفي ذلك ما يدل على إيمانهم العميق والاستهانة بتهديد فرعون وجبروته.
(١١) في (ع): «الأكثر».

إسلام ويب islamweb.net

فإن مُنقلَبنا إلى جزاء ربنا فنُنعَّم[١] أبدًا، وتُعذَّب أنت[٢] أبدًا، فالضرر الذي تحاول إنزالَه بنا، بك نازلٌ[٣]، وعليك مقيم[٤]، ونحن نألَم ساعةً لا يُعتدُّ[٥] بها مع دوام النعيم[٦] بعدها، فكأنه[٧] لم يلحقنا ضرر. وفي سورة الأعراف وقع الاقتصارُ على قوله: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾، وفيه كفاية وإبانة عن هذا المعنى، ودلالة بناءً[٨] على ما قُصِد فيها ممّا بُيِّن وشُرِح في سواها[٩].

[٨٩] الآية الثامنة والعشرون منها[١٠]:

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾[١١] [الأعراف: ١٨٧، ١٨٨].

وقال في سورة يونس [٤٨، ٤٩]: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾[١٢].

---

(١) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ع): «فتنعَّم».
(٢) «أنت» ليست في (ب، ك، ع).
(٣) في (ب، ك، ع): «يكون بك نازلًا» بدل «بك نازل».
(٤) في (ب، ك، ع): «مقيمًا».
(٥) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «لا نعتد».
(٦) في (ب): «النعم»، وفي (ع): «التنعيم».
(٧) في (ك): «وكأنه».
(٨) في (ط): «نبأ»، وهو خطأ ظاهر.
(٩) أي: في غير سورة الأعراف.
(١٠) «منها» ليست في (ع)، وفي (ب، ك): «من سورة الأعراف».
(١١) في (ع) إلى قوله: «﴿لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾».
(١٢) في (ع) إلى قوله: «﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾».

إسلام ويب islamweb.net

للسائل أن يسأل عن الآيتين، وتقديمِ النفع على الضرِّ في الأولى[١]، وتأخيرِه عنه في الأخرى، وهل ذلك[٢] لفائدة أوجبت في الاختيار تقديمَ المقدَّم وتأخيرَ المؤخَّر؟

والجواب أن يقال: إن الأولى[٣] بعد قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾، وبعده[٤]: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، فكان معنى قوله: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾؛ أي[٥]: لا أملك[٦] تعجيلَ ثواب ولا عقاب لها، إلا ما[٧] ملَّكنيه الله، فلا أملك إلا ما مُلِّكتُ[٨]، ولا أعلم إلا ما عُلِّمتُ، والذي[٩] تسألون عنه أخفى الغيوب، وأنا لا أعلم منها ما هو أقرب إلى رَجم الظنون[١٠]، فكيف ما يختصُّ به[١١] علّامُ الغيوب؟ ولو علمتُ الغيبَ لاستكثرتُ في السَّنة المُخصِبة[١٢] ما

---

(١) في (ب): «الأول».

(٢) في (ع): «ذاك».

(٣) في (ب، ك): «الأول».

(٤) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «بعدها».

(٥) «أي» ليست في النسخ المعتمدة، وأُثبِتت من (ح، خ، ر).

(٦) في (ك): «أملك»، وهو خطأ.

(٧) تكررت «إلا ما» في (ك).

(٨) في (ب): «ما ملكته».

(٩) كذا في أكثر النسخ، وفي (ب، ع): «فالذي».

(١٠) أي: القول بالظن. وفي اللسان (١٢: ٢٢٧ رجم): «الرجم: الظنون، والرجم: القول بالظن والحدس».

(١١) «به» سقطت من (ب، ك).

(١٢) أي: في السنة التي صار فيها خِصب. والخِصب ـ بكسر الخاء ـ: ضد الجدب.

إسلام ويب islamweb.net

يدفع كَلَبَ المُجدِبة[١]. وقيل[٢]: لاستكثرتُ من العمل الصالح الذي أتحقَّق أنه أرفع الأعمال عند الله تعالى درجة؛ لأن مَن علِم الغيبَ عرَف[٣] الأفضلَ عند الله ولم يتركه[٤] إلى ما هو دونه. وقوله: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]؛ أي: ما بي جنون كما زعم[٥] المشركون[٦]. وقيل: الفقرُ[٧] لاستكثاري من الخير الذي يُتدارَكُ به الفقرُ[٨] عند شدة الزمان.

(١) معنى هذا القول: ولو علمتُ الغيب لأعددتُ من السنة المُخصِبة للسنة المُجدِبة. قال الفراء في معاني القرآن (١: ٤٠٠): «ولو كنت أعلم الغيب لأعددت للسنة المُجدِبة من السنة المُخصِبة، ولعرفت الغلاء، فاستعددت له في الرخص». ذكر هذا القول الطبري (٩: ١٤٣) ولم ينسبه إلى أحد، وذكره الماوردي (٢: ٧٥) ونسبه إلى الفراء. والسنة المُخصِبة: التي صار فيها خِصب، وفي اللسان (١: ٣٥٦ خصب): «الخصب نقيض الجدب، والمُخصِبة: الأرض المُكْلِئة، والقوم أيضًا مُخصِبون: إذا كثُر طعامهم ولبنهم وأمرعت بلادهم»، وجاء فيه أيضًا: (١: ٢٥٤ جدب): «الجدب ضد الخصب. أجدبت السنة: صار فيها جدب». وفيه أيضًا بتصرف يسير (١: ٧٢٤ كلب): «الكَلَبُ ـ بالتحريك ـ: حدة الشتاء، وكلّ شدة من قِبل القحط والسلطان وغيره، وعام كَلِبٌ: جدب. ويقال: دفعت عنك كَلَبَ فلانٍ؛ أي: شرَّه وأذاه».

(٢) هذا القول في تفسير الماوردي (٢: ٧٤) منسوب إلى الحسن وابن جريج، وهو في تفسير الطبري (رقم الأثر ١٥٤٩٥)، وفي تفسير ابن أبي حاتم (رقم الأثر ١٤٤٠) منسوب إلى مجاهد.

(٣) جواب الشرط. أُثبِتت من (ر). وفي النسخ المعتمدة: «وعرف».

(٤) في (أ، ع): «لم يتركه»، وفي (ك): «لم ينزل»، والمثبت من (خ).

(٥) في (ك): «يزعم».

(٦) هو قول الحسن كما في تفسير الماوردي (٢: ٧٥).

(٧) ذكره الماوردي في تفسيره (٢: ٧٥) ولم ينسبه إلى أحد، وهذا الأثر أخرجه ابن أبي حاتم (رقم ١٤٤٢) عن ابن عباس من طريق أبي زرعة، عن منجاب عن بشر عن أبي روق عن الضحاك، وهو إسناد ضعيف؛ لأن بشرًا ـ وهو بشر بن عمارة الخثعمي ـ ضعيف. التقريب (رقم ٦٩٧).

(٨) في (ع): «الفقراء».

إسلام ويب islamweb.net

وأما الآية في سورة يونس فإنها فيما كان يستعجله الكفار من عذاب الله تعالى، وقبلها: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٤٦]؛ أي: إنْ أريناك(١) بعض ما نتوعَّد(٢) به هؤلاء الكفارَ من العذاب في عاجل الدنيا حتى تراه نازلًا بهم في حياتك، أو(٣) أخَّرنا ذلك عنهم إلى بعد وفاتك ووفاتهم(٤)؛ فإن ذلك لا يفوتهم؛ لأن مرجعهم إلى حيث يُجازى فيه العباد، ولا يملك بعضُهم أمرَ بعض، ويقول الكفار: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(٥) [يونس: ٤٨]، قل: لا أملك ما وعدكم(٦) الله من هذا العذاب(٧)، ولا أن(٨) أدفع عنكم سوء العقاب، كما لا أملك لنفسي ضرًّا ولا نفعًا إلا ما شاء الله أن يملِّكنيه(٩) منهما، فتقديم «ضرّ» على «نفع» في هذه الآية(١٠) لخروجها عن ذكر العذاب الذي قال الله تعالى فيه بعدها: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [يونس: ٥١]، ثم إنّ اللفظة التي تُزاوِجُ لفظة «الضر»(١١) هي لفظة «النفع»، ومعناه في الآية(١٢): أنه لا يملِك إلا ما يملِّك الله منه عبادَه، وأنا(١٣) واحد منهم(١٤)؛ فلذلك أتبَع ذِكرَه ذِكرَه(١٥).

---

(١) في (أ، ع): «إن أريتك»، والمثبت من (ب)، وسقط من (ك).
(٢) في (أ): «ما يتوعَّد»، والمثبت من (ب).
(٣) في (ك): «و» بدل «أو».
(٤) «ووفاتهم» سقطت من (ك).
(٥) في (ع): «﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾».
(٦) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «أوعدكم».
(٧) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «من العذاب».
(٨) «أن» سقطت من (أ).
(٩) في (ب): «أن أملكه».
(١٠) أي: في الآية [٤٩] من سورة يونس.
(١١) «الضر» سقطت من (ك).
(١٢) في النسخ المعتمدة: «ومعناه في أنه»، والمثبت من (خ، ر).
(١٣) «أنا» أُثبِتت من (خ، ر).
(١٤) «منهم» أُثبِتت من (خ، ر).
(١٥) ذكر هنا الشيخ الأنصاري توجيهًا آخر فقال: «قدّم النفع هنا ـ أي: في الأعراف ـ على =

إسلام ويب islamweb.net

[٩٠] الآية التاسعة والعشرون[١]:

قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢] [الأعراف: ٢٠٠].

وقال في سورة[٣] حم السجدة[٤] [٣٦]: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[٥]: لأيّ معنًى جاء في الآية من[٦] سورة الأعراف ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ على لفظ النكرة، وفي سورة حم السجدة معرَّفتين[٧] بالألف واللام مؤكَّدتين[٨] بـ«هو»؟

= الضر، وعكس في يونس؛ لأن أكثر ما جاء في القرآن، من لفظَي: الضر والنفع معًا، جاء بتقديم الضر على النفع، ولو بغير لفظهما كالطوع والكره في الوعد؛ لأن العابد يعبد معبوده خوفًا من عقابه أوّلًا، ثم طمعًا في ثوابه ثانيًا، كما قال تعالى: ﴿يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾ [السجدة: ١٦]، وحيث تقدَّم النفع على الضر تقدَّمه لفظٌ تضمَّن نفعًا... فتقدَّم هنا النفع لموافقة قوله قبله: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ﴾ [الأعراف: ١٧٨]، وقال بعده: ﴿لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨]؛ إذ الهداية والخير من جنس النفع، وقدّم الضر في آخر يونس على الأصل ولموافقة قوله قبله: ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ﴾ [يونس: ١٨]». فتح الرحمن للشيخ الأنصاري (ص٢١٣).

(١) في (ب، ك): «من سورة الأعراف».

(٢) هذه الآية تناولها المؤلف أيضًا في سورة فصلت مع ما يشابهها هناك، وانظر من هذا الكتاب (٣: ١٣٠).

(٣) ليست في (ع).

(٤) أي: سورة فصلت، و«حم السجدة» من أسمائها لاشتمالها على السجدة.

(٥) في (أ): «للسائل أن يقول».

(٦) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «في سورة الأعراف».

(٧) في (ب): «معرَّفين».

(٨) في (ب): «مؤكَّدين».

إسلام ويب islamweb.net

والجواب أن يقال: إن الأول وقع في فاصلةٍ ما قبلها من الفواصل أفعالُ جماعةٍ، وأسماءٌ[١] مأخوذة من الأفعال، نحو قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠]، وبعده: ﴿يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١]، و﴿يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٢]، و﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾[٢] [الأعراف: ١٩٨]، و﴿ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، فأُخرِجت هذه الفاصلةُ بأقرب ألفاظ الأسماء المؤدِّية معنى الفعل، أعني النكرة، وكان المعنى[٣]: استعذ بالله إنه يسمع استعاذتك، ويعلم استجارتك.

والتي في سورة حم السجدة قبلها فواصل سُلِك[٤] بها طريقُ الأسماء، وهي ما في قوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٥] [فصلت: ٣٤، ٣٥]، فقوله: ﴿وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ ليس من الأسماء التي يراد بها الأفعال، وكذلك قوله: ﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٦] ليس «ذو حظ»[٧] بمعنى[٨] فعل، فأُخرِج «سميع عليم»[٩] بعد الفواصل التي هي على سَنَن الأسماء على لفظٍ يبعُد

(١) في (ك): «أو» بدل «و».

(٢) في جميع النسخ: «يبصرون»، وأُثبتت «لا» من المصحف. وفي (ع): «﴿يُخْلَقُونَ﴾ و﴿يُبْصِرُونَ﴾ و﴿يُقْصِرُونَ﴾ و﴿ٱلْجَٰهِلِينَ﴾».

(٣) في (ك): «معنى».

(٤) في (ب): «يسلك».

(٥) في (أ): «﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ الآيتين»، والمثبت من (ب، ك).

(٦) في جميع النسخ ما عدا (ع): «لذو حظ عظيم»، وفي (ع): «﴿إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾»، والمثبت من المصحف.

(٧) في أكثر النسخ: «ذو الحظ»، والمثبت من (ك).

(٨) في النسخ المعتمدة: «معنى»، والمثبت من (خ، ر).

(٩) في (ع): «﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾».

إسلام ويب islamweb.net

عن اللفظ الذي يؤدِّي معنى الفعل، فكأنه قال: إنه هو الذي لا يخفى عليه مسموع ولا معلوم، فليس القصدُ الإخبارَ عن الفعل كما كان[١] في الأولى[٢]: إنه يسمع الدعاء، ويعلم الإخلاص، فهذا فرق ما[٣] بين المكانين[٤].

انقضت سورة الأعراف عن تسع وعشرين آية، فيها[٥] ثمانٍ وثلاثون مسألة.

---

(١) «كان» ليست في (ع)، ومن قوله: «إنه هو الذي» إلى هنا سقط من (ب).

(٢) في (ك): «في الأول».

(٣) «ما» أُثبتت من (ر).

(٤) ذكر الكرماني في غرائب التفسير (١: ٤٣١) توجيهًا آخر فقال: «الجواب: لأن قوله: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ في هذه السورة ـ أي: الأعراف ـ خبر المبتدأ، وشرط الخبر أن يكون نكرة في الأغلب، وفي «حم» تكرار لما في هذه السورة، والنكرةُ إذا تكرَّرت تعرَّفت، كما في قوله: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ۞ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥، ١٦]. وزِيدَ «هو» ليعلم أنه خبر وليس بوصف».

(٥) من هنا إلى الآخر ليس في (ك).

إسلام ويب islamweb.net

سورة الأنفال[١]

قد مرَّ في سورة البقرة[٢] وآل عمران[٣] من[٤] الآيات التي تُشبه[٥] الآيات[٦] من هذه السورة، وهذه الآيةُ التي نذكرها فيها[٧] قد سبقت نظيرتُها في سورة الأعراف[٨]، فذكرناها في هذا المكان[٩]، كراهةَ إخلاء هذه السورة[١٠] من تخصيصها بما خصصنا به أمثالها[١١].

---

(١) في (ع): «آيتان».

(٢) ذلك في الآية التاسعة عشرة من سورة البقرة حسب ترتيب المؤلف، وانظر من هذا الكتاب (١: ٢٩٢).

(٣) ذلك في موضعين من سورة آل عمران؛ الموضع الأول: الآية الأولى من سورة آل عمران (انظر من هذا الكتاب ١: ٣١٤)، والموضع الثاني: الآية الخامسة من سورة آل عمران (انظر من هذا الكتاب ١: ٣٤٢).

(٤) ليست في (ع).

(٥) في (أ): «من سورة الأنفال الآيات التي تشبه»، والمثبت من (ب، ك).

(٦) في النسخ المعتمدة: «الآيات التي»، وفي (ع): «الآي»، والمثبت من (د، م، و).

(٧) أي: في سورة الأنفال. ولفظ «فيها» ليس في (ب، ك).

(٨) يعني الآية [٣٩] من سورة الأعراف، التي تناولها هنا في الآية الأولى من سورة الأنفال، وهي: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

(٩) «في هذا المكان» ليست في (ك).

(١٠) في النسخ المعتمدة: «وكرهنا إخلاء هذه السورة»، والمثبت من (ح، خ، ر، م).

(١١) في (أ): «غيرها»، وفي (ع): «بما خُصِّصتا به»، والمثبت من (ك، د)، وهو ليس في (ب).

إسلام ويب
islamweb.net

[٩١] الآية الأولى منها[١]:

قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٥].

وقال في سورة الأعراف قبلها[٢] [٣٩]: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[٣]: إن الخبر في الموضعين عن الكفار، فما بال أحدهما اختصَّ بقوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾، والآخر اختصَّ بقوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾؟

والجواب أن يقال: إن التي في سورة الأعراف خبر عن قوم ذُكِروا قبل هذه الآية في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[٤] [الأعراف: ٣٧]، والمعنى في قوله: ﴿يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾؛ أي: حظُّهم من العذاب[٥] المكتوب عليهم بقدر ما

---

(١) «منها» ليست في (ع)، وفي النسخ المعتمدة: «من سورة الأنفال»، والمثبت من (خ، ر، م).

(٢) «قبلها» أُثبتت من (ب).

(٣) في (أ): «للسائل أن يقول».

(٤) في (أ، ع): «﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ إلى قوله: ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾»، والمثبت من (ب، ك).

(٥) هذا قول أبي صالح والسُّدي والحسن كما في تفسير الطبري (٨: ١٦٩)، وهو اختيار الزجاج في معاني القرآن (٢: ٣٣٣) حيث قال: «وقوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾؛ أي: ما أخبر الله جل ثناؤه من جزائهم نحو قوله: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: ١٤]، ونحو قوله: ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧]... ونحو ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧١، ٧٢]، فهذه أنصبتهم من الكتاب على قدر ذنوبهم في كفرهم» انتهى كلام الزجاج. وهناك أقوال أخرى ذكرها المفسرون في معنى =

إسلام ويب islamweb.net

كسبوه[١] من سيئات الأعمال ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ﴾؛ أي[٢]: يستوفونهم من دون غيرهم[٣] ليسوقوهم إلى النار. وهذا عن الحسن[٤]، وبيَّن ذلك بعده قولُه[٥]: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن

= قوله تعالى: ﴿يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، يُنظَر لذلك: تفسير الماوردي (٢: ٢٦)، وتفسير ابن الجوزي (٣: ١٩٣)، واختار الطبري (٨: ١٧٢) من تلك الأقوال أن يكون المعنى: ما قُدِّر لهم من خير وشر فقال: «وأَولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ممّا كُتِب لهم من خير وشر في الدنيا، ورزق وعمل وأجل، وذلك أن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قولَه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، فأبان بإتْباعه ذلك قولَه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أن الذي ينالهم من ذلك إنما هو ما كان مقضيًّا عليهم في الدنيا أن ينالهم».

(١) في (ك): «اكتسبوه».

(٢) من قوله: «المعنى» إلى هنا سقط من (أ، ع)، وأُثبِت من (ب، ك).

(٣) في (أ، ك): «من بين غيرهم»، والمثبت من (ب، د). قلت: في تفسير ابن عطية (٥: ٤٩٦): «و﴿يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ﴾ معناه: يستوفونهم عددًا في السَّوْق إلى جهنم». وعلى هذا فالمراد بالرسل: ملائكة العذاب.

(٤) لم أجده في التفاسير التي تذكر الروايات بالأسانيد. وقد أورده الماوردي في تفسيره (٢: ٢٦)، وابن الجوزي في تفسيره (٣: ١٩٣). وأكثر المفسرين ذهبوا إلى أن المراد بالرسل في الآية هم ملائكة الموت. وقال الآلوسي في تفسيره (٨: ١١٥): «قول الحسن خلاف الظاهر، وكان الذي دعاه إلى ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُواْ﴾؛ أي: الرسل لهم ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدنيا وتستعينون بها في المهمّات؟ ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ﴾؛ أي: غابوا ﴿عَنَّا﴾ لا ندري أين مكانهم».

(٥) في (أ، ب، ع): «بقوله»، والمثبت من (ك).

إسلام ويب islamweb.net

لَّا تَعۡلَمُونَ﴾[١] [الأعراف: ٣٨].

فأخبر أن أُخراهم تسأل الله أن يضعِّف العذابَ على أُولاهم لأنهم ضلُّوا وأضلُّوا فيستحقُّون العذاب على قدر اكتسابهم[٢]، فلذلك طلبوا أن يكون عذابهم ضعفَ عذاب هؤلاء؛ لإثمهم[٣] بما كسبوا من[٤] ضلالهم في أنفسهم، وإثمهم بما[٥] اكتسبوا[٦] من إضلال غيرهم، ﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ﴾ [الأعراف: ٣٩]؛ أي: كنتم[٧] مثلنا في الضلال، لم يكن لكم علينا فضل في تركه أو التقلُّل[٨] منه ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾؛ أي: يقول الله تعالى ذلك[٩]: ذوقوا العذاب بقدر ما كنتم تكسبون[١٠]، فهذا موضع يقتضي ذكر الاكتساب، وما يجب على قدره من العقاب.

---

(١) في (أ): «﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم﴾ الآيتين»، وهو خطأ، والمثبت من (ب). وفي (ك) لم تكمل كتابة الآية الكريمة.

(٢) في النسخ المعتمدة: «الاكتساب»، والمثبت من (ح، ر).

(٣) في (أ، ب): «فيما»، والمثبت من (ك).

(٤) في النسخ المعتمدة: «بضلالهم»، والمثبت من (خ، ر).

(٥) في (ب، ك، ع): «فيما». و«فيما» تكرَّرت في (ك).

(٦) في (ع): «كسبوا».

(٧) في (أ): «أنتم»، والمثبت من (ب، ك).

(٨) في (ع): «والتقلُّل».

(٩) أشار المؤلف إلى أنه صادر من الله، ويجوز أن يكون من كلام أُولاهم، عطفوا قولهم: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾ على قولهم: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ﴾ بفاء العطف الدالة على الترتُّب. يُنظَر: تفسير ابن عطية (٥: ٥٠١)، وتفسير ابن عاشور (٨: ١٢٤).

(١٠) من قوله: «أي: يقول» إلى هنا سقط من (ك).

إسلام ويب islamweb.net

وأما الآية في الأنفال[١] فهي في ذكر الكفار الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]؛ أي: صفيرًا وتصفيقًا[٢]، لم تكن صلاتهم تسبيحًا، وتمجيدًا، وخضوعًا لله تعالى كما يفعل المؤمنون، فقال[٣] لهم في الآخرة: ذوقوا العذاب بكفركم[٤]، ولم يتقدَّم هذه الآيةَ ما يوجب قدرًا من العذاب دون[٥] قدر حتى يقال[٦]: ذوقوا من العذاب[٧] بقدر كسبكم له[٨] كما كان في الآية الأولى، وإنما ذكر كفرهم من[٩] حيث قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۞ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾[١٠] [الأنفال: ٣٣، ٣٤]، وذلك كله في كفار قريش؛ فلذلك جاء فيه بعدَ[١١] ﴿فَذُوقُوا۟﴾[١٢]: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ دون «بما كنتم تكسبون».

---

(١) في النسخ المعتمدة: «وأما قوله في هذه السورة»، والمثبت من (ح، خ، ر).

(٢) «أي: صفيرًا وتصفيقًا» ليست في (ع). والصفير هو معنى المكاء، والتصفيق هو معنى التصدية، قال الكرماني في غرائب التفسير (١: ٤٤٠): «المُكاء: صوت يشبه صوت المُكّاء، وهو طائر معروف، من مكا يمكو، وهو أن يجعل بعض أصابع اليمنى ببعض أصابع اليسرى في فمه، ثم يصفِّر. والتصدية: ضرب إحدى اليدين على الأخرى، واشتقاقه من الصدى، وهو أن تسمع مثل صياحك من أماكن تمنع الصوت من النفوذ».

(٣) في (ب، ك): «فيقال».

(٤) «بكفركم» غير واضحة في (ك).

(٥) «دون» ليست في (ك).

(٦) في (ك): «حتى يقول».

(٧) من قوله: «دون قدر» إلى هنا سقط من (أ)، والمثبت من (ب).

(٨) «له» ليست في (أ، ب، ع)، وأُثبتت من (ك).

(٩) «من» سقطت من (ب، ك، ع).

(١٠) في (أ، ع): «﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾»، والمثبت من (ب، ك).

(١١) «بعد» سقطت من (أ، ك)، وأُثبتت من (ب).

(١٢) في (ع): «﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾».

إسلام ويب islamweb.net

[٩٢] الآية الثانية منها[١]:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [الأنفال: ٧٢].

وقال في سورة براءة [٢٠]: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾.

لِمَ قُدِّم ذكرُ «الأموال والأنفس» في الآية الأولى على قوله: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وأُخِّر في الأخرى[٢]؟

والجواب أن يقال[٣]: إن الآية الأولى في سورة الأنفال عَقِيب ما أنكره الله تعالى على من قال لهم: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[٤] [الأنفال: ٦٧]، وهم أصحاب النبي ﷺ لمّا أسَرُوا المشركين، ولم يقتلوهم طمعًا في الفداء[٥]، فقال تعالى: ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ

---

(١) «منها» ليست في (أ، ع)، وأُثبتت من (ك).

(٢) في النسخ المعتمدة: «للسائل أن يسأل فيقول: ما الذي قُدِّم له في الآية الأولى ذكرُ ﴿بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ﴾ على قوله: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، ثم ما له قُدِّم له ذكرُ ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في سورة براءة على ذكر ﴿بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ﴾؟»، والمثبت من (ح، خ، ر، س، م).

(٣) «أن يقال» ليست في (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).

(٤) أول الآية: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ﴾ إلخ.

(٥) أخرج مسلم في كتاب الجهاد، باب الإمداد بالملائكة (١٧٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟» فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله يهديهم للإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قلت: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكِّنا فنضربَ أعناقهم...». والحديث مروي من طرق كثيرة، وانظر: الدر المنثور للسيوطي (٤: ١٠٤، ١٠٥).

إسلام ويب islamweb.net

فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨]؛ أي: فيما أخذتم من هؤلاء الأسرى[١] من الفداء، ثم قال تعالى لمّا غفر لهم ما كان منهم من ترك القتل إلى الأسرى[٢]: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩]؛ أي: استمتعوا بما نلتم من أموال المشركين، وبما أخذتم من فدائهم، فعقَّب ذلك بهذه الآية التي مدَح فيها من أنفق أمواله في سبيل الله، لا من يجاهد طلبًا للنفع[٣] العاجل، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، فقدّم ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ على قوله: ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ليعلموا[٤] أن ذلك يجب أن يكون أهمَّ لهم، وأولى بتقديمه عندهم؛ صرفًا لهم[٥] عمّا حرَصوا عليه من فائدة الفداء.

ولم تكن كذلك الآيةُ التي[٦] في سورة براءة؛ لأنها بعد ما يوجب تقديمَ قوله: ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ على ذكر المال؛ لأنه قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ﴾ [التوبة: ١٦]، ثم قال في إبطال ما أتى به[٧] المشركون من عمارة المسجد الحرام، وسقاية الحاجِّ مع المُقام[٨] على الكفر[٩]: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ

(١) في (ك). «الأسارى».
(٢) في (ك): «إلى الأسرى قال».
(٣) في (ك): «لنفع».
(٤) من قوله: «فقدّم» إلى هنا سقط من (أ)، وأُثبت من (ب)، وقوله: «فقدّم ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾» سقط من (ك).
(٥) «لهم» ليست في (ب).
(٦) «التي» غير واضحة في (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).
(٧) في (ك): «ما أتاه».
(٨) في (ب): «والمقام».
(٩) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «على الكبر».

إسلام ويب islamweb.net

ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[١] [التوبة: ١٩]، فكان المندوبُ إليه في هذه الآية بعد الإيمان بالله الجهادَ في سبيل الله[٢]، فقال بعده مادحًا لمن تلقّى بالطاعة أمرَه[٣]: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، ثم ذكر ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ لمّا قدَّم ذِكر[٤] ما اقتضى الموضعُ تقديمَه[٥]، وأن يُجعَل أهمَّ إليهم من غيره، فخالف هذا المكانُ[٦] قولَه في سورة الأنفال، فقُدِّم فيه[٧] ما أُخِّر هناك[٨] لذلك، فاعلمه[٩]. وبالله التوفيق.

انقضت سورة[١٠] الأنفال عن آيتين ومسألتين.

---

(١) في (ع) إلى قوله: «﴿لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾».

(٢) في (أ، ب، ع): «في سبيله»، والمثبت من (ك).

(٣) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «أمره بالطاعة».

(٤) «ذكر» سقطت من (ب).

(٥) أي: تقديم «سبيل الله».

(٦) «المكان» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(٧) في (ح، خ): «هنا».

(٨) في (ح، خ): «ثُمَّ».

(٩) خلاصة كلام المصنف: قدّم في سورة الأنفال قوله: ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ على قوله: ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ لأنّ آية الأنفال تقدَّمها ذكرُ المال والفداء والغنيمة، في قوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني المال، سمّاه عَرَضًا لقلة بقائه، وفي قوله تعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾؛ أي: من الفداء، وفي قوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾، فكان تقديم ذكر المال أليقَ بهذا المكان. وأمّا آية سورة التوبة فقد تقدَّمها ذكرُ الجهاد في سبيل الله، وذلك في قوله تعالى: ﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩]، فناسب تقديم ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ على ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾. يُنظَر: البرهان للكرماني (ص٢٠٥)، وفتح الرحمن للأنصاري (ص٢٢٤).

(١٠) «سورة» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

سورة براءة[١]

[٩٣] الآية الأولى منها[٢]:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بعد قوله: ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾[٣] [التوبة: ١٩].

وقال بعده: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ بعد قوله: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ﴾[٤] [التوبة: ٢٤].

وقال في هذه السورة: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ موصولةً[٥] بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ [التوبة: ٣٧].

للسائل أن يسأل عن تخصيص بعض هذه الآيات[٦] بـ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وبعضها بـ﴿ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾، وبعضها بـ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، وهل ذلك لمعنًى يخصُّه[٧]؟

---

(١) في (ع): «سبع آيات».
(٢) «منها» ليست في (ع)، وفي (ب): «من سورة براءة».
(٣) في (أ): «﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ﴾ الآية»، والتتمة من (ب، ك).
(٤) في (ع): «﴿وَأَبۡنَآؤُكُمۡ﴾ الآية».
(٥) في (ب، ك، ع): «موصولًا».
(٦) في (ب، ك): «المواضع» بدل «الآيات».
(٧) في (ب): «يختصه».

إسلام ويب
islamweb.net

والجواب أن يقال: إن المراد بـ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في الآية الأولى[١] مشركو العرب الذين قاموا بسقاية الحاجِّ، وأنفقوا على المسجد الحرام، رجاءَ الثواب مع المُقام على الكفر والعصيان، فهم لأنفسهم بالكفر ظالمون، وبعملهم[٢] الذي يؤمِّلون[٣] الانتفاعَ به مع مُضامّة الكفر[٤] واضعون الشيءَ غيرَ موضعه، فلمّا فعل هؤلاء المشركون ذلك، وكان كلُّ مشرك[٥] ظالمًا[٦]، وكلُّ من وضع شيئًا في غير موضعه[٧] يكون[٨] ظالمًا، وإنما يكون غيرَ ظالم إذا أنفق في حال الإسلام على المسلمين من الحُجّاج دون الذين كانت صلاتهم عند البيت مُكاءً وتصديَةً؛ عبَّر[٩] عنهم بـ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ لانطواء هذه الصفة على الكفر، وعلى المعنى الزائد بتضييع المال في حال الشرك، والمعنى: لا يهديهم[١٠]

(١) في النسخ المعتمدة: «الظالمون في الآية الأولى المراد بهم»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).

(٢) في (أ، ب): «وبعلمهم»، والمثبت من (ك، ح، خ، ر) وهو الصواب، حيث إن عملهم هو سقاية الحاج والإنفاق على المسجد الحرام.

(٣) في (ح، خ): «يأملون»، وكلاهما بمعنًى واحد، وهو: يرجون. وفي القاموس (ص١٢٤٥ أمل): «أمَلَهُ أملًا وأمَّله: رجاه»، والتضعيف أكثر من استعمال المخفَّف كما في المصباح (١: ٢٢).

(٤) أي: مع مصاحبة الكفر، وهو الذي جاء في (ق). وفي (ك): «مصاحبة»، وهو خطأ. والمضامّة مصدر من ضامَمتُ الرجلَ: «أقمت معه في أمر واحد منضمًّا إليه». اللسان (١٢: ٣٥٨ ضمم).

(٥) في (ك): «وكل مشرك».

(٦) في (ك): «ظالم».

(٧) في (أ، ك): «في غير حقه»، والمثبت من (ب، د).

(٨) «يكون» أُثبتت من (ق).

(٩) جواب «فلمّا فعل». وفي (ك): «وعبّر»، وهو خطأ.

(١٠) في (ك): «لا يهديه».

إسلام ويب islamweb.net

إلى نيل[١] الثواب الذي له ينفقون، وبسببه يعمُرون، ولا يدلُّهم[٢] على ثمرة ما يؤمِّلون[٣].

وأما الموضع الثاني، وهو: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ فإنه تحذير لمن قال[٤] فيهم من المسلمين[٥]: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ﴾[٦] [التوبة: ٢٤]، فعرَّفهم أن مَن آثَر مراعاةَ[٧] هذه الأبواب التي عدَّها[٨] على طاعة الله تعالى، التي أوجبها من الجهاد في سبيله؛ فليتربَّص[٩] نازلَ عقابِ الله به، وأنه بفعله ذلك[١٠] من جملة الفاسقين، وأنّ حكمَه حكمُهم، والله لا يهديهم إلى ما أعدَّه للمؤمنين من الثواب لتعرُّضهم لمخالفة[١١] أمر[١٢] الله تعالى للعقاب[١٣]، فكان[١٤] ذكرُ ﴿ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ أليقَ بهذا المكان.

---

(١) في (ك): «سبيل».
(٢) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «ولا بد لهم».
(٣) في (ب، ك): «يأملون».
(٤) «قال» سقطت من (أ، ع)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٥) في (ع): «بقوله».
(٦) تتمة الآية: ﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.
(٧) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «رعاية».
(٨) في (ك): «عدّدها».
(٩) في (ك): «فيتربَّص».
(١٠) في (ح، خ، ر): «وأن من يفعل ذلك».
(١١) في (ك، ع): «بمخالفة».
(١٢) «أمر» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(١٣) في (أ، ب): «العقاب»، والمثبت من (ك، ر).
(١٤) في (ك): «وكان».

إسلام ويب islamweb.net

وأما الموضع الثالث، وهو: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ فإنه بعد قوله في وصف الكفار: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا﴾[١] [التوبة: ٣٧]، وهو ما كان بعض العرب يأتيه[٢] من تحليل بعض الأشهُر الحُرُم، وتحريمِ بَدَلِه من الشهر الذي ليس بمحرَّم ليُوفِّي عِدّة الأربعة، فيكون في ذلك[٣] تحريمُ ما حلَّله الله وتحليلُ ماحرَّمه، فأخبر الله تعالى أنّ ذلك زيادةٌ في كفرهم، ثم عقَّبه بوصفهم بأنه[٤] لا يهديهم، فكان أحقَّ الأوصاف في هذا[٥] المكان لفظةُ[٦] ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ التي اقتضاها[٧] هذا[٨] المعنى والذكرُ المتقدِّمُ في مكانين من الآية. والله أعلم[٩].

[٩٤] الآية الثانية منها[١٠]:

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

وقال في سورة الصف [٨]: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾.

---

(١) في (أ): «﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ الآية»، والمثبت من (ب، ك).

(٢) في (ب): «تأتيه».

(٣) «ذلك» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك)، وفي (ر): «فيكون ذلك».

(٤) في (ك): «والله» بدل «بأنه».

(٥) في (ق): «بهذا المكان».

(٦) في (ك، ع): «لفظ».

(٧) في (ك، ع): «الذي اقتضاه».

(٨) «هذا» ليس في (أ، ب، ع)، وأُثبتت من (ك، ق).

(٩) «والله أعلم» ليست في (ك).

(١٠) «منها» ليست في (ع)، وفي النسخ المعتمدة: «من سورة براءة»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).

إسلام ويب islamweb.net

للسائل أن يسأل فيقول: قال تعالى في الآية الأولى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾[١]، وقال في الثانية: ﴿لِيُطْفِـُٔوا۟﴾، فما الذي أوجب اختصاصَ الأولى بما اختصَّت به، والثانيةِ باللام دون أن تكون مثلَ الأولى بـ«أنْ» وهي[٢] الأصل في تعدِّي[٣] الإرادة إليه؟

والجواب أن يقال[٤]: إن الإرادة في الآية[٥] الأولى تعلَّقت بإطفاء نور الله بأفواههم، وإطفاءُ نور الله إنما يكون بما[٦] حاولوه من دفع الحق بالباطل، فالحق[٧] يُسمّى[٨] نورًا؛ لأن حُجَجه وبراهينه[٩] تضيء لطالبه فيهتدي بها إليه، والباطلُ هو قولُهم بأفواههم، وهو ما أخبر الله تعالى به[١٠] قبلُ عن اليهود والنصارى فقال[١١]: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [التوبة: ٣٠]؛ أي: هو[١٢] قولٌ لا حقيقة له ولا محصول، وبمثله لا يُدفَع الحقّ، وبالأفواه لا يُطفَأ هذا النورُ كما يُطفَأ السِّراج[١٣]؛ لأن

(١) «﴿نُورَ ٱللَّهِ﴾» ليست في (ع).
(٢) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «وهو».
(٣) في (ب): «في تقدير»، ولا وجه له.
(٤) «أن يقال» ليست في (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٥) «الآية» ليست في (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٦) في (ب، ك): «هو ما» بدل «يكون بما».
(٧) في (ب، ع): «والحق».
(٨) في (ك، ع): «سُمِّي».
(٩) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «لأن حجته تضيء»، و«وبراهينه» ليست في (ع).
(١٠) «به» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(١١) «فقال» ليست في (أ، ب، ع)، وأُثبِتت من (ك، ح، ر).
(١٢) «هو» ليست في (ب).
(١٣) السراج هو المصباح الزاهر الذي يُسرَج بالليل. اللسان (٢: ٢٩٧ سرج).

إسلام ويب
islamweb.net

هـذا النور وإن أشـبهه في أنه[١] يهدي ويبيِّن[٢] الحـق من الباطل، فهو بخلافه في[٣] الامتناع من الإطفاء كما يتهيَّأ[٤] ذلك في السِّراج.

والنور يجوز أن يكون الآيةَ المنيرة والحُجّة الساطعة[٥]، ويجوز أن يكون المـرادُ بـه القرآنَ[٦]، ويجـوز أن يكون المـرادُ به النبيَّ[٧] ﷺ كمـا قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ [الأحـزاب: ٤٥، ٤٦]، فالسـراج المنيـر يُسـمّى نـورًا، وكلُّ واحـد مـن الثلاثـة إذا دفعـوه[٨] جاز أن يقال: حاولوا إطفاءه[٩]، والخبر عن اليهود والنصارى الذين قـال فيهـم عز وجـل[١٠]: ﴿ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ﴾[١١] [التوبـة: ٣٠]؛ أي: يشـاكلون[١٢] بإثباتهـم لله ابنًـا وشـريكًا قولَ من

---

(١) في (ر): «بأنه».
(٢) في (و): «ويميِّز».
(٣) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «من» بدل «في».
(٤) في (ك): «بيّنا».
(٥) هـذا اختيـار القرطبي (٨: ١٢١) حيث قال في تفسير قولـه تعالـى: «﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾ أي: دلالته وحججه على توحيده. جعل البراهين بمنزلة النور لِما فيها من البيان». وهذا القول في تفسير الماوردي (٤: ٢٣٢) منسوب إلى ابن بحر.
(٦) هو قول ابن زيد كما في تفسير الطبري (٢٨: ٨٨)، وتفسير الماوردي (٤: ٢٣٢).
(٧) هـو قـول الضحاك كما في تفسـير الماوردي (٤: ٢٣٢)، وتفسـير أبي حيـان (٨: ٢٦٣). قال ابن عطية (٦: ٤٦٩): «ولا معنى لتخصيص شيء ممّا يدخل تحت المقصود بالنور».
(٨) في (و): «دافعوه».
(٩) «إطفاءه» غير واضحة في (ب).
(١٠) في (ك): «قال لهم تعالى».
(١١) في (ب): «﴿مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾».
(١٢) هو معنى قوله تعالى: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ وهو من المضاهاة. قال الخليل في كتاب العين (٤: ٧٠): «والمضاهاة: مشـاكلة الشيءِ الشـيءَ»، وقال الزجاج (٢: ٤٤٣): «يشابهون، وأصل المضاهاة في اللغة المشابهة». ومعناهما واحد. والراغب (ص٥١٢) اقتصر على الأول.

إسلام ويب islamweb.net

أثبت مع الله آلهةً: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، وهذا[١] واضح، وتعدِّي[٢] الإرادة إلى هذا المراد ظاهر، وهو وجه الكلام والأصل.

وأما[٣] الآية في سورة الصف، وتعليقُ الإرادة فيها بالإطفاء مع زيادة اللام[٤]، فإن للنحويِّين في ذلك مذهبين:

أحدهما: أن اللام توضع موضعَ «أنْ» لكثرة ما يقال: زرتُك لِتكرمني، فاللام[٥] لمّا شُهِرت[٦] بنيابتها عن «أنْ» وقيامها مَقامها في الموقع[٧]، كان تعدِّي الفعل إليها مع ما بعدها من الفعل كتعدِّيه إلى «أن» وما تنصبه[٨] من المستقبل، فيقال: قصدت أن تفرح، وقصدت لتفرح[٩]، وهذا لا يكون إلا على سبيل التوسُّع دون الحقيقة.

فأما **المذهب الآخر** فللمحقِّقين، وهو أن الفعل مُعدًّى إلى مفعول

---

(١) في (ب، ك): «فهذا».

(٢) في (ك): «وتعذر»، وهو خطأ.

(٣) في (أ، ب): «فأمّا»، والمثبت من (ك، خ).

(٤) في (أ، ط): «الكفر»، والمثبت من (ب، ك، خ).

(٥) من (ك): «باللام».

(٦) من قوله: «أحدهما» إلى هنا سقط من (ب).

(٧) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «في الموضع».

(٨) في (أ): «وما تضمنه»، وفي (ب): «وما تضمنته»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).

(٩) اللام هنا هي اللام المعترضة التي تقع بين الفعل المتعدّي ومفعوله، وعلى هذا الرأي فإن اللام زِيدت في قوله: ﴿لِيُطۡفِـُٔواْ﴾ مع فعل الإرادة تأكيدًا له لِما في اللام من معنى الإرادة في قولك: جئتك لإكرامك. انظر: الكشاف (٤: ٩٩).

إسلام ويب islamweb.net

محذوف، واللام الداخلة على الفعل المنصوب تكون مُنبِئةً[١] عن[٢] العلة[٣] التي لها أُنشئ الفعل.

والمراد في الآية[٤] على هذا التحقيق[٥]: يريدون أن يكذِّبوا ليطفئوا نور الله بأفواههم؛ لأن قبلها: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ [الصف: ٧]، فقوله: ﴿يُرِيدُونَ﴾ لم يذكر فيه[٦] مفعول ما يريدونه[٧] اعتمادًا على ما نبَّه عليه بقوله[٨]: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾، فكأنه قيل: يريدون افتراء الكذب[٩] ليطفئوا نور الله، وهو على نحو قوله[١٠]:

أردتُ لِكَيْما يَعلَمَ الناسُ أنّها ... سراويلُ قَيسٍ والوفودُ شُهودُ

وألّا يقولوا غابَ قيسٌ وهذه ... سراويلُ عاديٍّ نَمَتْه ثَمودُ[١١]

---

(١) في (أ): «منبهة»، وفي (ك): «مبنية»، والمثبت من (ب).

(٢) في (أ): «على»، والمثبت من (ب، ك، ع).

(٣) أي: تكون اللام لام العلة.

(٤) تكرَّر لفظ «الآية» في (أ).

(٥) هو الرأى الثاني القائل بأن مفعول «يريدون» محذوف. وفي (ع): «واللام في الآية على هذا التحقيق هو أن المراد».

(٦) «فيه» أُثبِتت من (خ، م).

(٧) في (ب): «ما يريد قوله»، وهو غير واضح.

(٨) في (ك): «من قوله».

(٩) من قوله: «فكأنه» إلى هنا سقط من (ك).

(١٠) في (ب، ع): «وعلى هذا قوله».

(١١) جاء في بعض النسخ: «لكيلا». وفي (ع):

أردتُ لِكَيْما يَعلَمَ الناسُ أنّها ... سراويلُ عاديٍّ نَمَتْه ثَمودُ

وجاء في سير أعلام النبلاء للذهبي (٣: ١١٢): «أن قيصر بعث إلى معاوية: ابعث إليَّ =

إسلام ويب islamweb.net

أي: أردتُ أن أنزع سراويلي ليعلم الناس إذا رأوا طولَها أنها على عاديٍّ القامة، ثموديِّ الخِلقة.

فلهذا خُصَّت[١] الآيةُ الثانية بدخول اللام على «يطفئوا»، ولمّا[٢] كان المرادُ في الآية الأولى الإطفاءَ بالأفواه لِما دلَّ عليه مُفتتَح العَشر[٣]، وهو[٤]: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [التوبة: ٣٠]؛ كانت[٥] الإرادة مُعدّاةً إلى إطفاء نور الله تعالى بأفواههم، وهو ما حكى الله[٦] تعالى عنهم أنه قولهم بأفواههم؛ أي: يريدون أن يدفعوا الحق بالباطل من أفواههم[٧]، وهذا واضح.

= سراويل أطولِ رَجُلٍ من العرب، فقال لقيس بن سعد: ما أظننا إلا قد احتجنا إلى سراويلك، فقام فتنحَّى وجاء، فألقاها، فقال: ألا ذهبتَ إلى منزلك ثم بعثت بها؟ فقال:

أردتُ بها كي يعلَم الناسُ أنها ... سراويلُ قيسٍ والوفودُ شُهودُ
وألا يقولوا غاب قيسٌ وهذه ... سراويلُ عاديٍّ نَمَتْه ثمودُ»

بزيادة «بها» في قوله: «أردت بها كي يعلم الناس».

قال ابن عبد البر في الاستيعاب (٣: ١٢٩٣): «خبره ـ أي: قيس بن سعد ـ في السراويل عند معاوية كذِب وزور، مختلَق، ليس له إسناد، ولا يشبه أخلاق قيس، ولا مذهبه في معاوية، ولا سيرته في نفسه ونزاهته، وهي حكاية مفتعلة وشعر مزوَّر. والله أعلم».

(١) في (ب): «اختصت».

(٢) في (ب): «ولو»، وهو خطأ.

(٣) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «مفتتحها»، وفي (ع): «الكلام».

(٤) في (أ): «وهو يريدون»، وهو خطأ.

(٥) «كانت» جواب «ولمّا كان المراد».

(٦) لفظ الجلالة ليس في (ب).

(٧) في (ك، ع): «من أقوالهم».

إسلام ويب islamweb.net

[٩٥] الآية الثالثة منها[١]:

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤].

وقال في موضعين آخرين من هذه السورة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠]، وبعده[٢]: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

للسائل أن يسأل عن الفرق بين هذه الأماكن حتى أُعيد في الأول[٣] حرفُ الجر مع المعطوف، ولم يُعَدْ في المكانين الآخرين.

والجواب أن يقال: لمّا كان الأول[٤] فيه إيجاب بعد نفي، صار[٥] الخبرُ أوكدَ، وإلى أمارة التوكيد أحوجَ، ألا ترى أن قولك: «ما زيد إلا فاضل» أوكدُ[٦] من قولك: «زيد فاضل»، وكذلك[٧]: «ما زيد إلا قائم» أوكدُ من قولك: «زيد قائم»؟ فلما كان كذلك احتاج المعطوف[٨] على قوله: ﴿بِٱللَّهِ﴾ إلى توكيد لم

(١) «منها» ليست في (ع)، وفي (ب، ك): «من سورة براءة».
(٢) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «وما بعدها».
(٣) في (ك): «في الأولى».
(٤) في (ك): «إن المكان الأول فيه»، وذلك غير واضح في (ب).
(٥) في (ك): «فصار».
(٦) في (ع): «آكَد».
(٧) «زيد فاضل وكذلك» سقطت من (ب).
(٨) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ب، ع): «في المعطوف».

إسلام ويب islamweb.net

يحتَج إليه في قوله: ﴿كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[١]؛ إذ ليس أحدٌ[٢] من الموضعين الآخرين متضمِّنًا إيجابًا بعد نفي[٣] كما تضمَّنه قوله: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ الآية[٤].

[٩٦] الآية الرابعة منها[٥]:

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ۞ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾[٦] [التوبة: ٥٤، ٥٥].

وقال[٧] بعده[٨]: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾[٩] [التوبة: ٨٥].

---

(١) ذلك في الآيتين الأخيرتين. وفي النسخ المعتمدة: «﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾»، والمثبت هو أليقُ بالمقام.

(٢) في (ع): «واحدٌ».

(٣) أي: فلمّا خلا هذان الموضعان من إيجاب بعد نفي وهو الغاية في باب التوكيد، لم يؤكَّد المعطوفُ عليه بتكرار «الباء» ليكون الكل على منهاج واحد، بخلاف الموضع الأول حيث أُكِّد الكلام فيه بالإيجاب بعد النفي، فناسب تأكيد المعطوف بالباء.

(٤) «الآية» ليست في (ب)، وفي (ك): «فاعرفه إن شاء الله» بدل «الآية».

(٥) في (ك): «من سورة براءة»، وفي (ب، ع): «الآية الرابعة».

(٦) في (ع) إلى قوله: «﴿لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾».

(٧) من هنا إلى آخر ﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ سقط من (ب).

(٨) في (ك): «بعدها».

(٩) في (ر): «﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ۞ وَلَا تُعْجِبْكَ﴾».

إسلام ويب islamweb.net

للسائل أن يسأل في الآيتين[١] عن أربع مسائل:

أولها: قوله: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ﴾[٢] بالفاء في الآية[٣] الأولى، وقوله: ﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ﴾[٤] بالواو[٥] في الآية[٦] الثانية.

والمسألة الثانية: تكرار[٧] «لا» في قوله: ﴿وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡ﴾، وتركه في قوله: ﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡ﴾.

والثالثة: قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم﴾ باللام، وقال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم﴾.

والمسألة الرابعة: قوله: ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ في الآية الأولى، وفي الآخرة[٨]: ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا﴾[٩] من غير ذكر الحياة الموصوفة بها[١٠].

---

(١) كذا في (ب، ك)، وفي (أ، ع): «في هذه الآية».

(٢) في (ك): «﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ﴾»، وفي (ع): «﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ﴾».

(٣) في (أ، ب): «في الأولى»، والمثبت من (ك).

(٤) في (ك): «﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ﴾».

(٥) في (ع): «وقوله: ﴿وَلَا أَمۡوَٰلُهُمۡ﴾».

(٦) كذا في (ب، ك)، وفي (أ): «في الثانية».

(٧) في (ب، ك): «تكرر».

(٨) في (ع): «الأخيرة».

(٩) «في الدنيا» سقطت من (ك).

(١٠) صيغة السؤال في (ح، خ، ر، م): «لِمَ قال: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ﴾ في الأولى بالفاء، وفي الأخرى بالواو؟ ولِمَ كرَّر «لا» في قوله: ﴿وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡ﴾ في الأولى دون الأخرى؟ ولِمَ قال في الأولى: ﴿لِيُعَذِّبَهُم﴾، وفي الأخرى: ﴿أَن يُعَذِّبَهُم﴾؟ ولِمَ قال في الأولى: ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾، وفي الأخرى: ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا﴾؟ فهنا أربع مسائل».

إسلام ويب islamweb.net

والجواب عن المسألة الأولى في الفاء والواو، ومجيءِ الآية الأولى[١] على ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ﴾، والآخرة[٢] على[٣] ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ﴾، هو أن يقال[٤]: إنّ قبل الفاء قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾[٥] [التوبة: ٥٤]، فأخبر عن المنافقين بما يقصدونه بأفعالهم التي يوقعونها في حالهم واستقبالهم[٦] على معنى: أن يَكْسَلوا عن الصلاة ويتكرَّهوا[٧] الصدقات، فإن الله تعالى ليس يجازيهم بما يسوؤهم[٨] من أموالهم وأولادهم، بل يجعل[٩] ذلك عذابًا لهم مدةَ بقائهم بما ينالهم من النقص في أموالهم[١٠] بما أباح منها[١١] للمسلمين بالقتال[١٢]، وما يصيبهم في الأولاد من السَّبْي[١٣] والاستعباد[١٤]، ثم عند الفراق يكون الألم على قدر

(١) في (أ، ك، ع): «أول الآية»، والمثبت من (ب).
(٢) في (ب، ك): «والأخرى»، وفي (ع): «والآخر».
(٣) «على» سقطت من (أ، ب، ع)، وأُثبِتت من (ك).
(٤) في (أ، ب، ع): «وهو»، وفي (ك): «هو»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).
(٥) في (أ): «﴿إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ الآية»، والمثبت من (ب، ك).
(٦) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ع): «واستثقالهم».
(٧) في (ك): «يكرهوا». قلت: والمعنى: لا يرضون، ففي اللغة: تكرَّه الشيءَ: لم يرضه.
(٨) في (أ، ب، ك، ع): «يسرُّهم»، والمثبت من (م).
(٩) في (أ، ب، ك، ع): «يعجل»، والمثبت من (ح، خ، ر، س، م).
(١٠) في النسخ المعتمدة: «في الأموال»، والمثبت من (ر، م).
(١١) في النسخ المعتمدة: «منه»، والمثبت من (ح، خ، ر).
(١٢) «بالقتال» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب). وفي (ك): «وبالقتال».
(١٣) أي: من الأسر، وهو مصدر من سبى عدوَّه سبيًا وسباءً: أسره. اللسان (١٤: ٣٦٧ سبي). جاء في (أ، ب، ك، ع): «السباء»، والمثبت من (ح، خ، ر، م)، ومعناهما واحد.
(١٤) في كلام المؤلف هنا نظر؛ لأن كلامه مبني على أن المنافقين يُقاتَلون، فيغنم المسلمون =

إسلام ويب islamweb.net

محبة الأحياء[١]، هذا سِوى[٢] سوء الانقلاب[٣] وما[٤] أعدَّ لهم من العذاب ليوم[٥] المآب[٦]. فلما كان الفعل الذي قبل الفاء بمعنى الشرط صار بعدها في موضع الجزاء؛ فخُصَّت بالفاء لذلك[٧].

وأما الآية التي دخلتها «الواو» فإن قبلها أفعالًا ماضية كقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[٨] [التوبة: ٨٤]، وهذه الأفعال بمضيِّها وانقضائها[٩] لا تكون شرطًا فتُعقَّبَ[١٠] بالفاء التي تدل على الجزاء، فعُطِفت[١١] الآيةُ بعدها على ما قبلها بالواو لبطلان المعنى الذي يقتضي الفاءَ. ألا ترى أنه قال: ﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾؟ ولا يُشترَط فعل مَن قد مات فيُعقَّبَ بذكر الجزاء، فلذلك اختلفا في الفاء والواو[١٢].

= أموالهم ويأسرون أولادهم، وهذا فهم غريب؛ لأن الرسول ﷺ لم يقاتل المنافقين بل قاتل الكافرين المجاهرين بكفرهم، ومعلوم أن مجاهدة الكفار تكون بالقتال، وأما مجاهدة المنافقين فتكون بالحجة والبرهان.

(١) في النسخ المعتمدة: «الأحباب»، والمثبت من (م).

(٢) في (ر، م): «مثوى».

(٣) في (ب): «العذاب».

(٤) من هنا إلى قوله: «المآب» سقط من (ب).

(٥) في (ع): «في يوم».

(٦) أي: المرجع. والمآب مصدر ميمي من آب يؤوب أوْبًا وإيابًا: رجع. اللسان (١: ٢١٧ أوب).

(٧) في (ب، ك): «الفاء»، وفي (م): «فخصت الفاء بذلك».

(٨) كذا في (ب، ك)، وفي (أ): «﴿إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآية».

(٩) في (ب، ك): «وانقطاعها».

(١٠) في (ب، ع): «فيعقب».

(١١) في (ع): «فعطَف».

(١٢) في (ب، ك): «في الواو والفاء».

إسلام ويب islamweb.net

والجواب عن المسألة الثانية، وهي توكيد قوله: ﴿وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾[١] بـ«لا» في قوله: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾، وتعريةُ الثانية منها حيث قال: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ﴾[٢]، هو أن الذي أنبأ عن معنى الشرط في الفعل[٣] الأول ـ وهو: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤] ـ بُني على أوكد ما يُبنى عليه الإخبار من الإيجاب بعد النفي، فلمّا عُلِّقت الجملةُ الثانية به تعلُّقَ[٤] الجزاء بالشرط اقتضت من التوكيد ما قُصِد به مثلُه[٥] في الأول[٦]، فكان من[٧] ذلك أنْ أُكِّد[٨] معنى النهي[٩] بتكرير «لا» في قوله: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾.

وأما الآية الثانية فهي[١٠] مخالفة للأولى في هذا المعنى؛ لأنه لا شرط ينطوي عليه الفعل الذي قبلها كما انطوى عليه الفعل الذي قبل الفاء، ولم يتضمَّن أيضًا من التوكيد المقتضي بناءَ ما يتعلَّق به عليه، فخلا من الدواعي[١١] إلى التوكيد، فلم يُكرَّر[١٢] فيه «لا» لذلك.

---

(١) في (أ، ك، ع): «﴿وَأَوْلَٰدُهُمْ﴾»، والمثبت في (ب).
(٢) من قوله: «وتعرية الثانية» إلى هنا سقط من (ك).
(٣) في (أ، ع): «ما في الفعل»، وهو خطأ.
(٤) في (ع): «تعليقَ».
(٥) في (ب): «بمثله»، وفي (ك): «ما قصد مثله».
(٦) في (ب): «من الأول».
(٧) أُثبِتت «من» في (ك) فقط.
(٨) في (ع): «ذاك أن وكّد».
(٩) في (ب): «لمعنى النهي».
(١٠) في (ب): «وهي».
(١١) في (ك): «من الداعي».
(١٢) في (ب، ع): «فلم تُكرَّر».

إسلام ويب islamweb.net

والجواب عن المسألة الثالثة وهي وصل الإرادة باللام في الأولى[١] حيث قال: ﴿لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾[٢]، ووصلُها[٣] بـ«أنْ» في الثانية حيث قال: ﴿أَن يُعَذِّبَهُم﴾، هو أن الأولى معناها: إنما يريد الله أن يزيد في نَعمائهم بالأموال والأولاد ليعذِّبهم بها في الحياة الدنيا[٤]، فمفعول الإرادة[٥] محذوف، واللام لام الصيرورة، والآية الأخيرة مخالفة للأولى في ذلك؛ لأنها في الإخبار عن قوم قد[٦] ماتوا وانقرضوا على النفاق، فلم يُضمَر للإرادة مفعول[٧]، وهو[٨]: أن يزيد[٩] في نعمائهم؛ لانقطاع الزيادة بالموت عنهم، فعُدِّيت الإرادة إلى ما آل[١٠] إليه حالهم من تعذيبهم، فصار المعنى: إنما يريد الله ـ في حال إنعامه عليهم ـ تعذيبَهم به في الدنيا، ففرَّق بين الخبرين إذ كان أحدهما خبرًا عن قوم مُعرَّضين لزيادة إنعام الله عليهم، والأخير[١١] خبرًا[١٢] عمّن انقطعت أعمالهم وبلَغت نعمةُ الله عليهم غايةً لا مزيد فيها لهم، والله يريد تعذيبهم بذلك[١٣] بعد كفرهم ومُقامهم على نفاقهم.

---

(١) في (ب): «في الأول».
(٢) في (ع): «﴿لِيُعَذِّبَهُم﴾».
(٣) في (ب): «فوصلها».
(٤) في (ك): «في الدنيا».
(٥) ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم﴾.
(٦) «قد» سقطت من (أ).
(٧) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ع): «فلم تتضمَّن الآية مفعولًا».
(٨) في (ب): «هو».
(٩) «في» سقطت من (ك).
(١٠) أي: رجع. و«آل» سقطت من (ب).
(١١) في (ك، ع): «والآخر».
(١٢) في (ب): «خبر»، وفي (ك): «إخبار».
(١٣) في (ك): «به في الدنيا، وتعذيبهم بذلك كتعذيبهم بذلك بعد كفرهم».

إسلام ويب islamweb.net

والجواب عن المسألة الرابعة وهي قوله في الأولى: ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فجعل الدنيا صفة للحياة، وقوله في[١] الآخرة[٢]: ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾ فأغنى بذكر الصفة عن ذكر الموصوف، هو أن الثانية لمّا كانت بعد الأولى، وقد نبَّه فيها على الموصوف، كان في ذكره[٣] هناك غِنًى عن ذكره في هذا المكان، لا سيما[٤] والدنيا كاسمٍ عَلَمٍ للحياة الأولى[٥] وللدار[٦] الدنيا، فأغنى كلُّ ذلك عن ذكر الحياة والإتيانِ بالموصوف وهذه حال الصفة.

[٩٧] الآية الخامسة منها[٧]:

قوله تعالى: ﴿ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ۞ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨٦، ٨٧].

وقال بعدها في[٨] العَشر التي تلي هذه العَشر[٩]: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٩٣].

للسائل أن يسأل هنا[١٠] عن مسألتين:

---

(١) في (أ): «على»، وهو خطأ.
(٢) في (ع): «الأخيرة».
(٣) في (أ): «كان ذكره».
(٤) في (ب، ك): «سيما».
(٥) في (ك): «على الحياة».
(٦) في (ع): «والدار».
(٧) «منها» ليست في (ع).
(٨) في (ع): «بعد».
(٩) في (ك، ق): «وقال بعدها في العَشر التي هذه العَشر».
(١٠) في (ك): «ها هنا».

إسلام ويب
islamweb.net

إحداهما: عن[١] قوله في الأولى: ﴿وَطُبِعَ﴾ بفعل ما لم يُسَمَّ فاعله، وفي الثانية[٢] سُمِّي فاعله بقوله[٣]: ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ﴾.

والمسألة الثانية: قوله في الأولى: ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾، وفي الآخرة[٤]: ﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

والجواب عن المسألة الأولى أن قوله تعالى: ﴿وَطُبِعَ﴾ في آخر آيةٍ افتُتحت بقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ [التوبة: ٨٦]، والمعنى: وإذا أنزل الله سورة، فلما صُدِّرت الآيةُ بفعل[٥] عُلِم أن فاعله «الله» فيما[٦] لا يقتضي ذِكرُ الفاعل به مزيةً[٧]، بل يقوم[٨] المفعولُ به مَقامه؛ كان مثلُ هذا الفعل في منتهى الآية محمولًا عليه؛ لأنه معلوم أن الله تعالى يطبَع، كما عُلِم أن الله يُنزِل[٩]، فكانت التوفقة بين آخر الآية وأولها في ذلك هو الاختيار[١٠].

والآية الأخرى وقعت هذه اللفظة[١١] منها في موضع إشباع وتأكيد، ألا تراها في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾ [التوبة: ٩٣]،

---

(١) «عن» ليست في (ك، ع).
(٢) في (ب): «والثاني»، وفي (ك): «وفي الثاني».
(٣) في (أ، ب، ع): «لقوله»، والمثبت من (ك).
(٤) في (ك): «الأخرى».
(٥) في النسخ المعتمدة: «في فعل»، والمثبت من (ح، خ، ر).
(٦) كذا في (أ، ب)، وفي (ك، خ): «ببناء».
(٧) «به مزية» ليست في (ب، ك)، و«مزية» ليست في (ع).
(٨) في (ب، ك): «يقام».
(٩) في (د، ع): «ينزل السورة».
(١٠) في (أ، ب، ع): «فكانت التوفقة في ذلك من آخر الآية وأولها الاختيار»، والمثبت من (ك).
(١١) في (ع): «الآية».

إسلام ويب islamweb.net

فجاءت «إنما» بعد نفي مكرَّر[١] في قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾[٢] [التوبة: ٩١، ٩٢]، فنفى الحرج عمَّن قعد عن الجهاد لإحدى المعاذير التي ذكرها[٣]، ثم ألزم الحرجَ[٤] القومَ الذين حالُهم مُضادّة لأحوال أولئك[٥]، فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾[٦]؛ أي: الإثم يتوجَّه على من يستأذن[٧] في المُقام وهو قادر على الجهاد بالغنى[٨] واليَسار[٩] وصحّة الأبدان، رضوا بأن يكونوا مع النساء والزَّمْنى[١٠] والضعفاء، والله طبع على قلوبهم، فهم لا يعملون، فلمّا كان هذا الموضعُ موضعًا يتبيَّن[١١] فيه مُضادّة حالهم لأحوال غيرهم لِتخالُفٍ[١٢]

(١) في (ك، ع): «تكرَّر».

(٢) في (أ): «﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ الآيتين»، والمثبت من (ب، ك)، والتتمة: ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾.

(٣) في (ب): «ذكرنا».

(٤) في (ك): «الخروج».

(٥) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «لحال هؤلاء».

(٦) في (أ) إلى قوله تعالى: ﴿رَضُواْ﴾، والمثبت من (ب، ك).

(٧) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «يستأذنوك».

(٨) في (ح، خ): «للغنى».

(٩) اليسار ـ بالفتح ـ: الغنى والثروة. المصباح (٢: ٦٨٠).

(١٠) أي: المرضى الذين يدوم مرضهم زمنًا طويلًا، والزمنى جمع الزَّمِن. المصباح (١: ٢٥٦).

(١١) في (ك): «تبيَّن».

(١٢) في (ب): «ليخالف»، وفي (ك): «ليتخالفوا»، والمثبت من (أ، خ).

إسلام ويب islamweb.net

بين أفعالهم وأفعال[١] مَن فُسِح[٢] في القعود لهم؛ كان[٣] موضعَ تنبيه وتأكيد وتخويف وتحذير، فسُمِّي الفاعل ـ وهو «الله» تعالى ـ ليليق الفعل[٤] إذا جاء هذا المجيءَ بمكانه.

والجواب عن المسألة الثانية[٥] هو أن الذين ذُكِروا بالطَّوْل[٦]، وهو الفضل في النفس والمال والقدرة على الجهاد، إنما مالوا إلى الدَّعة[٧]، وأخلدوا[٨] إلى الراحة، وأشفقوا من الحرّ، ولم يفطِنوا أن الراحة في تحمُّل

(١) في (أ، ب، ع): «بين أحوالهم وأحوال»، والمثبت من (ك، و).

(٢) أي: أُذِن، يقال: فسَح له الأميرُ في السفر: أَذِن. المعجم الوسيط (ص٦٨٧).

(٣) «كان» جواب الشرط لـ«فلمّا كان».

(٤) في (ك): «هذا الفعل». قلت: الفعل هو الطبع على قلوبهم، فقد جاء في هذا الموضع مُسنَدًا إلى الله تعالى حيث قال: ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ لِيناسب ما بسط في توبيخ الذين يطلبون الإذن في التخلُّف عن الجهاد في سبيل الله وهم متمكِّنون منه، وليناسب أيضًا ما صدّر به الآية وهو «إنما» الحاصرة التي تحصر العقاب على المتخلِّفين بلا عذر، قال ابن عاشور (١١: ٦): «لعله للإشارة إلى أنه طبعٌ غير الطبع الذي جُبِلوا عليه، بل هو طبع على طبع أنشأه الله في قلوبهم لغضبه عليهم، فحرمهم النجاة من الطبع الأصلي، وزادهم عماية».

(٥) في (ع): «وهي قوله في الأولى ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾، وفي الآخرة ﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾».

(٦) قال الخليل (٧: ٤٥٠): «الطَّوْل ـ بالفتح ـ: القدرة»، وقال ابن دريد في الجمهرة (٢: ٩٢٦): «الطَّوْل: الفضل»، وقال في اللسان (١١: ٤١٤ طول): «الطول والطائل: الفضل والقدرة والغنى والسعة والعلوّ».

(٧) قال في القاموس (ص٩٩٤ ودع): «الدعة: الخفض والسعة في العيش»، وفي المصباح (١: ١٧٥): «وهو في خفضٍ من العيش؛ أي: في سعة وراحة».

(٨) أي: ركنوا إلى الراحة ورضوا بها. وفي اللسان (٣: ١٦٤ خلد): «وأخلد إلى الأرض وإلى فلان؛ أي: ركن إليه ومال إليه ورضي به».

إسلام ويب islamweb.net

التعب مع رسول الله ﷺ، وأن الدَّعة توجد بتحمُّل المشقة[١] معه، فطلبوا ما كان مطلوبُهم ضدَّه لو فقِهوا[٢] وتفطَّنوا[٣]، فكان هنا موضعُ ﴿يَفْقَهُونَ﴾.

وأما الآية الأخرى وهي: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾؛ أي: العقاب يتوجَّه[٤] إلى هؤلاء، وهم الذين[٥] لا يعلمون ما أعدَّ الله لكل ذي عمل مُحِقٍّ[٦] عملَه[٧] ما[٨] يعلمه المؤمنون الذين يستجيبون للخروج، والذين تفيض[٩] أعينهم[١٠]، إذ لم يُعِنهم بالرَّكوب[١١]. فلمّا كان بإزائهم في الآيتين اللتين[١٢] قبلُ، ذكَر مَن تحقَّق[١٣] وعلِم الثوابَ والعقاب على[١٤] اليقين، وخالفهم[١٥] هؤلاء؛ نفى عنهم ما أثبته لأولئك[١٦] وهو العِلم؛ فلذلك جاء في هذا المكان: ﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) في (ب): «الشقة».
(٢) في (ب، م): «فقهوا له»، بزيادة «له».
(٣) في (ك): «وفطنوا».
(٤) في (ب، ع): «متوجِّهٌ».
(٥) ليست في (ع).
(٦) في (م): «يحقّ».
(٧) «علمه» ليست في (أ).
(٨) في (ر): «ممّا».
(٩) أي: تسيل، وفي اللسان (٧: ٢١٠ فوض): «فاضت عينه تفيض فيضًا، إذا سالت».
(١٠) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ع): «مدامعهم». قلت: هو جمع المَدمَع، وفي المعجم الوسيط (ص٢٩٦): «المدمع: سيل الدمع، ومُجتمَع الدمع في نواحي العين».
(١١) قال في اللسان (١: ٤٣١): «الرَّكوب ـ بفتح الراء ـ والرَّكوبة من الإبل: التي تُركَب، وقيل: الرَّكوب: كل دابة تُركَب، وقيل: الرَّكوب: المركوب». وهؤلاء هم الفقراء الذين رغبوا في الجهاد وجاؤوا إلى النبي ﷺ يسألونه مركبًا يركبونه فيخرجون معه إلى الجهاد إذ ليس معهم من الزاد والسلاح والراحلة ما يمكِّنهم من الخروج مع رسول الله ﷺ في سبيل الله.
(١٢) هما الآيتان [٩١، ٩٢] من سورة التوبة.
(١٣) في بعض النسخ: «ذكر من تحقَّق بالدين»، وفي (ع): «تحقَّق الدين».
(١٤) في (ع): «علم».
(١٥) في (ب): «وخالف».
(١٦) في (أ، ب، ع): «لأولاء»، والمثبت من (ك، و).

إسلام ويب islamweb.net

[٩٨] الآية السادسة[١]:

قوله تعالى: ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢] [التوبة: ٩٤].

وقال بعده: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣] [التوبة: ١٠٥].

للسائل أن يسأل عن شيئين في هذا المكان:

أحدهما: ذكرُ[٤] ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٥] في الآية الثانية[٦]، وتركُه في الأولى.

والسؤال الثاني: قوله في الآية الأولى: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾، وفي الآية[٧] الثانية: ﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾، وهل لاختلافهما معنًى يوجبه ويخصِّصه بالمكان الذي يخصُّه[٨]؟

والجواب عن الأولى[٩] أن يقال: إن المخاطَبين في الآية الأولى هم

---

(١) في (ب): «من سورة براءة».
(٢) في (ب، ك، ع) إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾.
(٣) في (ب، ك، ع) إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾.
(٤) في (ك، ع): «ذكره».
(٥) في (أ، ك): «والمؤمنين»، وفي (ع): «المؤمنين»، والمثبت من (ب).
(٦) في (ب، ك، ع): «الأخيرة».
(٧) في (أ، ع): «وفي الثانية».
(٨) في (ع): «تختصُّه».
(٩) أي: عن المسألة الأولى، وفي (ب، ع): «عن الأول».

إسلام ويب islamweb.net

المنافقون، والمخاطَبون[١] في الثانية هم المؤمنون؛ لأنه قال في الأولى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾[٢]، والثانية قال قبلها[٣]: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[٤] [التوبة: ١٠٣]، وبعدها[٥]: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ١٠٤]، ثم قال: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وإذا اختلف المخاطَبون بما بيَّنّا في الآيتين كان قولُه: ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ بعد قوله: ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ معناه: أن الله قد أخبرنا بأخبارِكم[٦] التي تُخفونها في أنفسكم وتجاهرون[٧] بها مَن كان من المنافقين مثلَكم، والله سيرى ما يكون[٨] منكم[٩] بعدُ[١٠]، ويرى رسولُه[١١] بإطلاع الله[١٢] له عليه، وأعمالُهم[١٣] التي لأجلها يُحكَم عليهم بالنفاق يراها الله تعالى[١٤]

(١) في (ح، خ، ر): «والمخاطبين».
(٢) في (أ): «﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ الآية»، والمثبت من (ب، ك).
(٣) «قال قبلها» أُثبتت من (ح، خ، ر)، وفي (ع): «وفي الثانية».
(٤) قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ إلخ ليس في (أ)، والمثبت من (ب، ك).
(٥) في النسخ المعتمدة: «بعده»، والمثبت من (ح، خ، ر).
(٦) في (أ، ع): «أخباركم».
(٧) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ب): «وتجاهدون»، وهو خطأ.
(٨) في (أ، ب، ع): «والله يرى ما سيكون»، والمثبت من (ك)، وهو يوافق معنى ما في المصحف.
(٩) «منكم» سقطت من (أ).
(١٠) أي: في مستقبل أيّامكم.
(١١) في (ك): «رسول الله».
(١٢) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «بإطلاعه».
(١٣) في (ك): «أعمالهم» من دون الواو.
(١٤) «يراها الله تعالى» سقطت من (ك).

إسلام ويب
islamweb.net

ويُطْلِع[١] عليها رسولَه ﷺ، وما كلُّ مؤمن يعلمها؛ فلذلك لم يقل في هذا المكان: «والمؤمنون» بعد قوله: ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾.

وأما الآية الثانية[٢] فإنها فيمن أمر الله تعالى نبيَّه ﷺ وهو الذي[٣] أوجب عليهم الصدقات[٤] بأن يقول[٥] لهم: اعملوا[٦] ما أمركم الله تعالى به من الطاعات كالصلوات والصدقات، فإن الله ورسوله والمؤمنين[٧] يرون ذلك. وهذه الأعمال ممّا[٨] تُرى[٩] بالعين، خلاف[١٠] أعمال المنافقين التي تقتضي[١١] لهم النفاق لإضمارهم خلافَ إظهارهم، وهو مما[١٢] لا يُرى بالعين، وإنما يعلمه عالِمُ الغيب، فلذلك لم يذكر «المؤمنون»[١٣] في الأولى، وذكروا في الثانية.

والجواب عن المسألة الثانية[١٤]: أن معنى قوله للمنافقين: ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ

---

(١) في (ك): «ويُطلِع الله عليها رسوله».
(٢) هي قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.
(٣) في (ك): «وهم الذين».
(٤) «وهم الذين أوجب عليهم الصدقات» ليست في (ع).
(٥) في (ب): «قال».
(٦) في (ب): «بما».
(٧) في (أ، ك، ع): «والمؤمنون»، والمثبت من (ب، ح، خ، ر).
(٨) «ممّا» سقطت من (ك)، وفي (أ): «ما»، والمثبت من (ب، ح، خ).
(٩) في (ك، ع): «يُرى».
(١٠) في (ع): «بخلاف».
(١١) في (ر): «اقتضى».
(١٢) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «ما». وفي (ك): «لمّا».
(١٣) في (ب): «المؤمنين».
(١٤) هي: لِمَ قال: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ في الآية الأولى، وقال في الآية الثانية: ﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾؟

إسلام ويب islamweb.net

مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾[١]؛ أي: سيعلم الله حقيقة عملكم، وأنه عن غير صحة اعتقادٍ منكم، وأن اعتذاركم قولٌ بلسانكم لا يطابقه مُنطوي ضميركم، وهذا ظاهر، يكون الجزاءُ عليه خلافَه، ففصَل بينه وبين ردِّهم إلى الله تعالى للجزاء عليه[٢] بقوله: ﴿ثُمَّ﴾[٣]؛ أي: عملُكم يعلم الله مِن باطنِه خلافَ ظاهره، وقد أُمِرنا[٤] بالرضا به وحقنِ دمائكم له، ثم إن الحكم إذا رُدِدتم إلى الله تعالى في الآخرة[٥] بخلافه، فلِبُعْدِ ما بين الظاهر من عملكم وما تُجازَون به دخلت «ثُمَّ».

وليست كذلك الآيةُ الأخيرة؛ لأن قبلها[٦] بعثًا على عمل الخير بقوله[٧] تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] وهو وعد، والأول[٨] وعيد، وبعده: ﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾؛ لأنه وعدٌ بما[٩] يشاكل أفعالهم[١٠] ويطابق أعمالهم[١١] من حسن[١٢] الثواب وجميل[١٣] الجزاء،

(١) في (ك): «﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾».
(٢) «للجزاء عليه» سقطت من (ك).
(٣) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾».
(٤) في (ع): «أمَرَ».
(٥) «في الآخرة» ليست في (ع).
(٦) يعني قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ١٠٤]. قال الآلوسي في تفسيره (١١: ١٥): «والمراد التحضيض على التوبة والصدقة والترغيب فيهما».
(٧) في (ع): «لقوله».
(٨) هو قوله تعالى: ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٩٤].
(٩) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «ما»، وفي (ب، ع): «ممّا».
(١٠) في (ك): «أعمالهم».
(١١) في (ك): «أفعالهم».
(١٢) في (ح، ر): «من جنس».
(١٣) في (ب): «وجزيل».

إسلام ويب islamweb.net

ولم يبعُد عنها[١] كبُعد جزاء المنافقين عمّا هو ظاهر من أعمالهم التي يراؤون بها، ويعلم الله تعالى خلافها منهم[٢]، فجرى الكلام على نسق واحد، فقال: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ﴾ ﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾ ولم تدخل «ثُمَّ» التي هي للتراخي والتباعد[٣]، فاختصاصُ كل موضع بما اختصَّ به من اللفظ لما ذكرنا.

[٩٩] الآية السابعة منها[٤]:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

وقال بعده: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢١].

للسائل أن يسأل في ذلك عن مسألتين:

إحداهما[٥]: قوله تعالى في الآية[٦] الأولى: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ

(١) أي: ولم يبعُد هذا الجزاء والثواب عن أعمال المؤمنين.

(٢) في (ب، ك): «خلافة منها».

(٣) قال ابن جماعة في كشف المعاني (ص٢٠٠): «وأمّا ﴿ثُمَّ﴾ في الأولى فلأنها وعيد، فبيَّن أنه لكرمه لم يؤاخذهم في الدنيا، فأتى بـ﴿ثُمَّ﴾ المؤذنة بالتراخي. والثانية وعد، فأتى بالواو والسين في قوله تعالى: ﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾ المؤذنَين بقرب الجزاء والثواب، وبُعد العقاب. فالمنافقون يُؤخَّر جزاؤهم عن نفاقهم إلى موتهم، فناسب ﴿ثُمَّ﴾، والمؤمنون يُثابون على العمل الصالح في الدنيا والآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم﴾ [النحل: ٩٧]».

(٤) «منها» ليست في (ع).

(٥) في (ب): «أحدهما».

(٦) «الآية» ليست في (ك).

إسلام ويب islamweb.net

صَٰلِحٌ﴾، وقوله في الثانية: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم﴾[١] فحسبُ، ولم يُذكَر «عمل صالح» كما ذُكِر في الأولى[٢].

والمسألة الثانية: تعقيبه الأولى بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، وتعقيبه الثانية بقوله: ﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾، ووجه الاختلاف في هاتين الآيتين.

والجواب عن المسألة الأولى هو أن في جملة ما ذكره[٣] تعالى ممّا[٤] أوجب لهم الأجرَ أشياءَ ليست من أعمالهم؛ لأن الظمأ[٥] ليس هو من[٦] فعل الإنسان، والنَّصَبُ[٧] والمخمصةُ[٨] كذلك. فلما تضمَّن[٩] ما نسَق بعضَه على بعض ما ليس بعملٍ لهم وما هو عمل لهم بقوله[١٠]: ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا﴾؛ ألْحَقَ[١١] أجرَ ما ليس بعملٍ لهم بما هو عمل لهم فقال[١٢]: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌ﴾؛ أي: أجرُ عملٍ صالح[١٣].

---

(١) في (أ): «﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾»، وفي (ك): «﴿إِلَّا كُتِبَ﴾»، والمثبت من (ب).

(٢) كذا في (ب، ك)، وفي (أ): «كما ذكرت الأولى».

(٣) في (أ): «ما ذكر»، وفي (ع): «ما ذكره الله»، والمثبت من (ب، ك).

(٤) في (أ): «ما»، والمثبت من (ب، ك).

(٥) أي: العطش. اللسان (١: ١١٦ ظمأ).

(٦) «من» ليست في (أ، ك، ع)، وأُثبِتت من (ب).

(٧) أي: التعب. اللسان (١: ٧٥٨ نصب).

(٨) قال في اللسان (٧: ٣٠ خمص): «والمخمصة: الجوع، والمجاعة».

(٩) في (أ): «نسق» بدل «تضمَّن»، وهو خطأ.

(١٠) في (ك): «كقوله».

(١١) جواب «فلما تضمَّن».

(١٢) من قوله: «ألحقَ» إلى هنا سقط من (أ)، وأُثبِت من (ب، ك).

(١٣) «أي: أجرُ عملٍ صالح» ليست في (ع).

إسلام ويب islamweb.net

وما ذكر الله تعالى في الآية[١] الثانية[٢] كلُّه من أعمالهم، وهو قوله: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾؛ أي: لا يُخرِجون من أموالهم ما دقَّ أو جلَّ[٣]، ولا يقطعون في مسيرهم[٤] إلى أعدائهم واديًا إلا كان ذلك محفوظًا لهم، معلومًا مكتوبًا، أو كالمكتوب[٥] عند الله تعالى؛ ليجزيهم عليه أحسن الجزاء. فلما كان ما في الثانية[٦] عملَهم كُتِب على جهته، ولم يحتَج إلى أن يُكتَب به عمل صالح؛ لأنه هو[٧]. والأول كان فيه ما ليس بعملهم[٨]، فكُتِب[٩] به أجرُ مثلِ عملهم؛ فلذلك كانت الزيادة[١٠] في الأولى ولم تحتَج إليها الأخرى[١١].

---

(١) ليست في (ع).
(٢) في (ب، ك): «وما ذكر في الثانية».
(٣) أي: ما صغُر أو كبُر، وما حقُر أو عظُم، وما قلّ أو كثُر.
(٤) في (ك): «في سيرهم».
(٥) لا محل هنا للتشبيه؛ لأن العمل أو ثوابه مكتوبان حقًّا في اللوح المحفوظ، وفي صحف الأعمال.
(٦) أي: في الآية الثانية، وفي (ب، ك): «في الثاني».
(٧) في (ك): «هو هو».
(٨) في (أ): «بعلمهم»، وهو خطأ.
(٩) «به» ليست في (ك).
(١٠) هي قوله تعالى: ﴿بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾.
(١١) خلاصة كلامه: أن الآية الأولى اشتملت على ما هو من عملهم، وهو قوله: ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾، واشتملت أيضًا على ما ليس من عملهم، وهو قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، فتفضَّل الله بأن أجرى هذه الأعمال من ظمأ ونصب ومخمصة وإن لم يقصد به أصحابُها تقرُّبًا إلى الله تعالى ـ في غالب الأزمان ـ مُجرى عملهم في الثواب، فناسب ذلك زيادة قوله: ﴿بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾. وما ذُكِر في الآية الثانية مختص بما هو من عملهم، وهو قوله: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾؛ فلذلك قال: ﴿كُتِبَ لَهُمْ﴾؛ أي: ثواب ذلك العمل. انظر: كشف المعاني (ص٢١٠)، وفتح الرحمن (ص٢٤١).

إسلام ويب islamweb.net

والجواب عن المسألة الثانية ـ وهي تعقيب الأولى بقوله[١]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ ـ هو[٢] أن من أخبر عنه بأنه أصابه ظمأ ونصب وجوع، فقد أخبر عنه بفعل غيره، ولم يُخبِر عنه بفعل فعله[٣] هو، إلا أنه يُحسَب[٤] له بما[٥] وصل إليه من ألم العطش والجوع والتعب والنصب الأجرُ؛ فلذلك عقَّبه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾؛ أي: أجرَ[٦] من أحسن طاعة الله وتعرَّض منها لما تلحقه فيه هذه[٧] الشدائدُ.

وأما الآية الثانية وتعقيبها[٨] بقوله: ﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾، فلأن جميع ما ذكر كان عملًا لهم، فوعدهم حسن الجزاء على عملهم[٩]. وذلك ظاهر. والله أعلم.

انقضت سورة براءة عن سبعة مواضع[١٠] فيها[١١] ثلاث عشرة مسألة.

---

(١) «بقوله» ليست في (أ، ك، ع)، وأُثبِتت من (ب).
(٢) في (أ): «وهو».
(٣) في (ب): «يفعله».
(٤) في (ب، ك، ع): «يجب».
(٥) في (أ): «ما»، والمثبت من (ب، ك).
(٦) «أجر» سقطت من (أ، ك، ع)، وأُثبِتت من (ب).
(٧) «هذه» سقطت من (ك).
(٨) في (ع): «وتعقُّبها».
(٩) من قوله: «فوعدهم» إلى هنا سقط من (أ)، وأُثبِت من (ب، ك).
(١٠) في (ح، خ، ر، ع): «عن سبع آيات».
(١١) في (ع): «فيهن».

إسلام ويب
islamweb.net

سورة يونس عليه السلام[١]

[١٠٠] الآية الأولى منها[٢]:

قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [يونس: ١٨].

وقال في سورة الفرقان [٥٥]: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾.

للسائل أن يسأل عن تقديم ﴿يَضُرُّهُمْ﴾ على ﴿يَنفَعُهُمْ﴾ في الآية الأولى، وتقديم ﴿يَنفَعُهُمْ﴾ على ﴿يَضُرُّهُمْ﴾ في الآية الثانية، وهل صلَح أحدُهما مكانَ الآخر؟

فالجواب[٣] أن يقال: إنما قدَّم: ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ على ﴿لَا يَنفَعُهُمْ﴾[٤] في الآية الأولى لأن العبادة تُقام للمعبود خوفًا من العقاب أوّلًا، ثم[٥] رجاءً للثواب[٦] ثانيًا، وقد تقدَّم في هذا المكان ما أوجب تقديمَ ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ على ﴿لَا يَنفَعُهُمْ﴾[٧] في الآية الأولى، وهو قوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ

(١) في (ع): «خمس آيات».
(٢) «منها» ليست في (ب، ع).
(٣) في (أ): «الجواب»، وفي (ع): «والجواب».
(٤) في (ع): «﴿يَنفَعُهُمْ﴾».
(٥) «ثم» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٦) في (ع): «رجاءَ الثواب».
(٧) في (ع): «تقديمَ ﴿يَضُرُّهُمْ﴾ على ﴿يَنفَعُهُمْ﴾».

إسلام ويب islamweb.net

﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[١] [يونس: ١٥]، فكأنه قال: ويعبدون من دون الله ما لا يخافون[٢] ضررًا[٣] في معصيته، ولا يرجون نفعًا في طاعته[٤]، فقدَّم[٥] ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ على ﴿لَا يَنفَعُهُمْ﴾[٦] في هذا المكان لهذا المعنى ولهذا اللفظ المتقدِّم.

وأما سورة[٧] الفرقان فقد تقدَّمت[٨] فيها آيات قُدِّم فيها الأفضلُ على الأدون، كقوله[٩] عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان: ٥٣]، وكقوله[١٠] بعده: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]، وصلةُ النسب[١١] أفضل من صلة المصاهرة[١٢]، كما أن العذب[١٣] من الماء أفضل من الملح[١٤]، وقال بعده: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ﴾؛ أي: يتكلَّفون المشقة بعبادة ما لا يرجونه لنفع، ولا يخشونه لضرّ، فقُدِّم الأفضل على الأدون لهذا المعنى[١٥]،

---

(١) في (ع): «﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ﴾».
(٢) في (ك): «يخاف».
(٣) في (ك): «ضرر».
(٤) في (ب، ك، ع): «في عبادته».
(٥) في (ب، ع): «وقدَّم».
(٦) في (ع): «ما ﴿يَنفَعُهُمْ﴾».
(٧) في (ع): «في سورة».
(٨) في (ك): «تقدَّم».
(٩) في (ب، ك): «لقوله».
(١٠) في (أ، ب، ع): «وقوله»، والمثبت من (ك).
(١١) صلة النسب تجعل الإنسانَ ذا قربة تصله بغيره كالآباء والأبناء.
(١٢) صلة المصاهرة تصل الإنسانَ بأقرباء زوجه، كأقارب أحد الزوجين، وهي قرابة بالزواج.
(١٣) أي: الطيب الذي لا ملوحة فيه. اللسان (١: ٥٨٣ عذب).
(١٤) أي: من الماء المالح. قال في اللسان (٢: ٥٩٩ ملح): «والمِلح والمَلِيح خلاف العذب من الماء».
(١٥) في (ب): «لهذا المعنى الذي اعتمد له».

إسلام ويب islamweb.net

وللبناء على ما تقدَّم من الآيات[١]، فجاء في كل موضع على ما اقتضاه ما تقدَّم[٢]، وصحَّ المعنى[٣] الذي اعتمد عليه[٤].

[١٠١] الآية الثانية منها[٥]:

قوله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۞ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٣٢، ٣٣].

وقال في سورة المؤمن[٦] [٥، ٦]: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۞ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾.

للسائل أن يسأل في هاتين الآيتين عن ثلاث مسائل:

إحداها[٧]: دخول الواو على ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في سورة المؤمن، وخلوُّها منها في سورة يونس.

---

(١) في (ح، خ): «فبنى تقديم الأفضل على ما تقدَّم من الآيات كما مرّ».

(٢) في (ك، ع): «ما تقدَّمه».

(٣) في (ك، ع): «في المعنى».

(٤) في (أ، ب، ك، ع): «له»، والمثبت من (خ). قلت: لقد تطرَّق المؤلف رحمه الله تعالى إلى تقديم النفع على الضر، وتأخيره عنه في الآية [٢٨] من سورة الأعراف حسب ترتيب المؤلف، وانظر من هذا الكتاب (٢: ١٧٣).

(٥) «منها» ليست في (ع)، وفي (أ، ب): «من سورة يونس عليه السلام»، والمثبت من (ك).

(٦) المؤمن من أسماء سورة غافر، سُمِّيت سورة المؤمن لاشتمالها على حديث مؤمن من آل فرعون في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [غافر: ٢٨]. يُنظَر: البصائر للفيروزآبادي (١: ٤٠٩).

(٧) في (ع): «إحداهن».

إسلام ويب islamweb.net

والثانية[١] قوله في الأولى: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟﴾[٢]، وفي الثانية: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[٣].

والثالثة: قوله في يونس[٤]: ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وفي المؤمن[٥]: ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾.

والجواب عن المسألة الأولى، وهي ترك الواو في هذا الموضع[٦] وإثباتها في سورة المؤمن: أن القصة بعد ﴿كَذَٰلِكَ﴾[٧] هي التي قبلها، فهي مرتبطة بها بعَودها[٨] إليها، وبكاف التشبيه، فاستغنت بهذين الرابطين[٩] عن حرف العطف، فهؤلاء الذين حقت عليهم كلمة الله[١٠] أنهم لا يؤمنون، هم الذين خُوطبوا بقوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٣١].

وليس كذلك ما في سورة المؤمن؛ لأنه وإن[١١] تعلَّق به[١٢] بكاف التشبيه فإنه ينقطع عنه بأن المذكورين بعد «كذلك» غير المذكورين قبلها، ألا ترى أنّ[١٣] قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ

(١) من هنا إلى قوله: «وفي الثانية» سقط من (أ)، وأُثبِت من (ب، ك).
(٢) في (ك): «الذين فسقوا».
(٣) في (ك): «الذين كفروا».
(٤) في (أ، ب، ع): «في الأولى»، والمثبت من (ك).
(٥) في (أ، ب، ع): «وفي الثانية»، والمثبت من (ك).
(٦) أي: في سورة يونس، وذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾.
(٧) في (ب): «ذلك»، هو خطأ.
(٨) في (ع): «تعود».
(٩) في (أ، ب، ع): «الرباطين»، والمثبت من (ك).
(١٠) في (ب): «الكلمة».
(١١) «وإن» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(١٢) ليست في (ع).
(١٣) «أن» أُثبِتت من (ح، خ، ر).

إسلام ويب islamweb.net

لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ﴾[١] [غافر: ٥] خبرٌ[٢] عن الذين كانوا قبل النبي ﷺ، وما[٣] بعد قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٦] إنما هو وعيد لمن هو[٤] في عصره عليه الصلاة والسلام، فلما انقطع ما بعد «كذلك» هنا عما قبلها احتاج إلى الواو[٥]، وما في سورة يونس لمّا لم ينقطع ما بعدها عما قبلها لم يحتَج إليها.

والجواب عن اختصاصه بقوله: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ﴾ في سورة يونس، واختصاصِ ما في سورة المؤمن بقوله: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فلأن[٦] الأول في ذكر قوم أخبَر عنهم بقوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٣١]، فأخذ[٧] إقرارَهم بأن الله تعالى هو الذي يرزقهم من مطر السماء ونبات الأرض، وهو الذي يملك أسماعهم وأبصارهم، فإن أحبَّ سمعوا وأبصروا، وإن لم يُرِد ذلك صمُّوا وعمُوا، وهو[٨] الذي يُخرِج الحيّ من الميت كالفرخ[٩] من البيضة، ويُخرِج الميت من الحيّ كالبيضة من الدجاجة[١٠]،

(١) من قوله تعالى: ﴿ليأخذوه﴾ إلى هنا ليس في (ك).
(٢) في النسخ المعتمدة: «خبرًا»، والمثبت من (ح، خ، ر).
(٣) «ما» سقطت من (أ).
(٤) في (أ، ب): «وعيد من»، وفي (ع): «وعيده مَن»، والمثبت من (ح، خ، ر).
(٥) في (أ، ب، ع): «إلى الواو ما لم يحتج إليها ما في سورة يونس»، والمثبت من (ك، و).
(٦) في (ب، ك): «فإن»، وفي (ع): «أن».
(٧) «فأخذ» سقطت من (أ، ع)، وأُثبِتت من (ب، ك)، وفي (ع): «وإقرارِهم».
(٨) «وهو» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٩) الفرخ: ولد الطائر. اللسان (٣: ٤٢ فرخ).
(١٠) هذا المثال إخراج ماديّ، وقد مثّل المفسرون لما هو إخراج مادي كالمثال الذي ذكره =

إسلام ويب islamweb.net

وأنه هو الذي يدبِّر أمور الخلق من ابتداء أحوالهم إلى انتهائها، وكانوا ممن أخبر الله تعالى[١] عنهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، فباينوا بإثبات الصانع وما زعموه من معرفة الخالق مَن أنكره وجحد[٢] بآياته، وفسَقوا بأن عبدوا معه غيره، ولم يُثبِتوا النبيَّ ﷺ ونبوّته، الفسقَ الذي هو كفر لا ينفع[٣] معه الإقرارُ الأول[٤]، فقال تعالى: هؤلاء الذين أقرُّوا بالصانع[٥] وصفات فعله[٦]، ثم خرجوا عما دخلوا فيه بإنكار نبوّة النبي ﷺ، وبعبادة آلهة مع الله تعالى؛ كان ذلك فسقًا لخروجهم عن حكم[٧] من يقرُّ بما أقرُّوا به.

والفسق فسقان: **أحدهما** هو الكفر، وتسميته به[٨] لهذا[٩] الوجه الذي قلناه، وهو كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [السجدة: ٢٠]. **والثاني** فسق ليس بكفرٍ، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٤]، ليس المرادُ بهم الكافرين[١٠]، .....

= المصنف، وكالنخلة من النواة، والعكس. وما هو إخراج معنويّ كإخراج العالِم من الجاهل، والمؤمن من الكافر، والعكس.

(١) قوله: «الله تعالى» ليس في (ب، ك، ع). (٢) في (ك): «وجحده».

(٣) في (ك، ع): «لا يُنتفَع».

(٤) الإقرار الأوّل هو إثبات الله تعالى عز وجل خالقًا صانعًا. وفي (ب، ك، ع): «بالإقرار».

(٥) في (ب): «فعلهم»، وهو خطأ. (٦) في (ب): «فعلهم»، وهو خطأ.

(٧) «عن حكم» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(٨) «به» سقطت من (أ، ب)، وأُثبِتت من (ك، خ)، وفي (ع): «ويُسمّيه».

(٩) في (ب): «بهذا».

(١٠) وإنما المراد بهم في آية سورة النور: الكاذبون، يُنظَر: قاموس القرآن للدامغاني (ص٣٥٩).

إسلام ويب islamweb.net

فأخبر عن هؤلاء بـ[١] ﴿ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ﴾ في سورة يونس لذلك[٢].

وأما في سورة المؤمن فإنه لم يتقدَّمه مثلُ[٣] ما تقدَّم هنا، بل قال تعالى قبله: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۞ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ﴾[٤] [غافر: ٤، ٥]، فأخبر عن الكفار الذين في عصره[٥] بأنهم كفروا بمجادلتهم في آيات الله، فشبَّههم[٦] بالقوم الذين مضوا قبلهم حيث قال: ﴿وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۢ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ [غافر: ٥]، ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٦]، فلما أراد الذين[٧] قدَّم ذكرهم من أول القصة، وهم الذين أخبر عنهم بقوله: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ [غافر: ٤]؛ كان[٨] أن يصفهم بما وصفهم به قبلُ من الكفر أولى وأدلَّ على أن المعنيِّين بوجوب[٩] النار لهم هم الذين قدَّم ذكرهم[١٠].

---

(١) الباء سقطت من (أ، ب) وأُثبتت من (ك).

(٢) في (أ، ب، ع): «كذلك»، وأُثبتت من (ك، خ).

(٣) «مثل» ليست في (أ، ع).

(٤) في (أ): «﴿كَفَرُواْ﴾ الآيتين»، والمثبت من (ب، ك).

(٥) في (ب، ع): «في عصرهم».

(٦) في (أ، ع): «فشبّهوا»، والمثبت من (ب، ك).

(٧) في (أ): «الذين كفروا»، وهو غير مستقيم هنا.

(٨) «كان» جواب الشرط لقوله: «فلمّا أراد».

(٩) في (ك): «يوجب»، وهو خطأ.

(١٠) في (ع): «أن المعنيَيْن من وجوب النار لهم وأنهم الذين قدَّم ذكرهم».

إسلام ويب islamweb.net

والجواب عن المسألة الثالثة[١]، وهي[٢]: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٣٣]، وقولُه في سورة المؤمن [٦]: ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾[٣]، فلأنه[٤] تعالى أراد أن يبيِّن أنهم ـ وإن أقرُّوا بالله تعالى وأثبتوه خالقًا قادرًا صانعًا ـ غيرُ مؤمنين، وما داموا يعبدون غيره لا يؤمنون، فالقصدُ إلى إبطال ما بذلوه[٥] بألسنتهم من الإقرار بخالقهم، والقصدُ في الآية[٦] التي في سورة المؤمن توعُّدُهم[٧] على كفرهم بالنار؛ إذ لم يتقدَّم ذكرُ إقرارٍ يشبه إقرار المؤمنين، فيبطُل بتركهم سائر ما[٨] أمر الله تعالى به.

[١٠٢] الآية الثالثة منها[٩]:

قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥٥].

وقال بعده في العَشر التي تلي هذه العَشر: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ﴾[١٠] [يونس: ٦٦].

---

(١) في (أ، ب، ك): «عن المسألة الثانية»، والمثبت من (و)، وهو الصواب.

(٢) في (ع): «وهي قوله».

(٣) من قوله: «وقوله في سورة المؤمن» إلى هنا سقط من (ب).

(٤) في (أ): «فإنه»، وفي (ع): «أنه»، والمثبت من (ب، ك).

(٥) في (ب): «أبدلوه»، وفي (خ): «بدَّلوه».

(٦) هي قوله تعالى: ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾.

(٧) في (ع): «إلى وعدهم».

(٨) «ما» سقطت من (أ).

(٩) «منها» ليست في (ع)، وفي (ب): «من سورة يونس».

(١٠) في (أ): «﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية»، والتتمة من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

وقال بعده في هذه العَشر: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبۡحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآ﴾[١] [يونس: ٦٨].

للسائل أن يسأل في ذلك عن مسائل:

إحداها[٢]: لماذا كان في الآية الأولى: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، وفي الثانية: ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؟ وهل صلَح «مَن» في الآية الأولى، و«ما» في الثانية[٣]؟

والمسألة الثانية: ما الذي دعا إلى التوكيد في «مَن» حتى أعيدت في قوله: ﴿وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، ولم تُعَدْ «ما» في الآية الأولى عند ذكر الأرض[٤]؟

والمسألة الثالثة[٥] عمّا دعا إلى تكرير «ما» في قوله: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ولم يكرِّرها في الآية الأولى في قوله[٦]: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ولم يقل: «وما في الأرض».

فالجواب[٧] عن المسألة الأولى، واختصاص «ما» حيث اختصَّت، واختصاص «مَن» حيث اختصَّت؛ هو أن الأولى جاءت بعد قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ﴾ [يونس: ٥٤]، فكان المعنى: أن النفس الظالمة إذا رأت عذاب الله تعالى لو ملكتْ جميعَ ما في الأرض لَبَذَلَتْه في[٨]

---

(١) في (أ): «﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ الآية»، والمثبت من (ب، ك).

(٢) في (ب): «أحدها»، وفي (ع): «إحداهن».

(٣) في (ك): «وهل صلح ما في الآية الأولى في الثانية».

(٤) من قوله: «والمسألة الثانية» إلى هنا سقط من (ك).

(٥) في (ب، ك): «الثانية»، وذلك خطأ.

(٦) في (ب): «وقوله».

(٧) في (ك، ع): «والجواب».

(٨) «في» ليست في (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

فداء نفسها، وهي تحرص على اليسير من حُطامها[١] في ظُلم أهلها، فكرَّر على ذلك بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٢] [يونس: ٥٥]؛ أي: أن النفس[٣] الظالمة لا تملك ما في الأرض[٤] فتفتدي به، ولو ملَكته لَما[٥] قُبِل في[٦] فدائها، وكيف يكون لها ذلك والله تعالى مالك ما في السماوات والأرض، وليس للعبد ذلك، ولا محلُّه هنالك[٧]؟ فوجب لهذا[٨] المكان «ما»؛ لقوله: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٩]، والمراد: نفائس[١٠] ما في الأرض ممّا ملَّكه الله تعالى العبادَ.

وأما الموضع الذي ذكر فيه «مَن» فلم يصحَّ فيه غيرها[١١]؛ لأن قبله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾[١٢] [يونس: ٦٥، ٦٦]، والمعنى: لا يحزنك ما يتوعَّدك[١٣] به

---

(١) الحُطام من كل شيء: ما تحطَّم منه، والحطام من النبات: ما يبس، والحطام من الدنيا: متاعها، وحطام البيض: قشرُه. يُنظَر: اللسان (١٢: ١٣٨ حطم)، والمعجم الوسيط (ص١٨٣).

(٢) قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ ليس في (أ، ب)، وأُثبِت من (ك).

(٣) في (ب، ك، ع): «أي: النفس».

(٤) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «ما في السماوات»، وهو خطأ.

(٥) في (ع): «ما».

(٦) في (ب): «من» بدل «في».

(٧) في (ب): «هنا»، وفي (ر): «ولا يحتمله هناك».

(٨) في (ك): «في هذا».

(٩) ذلك في الآية [٥٥] من سورة يونس. وفي (أ، ك، ع): «ما في الأرض»، وفي (ب): «له ما في الأرض»، والمثبت من المصحف.

(١٠) في (ب): «يقاس»، وهو خطأ.

(١١) في أكثر النسخ: «فيها غيرها»، وفي (أ): «غيره».

(١٢) في (أ) إلى قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ﴾، والمثبت من (ب، ك).

(١٣) في (ب، ع): «يتوعد».

إسلام ويب islamweb.net

الكفار من القتل وأنواع[١] المكروه[٢]، فإن العزة[٣] لله تعالى، لا يمنح[٤] الكفارَ قدرةً على ما يريدونه منك، بل يعطيك القدرةَ[٥] عليهم، والغلبةَ[٦] لهم، فإنه يملك مَن في السماوات ومن في الأرض، ولا قوة لهم إلا به، ولا قدرة لهم إلا من عنده؛ فاقتضى هذا المكان «مَن» كما رأيت.

والجواب عن المسألة الثانية، والسبب في إعادة «مَن» فيها[٧]، وترك إعادة «ما» في الآية الأولى فقال: ﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وقال هناك: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ولم يقل: «ما في الأرض»؛ فلأن[٨] المقصود بالذكر أنه[٩] قادر على أن يكفي النبيَّ ﷺ أمرَه هو[١٠] ومَن في الأرض من الكفار الذين بُعِث إليهم وخوَّفوه أذاهم، فقرَن إلى ذِكرهم ذِكرَ من في السماوات، وهم[١١] أكبر شأنًا[١٢] وأعظم أمرًا، فإذا مُلِكوا كان مَن دونهم أدونَ، فإعادة[١٣] «مَن» مع ذكر الأرض للتوكيد الذي اقتضاه القصدُ إلى ذِكرهم.

---

(١) ليست في (ع).
(٢) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «والمكروه».
(٣) في (ب، ك، ع): «القدرة».
(٤) في (ب): «ولا نمنح»، وفي (ك): «وهو لا يمنح»، وفي (ع): «ولا يمنح».
(٥) في (أ، ع): «العزة»، وفي (ب، ك): «القوة»، والمثبت من (ح، خ، ر).
(٦) في (أ، ع): «الغلب». قلت: الغلب والغلبة مصدر غَلَبَ بمعنى قَهَر. اللسان (١: ٦٥١ غلب)، ولا فرق بينهما.
(٧) ليست في (ع).
(٨) في (ب): «فهو لأن»، وفي (ع): «هو أن».
(٩) في (ب، ع): «وأنه».
(١٠) في (أ، ك): «وهو»، والمثبت من (ب، ق).
(١١) في (أ، ك، ع): «وهو»، والمثبت من (ب).
(١٢) في (ب): «أكثر ثباتًا».
(١٣) في (ع): «فأعاد».

إسلام ويب islamweb.net

وأما حذف «ما» في الآية الأولى عند ذكر الأرض فلأن ذكرها[١] قد تقدَّم، وهو: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾، فلما قال: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ كان «ما» في ذكر «الأرض» هناك[٢]، ورجوعُ هذا إلى ذلك المعنى مثلُ ذكره في هذا الموضع، فأغنى ذلك عن التكرير[٣].

والجواب عن المسألة الثالثة، وهي تكرير «ما» في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ[٤] مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٨] مع حذفها من الآية الأولى، هو أن قبله: ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِيُّ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٨]، فنزَّه نفسه تعالى عن الولد، وأخبر أنه غنيٌّ عما يُجلَب[٥] باتخاذه، ويُستفاد بمكانه؛ إذ كان مالكًا لكل ما في السماوات وما في الأرض، فكان الموضعُ موضعَ توكيد[٦]، فكأنه قال: إذا كان له كل ما في السماوات وكل ما في الأرض فلماذا يتخذ الولد؟ ولا يجوز عليه اجتلابُ مسرّة وانتفاع به؛ لأنه هو[٧] الغني بنفسه[٨]، فإعادة[٩] «ما»[١٠] في هذا المكان لهذا الضرب[١١] من

---

(١) في (ب، ع): «ذكره».

(٢) في (ب، ع): «كان في ذكر ما في الأرض هناك»، وفي (ك): «كان ذكر ما في الأرض هناك». و«هناك» تشير إلى الآية [٥٤] من سورة يونس.

(٣) في (ب، ع): «التكرار».

(٤) ليست في (ع).

(٥) في (ب، ك، ع): «يجتلب».

(٦) في (ع): «تأكيد».

(٧) «هو» أُثبِتت من (ق، م).

(٨) في (ب): «ولا يجوز عليه اتخاذ ولد لأنه الغني بنفسه».

(٩) في (ع): «فأعاد».

(١٠) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «فأعادها».

(١١) في (ب): «الغني».

إسلام ويب islamweb.net

التوكيد؛ أي: هو غنيٌّ لا يحتاج إلى ولد يُعينه على شيء مما[١] في السماوات، وهو مالك له كله، ولا إلى[٢] أن يُعينه على[٣] شيء ممّا[٤] في الأرض، وهو مالك له بأسره، فلما تأكَّد[٥] الكلام في مثل هذا[٦] المكان جاءت «ما» مُعادة لهذا الشأن. والله تعالى أعلم.

[١٠٣] الآية الرابعة منها[٧]:

قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٤].

وقال في سورة النمل في آخرها[٨] [٩١]: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

للسائل أن يسأل عن اختصاص هذا المكان بـ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، واختصاص آخر سورة النمل[٩] بـ﴿ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

والجواب أن يقال[١٠]: أن قبل هذه الآية[١١] في سورة يونس[١٢] .....

(١) «مما» أُثبِتت من (خ).
(٢) «إلى» سقطت من (أ، ب، ع)، وأُثبِتت من (ك، و).
(٣) في (ب، ك، ع): «في».
(٤) «مما» ليست في (أ، ب، ع)، وأُثبِتت من (ك، و).
(٥) في (ع): «توكَّد».
(٦) «الكلام في مثل هذا» سقطت من (ك).
(٧) «منها» ليست في (ع).
(٨) في (ع): «آخر سورة النمل».
(٩) في (أ): «وذلك بـ﴿ٱلْمُسْلِمِينَ﴾»، والمثبت من (ب، ك).
(١٠) «أن يقال» أُثبِتت من (ح، ر، م).
(١١) «الآية» ليست في (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(١٢) في (أ): «في يونس».

إسلام ويب islamweb.net

قوله تعالى[١]: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣]، فقال بعده: وأُمِرت أن أكون منهم[٢].

وأما[٣] في سورة النمل[٤] فإن قبل هذه[٥] الآية منها[٦]: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [النمل: ٨١]، فكأنه قال: وأُمِرت[٧] أن أكون ممّن إذا سمع بآياته[٨] آمن بها[٩]، وكان من المسلمين الذين مُدِحوا بأن النبي ﷺ يُسمِعهم، إذ[١٠] ينتفعون بما يسمَعونه منه، فلما تقاربت[١١] اللفظتان وكانتا تُستعمَلان لمعنًى[١٢] واحد؛ حُمِلت كلُّ واحدة منهما على اللفظ الذي[١٣] تقدَّمها ولاءَمها[١٤].

[١٠٤] الآية الخامسة منها[١٥]:

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ﴾ [يونس: ١٠٨].

---

(١) «قوله تعالى» ليست في (أ، ع)، وأُثبتت من (ب، ك).

(٢) أي: من المؤمنين، ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

(٣) في (ب، ع): «فأما».

(٤) في (أ): «في النمل».

(٥) «هذه» ليست في (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).

(٦) «منها» ليست في (أ، ك)، والمثبت من (ب).

(٧) النسخ المعتمدة من دون الواو، والمثبت من (ح، خ، ر، و).

(٨) في (أ): «بآية»، والمثبت من (ب، ك).

(٩) «بها» ليست في (أ، ب)، والمثبت من (ك).

(١٠) في (ب، ك): «أي».

(١١) في (م): «تقارنت».

(١٢) في (خ، ر): «بمعنى».

(١٣) «الذي» سقطت من (أ).

(١٤) أي: وافقها. وفي اللسان (١٢: ٥٣١ لأم): «لاءمني الأمر أي: وافقني».

(١٥) «منها» ليست في (ب، ع).

إسلام ويب islamweb.net

وقال في آخر[١] سورة النمل [٩٢]: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾.

للسائل أن يسأل عن اختلاف الموضعين، وقولِه في الأولى: ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾، وفي الثانية: ﴿وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾[٢].

والجواب[٣] أن يقال: أما الآية الأولى فإنه لمّا قال فيها: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ﴾؛ أي: منفعةُ اهتدائه له، وهي دوام النعمة والخلود في الجنة، فاقتضى[٤] هذا في الضلال ضدَّه، فقال: ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾؛ أي[٥]: ضررُ ضلاله عليه، وهو دوام العقاب[٦] بأليم العذاب ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ ولا[٧] يلزَمني أن أقِيَكم ما لا تَقُونه[٨] أنفسَكم كالوكيل الذي يلزَمه حفظُ ما وُكِّل به ممّا يضرُّه.

وأما الآية الثانية[٩] في آخر سورة النمل فإنها عُدِل بها عند[١٠] ذكر الضلال عمّا حُمِلت عليه في الآية التي في آخر سورة يونس[١١] لتُحمَل على الفواصل التي قبلها، وهي مختومة بالواو والنون[١٢]، أو الياء والنون[١٣]، .....

(١) «آخر» ليست في (ب).
(٢) من قوله: «للسائل» إلى هنا سقط من (أ، ب، ع)، وأُثبِت من (ك، ق، د).
(٣) في (ب): «فالجواب».
(٤) في (ك، ع): «واقتضى».
(٥) في (ع): «ومن ضلَّ فإنما ضررُ».
(٦) في (ك): «العقاب الأليم».
(٧) في (ع): «وما».
(٨) في (ب): «ولا يلزمني ما تقونه».
(٩) في (ب، ك، ع): «الآية التي».
(١٠) في (أ، و): «عن»، والمثبت من (ب، ك).
(١١) في (أ): «النمل»، وهو خطأ، والمثبت من (ب، ك).
(١٢) مثل قوله تعالى: ﴿تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨]، ومثل ﴿تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٠].
(١٣) مثل قوله تعالى: ﴿دَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧]، ومثل ﴿ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩١].

إسلام ويب islamweb.net

فقال تعالى: ﴿وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾؛ أي: ممّن يعلِّمكم ما يلزَمكم أن تحذَروه[١]، ويخوِّفكم ما يجب عليكم أن تجتنبوه، فاشتمل هذا على معنى: ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾؛ لأن في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾[٢] تخويفًا وإنذارًا، وفيه[٣] إذا قال: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾[٤]؛ أي: لستُ ممّن يُكرِه على ما يحميكم من النار، ويقيكم حرَّ العقاب كالوكيل الذي يُحامي على ما وُكِّل به أن يناله ضرر، مثل: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾، فجاء على لفظ[٥]: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾[٦]؛ لتكون الفاصلة مُشاكِلةً للفواصل التي[٧] قبلها مع تأديةِ مثلِ المعنى الذي أدَّته الآية[٨] التي شابهتها[٩].

انقضت سورة يونس عن خمس آيات فيها تسع[١٠] مسائل[١١].

---

(١) في (خ، ر): «أن تجترزوه».

(٢) من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ إلى هنا سقط من (ك).

(٣) في (ك): «فيه».

(٤) في (أ، ب، ع): «إنما أنا ممن ينذر»، والمثبت من (ك).

(٥) في (ب، ع): «لفظة».

(٦) في (ب): «وما أنا»، وهو خطأ.

(٧) «التي» أُثبِتت من (خ، ر).

(٨) «الآية» ليست في (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(٩) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «شابهتها الأولى». والمؤلف رحمه الله لا يرجع التعبير إلى مجرد تشابه الفواصل، وإنما جوابه يدور على أن آية النمل تؤدي نفس المعنى المراد من آية سورة يونس، وتنوُّعُ الأسلوب أو الصياغة لرعاية الفواصل.

(١٠) في (ك): «وتسع».

(١١) جاء في (ع): «والله الموفق»، وفي (ك): «فذلك إلى هذه الغاية مئة وآيتان، تشتمل على مئة وتسع وثلاثين مسألة، والله سبحانه وتعالى الموفق». قلت: الآيات التي تناولها المؤلف إلى هنا بالتوجيه يصل عددها إلى مئة وأربع آيات، وقد يكون هذا من عمل النُّسّاخ؛ لأن الكلام في أكثر النسخ (أ، ب، ح، خ، ر، س، م) انتهى مع قوله: «انقضت سورة يونس عن خمس آيات، فيها تسع مسائل».

إسلام ويب islamweb.net

سورة هود عليه السلام[١]

[١٠٥] الآية الأولى منها[٢]:

قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [هود: ٢٢].

وقال في سورة النحل [١٠٩]: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عمّا خصَّص كلَّ واحد من اللفظين بمكانه دون الآخر.

والجواب أن يقال: إن[٣] الآية التي في سورة هود قد تقدَّمها قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠]، وإنما قال: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾[٤] لأنه خبرٌ عن قوم أخبَر عنهم[٥] بالفعل الذي استحقُّوا به مضاعفةَ العذاب في قوله[٦] تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [هود: ١٩]، فإذا صَدُّوا هم عن الدين صدودًا، وصَدُّوا غيرهم

---

(١) في (ع): «إحدى عشرة آية».

(٢) «منها» ليست في (ع)، وفي (ب): «من سورة هود».

(٣) «إن» أُثبتت من (ك).

(٤) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ع): «يضاعف».

(٥) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ع): «لأنه أخبر عن قوم».

(٦) في (ب): «بقوله».

إسلام ويب islamweb.net

عنه[١] صدًّا؛ استحقُّوا تضعيف العذاب؛ لأنهم ضلُّوا وأضلُّوا، فهذا مُوجِب لـ«الأخسرين»[٢] دون «الخاسرين» من طريق المعنى[٣]، وهاهنا ما يُضامُّه[٤] من طريق اللفظ، وهو أن ما قبله[٥] من الفواصل ﴿يُبْصِرُونَ﴾[٦] [هود: ٢٠]، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [هود: ٢١]، فما قبل الواو والنون متحركان لا يعتمدان على ألف[٧] قبلهما، و«الخاسرون» قبل[٨] نونه وواوه متحركان مستندان[٩] إلى ما[١٠] قبلهما، فاجتماعُ المعنى الذي ذكرناه[١١]، والتوفقةُ بين الفواصل التي بيَّنّا أوجبا اختيار «الأخسرين» في هذا الموضع على «الخاسرين».

وأما[١٢] التي في سورة النحل فإنها في آية لم يُخبَر فيها عن الكفار بأنهم مع ضلالهم أضلُّوا مَن سواهم[١٣]، وإنما قال فيهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١٤] [النحل: ١٠٧]،

---

(١) «عنه» سقطت من (أ، ب)، والمثبت من (ك، د).

(٢) في النسخ المعتمدة: «موجب الأخسرين»، والمثبت من (ر، و).

(٣) «دون «الخاسرين» من طريق المعنى» سقطت من (ع).

(٤) أي: ينضمّ إلى التوجيه من طريق المعنى التوجيهُ من طريق اللفظ، ففي اللغة: ضامَّ فلانٌ فلانًا: انضمَّ معه أو إليه في أمر واحد. المعجم الوسيط (ص٥٤٤). وفي (ط): «يضاهيه».

(٥) أي: ما قبل «الأخسرون».

(٦) «يبصرون» سقطت من (ب).

(٧) في (ع): «الألف».

(٨) في النسخ المعتمدة: «ليس قبل»، والمثبت من (ح، خ، ر).

(٩) من قوله: «لا يعتمدان» إلى هنا سقط من (أ).

(١٠) في (ب، ك، ع): «مدة».

(١١) في (ب، ع): «ذكرنا».

(١٢) في (ب، ع): «فأما».

(١٣) في (خ): «غيرهم».

(١٤) في (أ) إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾، والتتمة من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

فلم يذكر ما يوجب مضاعفةَ العذاب[١]، ثم كانت الفواصل التي حُمِلت هذه عليها على وزان «الكافرين» و«الغافلين»؛ فاقتضى هذان الشيئان[٢] أن يقال: ﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾، كما اقتضى السببان[٣] في الأولى[٤] المخالفان للسببين[٥] هنا أن يقال: ﴿ٱلْأَخْسَرُونَ﴾.

[١٠٦] الآية الثانية منها[٦]:

قوله تعالى في قصة نوح: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾[٧] [هود: ٢٨].

وقال في قصة صالح عليه السلام في هذه السورة: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً﴾ [هود: ٦٣].

للسائل أن يسأل عن مخاطبة النبيَّينِ نوحٍ وصالح على نبينا وعليهما السلام قومَيهما[٨] باللفظين تساويا إلا فيما اختلفا فيه من تقديم المفعول الثاني في الآية الأولى على الجار والمجرور، وتأخيرِه[٩] عنهما في الآية الثانية.

---

(١) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «العقاب».

(٢) في (خ، ر): «السببان».

(٣) في النسخ المعتمدة: «الشيئان»، والمثبت من (ح، خ، ر، س، م).

(٤) في (ب، ك): «الأول».

(٥) في النسخ المعتمدة: «للشيئين»، والمثبت من (ح، خ، ر، س، م).

(٦) «منها» ليست في (ع)، وفي (ب): «من سورة هود».

(٧) في (ب، ك): «﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾»، وفي (ع) إلى قوله: «﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾».

(٨) في (أ): «قومهما»، والمثبت من (ب، ك).

(٩) في (ب): «وأخبره»، وهو خطأ.

إسلام ويب islamweb.net

والجواب أن يقال: إن المعنيين واحد في الموضعين، وقول النبيَّيْن[١] سواء لأُمّتَيهما[٢] وإنما اختلفا بإخبار الله تعالى في موضعٍ خبرًا[٣] قدِّم فيه المفعول الثاني على الجار والمجرور؛ لإجراء هذا الفعل ومفعوليه على ما جرى عليه الفعل الذي قبله، وهو: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ [هود: ٢٧]، فـ﴿بَشَرًا﴾ مفعول ثانٍ من ﴿نَرَىٰكَ﴾، وقوله: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ﴾ [هود: ٢٧]، فـ﴿ٱتَّبَعَكَ﴾[٤] في موضع المفعول الثاني من ﴿نَرَىٰكَ﴾[٥]، ثم بعده: ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧]، فلما تقدَّمت أفعالٌ ثلاثةٌ كلُّ واحد منها يتعدَّى إلى مفعولين، والمفعولُ الثاني منهما لا يحجِزه[٦] عن الأول معمول فيه؛ كان إجراء هذا الفعل ـ الذي[٧] هو[٨]: ﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ ـ مُجرى تلك الأفعال التي وقعت[٩] ﴿ءَاتَىٰنِى﴾ في جوابها، وجاءت من كلام نوح عليه السلام في مقابلتها؛ أولى[١٠].

وأما في قصة صالح عليه السلام فإنه بإزاء قول قومه له[١١]: ﴿يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾ [هود: ٦٢]، فوقع خبر «كان» الذي هو كالمفعول[١٢] لها[١٣]، وقد تقدَّمه الجار والمجرور، فجرى جواب صالح عليه السلام ـ فيما

(١) في النسخ المعتمدة: «قولاهما»، والمثبت من (ح، خ، ر).
(٢) في النسخ المعتمدة: «للأمتين»، وفي (خ): «لأمتهما»، والمثبت من (ر).
(٣) في (أ): «خبر».
(٤) أُثبتت من (ع).
(٥) من قوله: «وقوله» إلى هنا سقط من (ك).
(٦) في (ب): «لا يحجِز».
(٧) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «كان الجزاء بهذا الفعل الذي».
(٨) «هو» سقطت من (ك).
(٩) في (ك): «توقعت».
(١٠) «أولى» خبرُ «كان إجراء هذا الفعل...».
(١١) في (ب): «قوله تعالى».
(١٢) في (ك): «المفعول».
(١٣) في (ب، ك): «لـ«كان»».

إسلام ويب islamweb.net

صار عبارةً عنه[١] من العربية ـ مَجرى[٢] الابتداء في هذا المعنى[٣]، فترجَّح في هذا المكان تقديمُ الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ على المفعول الثاني، كما ترجَّح هناك تقديم المفعول الثاني[٤] على الجار والمجرور. وكلٌّ جائز إلا أنّ كلامنا في الترجيح في الموضعين. وفي هذا القدر كفاية، والله أعلم[٥].

[١٠٧] الآية الثالثة منها[٦]:

قوله تعالى في قصة هود عليه السلام وذكر قومه: ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٦٠].

وقال في قصة موسى عليه السلام في هذه السورة وإرساله إلى فرعون وملئه[٧]: ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾[٨] [هود: ٩٩].

للسائل أن يسأل عن حذف «الدنيا» من[٩] الآية الثانية، وإثباتها في الأولى، وهل كان يجوز في الاختيار عكسُ ذلك؟

---

(١) «عنه» سقطت من (أ، ع)، وأُثبتت من (ب، ك).

(٢) في (ب): «بحرف» بدل «مجرى». قلت: يعني المؤلف رحمه الله أن تكون «مِن» في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ للابتداء.

(٣) في (ق): «في هذا الموضع».

(٤) من قوله: «كما ترجَّح» إلى هنا سقط من (ك).

(٥) «والله أعلم» ليست في (أ، ب، ع)، والمثبت من (ك).

(٦) «منها» ليست في (ع).

(٧) في (ب): «وأرسلنا إلى فرعون وملئه».

(٨) في (أ) إلى قوله تعالى: ﴿بِئْسَ﴾، والمثبت من (ب، ك).

(٩) كذا في (ب، ك)، وفي (أ): «في».

إسلام ويب islamweb.net

والجواب أن الأولى أُتِي فيها بالموصوف والصفة جميعًا، وهو الأصل الأول، ثم الاكتفاء بالصفة عن الموصوف بعده لقيام الدلالة على الموصوف، فيجوز لذلك حذفه، وإقامة الصفة مقامه.

ولمّا جاءت[١] الآيتان في سورة واحدة وُفِّيت الأولى ما هو بها[٢] أولى من الإجراء على الأصل، والإتيانِ بالموصوف والوصف، فقال تعالى: ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا﴾، واكتُفي في الثانية ـ لمّا قامت الدلالة على الموصوف ـ بالصفة وحدها، فقال: ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةً﴾.

[١٠٨] الآية الرابعة منها[٣]:

قوله تعالى في قصة صالح عليه السلام: ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ﴾ [هود: ٦٢].

وقال في سورة إبراهيم عليه السلام [٩]: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[٤]: لِمَ قال في الأولى[٥]: ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ﴾ على الأصل[٦]، [و][٧] ﴿مِّمَّا تَدۡعُونَآ﴾[٨] بنون واحدة، وقال في الثانية: ﴿وَإِنَّا لَفِي

(١) في (ب): «جاز»، وهو خطأ.
(٢) «بها» ليست في (ب، ك).
(٣) «منها» ليست في (ع)، وفي (ب، ك): «من سورة هود».
(٤) «فيقول» ليست في (أ).
(٥) أي: في الآية الأولى، وفي (ب): «في الأول».
(٦) «على الأصل» سقطت من (ب).
(٧) زيادة الواو يقتضيها السياق.
(٨) سقطت من (ك).

إسلام ويب islamweb.net

شَكٍّ﴾ على التخفيف بحذف[١] إحدى النونات[٢] وهي المتوسطة، ثم جاء بعده: ﴿تَدْعُونَنَآ﴾ بنونين؟

والجواب أن يقال: أمّا ﴿تَدْعُونَآ﴾ في الأولى[٣] و﴿تَدْعُونَنَآ﴾ في الثانية، فلا يصحُّ مكانَهما غيرُهما، فلا[٤] يجوز في الأولى إلا «نون واحدة»، ولا يجوز في الثانية إلا «نونان اثنتان»[٥]؛ لأن الأولى[٦] خطاب لصالح[٧] عليه السلام، والنونُ مع الألف ضمير المتكلم، و«تدعو» فعلُ واحدٍ[٨]، لا[٩] نونَ فيه، وليس كذلك «تدعوننا» في الثانية؛ لأنه خطاب للرسل، وهم جماعة، ولا يقال لهم في حال الجمع إلا: «تدعوننا» عند الرفع، ولا تسقط النون إلا لناصبٍ أو جازمٍ[١٠]، نحو «لن تَدْعونا»[١١] و[١٢] «لم تَدْعونا». فأمّا إذا وقعت[١٣] خطابَ الجماعة لم تكن[١٤] إلا «تدعوننا»، وهذا من مبادئ هذا العلم.

---

(١) في (أ، ب): «فحذف»، والمثبت من (ك).

(٢) في (ب): «النونين».

(٣) في (ب): «الأول».

(٤) في (ب، ك، ع): «ولا».

(٥) في (ك): «إلا بنونين اثنين».

(٦) في (ب، ك، ع): «الأول».

(٧) «لصالح» سقطت من (ك).

(٨) أي: مفرد، والفاعل لهذا الفعل ضمير مستتر، يعود إلى صالح عليه السلام.

(٩) في (ك): «ولا».

(١٠) في (ب، ك): «ولا يسقط النون إلا الناصب والجازم».

(١١) في (أ، ب): «أو»، والمثبت من (ك، ق).

(١٢) في (ب، ك): «أن».

(١٣) أي: وقعت اللفظة، وفي (ب، ك): «رفعت».

(١٤) في (ب، ع): «لم يكن».

إسلام ويب islamweb.net

وأما ﴿إِنَّنَا﴾ في الأولى، و﴿إِنَّا﴾ في الثانية مع جواز اللفظين[١] في كل مكان، فلأن الضمير الذي دخلت عليه «إنّ»[٢] في هذا المكان هو على لفظ ضمير المنصوب[٣] المتصل بالفعل في قوله تعالى: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ﴾[٤]، وضمير المنصوب إذا اتصل بالفعل[٥] لم يُغيَّر له آخرُه كما يُغيَّر إذا اتصل به ضمير المرفوع، نحو «ضَرَبْنا»، تسكِّن الباءَ لاتصال ضمير الفاعلين بها[٦]، ولا تسكِّنها لاتصال ضمير المفعولين بها إذا قلت: «ضَرَبَنا». فلمّا أشبه[٧] المنصوبُ بـ«إن» المنصوبَ[٨] في «ضربَنا»، ولم ينازعه شَبَهُ الفاعل، سلِم لفظُ «إنّ» عند اتصالها به[٩]، ولم يلحقه حذف.

ولمّا كانت «إنّا»[١٠] في سورة إبراهيم ـ وإن كانت منصوبة ـ مُشبِهةً لِلَفظ الفاعل، إذا قلت: «ضربْنا» بكونها[١١] على لفظها، وبوقوعها[١٢] موقعَ المرفوع المبتدأ، وبأنّ هذا اللفظ المتقدِّم عليها[١٣] في الآية التي قبلها هو ضمير المرفوع

(١) في (ب، ك): «اللفظتين».
(٢) «إنّ» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٣) في (ك): «الضمير المنصوب».
(٤) في (ب): «﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾»، وفي (ع): «﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ﴾».
(٥) من قوله: «بالفعل» إلى هنا سقط من (ك).
(٦) «بها» ليست في (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٧) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ك): «اشتبه».
(٨) في (ك): «بالمنصوب».
(٩) أي: عند اتصال نون الضمير «نا» بلفظ «إنّ» فلا يقع حذف في هذه الحالة.
(١٠) في (ب): «إن».
(١١) في (ق): «لكونها».
(١٢) في (ب): «ووقوعها».
(١٣) أي: على «إنّا» حيث تقدَّمها ضمير المرفوع في قوله: ﴿كَفَرْنَا﴾.

إسلام ويب islamweb.net

خلافَ ما تقدَّم في[١] الآية[٢] في سورة هود، وهو قوله: ﴿كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٩]، وقبل ذلك ضمير مرفوع على غير هذا اللفظ للذين لهم هذا اللفظ، وهو الواو في قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾، ثم قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا﴾؛ حُذِفت[٣] منها[٤] النونُ تشبيهًا للضمير بعدها بالضمير المرفوع بعد الفعل، وكما[٥] أن الفعل يلحقه حذفُ حركة عند اتصال هذا الضمير[٦] به، وكان الضميرُ[٧] الذي يُحذَف مِن «إنّ» النونَ؛ حُذِفت لينقص[٨] لفظُها عند اتصاله بما هو كالضمير المرفوع لفظًا ومعنًى وموقعًا[٩]، حملًا[١٠] على ما تقدَّم، عمّا[١١] يكون عليه إذا لم يواصله، وجاءت ﴿تَدْعُونَنَآ﴾ على مقتضى الإعراب الواجب لها بنونين. فهذا فرق ما[١٢] بين الموضعين.

---

(١) «في» أُثبِتت من (م)، وفي (أ): «بالآية». (٢) في (ك): «في الآية التي».

(٣) «حُذِفت» جواب الشرط لقوله: «ولمّا كانت».

(٤) أي: من «إنا» في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا﴾. وفي النسخ المعتمدة: «منه»، والمثبت من (خ، ق).

(٥) في (ب، ع): «فكما»، وفي (ك): «فلمّا».

(٦) وذلك مثل: «ضربْنا»، وسكنت الباء لاتصال نون الضمير.

(٧) في (ب، ك، ع): «وكان الذي».

(٨) في (ع): «لنقصِ لفظِها».

(٩) في (ع): «ووقوعًا»، وفي (ب): «وموقعًا ولفظًا»، وهو خطأ، حيث تكرَّر «لفظًا».

(١٠) في (ب، ك): «وحملًا».

(١١) في النسخ المعتمدة: «كما»، والمثبت من (ح، خ، ر، س، م، و). و«عما» متعلقة بقوله: «لينقص».

(١٢) «ما» ليست في (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

[١٠٩] الآية الخامسة منها[١]:

قوله تعالى في قصة صالح عليه السلام: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ [هود: ٦٧].

وقال في هذه السورة في قصة شعيب عليه السلام: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾[٢] [هود: ٩٤].

للسائل أن يسأل عن اختلاف الفعلين[٣] في اتصال علامة التأنيث بأحدهما، وسقوطها من الآخر، مع أن الفاعل في الموضعين[٤] شيء[٥] واحد وهو ﴿ٱلصَّيۡحَةُ﴾، مع أن الحاجز بين الفعل والفاعل[٦] في المكانين حاجز واحد، وهو ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾.

والجواب أن يقال: إن مثل هذا إذا جاء في كلام العرب سهُل[٧] الكلامُ فيه؛ لأنه يقال: حُمِل على المعنى، والصيحة[٨] بمعنى الصياح، كما أن قول الشاعر:

يا أيُّها الراكِبُ المُزجِي مطيَّتَه ... سائِلْ بني أسَدٍ ما هذهِ الصَّوتُ[٩]

---

(١) «منها» ليست في (ع)، وفي (ب): «من سورة هود».

(٢) في (ب، ك، ع): «﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾».

(٣) في (ب): «اللفظين».

(٤) في (ب): «في المكانين».

(٥) «شيء» سقطت من (ب).

(٦) «الفاعل» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).

(٧) في (ك): «فشهد»، ولا وجه له هنا.

(٨) في (ك): «فالصيحة».

(٩) هذا البيت لرُوَيْشِد بن كثير الطائي، وقد أنشده الجوهري في الصحاح (١: ٢٥٧ صوت) وعزاه إليه، وابن منظور في اللسان (٢: ٥٧ صوت)، وأورده ابن الأنباري في كتابه =

إسلام ويب islamweb.net

حُمِل على المعنى؛ إذ الصوتُ بمعنى الصيحة.

غير أن السؤال الذي بُنِيت عليه الآيات لازم، وهو أن يقال: فهل كان يجوز مكانَ «أخذت» «أخذ» في القرآن؟ وهل لتخصيص قصة شعيب بـ﴿أَخَذَتِ﴾ فائدةٌ ليست لها في قصة صالح عليه السلام؟

والجواب عن هذا الموضع هو[١] أن يقال: إن الله تعالى أخبر عن العذاب الذي أهلك به قوم شعيب عليه السلام بثلاثة ألفاظ:

منها: ﴿ٱلرَّجۡفَةُ﴾ في سورة الأعراف في قوله[٢]: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ۞ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ۞ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَا﴾[٣] [الأعراف: ٩٠-٩٢]، وذكر ذلك قبله في مكان آخر[٤].

ومنها: ﴿ٱلصَّيۡحَةُ﴾ في سورة هود في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾[٥] [هود: ٩٤].

= الإنصاف (٢: ٧٧٣)، وهو أول ثلاثة أبيات اختارها أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (ت٢٣١هـ) في ديوان الحماسة (١: ١٠٢). والمُزجِي: اسم الفاعل من أزجى يُزجي، ومعناه السائق. والمَطِيّة: كل ما يركبه الإنسان. ومحل الاستشهاد من هذا البيت هنا قوله: «هذه الصوت» حيث جاء باسم الإشارة الموضوع للمفردة المؤنثة وأشار به إلى الصوت، وهو مفرد مذكر. قال ابن منظور (٢: ٥٧): «فإنما أنَّثه لأنه أراد به الضوضاء والجلبة على معنى الصيحة أو الاستغاثة».

(١) ليست في (ع).
(٢) «في قوله» سقطت من (ب، ك).
(٣) في (أ): «﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ﴾ الآيتين»، والمثبت من (ب، ك).
(٤) ذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨].
(٥) في (ب، ك، ع): «﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ۞ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ﴾» [هود: ٩٤، ٩٥].

إسلام ويب islamweb.net

ومنها: ﴿ٱلظُّلَّةِ﴾ في سورة الشعراء [٨٩] في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾.

وفي التفسير أن هذه الثلاث(١) جُمِعت(٢) لإهلاكهم واحدة بعد أخرى؛ لأن الرجفة بدأت بهم فانزعجوا لها عن الكِنِّ(٣) إلى البَراح(٤)، فلمّا أصحروا نال منهم حرُّ الشمس وظهرت(٥) لهم ظُلّةٌ تبادروا إليها(٦)، وهي سحابة(٧) سكنوا إلى رَوْحِ(٨) ظلٍّ تحتها، فجاءتهم الصيحة فهمَدوا(٩) لها.

فلما اجتمعت ثلاثة(١٠) أشياء مؤنَّثة الألفاظ في العبارة عن العذاب الذي أُهلِكوا به، غُلِّب التأنيثُ في هذا المكان على المكان الذي لم تتوالَ فيه هذه المؤنَّثات؛ فلذلك جاء في قصة شعيب: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾.

---

(١) في (ب): «الثلاثة». قلت: المراد بالثلاثة هو الرجفة والصيحة والظلة، وقد تقدَّم الكلام عليها، وانظر من هذا الكتاب (٢: ١٢٧-١٢٩).

(٢) في (ب، ك): «جمعت له».

(٣) قال ابن منظور (١٣: ٣٦٠ كنن): «الكنّ: البيت، وما يردُّ الحرَّ والبرد من الأبنية والمساكن».

(٤) قال في اللسان (٢: ٤٠٥ برج): «البَراح ـ بفتح الباء ـ: المتّسع من الأرض، لا زرع فيه ولا شجر. والبراح: اسم للشمس».

(٥) في (ك): «فظهرت».

(٦) في (ب): «عليها».

(٧) قال السمين الحلبي في كتابه عمدة الحفاظ (٣: ١٠): «هي ـ أي: الظلة ـ سحابة أنشأها الله تعالى كان فيها عذاب مدين، قيل: أصابهم ذلك اليوم حر عظيم إلى أن كادوا يهلكون، فأرسل الله ظلة كثيفة؛ أي: سحابة متراكمة، فهُرعوا إليها يستجيرون بها من الحر، فلما تكاملوا تحتها أطبقت عليهم بعذابها، فلم يُرَ يومٌ مثله».

(٨) قال في اللسان (٢: ٤٥٧): «والرَّوح: برد نسيم الريح».

(٩) أي: فماتوا، قال في اللسان (٣: ٤٣٦ همد): «همَد يهمُد هموداً: مات»، وفي (ك): «فهلكوا».

(١٠) في (ب): «الثلاثة».

إسلام ويب islamweb.net

[١١٠] الآية السادسة منها[١]:

قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُواْ رَبَّهُمۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ﴾ [هود: ٦٨].

للسائل أن يسأل عن صرف «ثمود» في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودًا﴾[٢]، ومنعِه الصرفَ بعدُ؛ قوله تعالى: ﴿أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ﴾، وهل كان يجوز أن يُمنَع الصرفَ[٣] في اللفظ الأوّل ويُصرَف اللفظُ[٤] الثاني؟

والجواب أن يقال: الأول بالصرف أولى، والثاني بالامتناع منه أحقُّ[٥]؛ لأنه في الأول يُنحَى به نحوَ الأب والأقربين من أولاده، إذ كان أوّلَهم في الكفر[٦]، وإذا قُصِد هذا القصدُ انصرف هذا[٧] الاسم.

---

(١) «منها» ليست في (ع)، وفي (ب): «من سورة هود عليه السلام».

(٢) ﴿ثَمُودًا﴾ بالتنوين قراءة الجمهور وهم ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر، على اعتبار «ثمود» اسمًا مذكَّرًا ذهابا إلى الأب الأكبر، أو إلى الحيّ. وقرأه يعقوب وحمزة وحفص عن عاصم بفتح الدال من غير تنوين، نظرًا إلى القبيلة. يُنظَر: كتاب السبعة لابن مجاهد (ص٣٣٧)، والنشر (٢: ٢٨٩)، والإقناع (ص٦٦٥)، وزاد المسير (٤: ١٢٦). وبنى المؤلف رحمه الله تعالى كلامه هنا على أن «ثمود» مصروف، قال الآلوسي في تفسيره (١٢: ٩٢): «وصرفه أكثر السبعة نظرًا إلى الحيّ، وقيل: نظرًا إلى الأب الأكبر، يعني يكون المراد به الأب الأول، وهو مصروف، وحينئذ يُقدَّر مضاف كنسل، وأولاد، ونحوه، وقيل: المراد أنه صُرِف نظرًا لأول وضعه وإن كان المراد به هنا القبيلة».

(٣) «في» ليست في (ب، ك).

(٤) «اللفظ» ليست في (أ، ك)، والمثبت من (ك).

(٥) «أحق» سقطت من (ك).

(٦) في (خ): «في الكفر والثاني».

(٧) في (أ، ك، ع): «الاسم»، والمثبت من (ب).

إسلام ويب islamweb.net

وفي الثاني قُصِد ذِكرُ الإهلاك وكان للقبيلة[١] بأسرها لما أصرَّت عليه من كفرها، فَنَحا[٢] نحوَ القبيلة، فمُنِع[٣] الصرفَ للتعريف والتأنيث الحاصلَين فيما خرج عن أخفِّ الأصلَين[٤]، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: ٩٥]؟ فالكفر من أولهم، والإهلاك قصَد به ذِكرَ كلِّهم، فكان معنى القبيلة به أولى. وبالله تعالى التوفيق[٥].

[١١١] الآية السابعة منها[٦]:

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾[٧] [هود: ٨١].

وقال في سورة الحجر [٦٥]: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن شيئين في هذا المكان:

أحدهما: أن يقول: إنه استثنى في سورة هود من قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾[٨] قولَه[٩]: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾، ولم يستثنِ ذلك في سورة[١٠] الحجر.

---

(١) في (ع): «القبيلة».
(٢) في (ب): «ينحى»، وفي (ع): «فيُنحَى».
(٣) في (ع): «فيُمنَع».
(٤) في (ب، ك، ع): «الأصول».
(٥) «وبالله تعالى التوفيق» ليست في (ك).
(٦) «منها» ليست في (ع).
(٧) في (ب، ك، ع): «﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾».
(٨) في (ب، ك، ع): «﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾».
(٩) من قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ﴾ إلى هنا سقط من (ك).
(١٠) «سورة» سقطت من (ك).

إسلام ويب islamweb.net

والثاني: قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾، وتركُه في سورة هود.

والجواب عن المسألة الأولى[١]: أن الاستثناء في سورة الحجر أغنى عنه قولُه تعالى فيما حكى عن الرسل[٢]: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۞ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الحجر: ٥٨-٦٠]، فهذا[٣] الاستثناء الذي لم يقع مثلُه في سورة هود أغنى عن الاستثناء في[٤] قوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾[٥].

والجواب عن المسألة الثانية أن يقال: إنه لمّا اقتصَّ في هذه السورة بعضَ ما اقتصَّ في الأخرى، فذكر أن الرسل قالوا له[٦]: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾ [هود: ٨١] والمعنى: لن يصلوا إليك[٧] وإلى المؤمنين من أهلك؛ قيَّد ذلك في[٨] قوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا

(١) في (ب): «الثانية»، وهو خطأ.

(٢) هم الملائكة الذين دخلوا على إبراهيم عليه السلام في بيته.

(٣) في (ر): «فهذا الاستثناء أغنى عن الاستثناء في قوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾، ومثل ذلك عُدِم في سورة هود، لذلك استثنى ﴿ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ من قوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾».

(٤) في النسخ المعتمدة: «من»، والمثبت من (ح، خ، ر).

(٥) «﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾» ليست في (ب، ك، و، ع).

(٦) أي: للوط عليه السلام.

(٧) «والمعنى: لن يصلوا إليك» ليست في (ع).

(٨) في (أ، ب): «من»، والمثبت من (ك، ح، خ، ر).

إسلام ويب islamweb.net

﴿ٱمۡرَأَتَكَ﴾ [هود: ٨١] بأن[١] أمروه بإخراج أهله من بين أظهُرهم ليلًا من غير أن يعرِّج[٢] أحدٌ منهم على شيء خلفه يعُوقه[٣] عن المضيِّ إلى حيث ما[٤] أُمِر به.

ولمّا قال في سورة الحجر: ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۞ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾ إخبارًا عن الرسل أنهم خاطبوا إبراهيم عليه السلام به، ثم أخبر عن مخاطبتهم لوطًا في هذه السورة بما يضاهي[٥] قولهم لإبراهيم عليه السلام؛ أردفوا قولهم له: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ﴾ بقولهم: ﴿وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ﴾؛ لأنه إذا ساقهم وكان وراءهم[٦]، كان تحقيقًا لخبرهم أنهم منجُّوهم أجمعين[٧]، فزيد: ﴿وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ﴾ لتجاوب مخاطبتُهم له مخاطبتَهم لإبراهيم عليه السلام بسببه[٨].

[١١٢] الآية الثامنة منها[٩]:

حكمُ هذه الآية أن يكون ذكرُها في سورة الأعراف، ثم لمّا تأخَّرت وجب أن تُذكَر في سورة العنكبوت، إلا أنّا رأيناها تتعلَّق[١٠] بهذه السورة فذكرناها فيها، وهي:

---

(١) في (ك): «فإنهم».

(٢) أي: يعطف. وفي اللسان (٢: ٣٢١ عرج): «عرَّج عليه: عطف».

(٣) أي: يصرفه. وفي اللسان (١٠: ٢٧٩ عوق): «عاقه عن الشيء يعوقه عوقًا: صرفه وحبسه».

(٤) «ما» ليست في (أ، ك)، وأُثبِتت من (ب).

(٥) أي: يشابه.

(٦) في (ب): «وكان من ورائهم».

(٧) قال الكرماني في البرهان (ص٢٢٦): «وزاد في الحجر: ﴿وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ﴾؛ لأنه إذا ساقهم وكان مِن ورائهم، علِم بنجاتهم، ولا يخفى عليه حالهم».

(٨) في (أ، د، ط): «لتجاوب مخاطبتهم لإبراهيم عليه السلام بسببه»، والمثبت من (ب، ر، ك).

(٩) «منها» ليست في (ع).

(١٠) في (ب): «يتعلق».

إسلام ويب islamweb.net

قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الأعراف: ٨٥، هود: ٨٤][(١)].

ومثله في سورة العنكبوت[(٢)]، يخالفه بزيادة الفاء، وهو قوله[(٣)]: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [العنكبوت: ٣٦].

ففي كل القرآن: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾[(٤)]، وفي سورة العنكبوت خصوصًا: ﴿فَقَالَ﴾.

للسائل[(٥)] أن يسأل عن اختصاص هذا المكان بالفاء[(٦)]، وخلوِّ المكانين قبله منها.

والجواب أن يقال[(٧)]: إنّ مُفتتَح قصص الأنبياء[(٨)] عليهم السلام في سورة[(٩)] الأعراف قولُه تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وبعده: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ﴾ [الأعراف: ٦٥]، وبعده: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [الأعراف: ٧٣]، وبعده: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥]، وكذلك في

---

(١) في (ع): «وكذلك قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾».

(٢) في (ك): «ومثله في سورة العنكبوت خصوصًا ﴿فَقَالَ﴾».

(٣) في (ب): «وهي في قوله تعالى».

(٤) من قوله: «ففي كل القرآن» إلى هنا ليس في (أ، ك)، والمثبت من (ب، د).

(٥) في (أ): «وللسائل».

(٦) يعني اختصاص آية سورة العنكبوت بالفاء في قوله: ﴿فَقَالَ﴾.

(٧) «أن يقول» ليست في (ك).

(٨) في (أ): «في سورة الأنبياء»، وهو خطأ.

(٩) «سورة» ليست في (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

سورة[١] هود على هذا النسق[٢]، إلا أن قصة نوح عليه السلام مُفتتَحة بالواو: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾ [هود: ٢٥]، وهي في سورة الأعراف بلا واو، وقد ذكرنا السبب في ذلك[٣].

فلمّا تساوت هذه المعطوفات على المعطوف عليها الأولِ[٤]، فكان[٥] الفعل المُضمَر للمعطوف مثل المُظهَر[٦] أوّلًا في التعلُّق[٧] بالمُرسَل[٨] والمُرسَل إليهم، كعادٍ المُرسَل إليهم هود، وكثمود[٩] المُرسَل إليهم صالح، وكمدين المُرسَل إليهم شعيب عليه السلام؛ جرى[١٠] الجميع مَجرًى واحدًا، فكان التقدير: وأرسلنا[١١] إلى عاد أخاهم هودًا، وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا، وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيبًا، ولم يعترض بين القصص[١٢] ما أُضمِرَ[١٣] فيه، خلافَ ما أُظهِرَ قبل، وهو: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾ [هود: ٢٥].

---

(١) «سورة» ليست في (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(٢) أي: على نمط واحد من ذكر الرسل والمرسَل إليهم، وذلك في الآيات [٥٠-٦١-٨٤] من سورة هود.

(٣) ذكر رحمه الله السبب في الآية السادسة من سورة الأعراف حسب ترتيبه. وانظر من هذا الكتاب (٢: ٩٨).

(٤) في (ب، ك): «الأولى».

(٥) في (ك): «كان».

(٦) في (ك): «الظاهر».

(٧) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ك): «في التعليق».

(٨) في (ب): «في المرسل».

(٩) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «وثمود».

(١٠) جواب «فلما تساوت».

(١١) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ع): «ولقد أرسلنا».

(١٢) في (ك): «القصتين».

(١٣) «ما أضمر» غير واضحة في (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

وكان[١] الأمر في ذلك في سورة العنكبوت مخالفًا[٢] بعضَ المخالفة؛ لأنه افتُتحت القصة[٣] بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤]، وجاءت بعدها قصة إبراهيم ولوط عليهما السلام، فلم تجريا على الفعل الأول في التعلُّق[٤] بالمُرسَل والمُرسَل إليهم كما كان ذلك في قصة هود وصالح عليهما السلام في السورتين[٥]، بل جاء بعد قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ قولُه: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٦]، وقولُه: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٨]، فلم يكن المعطوف على قصة نوح[٦] في هذه السورة كالمعطوف[٧] عليها فيما تقدَّم من سورتَي[٨] الأعراف وهود، ولم يتعدَّ الفعلُ المُضمَر تعدِّيَ الفعل المُظهَر، وكان جائزًا أن يكون المعنى: واذكر إبراهيم إذ قال لقومه، واذكر لوطًا إذ قال لقومه، ثم جاءت قصة شعيب عليه السلام فأُجريت مُجرى القصة الأولى التي هي قصة نوح عليه السلام في تعدِّي الفعل فيها إلى المُرسَل وإلى المُرسَل إليهم، وقد تخلَّل[٩] ذلك ما ليس مثله من الأفعال المُضمَرة، فجاء: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ

---

(١) في (أ، ب): «كان».
(٢) في (ط): «مخالفة له».
(٣) في (ع): «فيه».
(٤) في (ك): «في التعليق».
(٥) أي: في سورتَي الأعراف وهود.
(٦) في (ب): «صالح»، وهو خطأ.
(٧) في (ب، ك): «مثل المعطوف».
(٨) في (أ، ع): «من سورة»، والمثبت من (ب، ك).
(٩) أي: توسَّط ودخل بين القصص التي ذكر فيها المرسَل والمرسَل إليهم ما ليس مثله كقصة إبراهيم ولوط عليهما السلام. وفي المصباح (١: ١٨١): «تَخلَّلتُ القومَ: إذا دخَلتَ بين خَلَلِهم وخِلالَهُم».

إسلام ويب islamweb.net

شُعَيْبًا﴾ [العنكبوت: ٣٦]، فأقيمت فيها دلالةً على أن هذه القصة مُجراةٌ مُجرى القصة البعيدة عنها دون القريبة منها. وكانت الأولى يتساوى(١) عطفها على ما قرُب منها وبعُد عنها؛ لاستواء الفعل المُظهَر والمُضمَر(٢)، فكانت تلك الدلالة التي تدلُّ على أنها مردودة إلى(٣) القصة الأولى أن تُتلقّى(٤) بما تُلُقِّيت به(٥) تلك(٦) من الفاء مع صحة المعنى، فلما كان: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ﴾(٧) [العنكبوت: ١٤] قبل: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [العنكبوت: ٣٦]؛ تعلَّق(٨) ما بعدها(٩) بالفاء، كما كانت الفاء(١٠) في قوله: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ﴾(١١) لما ذكرنا.

[١١٣] الآية التاسعة منها(١٢):

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۞ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾(١٣) [هود: ٩٦، ٩٧].

وقال في سورة المؤمن(١٤) [٢٣، ٢٤]: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۞ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾.

(١) في (ع): «بتساوي».
(٢) في (ب): «المُضمَر والمُظهَر».
(٣) في (ب، ك): «على».
(٤) في (ك): «يقتضي أن تتلقى».
(٥) «به» سقطت من (أ، ك)، وأُثبتت من (ب).
(٦) أي: قصة نوح عليه السلام.
(٧) «﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾» ليست في (ع).
(٨) في (ب، ك، ع): «فعُلِّق».
(٩) في (ب، ك، ع): «ما بعدها بها».
(١٠) «كما كانت الفاء» سقطت من (ب).
(١١) «﴿فِيهِمْ﴾» ليست في (ع).
(١٢) «منها» ليست في (ع).
(١٣) «﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾» ليست في (ع).
(١٤) في (ك، ع): «حم المؤمن»، والمراد سورة غافر.

إسلام ويب islamweb.net

وقال في سورة الزخرف[١] [٤٦]: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[٢]: «السلطان المبين» من آيات الله، فلِمَ جاء في الآيتين المتقدِّمتين مع ذكر «الآيات» ذكرُ «السلطان المبين»، ولم يجئ في الآية الأخيرة[٣] إلا «الآيات» وحدها؟

والجواب أن يقال: إن[٤] «الآيات»[٥]: الأمارات التي يُكتفى بها في صدق الرسل[٦] عليهم السلام، وبها[٧] تقوم الحُجّة على من تُبعَث[٨] إليهم، و«السلطان المبين» هو الحُجَج القاهرة التي تقهر القوم، كأنواع العذاب[٩] التي أُنزِلت على قوم موسى عليه السلام، وكانت عند قوله.

فلما كان القصدُ في الآيتين المتقدِّمتين[١٠] ذِكرَ جملة أمرهم إلى منتهى حالهم من هلاك الأبد؛ انطوت تلك الجملة على جميع ما احتجَّ به عليهم إلى أن زال التكليف عنهم، وأخبَر عن مستقرِّهم من العقاب[١١] الدائم عليهم. ألا

(١) في (ك): «حم الزخرف».
(٢) في (أ): «للسائل أن يقول».
(٣) كذا في (ب، ك)، وفي (أ): «في هذا الأخيرة».
(٤) «إن» ليست في (ب، ك، ع).
(٥) قال الخليل في العين (٨: ٤٤١): «الآية: العلامة، والآيات: العلامات».
(٦) في (ب، ك، ع): «الرسول».
(٧) «بها» أُثبِتت من (خ).
(٨) في (ب، ك، ع): «يُبعثُ».
(٩) أرسل الله على قوم موسى الطوفان والجراد والقمل والضفادع التي ألحقت بهم وببيوتهم وزروعهم ودوابهم. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلَـٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٣].
(١٠) هما آيتا سورة هود والمؤمن.
(١١) في (ك): «العذاب».

إسلام ويب islamweb.net

ترى الكلام في الآية الأولى في سورة هود ينساق إلى قوله: ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ۞ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾[١] [هود: ٩٧، ٩٨]، وكذلك في الآية الثانية[٢] ينساق الكلام فيها إلى قوله: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ۞ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾[٣] [غافر: ٤٥، ٤٦]؟ فذكر في الآيتين جميعَ ما احتجَّ به عليهم من الآيات التي سخِروا بها عند رؤيتها، والآياتِ التي فزعوا إلى مسألته عند مشاهدتها في كشفها لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ﴾ [الأعراف: ١٣٤].

وأما الآية الثالثة[٤] التي اقتصر فيها على ذكر «آياتنا» دون «السلطان المبين»[٥]، وهي التي في سورة الزخرف [٤٦، ٤٧]: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَضۡحَكُونَ﴾[٦]؛ فلم يكن القصدُ إلى ذكر جملة ممّا[٧] عُوملوا به في الدنيا وانتهائه[٨] بهم[٩] إلى عذاب الأخرى، بل كان بعده: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَاۖ وَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾[١٠] [الزخرف: ٤٨]، فاقتصَّ

(١) في (أ، ب، ع) إلى قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾، والمثبت من (ك).
(٢) أي: في آية سورة المؤمن.
(٣) من أول الآية إلى هنا سقط من (ك).
(٤) أي: آية سورة الزخرف.
(٥) في (ع): «﴿سُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾».
(٦) في (أ): «﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ إلى قوله: ﴿يَضۡحَكُونَ﴾».
(٧) في (ب، ك، ع): «ما».
(٨) في (ك): «في انتهائها».
(٩) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «لهم».
(١٠) في (أ) إلى قوله: ﴿وَأَخَذۡنَٰهُم﴾، والمثبت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

ما عُوملوا به حالًا بعد حالٍ إلى أن أُهلِكوا[١] في الدنيا، حيث قال: ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥، ٥٦].

فإن قيل[٢]: فقد قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۞ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٥، ٤٦]، ولم[٣] يذكُر في هذه القصة أحوالهم المنتهية[٤] إلى عقاب الأبد؛ **قلت**[٥]: أوّلًا ليست الآية[٦] على سَنَن الآي التي ذكرنا[٧] ممّا افتُتح بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ [هود: ٩٦، المؤمنون: ٢٣]، وهي وإن افتُتحت بقوله[٨]: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٥] فإنها مثل الآيتين المتقدِّمتين في تضمُّنها ذِكرَ الجملة من[٩] أحوالهم إلى ما كان من هلاكهم لقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٨]، والمُهلَكون في الحقيقة هم المُعاقَبون بالنار والخلود فيها، نعوذ بالله منها.

فقد صار كلُّ ما ذُكِر فيه مع «آياتنا» «وسلطان مبين» هو ما اشتمل على جملة ما عُوملوا به إلى أن استقرُّوا[١٠] مقرَّهم من عذاب الله الدائم عليهم.

---

(١) في (ب): «هلكوا».
(٢) في (أ، ب، ك، ع): «قال»، والمثبت من (خ، ر، س).
(٣) في (ك): «فلم».
(٤) في (ع): «المنتهية بهم».
(٥) في (ح، خ): «قلنا».
(٦) في (ك): «الآية ليست».
(٧) في (خ): «ذكرناها».
(٨) من بعد «افتتح بقوله» إلى هنا سقط من (أ، ب، ع)، وأُثبِت من (ك، خ، ر، و).
(٩) في (ع): «الجملتين من ابتداء» بدل «الجملة من».
(١٠) في (ع): «استقرَّ مقرُّهم».

إسلام ويب islamweb.net

وحقيقة السلطان من السَّلِيط[١]، وهو الزيت الذي يضيء[٢] به السراج، والسلطان: الحُجّة؛ لأنها تضيء فتبيِّن[٣] الحق من الباطل، والسلطانُ الذي يملِك الناسَ ضياءٌ يدفع[٤] ظلامَ الظُّلم[٥] عنهم؛ إذ كانوا لولا هو لصاروا[٦] من التفاور[٧] والتناهب[٨] في ظلام يتزايد ولا يتناقص، كأنه[٩] ضياءٌ يجلو ظلام الدنيا. والآيات التي جاءت بعد التوراة والعصا واليد جاءت وقد أنارت وأوضحت عندهم الحق حتى سألوا أن يُمهَلوا ليؤمنوا إذا كُشِف عنهم ما أظلَم[١٠]، فإن[١١] عادوا بعد كشفه جلَّلهم[١٢].

(١) قال الخليل من العين (٧: ٢١٣): «السليط: الزيت، والسلطان في معنى الحجة، والسلطان قدرة الملك، وقدرة من جعل ذلك له وإن لم يكن مَلِكًا».

(٢) في (ب): «تضيء».

(٣) تكرَّر «فتبيِّن» في (ب).

(٤) في (ر): «يدفع».

(٥) في (ب): «الظلمة»، وهذه الكلمة سقطت من (ك).

(٦) في (ك): «إذ لولاه لصاروا».

(٧) التفاوُر مصدر تَفاوَرَ، قال في القاموس (ص٥٨٢ فور): «تفاوروا: أغار بعضهم على بعض».

(٨) أي: من التسابق، ففي اللغة: تناهب الفرسان: ناهب كل واحد منهما صاحبه وسابقه في العدو. اللسان (١: ٧٧٤ نهب).

(٩) في (ك): «فكأنه».

(١٠) في (ك): «العذاب» بدل «ما أظلم»، وفي (و): «ما أظلمهم»، وفي (ع): «ما أظلَّهم».

(١١) في (ب، ع): «وإن».

(١٢) أي: عمَّهم وغطّاهم، قال في المصباح (١: ١٠٦): «جلَّل المطر الأرض ـ بالتثقيل ـ عمَّها وطبقها، ويقال: جلَّلت الشيء: إذا غطَّيته». وفي (م): «بعد كشف جهلهم»، وفي (ع): «جَهَّلَهم».

إسلام ويب islamweb.net

[١١٤] الآية العاشرة منها[١]:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

وقال في سورة القصص [٥٩]: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن الفرق بين قوله[٢]: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾[٣]، وبين قوله[٤]: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ﴾، وكيف اختصَّت الآية التي[٥] في سورة هود بلفظ الفعل في خبر «كان»، والأخريان بالاسم وهو «مُهلِك»؟

والجواب عن ذلك أن يقال: إن هذه اللام تُسمّى لام الجحود، ولا تخلو منه[٦]، وهي تخالف «لام كي» بأشياء:

منها: أن «لام كي» يصلُح[٧] إظهارُ «أنْ» بعدها، إذا قلت: جئتُ لتُكرِمَني، وهذه لا يصلح[٨] فيها ذلك، لا تقول: ما كنت لأن أفعلَ.

---

(١) «منها» ليست في (ع)، وفي (ب): «من سورة هود».

(٢) «قوله» ليست في (ب، ك).

(٣) في (ع): «﴿مَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾».

(٤) في (ك): «وقوله».

(٥) «التي» سقطت من (ب، ك).

(٦) لام الجحود في اللفظ تؤكِّد النفي، قال صاحب مغني اللبيب (ص٢٧٨): «هي الداخلة في اللفظ على الفعل، مسبوقة بـ«ما كان» أو بـ«لم يكن» ناقصتين مُسنَدتين لما أُسنِد إليه الفعل المقرون باللام، نحو: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٣٧]، ويسمِّيها أكثرهم لام الجحود لملازمتها للجحد؛ أي: النفي».

(٧) في (ب، ك، ع): «يصح».

(٨) في (ك، ع): «يصح».

إسلام ويب islamweb.net

ومنها: أن المصدر الواقع موقعَ[١] «أنْ» مع الفعل يصحُّ اللفظ به، فتقول: جئت للإكرام، ولا يصح: ما كنت للإكرام[٢].

ومنها: أن اللام يصح حذفها والإتيانُ بـ«أنْ» في مكانها[٣]، فتقول: جئت أن تكرمني، ولا يجوز ذلك في «لام الجحود». والسبب في ذلك أنّ «لام كي» تدخل على ما هو عذر في إنشاء الفعل، ويصحُّ أن يُقصَد به الماضي فحسب، فتقول[٤]: جئتك[٥] أمسِ لتكرمني فلم تفعل، فهذا وإن كان لفظُه المستقبلَ فإنه بمقارنة «كان»[٦] قد صار[٧] بمعنى الماضي، كما تقول: كان زيد يركب[٨]، على حكاية الحال التي يُستأنَف فيها الركوب، ويقول القائل: جئتك اليومَ لتكرمني غدًا، فمتى عُلِّق بزمانٍ لم يصحَّ فيه الزمانُ الآخر، وكذلك: كان زيد فاعلًا، يصلُح[٩] للماضي والحال[١٠]، وعلى معنى أنه كان على[١١] أن يفعل في أقرب الأوقات التي يستقبلها.

وليس[١٢] كذلك معنى «ما كنت لأفعل»؛ لأنه مبالغة في نفي هذا الفعل في الأزمنة كلها، والمعنى: كونُ هذا الفعلِ منافٍ لكوني[١٣]، فإذا جعلت[١٤]

---

(١) في (ب، ك، ع): «موقعه».
(٢) «ولا يصح ما كنت للإكرام» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٣) في (ب): «والإتيان بمكانها»، وفي (ع): «والإتيانُ بـ«أنْ» مكانَها».
(٤) في (ك): «تقول».
(٥) في (ب): «جئت».
(٦) في (ك): «بمقارنة اللام».
(٧) «قد صار» ليست في (ك).
(٨) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «ركب».
(٩) في (خ، ر): «صالح».
(١٠) في (ع): «وللحال».
(١١) «على» ليست في (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(١٢) في (ب): «ليس» من دون الواو.
(١٣) «لكوني» ممسوحة في (ب).
(١٤) في (أ، ع): «جعل»، والمثبت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

السبب في نفي هذا الحدَث كونَ المُحدِث، والمُحدِثُ كونُه فيما مضى ككونه[١] فيما يُستقبَل[٢] وفيما هو للحال؛ فالمعنى: لم يكن فيما مضى يقع مني[٣] هذا الفعل، ولا يقع فيما يُستقبَل، ولا في الحال[٤]، لسببٍ ينافي وجوده، وهو كون الفاعل، ولذلك لا يصحُّ من الأفعال في هذا المكان غيرُ ما يتصرَّف لفظُه[٥] من «كان».

وإذا كان كذلك وكان هذا نهايةَ[٦] ما[٧] يخاطب به العرب في نفي الفعل وامتناع وقوعه؛ خصَّه الله تعالى بالمكان الذي لا يقع ذلك منه[٨] أبدًا، ولم يقع منه قطُّ، وهو أنه لم يكن فيما مضى يُهلِك القرى ظالمًا لها مع صلاح أهلها، ولا يفعله، ولا يليق بعدله، وهو منزَّه[٩] عنه، تعالى الله[١٠] عن ذلك.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾[١١] [القصص: ٥٩]، فإنه لم يكن فيها صريحُ ظُلمٍ يُنسَب إليه، ولم يكن ملفوظًا به فيؤتى[١٢] باللفظ

(١) في (ب، ع): «لكونه».
(٢) في (ك): «استقبل».
(٣) «مني» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٤) من قوله: «فالمعنى» إلى هنا سقط من (ب).
(٥) «لفظه» ليست في (أ، ع)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٦) في (ر): «غاية».
(٧) في (ب، ك، ع): «فيما».
(٨) في (ب، ع): «منه ذلك».
(٩) في (ب، ك): «يُنزَّه»، وفي (ع): «يتنزَّه».
(١٠) لفظ الجلالة ليس في (ب، ك).
(١١) في (أ): «﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾ الآية»، والمثبت من (ب، ك).
(١٢) «فيؤتى» غير واضحة في (ك)، وفي (ع): «فيُوَلَّى».

إسلام ويب islamweb.net

الأبلغ في نفيه، كما كان[١] في قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾.

فإن قال: فلِمَ ادعيتَ أنّ هذا أبلغ في[٢] الانتفاء من الظلم؟

قلت: إنّ[٣] أول ما يُستدَلُّ[٤] به أن مَن عرَف كلامَ العرب يعقِل[٥] من قول[٦] القائل: ما كنت لأظلمَك، وما كنت لأشتمَك، وما كنت لأوذِيَك، ما لا يعقِله[٧] من قوله: ما كنت ظالمًا لك، وما كنت شاتمًا لك[٨]؛ لأن ذلك[٩] نفيُ الظلمِ والشتمِ في وقت دون وقت.

وإذا قال: ما كنت لأشتمك، فكأنه قال: ما كنت بضامٍّ[١٠] كوني شتيمةً لك، فجعل[١١] كونه منافيًا لشتمه.

فإن قال: فلماذا أُلزِمَ لفظةَ الاستقبال والنصب؟

قلت: لأن التقدير: ما كنت في شيء من الأوقات بمستقبِلٍ شتمَك، وما كان كوني بضامٍّ[١٢] شتمَك، وهذا مستمرٌّ أبدًا[١٣] بيني وبينك، فكما لم أشتمك لكوني كذلك لا أشتمك لكوني كذلك[١٤].

---

(١) «كان» سقطت من (ك).
(٢) في (ك): «من».
(٣) «إن» ليست في (ب، ك).
(٤) في (ب): «نستدل».
(٥) في (ب): «يفعل»، وهو خطأ.
(٦) في (ب): «وقول».
(٧) في (ب): «ما لا يفعله»، وهو خطأ.
(٨) في (ط): «وما كنت شاتمًا لك وما كنت مؤذيًا لك...». والزيادة الموجودة هنا غير موجودة في النسخ الأخرى.
(٩) في (ك): «ذاك».
(١٠) في (ع): «يُضَامٌّ».
(١١) في (ب): «فيجعل».
(١٢) في (ع): «يُضَامٌّ».
(١٣) «أبدًا» سقطت من (ك).
(١٤) «كذلك» أُثبِتت من (م)، وفي (ر): «كذا».

إسلام ويب islamweb.net

فإن قال[١]: فلأيِّ معنًى لم يجُز إظهار «أنْ» كما جاز في «لام كي»؟

قلت: لأنها لو ظهرت لَوجب أن يصح الاسمُ مكانَها، فلما أُلزِمَت لفظةَ «كنت» و«أكون» وجب أن يكون[٢] النفيُ الداخل عليها خبرًا، أن كوني[٣] ينافي أن أفعل كذا، وإني كما لم أحصُل في حال وجودي على استئناف شتمِك، كذلك لا أحصُل على هذه الصفة، وهي الشروع في شتمك إذ كان وجودي هو الذي ينافيه، وجب أن يُحفَظ لفظُ المستقبلِ المنصوب، فلم يكن بُدٌّ من إضمار «أنْ».

فإن قال[٤]: فهلّا جوَّزت[٥] حذف «اللام» كما كان ذلك في «لام كي»؟

قلت: لأن اللام ثباتُها يسدُّ عن الفعل المنصوب طَرْقَ العوامل، فكأنها[٦] أُقيمت مقام «أنْ»، ولأن[٧] اللام لا تدخل إلا على الاسم في المعنى، وهذا موضع خبر «كان»، فحُفِظ لفظُ الفعل لما ذكرنا، وأُلزِمَ الحرفُ المختصُّ بالاسم ليدلَّ به على أنّ الموضعَ موضعُ الاسم، فافهمه.

فإن قال: فهذا الفعل الذي حُفِظ[٨] له لفظ الاستقبال والنصب، كيف جاز أن يراد به الأزمنة[٩] وهو مختصٌّ بزمان واحد؟

---

(١) في (ب): «قيل».
(٢) «وجب أن يكون» سقطت من (ب).
(٣) «خبرًا أن كوني» سقطت من (ك).
(٤) في (ب): «قيل».
(٥) في (ك): «جوّز».
(٦) في (ك): «فكأنما».
(٧) في (ب، ع): «لأن» من دون الواو.
(٨) في أكثر النسخ: «حفظت».
(٩) في (ع): «الأزمنة كلُّها».

إسلام ويب islamweb.net

قلت: هذا اللفظ يصحَب «كان» في الحال وفي الاستقبال، تقول: قصدت فلانًا وكان[١] يصلي، تريد في الحال[٢]، وتقول: قصدته[٣] وكان يركب[٤]، تريد[٥] المستقبل، وتقول: قصدته وكان قد ركب[٦]، ولو قلت: قصدته فكان ركب، لم يحسُن حُسنَه مع «قد» التي تقرُب من معنى المستقبل[٧]، وعلى هذا حُمِل قوله تعالى: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ﴾[٨] [النساء: ٩٠] في بعض الأقاويل، فكان ذلك عائدًا[٩] إلى لفظ المستقبل وما يجوز لقربه منه في المعنى؛ فلذلك صلَح النفيُ في الأول، واستمرارُه[١٠] في المستقبل[١١]. وبالله التوفيق[١٢].

---

(١) في (ب، ك، ع): «فكان».
(٢) في (ب، ك): «تريد به الحال».
(٣) «قصدته» سقطت من (ب، ك).
(٤) كذا في أكثر النسخ، وهو الصواب، وفي (أ، ع): «قد ركب».
(٥) في (ع): «تريد به».
(٦) «وتقول: قصدته وكان قد ركب» سقطت من (أ، ب، ع)، وأُثبِتت من (ك، ق، ح، ر، و).
(٧) في (ع): «الاستقبال».
(٨) «﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمْ﴾» ليست في (ع).
(٩) في (ك): «فكل ذلك عائد».
(١٠) في (ك): «واستمر».
(١١) تناول هذه الآية الكرماني في غرائب التفسير (١: ٥٢٢) فقال: «لِمَ قال في هذه السورة: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾، وقال في القصص: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾؟ لأن الله تعالى نفى الظلم عن نفسه بأبلغ لفظ يُستعمَل في النفي؛ لأن هذا اللام لام الجحود، ولا يظهر بعدها «أن» ولا يقع بعدها المصدر، ولا تُستعمَل إلا مع «كان» و«لم يكن»، ومعناه: ما فعلت فيما مضى، ولا أفعل في الحال ولا في المستقبل، فكان الغاية في النفي، وليس كذلك ما في القصص؛ إذ ليس فيها صريح ظلم، فاكتفى بذكر اسم الفاعل، وهو لأحد الأزمنة غير معيَّن ثم نفاه». وهذا الكلام ـ كما يتضح ـ ملخَّص ما قاله المصنف رحمه الله تعالى.
(١٢) «وبالله التوفيق» ليست في (ك).

إسلام ويب islamweb.net

[١١٥] الآية الحادية عشرة منها[١]:

وهذه الآية[٢] قد تأخَّرت عن مكانها من السورة؛ لأنها سُئل عنها بعدما أمليتُ[٣] ما تقدَّم منها، فذكرناها في آخرها لئلا تغيِّر[٤] تراجمَ المسائل، وترتيبَ الآي فيها.

فإن قال قائل: قوله[٥] تعالى في سورة هود [٥٨]: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا﴾، وفي آخر السورة في قصة شعيب: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا﴾ [هود: ٩٤]، فعطف «لمّا» على ما قبلها بالواو، وقال في قصتَي صالح ولوط عليهما السلام: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا﴾ [هود: ٦٦]، وقال[٦]: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [هود: ٨٢]، فعطف «لمّا» بالفاء دون الواو، وما الفرق الذي أوجب اختلافَ حرفَي العطف في المواضع الأربعة من هذه السورة؟

والجواب[٧] أن يقال: إنّ هذا الحرف في قصة هود بعد خروجٍ من خبرٍ عنه هو حكاية لقوله، إلى ما هو إخبار من الله تعالى عمّا كان من فعله. ألا تراه قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[٨] [هود: ٥٤] إلى قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ

(١) «منها» ليست في (ع)، وفي (أ، ب): «من سورة هود»، والمثبت من (ك، ح، خ).
(٢) في (ع): «قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا﴾ وهذه الآية».
(٣) في (ب، ك، ع): «أمليتنا».
(٤) في (ع): «نُغَيِّر».
(٥) في (ب، ع): «في قوله».
(٦) «وقال» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٧) في (ب، ع): «فالجواب».
(٨) في (أ، ب، ع): «﴿إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ﴾»، والمثبت من (ك).

إسلام ويب islamweb.net

وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا﴾ [هود: ٥٧]؛ أي[١]: يُهلِككم ويُقِيم[٢] غيركم مُقامكم فيُنزِل[٣] بكم أكبرَ الضرر، ولا تضرُّونه شيئًا بعبادتكم غيرَه، ثم قال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾[٤] [هود: ٥٨]، فلم يتقدَّم تخويف يقرِّب ما أُوعدوا به ليدلَّ[٥] على اتصالِ الثاني بالأول واقتضاءِ العطف بالفاء مكانَ العطف بالواو[٦]، وكان الموضعُ موضعَ الواو؛ لأن المراد الجمع بين الخبرين من دون ذكر ما يقلِّل[٧] الزمان بين الفعلين.

وكذلك قصة شعيب لم يدلَّ فيها على أنهم أُوعدوا بعذاب قد أظلَّهم، وقرُب منهم، وإنما أخبَر عز وجل عن شعيب عليه السلام أنه قال لهم: ﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾[٨] [هود: ٩٣]، فلم يتوعَّدهم[٩] بالاقتراب، بل دعاهم إلى الارتقاب[١٠]، فالتخويف قارنَه التسويفُ؛ لقوله تعالى: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، فكان الموضعُ موضعَ الواو لخروج[١١] ما قبله عمّا يقتضي اتصالَ الثاني به[١٢].

---

(١) في (ب): «أن»، ولا وجه له.
(٢) في (ب): «وتقديم»، ولا وجه له.
(٣) في (ع): «إن يُهلِكْكم ويُقِمْ غيركم مُقامكم يَنزِل».
(٤) في (أ): «﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا﴾ الآية»، والمثبت من (ب، ك).
(٥) في (ك): «ليدل».
(٦) «مكان العطف بالواو» ليست في (ك)، وفي (أ، ب، ع): «بالفاء»، والمثبت هو الصواب.
(٧) «يقلل» غير واضحة في (ب).
(٨) في (أ): «﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ﴾ الآية»، والمثبت من (ب، ك).
(٩) في (ع): «يُوعِدهم».
(١٠) أي: إلى انتظار عاقبتهم.
(١١) في (ك): «بخروج».
(١٢) في (ب): «إبطال الثاني»، وهو خطأ.

إسلام ويب islamweb.net

وليس كذلك الموضعان اللذان نُسِقا على الأول[١] بالفاء، وهما قوله تعالى في قصة صالح: ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ۞ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا﴾[٢] [هود: ٦٥، ٦٦]، وقولُه في قصة لوط: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ۞ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾[٣] [هود ٨١، ٨٢]، فكان ذلك بعقِبه[٤] غيرَ مُتراخٍ عنه، فاقتضى الفاءَ التي تدلُّ على التعقيب واتصالِ ما بعدها بما قبلها من غير مُهلة بينهما.

وكذلك جاء في سورة العنكبوت في قصة لوط في موضعين[٥] بالواو، وهما على هذه السبيل:

فالأول قوله بعد قصة لوط وقوله لقومه: ﴿أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾[٦] [العنكبوت: ٢٨] إلى قوله: ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠]،

---

(١) كذا في (ب، ك)، وفي (أ): «على ما الأول»، وهو خطأ.

(٢) «﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا﴾» ليست في (أ).

(٣) في (أ) إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾، والمثبت من (ب، ك).

(٤) في (ب): «تعقبه»، وفي (ع): «يعقبه».

(٥) في (خ): «الموضعين».

(٦) جاءت هذه الكلمة في النسخ المخطوطة: ﴿أَإِنَّكُمْ﴾ بهمزتين: همزة الاستفهام وهمزة «إنّ»، وهي قراءة عاصم في رواية أبي بكر، وأبي عمرو وحمزة والكسائي. يُنظَر: السبعة لابن مجاهد (ص٤٩٩، ٥٠٠)، والمبسوط في القراءات العشر للأصبهاني (ص٢٩٠)، وتفسير ابن عاشور (٢٠: ٢٤٠). وفي المصحف: ﴿إِنَّكُمْ﴾، حيث قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ بهمزة واحدة على الإخبار المستعمل في التوبيخ.

إسلام ويب islamweb.net

فاستنصر الله تعالى عليهم، ولم يتوعَّدهم بقُرب عذاب منهم، وجاء بعده: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ [العنكبوت: ٣١]، فخرج عمّا كان بين لوط وبين قومه[١] إلى قصةٍ هي بين إبراهيم عليه السلام والملائكة عليهم السلام لمّا أتوه بالبشرى، وبإهلاك مَن في قرية لوط، فنزَل لوطٌ فيما كان من محاورتهم لإبراهيم منزلةَ الغائب عنهم، فكان[٢] الموضعُ موضعَ الواو لاختلاف القصتين وخلوِّ الأولى عمّا قرَّب[٣] ما بين الحالين.

وكذلك قوله بعده: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ [العنكبوت: ٣٣] خبرٌ عن مجيء رسل الله عز وجل من الملائكة إلى لوط، وارتياعِه[٤] لهم وفزعِه لمجيئهم، وكان مَجيئُهم إلى إبراهيم عليه السلام مجيءَ البشرى[٥] لمّا قالوا: ﴿سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ﴾[٦] [الذاريات: ٢٥]، فعطف[٧] هذه القصة على الأولى بالواو[٨] لاختلاف مَوردَيهما، وأنه لم يكن في الأولى منهما ما يقتضي التصاقَ الثانية بها فتُعطَف[٩] عليها بالفاء[١٠].

---

(١) في (ع): «بين لوط وقومه».
(٢) في (ب، ك): «وكان».
(٣) في (ع): «مما يقتضي قرْبَ» بدل «عمّا قرَّب».
(٤) أي: خوفِه وفزعِه. قال في اللسان (٨: ١٣٦ روع): «ارتاع منه وله: تفزَّع».
(٥) في (ب، ك): «مجيء المبشرين».
(٦) أول الآية: ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾.
(٧) في (ب): «فعطفت».
(٨) في (أ): «بالفاء»، وهو خطأ، والمثبت من (ب، ك).
(٩) في (ك، ع): «فعطف».
(١٠) في (ب، ك): «بالفاء عليها»، وفي (ع): «بالواو عليها».

إسلام ويب islamweb.net

انقضت سورة هود عليه السلام عن إحدى عشرة آية واثنتي عشرة مسألة، فكملت مئةً وإحدى وخمسين مسألة، والله الموفق[١].

(١) «والله الموفق» ليست في (أ، ك، ع)، وأُثبِتت من (ب).

إسلام ويب islamweb.net

سورة يوسف عليه السلام

[١١٦] الآية الأولى منها:

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢].

وقال في سورة القصص [١٤] في ذكر موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[(١)].

للسائل أن يسأل عن الفائدة في تخصيص موسى عليه السلام بذكر الاستواء[(٢)]، وإخلاءِ يوسف عليه السلام من ذلك، وهل كان يصلُح أحدُهما مكانَ الآخر، أم قصدُ الحكمةِ يمنع منه؟

والجواب أن يقال: إن بلوغ الأشُدّ مختلَف فيه، قيل: هو أن يبلغ ثلاثًا وثلاثين سنة، وقيل: خمسًا وعشرين سنة، وقيل: عشرين[(٣)] سنة وإحدى عشرين[(٤)]؛ لأنه

(١) في (أ، ب): «﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾»، والمثبت من (ك، ق).

(٢) في (ب): «بذكر بلوغ الأشدّ والاستواء»، وفي (ك): «بذكر الأشدّ والاستواء»، وفي (ح، خ): «فلِمَ خصَّ بالاستواء؟».

(٣) في النسخ المعتمدة: «من عشرين»، وفي (خ): «بين عشرين»، والمثبت من (ر).

(٤) ذكر الماوردي في معنى «الأشدّ» ستة أقوال، فقال (٢: ٢٥٦): «أحدها: ببلوغ الحُلُم، قاله الشعبي وربيعة وزيد بن أسلم. الثاني: ثماني عشرة سنة، قاله سعيد بن جبير. =

إسلام ويب islamweb.net

يقال: إن الصبيَّ يَثَّغِرُ[١] لسبع سنين، ويبلغ لسبع بعدها، ويتناهى طوله لسبع بعدها، وحُجّة من قال ذلك[٢]: أنه قال: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، فإيتاء الحكم والعلم مجازاةٌ على إحسانٍ كان منه، وذلك بعد البلوغ، وقيل: إنّ بلوغ الأشُدّ هو أن يحتلم، والأشُدّ جمع شَدٍّ[٣]، .....

= الثالث: عشرون سنة، قاله ابن عباس والضحاك. الرابع: خمس وعشرون سنة، قاله عكرمة. الخامس: ثلاثون سنة، قاله السدي. السادس: ثلاث وثلاثون سنة، قاله الحسن ومجاهد وقتادة».

قال ابن جرير الطبري (١٢: ١٧٧): «وأَولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه آتى يوسف لمّا بلغ أشدّه حكمًا وعلمًا. والأشُدُّ: هو انتهاء قُوّته وشبابه، وجائز أن يكون آتاه ذلك وهو ابن ثماني عشرة سنة، وجائز أن يكون آتاه وهو ابن عشرين سنة، وجائز أن يكون آتاه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، ولا دلالة في كتاب الله، ولا أثر عن الرسول ﷺ، ولا في إجماع الأمة على أيّ ذلك كان، وإذا لم يكن ذلك موجودًا من الوجه الذي ذكرت، فالصواب أن يقال فيه كما قال عز وجل حتى تثبُت حُجّة بصحة ما قيل في ذلك من الوجه الذي يجب التسليم له، فيُسلَّم لها حينئذ».

(١) أي: تنبت أسنانه بعد السقوط. قال في اللسان (٤: ١٠٤ ثغر): «اثَّغر بتشديد الثاء، واتَّغر بتشديد التاء: إذا نبتت أسنانه بعد السقوط. وإذا سقطت رواضع الصبيِّ قيل: ثُغِر».

(٢) أي: القول الأخير.

(٣) في (ح، خ): «شدة». قلت: ذكروا في «الأشُدّ» أربعة أقوال؛ أحدها: «الأشد» جمع، مفرده: شِدّة، نحو نِعمة وأنعُم، قال الجوهري (٢: ٤٩٣ شدد): «كان سيبويه يقول: واحده: شدة، وهو حسن؛ لأنه يقال: بلغ الغلام شِدته، ولكن لا تجمع فِعلة على أفعُل». الثاني: أن مفرده «شَدّ» بزنة فَعْل نحو: صَكّ وأصُكّ، قال الجوهري (٢: ٤٩٣ شدد): «أما قول من قال: واحده: شَدّ، مثل كَلْب وأكلُب، أو شِدّ، مثل ذِئب وأذؤُبٍ، فإنما هو قياس وليس هو شيئًا سُمِع من العرب». الثالث: أنه جمع، وليس له واحد من لفظه، قاله أبو عبيدة في المجاز (١: ٣٠٥). الرابع: أنه مفرد جاء على صيغة الجمع، وهذا اختيار الجوهري حيث قال (٢: ٤٩٣): «حتى يبلغ أشده؛ أي: قُوّته... وهو واحد جاء على بناء الجمع مثل «آتُك» وهو الأسرب، ولا نظير لهما».

إسلام ويب islamweb.net

وهو[١] قوًى من العقل تحتمل التكليف، ويجوز[٢] أن يكون البلوغ سُمِّي[٣] الأشُدَّ[٤]؛ لأن الغلام إذا بلغ شُدَّت أعماله وكُتِبت حسناته وسيئاته بعد أن كانت محلولة عنه غير مشدودة عليه. وقد يأتي قبل البلوغ بحسناتٍ[٥] يجازيه الله تعالى عليها.

وقيل في قوله: ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾: أي: أدرك واستوت لحيته[٦]. وقيل: الاستواء أن يبلغ أربعين سنة[٧]، وهو معنًى بيِّن في الآية الأخرى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾[٨] [الأحقاف: ١٥].

والذي يفرِّق بين المكانين حتى لم يُنتظَر بيوسف عليه السلام الاستواءُ بعد بلوغ الأشُدّ هو أن يوسف عليه السلام أخبر اللهُ تعالى أنه أوحى إليه لمّا طرحه إخوته في الجُبِّ[٩] حيث[١٠] قال: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا

(١) في (ب، ك): «وهي».
(٢) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «ويحتمل».
(٣) في (ب): «يُسمّى».
(٤) قال الزجاج (٢: ٣٠٥): «بلوغ أشُدّه: أن يُؤنَس منه الرشد مع أن يكون بالغًا».
(٥) في النسخ المعتمدة: «حسنات»، والمثبت من (ط، و).
(٦) قال ابن قتيبة (ص٣٢٩): «﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ أي: استحكم وانتهى شبابه واستقر فلم تكن فيه زيادة».
(٧) هذا القول قول ابن عباس رضي الله عنهما كما في تفسير الماوردي (٣: ٢٢٠)، وفي تفسير ابن الجوزي (٦: ٢٠٧) نسب هذا القول إلى مجاهد وقتادة وابن زيد. قال الزجاج (٤: ١٣٥): «قيل: إن معنى ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾: بلغ الأربعين، وجائز أن يكون «استوى»: وصل حقيقة بلوغ الأشد».
(٨) من قوله: «الأخرى» إلى هنا سقط من (أ)، وأُثبِت من (ب، ك).
(٩) أي: البئر. قال في اللسان (١: ٢٥٠): «الجبّ: البئر، وقيل: هي البئر لم تُطوَ... وقيل: هي البئر الكثيرة الماء البعيدة القعر».
(١٠) «حيث» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥]، وأراه عز وجل الرؤيا التي قصَّها على أبيه، وموسى عليه السلام لم يُفعَل به شيء من ذلك[١] إلى أن بلغ الأشُدَّ واستوى؛ لأنه لم يعلَم ما أُريد به إلا بعد أن استأجره شعيب عليه السلام، ومضت سِنُو إجارته وسار بأهله، فهناك[٢] أتاه ما أتاه من كرامة الله تعالى. وقيل: إنه بعد الأربعين، فلم يُنتظَر بيوسف في إيتاء الحكم والعلم والتشريف بالوحي ما انتُظر به في موسى[٣]، والحكم هو الفصل بين المتحاكمين المبنيُّ على العلم؛ لأنه يكون بحسب ما يدعو إليه. وقيل: معنى استوى: كمُل جسمه[٤] وتمَّ طوله وعرضه وخرج عن جملة الأحداث[٥].

[١١٧] الآية الثانية[٦]:

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [يوسف: ١٠٩].

وقال في سورة النحل [٤٣]: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٧].

وقال في سورة الأنبياء [٧، ٨]: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْۖ فَسْـَٔلُوٓاْ

(١) في (ب): «لم يفعل به ذلك».
(٢) في (ك): «هناك».
(٣) في (أ): «موسى» من دون «في»، والمثبت من (ب، ك).
(٤) في (ب): «جسده».
(٥) الأحداث جمع «حدث» وهو الفَتِيّ السن. اللسان (٢: ١٣٢).
(٦) في (ب): «من سورة يوسف».
(٧) في (ب، ك): «﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾».

إسلام ويب islamweb.net

أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾[١].

للسائل أن يسأل فيقول[٢]: هل بين قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾ فرق؟ ولأيِّ معنًى خُصَّ موضعٌ بـ«مِن» وموضعٌ بحذفها[٣]؟

والجواب أن يقال: إن «مِن» لابتداء الغاية، و«قبل»[٤] اسم للزمان الذي تقدَّم زمانك[٥]، فإذا قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ فكأنه قال[٦]: وما أرسلنا من ابتداء الزمان الذي تقدَّم زمانك، فيخصُّ[٧] الزمان الذي يقع[٨] عليه قبل حدوثه[٩]، ويستوعب[١٠] بذكر طرفَيه ابتدائِه وانتهائِه.

وإذا قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾ فمعناه[١١]: ما فعلنا في الزمان الذي تقدَّم زمانك، فهو في الاستيعاب كالأول إلا أن الأول أوكدُ للحصرِ بين الحدَّين، وضبطِه بذكر الطرفين، والزمانُ المتقدِّم قد يقع على بعض ما تقدَّم فيُستعمَل فيه اتساعًا.

---

(١) في (أ): «﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ الآيتين»، والمثبت من (ب، ك).

(٢) في (أ): «للسائل أن يقول».

(٣) في (ب، ك): «موضع بحذف «مِن»، وموضع بإثباتها».

(٤) في (ب، ك): «قبلك».

(٥) قال الكرماني في البرهان (ص٢٢٩): ««قبل» اسم للزمان السابق على ما أُضيف إليه».

(٦) الواو غير موجودة في (ب، ك).

(٧) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «فخص».

(٨) في (ب): «تقدَّم».

(٩) في (أ): «محدثه»، وفي (ب): «تحدّيه»، والمثبت من (ك).

(١٠) في (ب): «وليستوعب».

(١١) في (ك): «معناه».

إسلام ويب islamweb.net

فأكثر ما في القرآن: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ﴾[١]، ولم يجئ بحذف «مِن» إلا[٢] في موضعين؛ أحدهما هذا[٣]، والآخر: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٢٠].

فأما الأول فإنه حُذِفت منه «مِن» بناءً على الآية المتقدِّمة وهي: ﴿مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٦]، فلما كان الزمان الذي تقدَّمهم هو الزمان الذي تقدَّم النبيَّ المذكور في قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ﴾، وكانت «قبل» إذا عَرِيت مِن «مِن» موضوعةً للزمان المتقدِّم كلِّه؛ صار بناؤه على ما قبل[٤] مذكورًا[٥] كالتوكيد الواقع بـ«من» في سائر المواضع.

فأما قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ فإنما لم يُؤكَّد بـ«مِن»؛ لأن المعتمَد بالخبر إنما هو الحال التي للمرسلين، وهي أنهم يأكلون[٦] الطعام وليسوا من الملائكة الذين طلب[٧] الكفارُ أن يُبعَثوا إليهم، وأخبر الله تعالى به[٨] عنهم في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾[٩] [الفرقان: ٢١].

---

(١) ذلك في الآية [١٠٩] من سورة يوسف، والآية [٤٣] من سورة النحل، والآية [٢٥] من سورة الأنبياء [٢٥]، والآية [٥٢] من سورة الحج.

(٢) في (ب): «من الآي»، وهو خطأ ظاهر.

(٣) يعني الآية [٧] من سورة الأنبياء، التي ذكرها آنفًا.

(٤) في (ب، ك): «على قبل».

(٥) في (ب، ك): «مذكورة».

(٦) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «كانوا يأكلون».

(٧) في (ب): «يطلب».

(٨) «به» ليست في (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).

(٩) في (ب، ك): «﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾».

إسلام ويب islamweb.net

فإن قال: فقد جيء بـ«مِن» في قوله[١]: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢]، فالقصد[٢] ذكرُ حال الرسول والنبيّ، وهو المعتمَد بالخبر، فأكَّد مع ذلك «قبل» بـ«مِن».

قلت: القصد بـ«مِن» في هذا الموضع توكيدُ ذكر الرسول وذكر حاله. ألا تراه قال: ﴿مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾؟ فجمعهما في نفي ما نفى عنهما، إلا ما أثبته لهما بعد قوله: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾، فلما كان المكانان معتمَدَين بالخبر صحَّ التوكيد وكان المقصود. والله أعلم[٣].

[١١٨] الآية الثالثة منها[٤]:

قوله عز وجل: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾[٥] [يوسف: ١٠٩].

وقال في سورة الروم [٩]: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾[٦].

للسائل أن يسأل عمّا جاء من هذا في القرآن بالفاء، وما جاء منه[٧] بالواو، والمعنى المقتضي لكل واحد من الحرفين.

---

(١) في (ب، ك): «فإن قال: فقد جاء قوله»، وكذا في المطبوع.

(٢) في (ب): «والقصد».

(٣) «والله أعلم» أُثبتت من (ك)، وهي غير موجودة في (أ، ب).

(٤) في (ب): «من سورة يوسف».

(٥) في (أ): «﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾»، والمثبت من (ب، ك).

(٦) في (أ): «﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾»، والمثبت من (ب، ك).

(٧) في (ب): «وما منه جاء».

إسلام ويب islamweb.net

والجواب أن يقال: كل موضع تقدَّم قوله تعالى[١]: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فإنه في موضع يقتضي الأولُ وقوعَ ما بعد الفاء[٢].

وكل موضع تقدَّم: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فإنه في المواضع التي لا تقتضي الدعاءَ إلى السير[٣] والبعثَ على الاعتبار[٤]، فيكون ذلك[٥] مؤدِّيًا إليه، وإنما يكون بالواو عطفَ جملةٍ على جملة، وإن كانت الثانيةُ أجنبيةً من الأولى.

فقوله[٦] في سورة يوسف: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٧] قبله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾، معناه[٨]: كان الرسل من القرى التي بُعِثوا إليها، فلمّا طَغَوْا نزل بهم من العذاب ما بقي أثره في ديارهم من الخسف[٩] والانقلاب، فصار معنى قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ أي: لم يكونوا إلا رجالًا أُرسِلوا إليهم فخالفوهم، فاعتبِروا أنتم بآثارهم ومشاهدة ديارهم لتجتنبوا[١٠] ما يجلِب عليكم مثلَ حالهم.

---

(١) «قوله تعالى» ليست في (ك).
(٢) في (ب): «ما بعده بالفاء».
(٣) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «المسير».
(٤) في (ب): «على الاختبار».
(٥) في (ب): «ذاك».
(٦) في (ب): «وقوله».
(٧) في (ب، ك): «﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ﴾».
(٨) في (ك): «ومعناه».
(٩) أي: من ذهاب الأرض بما عليها. قال في اللسان (٩: ٦٧ خسف): «الخسف: سُؤوخ الأرض بما عليها، وخسف الله به الأرض خسفًا؛ أي: غاب به فيها، وخسَف المكانُ: ذهب في الأرض، وخُسِف بالرجل وبالقوم، إذا أخذته الأرض ودخل فيها».
(١٠) في (ب): «لتجتنبوا».

إسلام ويب islamweb.net

وكذلك قوله تعالى في سورة الحج [٤٦]: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾[١] هو[٢] بعد قوله: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥]، فكأنه قال: إذا كان كذا فسيروا[٣] في الأرض واعتبروا.

وأما قوله[٤] في سورة الروم [٩]: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ﴾[٥]، فإنه[٦] لم يتقدَّمه ما يصيِّر هذا كالجواب عنه، إذ لم يَجْرِ[٧] ذكرُ حال أمة من الأمم خالفت نبيَّها فعُوقبت على فعلها، بل الآية التي قبلها قوله[٨]: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَـٰفِرُونَ﴾ [الروم: ٨]، فكان[٩] الموضعُ موضعَ الواو، وهذا مع أنه معطوف على قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ﴾ وهو بالواو، فكان حملُه على ذلك مع اقتضاء المعنى للواو[١٠]، وهو الواجب.

---

(١) في (أ): «﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآية»، والمثبت من (ب، ك).
(٢) «هو» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).
(٣) في (ب): «سيروا».
(٤) في (ب): «فأمّا».
(٥) في (أ): «﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآية»، والمثبت من (ب، ك).
(٦) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «فلمّا»، وهو خطأ.
(٧) في (خ): «لم يخبر».
(٨) «قوله» ليست في (أ).
(٩) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «فإن».
(١٠) في (ك): «الواو».

إسلام ويب islamweb.net

وقوله في سورة الملائكة[١] [٤٤]: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ﴾[٢] لم يتقدَّمه ما يكون هذا كالجواب عنه، فلم يحسُن إلا الواو؛ لأن[٣] الآية التي قبله ليست في وصفِ قومٍ عوقبوا على مخالفة نبيّهم، وبقيت آثارُ ما نزل بهم من العذاب في منازلهم وديارهم.

وكذا[٤] قوله في سورة المؤمن[٥] [٢٠، ٢١]: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ * أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٦]، فالآيات التي تقدَّمت هذه الآية[٧] ليس ما يقتضي[٨] أن يكون هذا كالجواب له؛ فلذلك جاء بالواو.

فأما الآية التي في آخر هذه[٩] السورة وهي: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [غافر: ٨٢]، فإن ما قبلها يقتضي الفاء، ألا ترى قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن

---

(١) أي: سورة فاطر.

(٢) في (أ) إلى قوله تعالى: ﴿وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾، والمثبت من (ب، ك).

(٣) في (ك): «ولأن».

(٤) في (ب): «وكذلك».

(٥) أي: سورة غافر.

(٦) في (أ): «﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ إلى قوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية»، والمثبت من (ب، ك).

(٧) هي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [غافر: ٢١]. ولفظ «الآية» ليس في (ب، ك).

(٨) «يقتضي» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).

(٩) «هذه» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[١] [غافر: ٧٨]، فإنه[٢] في وصف مَن بُعِث من الأنبياء، ومجيءِ أمر الله فيمن خالفهم، وكيف خسِر مُبطِلهم.

فإن قال قائل[٣]: فقوله في سورة محمد [١٠]: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾[٤] لم يتقدَّمه ما يقتضي الفاء.

قلت: قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۞ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[٥] [محمد: ٧-٩] معناه: أنّ أولياء الله منصورون، وأن الكفار مخذولون، فليعتبروا بمن تقدَّمهم في الكفر ليعلموا أنهم صائرون إلى مثل حالهم.

[١١٩] الآية الرابعة منها[٦]:

قوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَواْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩].

وقال تعالى في سورة الأعراف [١٦٩]: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. وكان[٧] حقُّ هذه الآية أن تُذكَر هناك، إلا أنّا ذكرناها لمّا انتهينا

---

(١) في (أ): «﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾ الآية»، والمثبت من (ب، ك).

(٢) في (ك): «وأنه».

(٣) «قائل» سقطت من (أ، ك)، وأُثبتت من (ب).

(٤) «﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾» ليست في (أ).

(٥) الآية الأخيرة غير موجودة في (أ).

(٦) في (ب): «من سورة يوسف عليه السلام».

(٧) في (ك): «كان».

إسلام ويب islamweb.net

إلى هذا المكان، وقد تقدَّمت نظيرتها، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢].

للسائل أن يسأل في الآيتين عن موضعين:

أحدهما: قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾[(١)] فوصف الدار بالآخرة، وفي الآية التي في سورة يوسف أضاف «الدار»[(٢)] إلى «الآخرة».

والثاني: قوله: ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[(٣)] هناك، وفي هذا المكان[(٤)]: ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾[(٥)].

والجواب عن الأول أن قبله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، فقوله: ﴿هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾[(٦)] إنما يعني[(٧)] هذا المنزل الأدنى[(٨)]، وهو والدار[(٩)] الدنيا بمعنًى واحد، فلمّا جعل «الأدنى» وصفًا للمنزل ذكر «الدار الآخرة» بعده فجعل «الدار» موصوفة

(١) في (ك): «في سورة الأعراف قوله: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾».
(٢) كذا في (ب، ك)، وفي (أ): «أضافها».
(٣) في (أ، ب): «﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾»، والمثبت من (ك).
(٤) في (ب، ك): «الموضع».
(٥) في (ب): «﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾».
(٦) «فقوله: ﴿هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).
(٧) في (ب): «معناه» بدل «إنما يعني»، وفي (ك): «معنى».
(٨) و«الأدنى» صفة لمحذوف؛ أي: الشيء الأدنى، والمراد به الدنيا كما قال الآلوسي في تفسيره (٩: ٩٦). وقال الفخر الرازي (١٥: ٤٨): «و﴿ٱلْأَدْنَىٰ﴾ إما من الدنوّ بمعنى القرب؛ لأنه عاجل قريب، وإما من دنوّ الحال وسقوطها وقلتها. والمراد: ما كانوا يأخذونه من الرشا في الأحكام على تحريف الكلام».
(٩) في (ب): «وهو الدار»، وهو خطأ.

إسلام ويب islamweb.net

و«الآخرة» صفة لها، وكلٌّ يؤدِّي معنًى واحدًا، إلا أنه يختصُّ[١] ببعضِ[٢] اللفظِ دون بعض لمشاكلة[٣] ما قبله وموافقتِه له.

وأما قوله: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ﴾ في يوسف فإن قبله: ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ [يوسف: ١٠٧]، والساعة[٤] هي الساعة الآخرة، وهي القيامة، فلمّا ذُكِرت «الدار» أُضيفت إليها، فكأنه قال: ولَدار الساعة الآخرة خيرٌ، فتقدَّم كلَّ آية ما كان المذكورُ بعده أليقَ به.

والجواب عن المسألة الثانية وهي قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ في سورة الأعراف، وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ في سورة يوسف، هو أن القوم دُعُوا إلى الاعتبار بأحوال[٥] الأمم الذين أُهلِكوا في أزمنة أنبيائهم بالنظر إلى منازلهم وهي خاوية[٦] على عروشها؛ ليعلموا أنّ دار الآخرة خير لمن اتقى منهم.

وقوله في سورة الأعراف ترهيب لليهود الذين في عصر النبيّ ﷺ، وارتشائهم على كتمان أمر[٧] النبي ﷺ، وترغيبٌ[٨] لهم فيما عند الله عز وجل إذا صدَّقوا ما في كتاب الله[٩] عز وجل، والترغيب والترهيب لا يتعلَّقان إلا

(١) في النسخ غير المعتمدة: «يخص».
(٢) في (ب، ك): «بعض» من دون الباء.
(٣) يعني بالمشاكلة هنا الفنّ المعروف في البلاغة، وهو: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبة ذلك الغير، مثل قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، فالجزاء عن السيئة في الحقيقة غير سيئة، والأصل: وجزاء سيئة عقوبة مثلها.
(٤) «والساعة» ليست في (ك).
(٥) في (ب، ك): «إلى اعتبار أحوال».
(٦) أي: ساقطة على سقوفها المتهدِّمة.
(٧) كذا في (ب، ك)، وفي (أ): «أمره».
(٨) من هنا إلى قوله: «بالآنف المستقبل» سقط من (ك).
(٩) في (أ): «في كتابه»، والمثبت من (ب).

إسلام ويب islamweb.net

باتقاء مستقبل[١]؛ فلذلك قال: ﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

وفي هاتين الآيتين مسألة ثالثة، وهي إدخال اللام على «دار الآخرة»[٢] في سورة يوسف، وإخلاؤها منها في سورة الأعراف في قوله[٣]: ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ﴾.

والجواب عن ذلك: أن قوله: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ جاء بعد قوله: ﴿فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [يوسف: ١٠٩]، ومعناه: فيعلموا كيف كان[٤] حال مَن قبلهم، وأن الدار الآخرة خير لهم، فاللام هي التي تدخل على المبتدأ فتعلِّق[٥] الفعل، والفعل هو «فيعلموا لَدارُ[٦] الآخرة خير»، كما تقول: علمت لَزيدٌ أفضل من عمرو.

وأما قوله: ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ في سورة الأعراف فلم يتقدَّمه اللام[٧]، بل قوله: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ۗ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ١٦٩] من غير أن يتقدَّمه ما يجري مَجرى التوكيد والقسم[٨] الذي يُتلقّى باللام.

انقضت سورة يوسف عن أربع آيات وخمس مسائل.

---

(١) في (أ): «بالآنِف المستقبل»، والمثبت من (ك، ح، خ).
(٢) في (ك): «الدار الآخرة»، وهو خطأ.
(٣) في (ك): «لقوله».
(٤) «كان» سقطت من (ك).
(٥) في (ب): «فيتعلق»، وفي (ح، خ): «فتعلِّق الفعل بالفعل».
(٦) في (ك): «للدار».
(٧) في (أ): «الكلام»، وهو خطأ، والمثبت من (ب، ك).
(٨) «القسم» سقطت من (ب).

إسلام ويب islamweb.net

سورة الرعد

[١٢٠] الآية الأولى منها[١]:

قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢] [الرعد: ٣].

وقال في الآية التي بعدها[٣]: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ إلى قوله[٤]: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤].

للسائل أن يسأل عن قوله تعالى: ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ في هذه الآية[٥]، وقوله في الآية التي بعدها: ﴿يَعْقِلُونَ﴾[٦]، هل كان[٧] يصح أحدهما مكان الآخر؟

---

(١) «منها» ليست في (ب).

(٢) في (ب، ك): «﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾».

(٣) في (ب): «وقال بعده».

(٤) «إلى قوله» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).

(٥) «في هذه الآية» ليست في (ب، ك).

(٦) صيغة السؤال في (ح، خ، ر): «فلِمَ قال في الأولى: ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾، وفي الأخرى: ﴿يَعْقِلُونَ﴾؟».

(٧) «كان» سقطت من (أ).

إسلام ويب
islamweb.net

والجواب أن يقال: إن التفكُّر هو المؤدي إلى معرفة الشيء، والعلمِ بالآيات التي تدل على وحدانية الله تعالى، فهو قبلُ، فإذا استُعمل على وجهه عُقِل ما جُعِلت هذه الأشياء[١] أمارة له ودلالة عليه.

فبُدِئ في الأول بما يحتاج إليه أوّلًا من التفكُّر والتدبُّر المُفضِيَيْن بصاحبهما إلى إدراك المطلوب، وخُصَّ الآخر بما يستقرُّ عليه آخر التفكُّر من سكون[٢] النفس إلى عرفان ما دلّت الآيات عليه، فكان في تقديم ما قدّم وتأخير ما أخّر إشارة إليه[٣].

(١) هي التي ذُكِرت في الآية الرابعة من سورة الرعد ممّا يدلّ على قدرة الله تعالى، ومن ذلك أنه خلق قِطعًا متجاورة متلاصقة من الأرض، ولكنها تتفاوت في التربة، فمنها الخصبة والسبخة ومنها الرخوة والصلبة، وأنه أنبت البساتين وفيها كروم العنب، وأنواع الأشجار والزروع، وأنبت النخيل، وفيها ما يجمعها أصل واحد، وما ليس كذلك، ومع أن هذه الأشجار تُسقى بماء واحد، وفُضِّل بعضها على بعض في أكل ثمارها وحبوبها.

(٢) في (د، ط): «من إدراك سكون».

(٣) قُدِّم ذكر ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ على ﴿يَعْقِلُونَ﴾؛ لأن التفكُّر في الشيء سبب لتعقُّله، والسبب مُقدَّم على المسبَّب، فناسب تقدُّم التفكُّر على التعقُّل، قاله الشيخ الأنصاري في فتح الرحمن (ص٢٨٦). قال أبو حيان (٥: ٣٦٤): «ولمّا كان الاستدلال في هذه الآية ـ أي: الآية الثانية ـ بأشياء في غاية الوضوح من مشاهدة تجاوُر القِطَع والجنات وسقيها وتفضيلها؛ جاء خَتمُها بقوله: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ بخلاف الآية التي قبلها فإن الاستدلال بها يحتاج إلى تأمُّل ومزيد نظرٍ جاء خَتمُها بقوله: ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾».

إسلام ويب islamweb.net

سورة إبراهيم عليه السلام[١]

قد تقدَّمت نظائر آيات فيها قبلها[٢] فذُكِرت معها[٣].

[١٢١] الآية الأولى منها:

قوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٣٢].

وقال في سورة النمل [٦٠]: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[٤]: قال في هذه الآية الأولى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، وقال في الثانية: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، فما الذي أوجب ﴿لَكُم﴾ في الثانية، ولم يوجبها في الأولى؟

---

(١) «عليه السلام» ليست في (أ).

(٢) «قبلها» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(٣) على سبيل المثال ذكر المصنف رحمه الله الآية [٣٥] من سورة إبراهيم عند ذكر متشابه الآية العاشرة من سورة البقرة في ترتيبه هو، وانظر من هذا الكتاب (١: ٢٥٤)، والآية [٩] من سورة إبراهيم ذكرها عند الآية الرابعة من سورة هود في ترتيبه هو، وذلك في (٢: ٢٣٧)، والآية [٦] من سورة إبراهيم عند ذكر متشابه الآية الخامسة من سورة المائدة، وذلك (١: ٣٩٧).

(٤) في (أ): «للسائل أن يقول».

إسلام ويب
islamweb.net

والجواب أن «لكم» في آخر الآية الأولى مذكورة[١]؛ لأنه قال: ﴿فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡ﴾، فأغنى ذكرها[٢] هناك عن ذكرها أوّلًا[٣]، والآية الثانية لما لم يكن في آخرها ذكرٌ أنه فعل ذلك لهم ذكَر[٤] في أولها ﴿لَّكُمۡ﴾؛ لأن بعدها: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ﴾، وليست[٥] ﴿لَّكُمۡ﴾ في قوله: ﴿مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾ تكفي[٦] من ذكرها في أولها؛ لأنها في معنًى غير معنى: خلق لكم أصناف النِّعَم[٧].

---

(١) في (ب): «مذكور».

(٢) في (ب): «ذكر ما».

(٣) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «هنا».

(٤) «ذكر» جواب «لمّا لم يكن».

(٥) في (ك): «وليس».

(٦) في (ب): «يكفي».

(٧) في البرهان للكرماني (ص٢٣٦): «وليس قوله: ﴿مَّا كَانَ لَكُمۡ﴾ يكفي من ذكره؛ لأنه نفي لا يفيد معنى الأول».

إسلام ويب islamweb.net

سورة الحجر

[١٢٢] الآية الأولى منها[١]:

قوله عز وجل: ﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ۞ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٤، ٣٥].

وقال في سورة ص [٧٨]: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[٢]: إذا كان المراد بـ﴿ٱللَّعۡنَةَ﴾ و﴿لَعۡنَتِيٓ﴾ شيئًا واحدًا، فما بال اللفظين اختلفا فجاء في سورة الحجر بالألف واللام، وفي سورة ص مضافًا؟ وهل يصح في الاختيار أحدهما مكان الآخر؟

والجواب أن يقال: إن القصة في سورة الحجر ابتُدئت في المعتمد بالذكر، وهو خلق الإنس والجن[٣] باسم الجنس المعرَّف بالألف واللام بقوله[٤]: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ۞ وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٦، ٢٧]، ثم قال: ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣٢]، فكان ما استحقه إبليس بترك السجود من الجزاء ما أُطلِق عليه اللفظ الذي ابتُدئت بمثله القصة[٥]، وهو اسم الجنس المعرَّف بالألف واللام.

---

(١) «منها» ليست في (ب).
(٢) في (أ): «للسائل أن يقول».
(٣) في (ب): «الجن والإنس».
(٤) في (ك): «لقوله».
(٥) في (ك): «الصفة»، وهو خطأ.

إسلام ويب
islamweb.net

وكان الأمر في سورة ص بخلاف ذلك؛ لأن أول الآية: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۞ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۞ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾[1] [ص: ٧١-٧٥]، فلم تُفتتح الآية بذكر الصنفين من الإنس والجن باللفظ المعرَّف[2] بالألف واللام كما كان في سورة الحجر.

ولمّا كان موضع ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣٢] جاء بدله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّۖ أَسْتَكْبَرْتَ﴾ [ص: ٧٥] فجعل[3] بدل «الساجدين» ﴿أَن تَسْجُدَ﴾، ثم قال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ فخصَّصه بالإضافة إليه دون واسطة يأمره بفعله؛ أُجرِيَ لفظ[4] ما استحقه من العقاب على لفظ الإضافة[5]، كما قال: ﴿بِيَدَيَّ﴾ فقال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، فكان الاختيار في التوفقة[6] بين الألفاظ التي افتُتحت بها الآية واستمرت إلى آخرها هذا[7].

[١٢٣] الآية الثانية منها[8]:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥].

---

(١) في (أ): «﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾»، والمثبت من (ب، ك).

(٢) في (ك): «بلفظ اسم الجنس المعرَّف».

(٣) في أكثر النسخ: «ثم قال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّۖ أَسْتَكْبَرْتَ﴾ فجعل بدله»، والمثبت من (ب، ح، خ، ر).

(٤) في (ب): «لفظة».

(٥) يعني قوله تعالى: ﴿لَعْنَتِيٓ﴾.

(٦) في (ك): «في الموافقة».

(٧) في (ك): «هذه».

(٨) في (ك): «من سورة الحجر».

إسلام ويب islamweb.net

وقال في الآية التي بعدها: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[١] [الحجر: ٧٦، ٧٧].

للسائل أن يسأل عن جمع «الآيات» أوّلًا، وتوحيدها آخرًا فيقول: لِمَ اختُصت الأولى بـ«الآيات» والثانية بـ«الآية» على التوحيد[٢]؟ وهل كانت «الآيات» لو ذُكِرت في الثانية، و«الآية» لو ذُكِرت في الأولى، فما[٣] يكون في اختيار الكلام؟

والجواب أن يقال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ في[٤] قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ إشارة إلى ما قُصّ من حديث لوط وضيف إبراهيم، وتعرُّضِ قوم لوط لهم طمعًا فيهم[٥]، وما كان من أمرهم آخِرًا من إهلاك الكفار وقلب المدينة على من فيها وإمطار الحجارة على مَن غاب عنها[٦]، وهذه[٧] أشياء كثيرة، في كل واحدة منها آية، وفي جميعها آيات[٨] لمن يتوسَّم؛ أي: يتدبَّر[٩] السِّمة[١٠]،

---

(١) في (ب، ك): «قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾».

(٢) في (ب، ك): «للسائل أن يسأل فيقول: لأيِّ معنًى جمع «الآية» في القصة التي وحَّدها فيها بعدُ، فقال: ﴿لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾، ثم قال: ﴿لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾؟»، وفي (ح): «فلِمَ جمع «الآيات» في الأولى، ووحَّدها في الأخرى؟».

(٣) في (ك): «ما»، وفي (ط): «مما».

(٤) «في» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).

(٥) من قوله: «إشارة إلى ما قص» إلى هنا حصل خلل فيه في (أ)، والمثبت من (ب، ك).

(٦) ذلك في الآيات [٥١-٧٤] من سورة الحجر بدءًا من قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾.

(٧) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «وهي».

(٨) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «آية».

(٩) في (ب): «لمن يتدبَّر».

(١٠) قال الفراء في معاني القرآن (٢: ٩١) في معنى ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: «يقال: للمتفكِّرين، =

إسلام ويب islamweb.net

وهي ما وسم الله تعالى به العاصين من عباده[١] ليستدلوا[٢] بها على حال مَن عَنَدَ[٣] عن عبادته فيتجنبها، فكان ذكر «الآيات» هاهنا أولى وأشبه بالمعنى[٤].

وأما قوله: ﴿لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ فلأن قبلها: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾[٥]؛ أي: تلك المدينة المقلوبة ثابتة الآثار، مقيمة للنظار، فكأنها بمرأى العيون[٦] لبقاء آثارها[٧]، وهذه واحدة من تلك الآيات، فلذلك جاء عقيبها: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[٨].

= ويقال: للناظرين المتفرّسين». والسمة هي العلامة. وفي اللسان (١٢: ٦٣٦): «السمة والوسام: ما وُسِم به البعير من ضروب الصور».

(١) جاء في البرهان للكرماني (ص٢٤٠): «وهي ما وسم الله به قوم لوط وغيرهم». والمعنى: ميَّزهم الله بعلامة ليُعرَفوا بها.

(٢) في (ك): «ليستدل».

(٣) أي: عدل وانصرف، جاء في اللسان (٣: ٣٠٧ عند): «عَنَد يَعنُد عُنودًا وعَنَدًا: تَباعَد وعدَل».

(٤) ذلك باعتبار تعدُّد ما قصَّ من حديث لوط وضيف إبراهيم عليه السلام؛ إذ إنّ كل جزء مما قصَّ آيةٌ في نفسه.

(٥) في (أ، ب، ك): «وأما قوله: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).

(٦) في (ب، ك): «للعيون».

(٧) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «أثرها».

(٨) اسم الإشارة في هذه الآية يعود إلى قرية قوم لوط التي ظهرت فيها آثار الخسف والأمطار بالحجارة المحماة. ولمّا كانت هذه واحدة من تلك الآيات ممّا قبلها وحَّد لفظ الآية فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾. قال الآلوسي في تفسيره (١٤: ٧٥): «وإفراد الآية بعد جمعها فيما سبق قيل: لِما أن المشاهد هاهنا بقية الآثار لا كل القصة كما فيما سلف. وقيل: للإشارة إلى أن المؤمنين يكفيهم آية واحدة». قال الكرماني في البرهان (ص٢٤٠) بعد أن أورد كلام الخطيب: «قلت: ما جاء في القرآن من «الآيات» فلجمع الدلائل، وما جاء من «الآية» فلوحدانية المدلول عليه».

إسلام ويب islamweb.net

سورة النحل

[١٢٤] الآية الأولى منها[١]:

قوله تعالى: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۞ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل: ١١-١٣].

للسائل أن يسأل عن توحيد[٢] «الآية» أوّلًا وآخرًا[٣]، وجمعِها[٤] في المتوسط، ولِمَ كان ذلك[٥] الاختيار وفي كل ذلك آيات كثيرة؟ ولِمَ عبَّر عنها بآية واحدة[٦]؟

والجواب أن يقال: إنما وحَّد في الأولى[٧]؛ لأن جميع ما أخبر عنه أنه

---

(١) «منها» ليست في (ب).
(٢) في (ب): «توكيد»، وهو خطأ ظاهر.
(٣) يعني في الآية الأولى والآية الثالثة.
(٤) في (ب، ك): «وعن جمعها».
(٥) «ذلك» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).
(٦) في (ب، ك): «ولِمَ عبَّر عنها بآية واحدة لدلالتها بمجموعها على واحدة؟». قلت: لا داعي لهذه الزيادة. وصيغة السؤال في (ح، خ، ر): «فلِمَ وحَّد «الآية» في الأولى والأخيرة، وجمعها في الوسطى؟».
(٧) في (ك): «الأول».

إسلام ويب
islamweb.net

خلقه إنما هو في جنسٍ مِن صنعه، ونوعٍ مِن خلقه، وهو كل ما نجم[١] من الأرض مما فيه قوت[٢] الخلق.

والذي فيه ذكر[٣] «الآيات»؛ الليلُ والنهار ـ وهو إظلام الجوّ لغروب الشمس إلى طلوع الفجر، وبدوّ[٤] الضياء مقدّمة[٥] طلوع الشمس إلى غروبها ـ والشمسُ والقمر ـ النَّيِّران اللذان في كل واحد منهما آيات كثيرة ـ ثم النجومُ السيارة وغيرها على ما جعل الله تعالى لكل[٦] منها من مسيرة في فلك، ثم ما أجرى[٧] العادة به من إحداث ريح أو مطر عند انتهاء أحدها[٨] إلى بعض المجاري، فكان ذكر «الآيات» هنا أوْلى[٩]، وذكر «الآية» في الأُولى أحقّ؛ لأن الأولى فيما يطلُع من الأرض بالماء، فكأنه[١٠] يجمع جميعَها[١١] شيء واحد[١٢]، والثانية[١٣] بخلافها؛ فلذلك اختلفتا[١٤].

---

(١) أي: طلع، قال في اللسان (١٢: ٥٦٨ نجم): «يقال لكلِّ ما طلع: قد نجم».

(٢) قال في الصحاح (١: ٢٦١ قوت): «القوت ـ بالضم ـ هو ما يقوم به بدن الإنسان من الطعام». وفي اللسان (٢: ٧٤ قوت): «القوت: ما يمسك الرمق من الرزق».

(٣) في (ب، ك): «والذي ذكر فيه».

(٤) أي: ظهور، تقول اللغة: بدا يبدو بُدُوًّا: ظهر. المصباح (١: ٤٠).

(٥) في (خ): «من وقت» بدل «مقدمة».

(٦) في (خ، ر): «لكل واحد».

(٧) هذه الكلمة غير واضحة في (ب).

(٨) في (ب): «آخرها».

(٩) في (ك): «هنا أولى من ذكر الآية».

(١٠) في (ب): «وكأنه».

(١١) هكذا في (ب، ك)، وفي (أ): «جمع وجميعها».

(١٢) وهو الإنبات؛ إذ إنّ إنبات تلك الأصناف المختلفة من ماء واحد آيةٌ واحدة من آيات قدرته ودلائل وحدانيته.

(١٣) يعني الآية الوسطى، وهي قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ حيث إن لفظ «الآية» جاء في ختام هذه الآية بالجمع.

(١٤) في (أ، ب): «اختلفا»، والمثبت من (ك).

إسلام ويب islamweb.net

وأما الثالثة[١] فهي: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾ المعنى ـ والله أعلم ـ جميع جواهر الأرض كالذهب والفضة والحديد وغيرها من النِّعَم التي تبعث[٢] على[٣] الفكر والتنبيه على ما جعل فيها من المنافع للخلائق، وهي كلها كالشيء الواحد في أنها عروق جارية مختلفة في شيء واحد[٤]، هو أُمّها، وهي الأرض، ولذلك قدَّم[٥] الإنعام بالزرع والثمار لعلم الخاصة والعامة[٦] بما فيها[٧] من قرب النفع وإمساك الخلق[٨]، ثم عقَّب ذلك بما هو

(١) في (أ): «والثالثة»، والمثبت من (ب، ك).

(٢) «من النعم التي تبعث» سقطت من (ب، ك، ط).

(٣) في (ب، ك، ط): «من»، وهو خطأ.

(٤) يعني أنّ هذه الأشياء المذكورة آية واحدة مستقلة بذاتها، ولكون أصل هذه الأشياء مع اختلافها هو الأرض أُفرِدت «الآية». وما قلته يُفهَم من كلامه ضمنًا. ويرى الكرماني في البرهان (ص٢٤١) أنّ جمع «الآيات» في الآية الوسطى ليوافق قوله تعالى: ﴿مُسَخَّرَٰتٌ﴾. ويرى أبو حيان في البحر (٥: ٤٧٩) أن الاستدلال بتسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم متعدِّد، ولمّا كان كل ما ذكر آيةً في نفسها جُمِع لفظ «الآية».
قال الشوكاني (٣: ١٥٢): «ولا يخلو كل هذا عن تكلُّف. والأَولى أن يقال: إن هذه المواضع الثلاثة التي أفرد «الآية» في بعضها وجمعها في بعضها، كل واحد منها يصلح للجمع باعتبار، وللإفراد باعتبار، فلم يُجرِها على طريقة واحدة افتنانًا وتنبيهًا على جواز الأمرين وحُسنِ كل واحد منهما». قلت: وفي كلام الشوكاني نظر، حيث إن القرآن الكريم لا يؤتى فيه بالكلمة في مكان دون غيره إلا لمعنًى وحكمة، ولا يحقّ لنا أن نسمِّي ذلك افتنانًا أو تفنُّنًا في الأسلوب، والله أعلم.

(٥) «قدم» سقطت من (ك).

(٦) ذلك في الآية الأولى، وهي قوله تعالى: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ﴾.

(٧) في (ب): «فيهما».

(٨) أي: وحفظ الخلق من الزوال، قال في المفردات (ص٧٦٨): «إمساك الشيء: التعلُّق به وحفظه». وجاء في (ب): «وامتثال الخلق»، وفي (خ، ر): «وامتساك الخلق».

إسلام ويب islamweb.net

أصله من الهواء وماء السماء والكواكب[١] التي جعلها الله قوامًا لتربية ما به[٢] ثبات البريّة[٣]، فلما صرف العقولَ إلى ما نصب من الأمارات في أصناف ما سبَّبه[٤] في البر؛ أتبعه بما سخَّر[٥] في البحر[٦].

مسألة ثانية في هذه الآيات، فإن قال قائل[٧]: فلِمَ قال في الأولى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وقال في الثانية[٨]: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، وفي الثالثة: ﴿لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾؟

فالجواب أن[٩] التفكُّر إعمال النظر[١٠] لتَطلُّب[١١] فائدة، وهذه المخلوقات التي تنجُم من الأرض إذا أفكر[١٢] فيها علم أن معظمها ليس إلا للأكل[١٣]، وأن الأكل به قوام ذي الروح، وأن المُنعَم عليه يحتاج[١٤] أن يعرف المُنعِم به[١٥] ليقصده شكر إحسانه، فهذا موضع تفكُّر بعث الناس عليه ليفضي بهم إلى المطلوب منهم.

---

(١) ذلك في الآية الوسطى، وهي قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾.
(٢) في (ب): «ما به هو».
(٣) قال في اللسان (١: ٣١ برأ): «البَرِيّة: الخلق، وأصلها الهمز، وقد تركت العرب همزها».
(٤) في (ب): «بثَّه». (٥) في (ب): «سخّر له».
(٦) ذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾ [النحل: ١٤].
(٧) «قائل» ليست في (ك). (٨) «قال» تكرَّرت في (أ).
(٩) في (ك): «لأنّ».
(١٠) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «إعمال القلب».
(١١) في (ب): «ليطالب».
(١٢) أي: تفكَّر. قال في اللسان (٥: ٦٥ فكر): «الفَكر والفِكر: إعمال الخاطر في الشيء، وقد فكَّر في الشيء وأفكر وتفكَّر بمعنًى».
(١٣) في (ب): «الأكل»، وفي (ك): «لأكل». (١٤) في (ك): «محتاج».
(١٥) «به» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

وأما تعقيب ذكر الليل والنهار وما سخَّر في الهواء من الأنوار بقوله: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[١] فلأن متدبِّر ذلك أعلى رتبة من متدبِّر ما ذكر متقدِّمًا[٢]؛ إذ كانت المنافع المجعولة فيها أخفى وأغمض[٣]، فمن استدرك الآيات فيها استحق الوصف بما هو أعلى من رتبة[٤] المتفكِّر المتدبِّر؛ لأنه المنزلة الثانية التي تؤدي إليها الفكرة[٥]، وهو أن يعقل[٦] مطلوبه منها، ويدرك[٧] فائدته منها[٨].

وأما الثالثة، وهي ﴿لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ فلأنه[٩] لمّا نبَّه في الأُولَيَيْن على إثبات[١٠] الصانع، نبَّه في الثالثة على أنه لا شبه له ممّا[١١] صنع؛ لأن من رأى المخلوقات أصنافًا مزدوجة[١٢] مؤتلفة أو مختلفة نفى عنه صفاتها، وعلم أن خالقها يخالفها[١٣]، لا يشبهها ولا تشبهه، وقال[١٤] في سورة ق [٧، ٨]: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۞ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾[١٥]؛ أي: فعلنا ذلك لنبصِّركم ونريكم آياتنا

(١) في (ب، ك): «يعقلون».
(٢) في (ب، ك): «من متدبِّر ما تقدَّم».
(٣) في (ك): «أعمق».
(٤) في (ب): «أعلى رتبة» بإسقاط «من».
(٥) في (ك): «الفكر».
(٦) في (أ): «أن العقل»، والمثبت من (ب، ك) وهو الصحيح.
(٧) في (ب): «يعقل».
(٨) في (ك): «فيها».
(٩) في (ك): «فإنّه».
(١٠) في (ك): «آيات».
(١١) في (ك): «بما».
(١٢) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «من درجة» بدل «مزدوجة»، والمثبت من (ب، ك).
(١٣) في (ب): «مخالفها»، وفي (ك): «بخلافها».
(١٤) في (ك): «وقد قال تعالى».
(١٥) أُثبِتت الآيتان من (ب، ك)، وفي (أ) خلل في ذكر الآية.

إسلام ويب islamweb.net

ولنذكِّركم[١] بازدواجها مُخالِفةً صانعَها، كما قال: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]، فيعلَم[٢] بعد العلم بما تقدَّم أنه لا صاحبة له ولا ولد، ولا مُشبِه[٣] له فيما أنشأ وبرأ[٤]، إذا تذكَّر حاله فيها اتفق منه[٥] واختلف[٦].

[١٢٥] الآية الثانية منها[٧]:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ

(١) في (ك): «لتذكِّركم».
(٢) في (ك): «فعلم».
(٣) في (ب): «ولا شبيه».
(٤) أي: خلق، تقول اللغة: برأ الله الخلق: خلقهم. اللسان (١: ٣١).
(٥) في (ب): «فيه».
(٦) لخَّص ابن عاشور (١٤: ١١٨) كلام المصنف بما فيه وضوح أكثر، ولكنه أخطأ حيث نسب «درة التنزيل» إلى الفخر الرازي، فقال: «وأبدى الفخر في درة التنزيل وجهًا لاختلاف الأوصاف في قوله تعالى: ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وقوله: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، وقوله: ﴿لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ بأن ذلك لمراعاة اختلاف شدة الحاجة إلى قوة التأمُّل بدلالة المخلوقات الناجمة عن الأرض يحتاج إلى التفكُّر، وهو إعمال النظر المؤدِّي إلى العلم. ودلالة ما ذرأه في الأرض من الحيوان محتاجة إلى مزيد تأمُّل في التفكير للاستدلال على اختلاف أحوالها وتناسلها وفوائدها، فكانت بحاجة إلى التذكُّر، وهو التفكُّر مع تذكُّر أجناسها واختلاف خصائصها. وأما دلالة تسخير الليل والنهار والعوامل العلوية فلأنها أدقُّ وأحوج إلى التعمُّق، عبَّر عن المستدلِّين عليها بأنهم يعقلون، والتعقُّل هو أعلى أحوال الاستدلال». ويرى الشوكاني (٣: ١٥٢) أن كلًّا من هذه المواضع الثلاثة يصلح لذكر التفكُّر ولذكر التعقُّل ولذكر التذكُّر لاعتبارات ظاهرة غير خفية، فكان في التعبير في كل موضع بواحد منها افتنان حَسَن لا يوجد في التعبير بواحد منها في جميع المواضع الثلاثة، وفي كلامه هذا نظر كما أشرنا إلى ذلك من قبل، وانظر من هذا الكتاب: (٢: ٢٩١)، الحاشية (٤).
(٧) في (ب): «من سورة النحل».

إسلام ويب islamweb.net

حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤].

وقال في سورة الملائكة[١] [١٢]: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[٢]: أيّة فائدة خَصّت في الآية الأولى أن تُقدَّم فيها[٣] ﴿مَوَاخِرَ﴾ على قوله: ﴿فِيهِ﴾، وأن تدخل الواو على ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟﴾؟ وأيّة[٤] فائدة خَصّت في الآية الثانية من سورة الملائكة أن تُقدَّم فيها[٥] قوله: ﴿فِيهِ﴾ على[٦] ﴿مَوَاخِرَ﴾، وأن تُحذَف الواو من قوله ﴿لِتَبْتَغُوا۟﴾[٧]؟

والجواب أن يقال: لما[٨] ذكر الله تعالى في سورة النحل النعم التي سخَّر البحر من أجلها فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾ لكذا وكذا[٩]، فعدَّ جملًا ثلاثة[١٠] من نَيل سمكة، واستخراج حِلية[١١]، وطلب فضله بركوبه؛ كان وجه

(١) أي: في سورة فاطر.
(٢) في (أ): «للسائل أن يقول».
(٣) «فيها» ليست في (ك).
(٤) كذا في (ب، ك، د)، وفي (أ): «وأيّ».
(٥) «فيها» ليست في (ك).
(٦) «على» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).
(٧) صيغة السؤال في (ح، خ، ر، س): «فلِمَ قدَّم في الأولى ﴿مَوَاخِرَ﴾ على قوله: ﴿فِيهِ﴾، وأخَّر في الأخرى؟ ولِمَ أثبت في الأولى الواو في قوله: ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟﴾، وحذفها في الأخرى؟».
(٨) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «ما»، والمثبت هو الصواب.
(٩) في (ك): «﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟﴾ ولكذا ولكذا». قوله: «لكذا وكذا» سقط من (ب).
(١٠) في (أ، ب): «ثلاثًا».
(١١) الحلية هنا: اللؤلؤ والمرجان كما قال الزجاج في معانيه (٤: ٢٦٦). وهي في الأصل: اسم لكل ما يتزيَّن به من مصاغ الذهب والفضة. اللسان (١٤: ١٩٥ حلي).

إسلام ويب islamweb.net

الكلام أن يعطف الثالثة على ما قبلها بالواو؛ لأن[١] نعمة التسخير[٢] نظمها مع[٣] ما تقدَّمها، والمشترِكات في فعل حقُّها أن يُعطَف بعضها على بعض لتستوي[٤] في تعلُّقها به[٥] واجتماعها فيه.

فلما ذكر النعمتين في قوله: ﴿لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ احتاج ذكرُ النعمة الثالثة في عطفها على ما تقدَّم إلى وصف ما عليه البحر ممّا وطَّأه[٦] الله تعالى منه[٧] ليتمكَّن به[٨] من الثالثة[٩]، وهي ما يُطلَب من فضل الله تعالى بأنواع التجارات في البحر، ونقل الأمتعة فيه من[١٠] مصر إلى مصر، إلى سائر ما علَّق به مصالح الخلق من الأودية[١١] المتفرقة[١٢] على وجه الأرض، فقال: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾؛ لأن الابتغاء من فضل الله تعالى يتسهَّل بالسير فيه[١٣]، ولا سبيل إليه إلا بالفُلك[١٤] وسيرِها بشقِّ الماء يمينًا وشمالًا لتجري إلى الجهة المقصودة.

---

(١) في (أ): «ولأن»، والمثبت من (ب، ك). (٢) في (ك): «لأن التسخير».
(٣) في (أ): «على». (٤) في (ب): «ليستوي».
(٥) «به» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٦) أي: هيَّأه الله، قال في القاموس (ص٧٠ وطأ): «وَطَأَهُ: هَيَّأَهُ، ودَمَّثَه وسَهَّلَه، كوَطَّأه في الكلِّ».
(٧) «منه» ليست في (ك). (٨) في (ب): «منه».
(٩) أي: من النعمة الثالثة.
(١٠) «من» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(١١) جمع الوادي، قال في اللسان (١٥: ٣٨٤): «الوادي: كل مفرَج بين الجبال والتلال والآكام». جاء في (أ، ك): «الأدوية»، وهو خطأ، والمثبت من (ب).
(١٢) في (ب، ك): «المفرّقة».
(١٣) «فيه» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(١٤) الفُلْك مثال قُفْل: السفينة، يكون واحدًا فيُذكَّر، وجمعًا فيُؤنَّث. المصباح المنير (٢: ٤٨١).

إسلام ويب islamweb.net

وليس قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ﴾ عطفًا على ﴿وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ﴾[١]؛ لأنه خطاب واحد، وما قبله وما بعده خطاب جمع، فهو مُباين لهما[٢] في ذلك، وفي العامل والإعراب. ولهذه اللفظة اختصاص[٣] إذا استُعملت يُقصَد بها كون الشيء على تلك الصفة حتى إذا طلبه[٤] طالب رآه عليها، وليس الضمير لواحدٍ مخصوص معيَّن دون غيره[٥]، لكنه كقوله: يا أيها الرجل، وكلكم ذلك الرجل، وكما ترى[٦] العراقيَّ[٧] أرقَّ طبعًا من الجَبَّلِي[٨]، وترى البصري[٩] أفصح من الواسطي[١٠]، وكما قال الشاعر:

---

(١) في (أ، ب، ط): «تستخرجون»، والمثبت من (ك).

(٢) أي: لما قبله وما بعده.

(٣) قال الكرماني في غرائب التفسير (١: ٦٠١): «لقوله: ﴿تَرَى﴾ اختصاص في الاستعمال للشيء يوجد على صفة، متى طلبه طالب وجده عليها، وليس بخطابٍ لواحدٍ معين، بل هو جارٍ مجرى قول القائل: أيها الرجل، وكلكم ذلك الرجل...» ثم ذكر بعض الأمثلة من القرآن الكريم التي أوردها المصنف هنا. وجملة ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ معترضة ـ كما في البحر (٥: ٤٨٠) ـ بين التعليلين: تعليل الاستخراج وتعليل الابتغاء. والقصدُ من ذلك ـ كما قال ابن عاشور (١٤: ١١٩) ـ مخالفة الأسلوب للتعجيب من تسخير السير في البحر باستحضار الحالة العجيبة بواسطة فعل الرؤية.

(٤) في (أ، ب): «استعمله»، والمثبت من (ك).

(٥) في (ب): «أمته».

(٦) في (ك): «وكما تقول: أرى».

(٧) يعني الأصبهانيّ، قال البكري في معجم ما استعجم (٢: ٩٢٩): «أصبهان سُرَّة العراق، وتُسمى عراقًا؛ لأنه على شاطئ دجلة والفرات»، ومعنى سرة العراق: خير منابتها. جاء في اللسان (٤: ٣٥٩ سرر): «سرارة الروضة وسُرّتها: خير منابتها».

(٨) قال في معجم ما استعجم (١: ٣٦٤): «جَبُّلٌ ـ بفتح أوله، وضم ثانيه وتشديده ـ: قرية بين بغداد وواسط».

(٩) نسبة إلى البصرة، وهي مدينة بالعراق معروفة.

(١٠) قال في معجم ما استعجم (٢: ١٣٩٣): «واسط: مدينة الحَجّاج التي بنى بين بغداد والبصرة».

إسلام ويب islamweb.net

ترى الرجلَ النحيفَ فتَزْدَريهِ وفي أثوابه أسدٌ مَزِيرُ[١]

وعلى هذا الوجه[٢] قوله تعالى: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡ﴾ [الشورى: ٢٢]، وكقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ۞ وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖ﴾ [الشورى: ٤٤، ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ [الجاثية: ٢٨]، وكقوله تعالى[٣]: ﴿كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا﴾[٤] في سورتي الزمر والحديد، وكقوله: ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الزمر: ٧٥].

والدليل على ما ذكرنا من الآية أنّ قبل قوله: ﴿وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ﴾ فعل جماعةٍ، وهو: ﴿لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا﴾[٥]، وبعدها أيضًا فعل جماعة، وهو: ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾، والمعنى في ذلك كله[٦] أنه على هذا الوصف، فمن رآه رآه عليه. وإذا كان الأمر ـ في موضع في

(١) هذا البيت في ديوان الحماسة لأبي تمام (١: ٥٨٠) منسوبًا إلى عباس بن مرداس، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه. وهو في الأمالي لأبي علي القالي (١: ٤٦، ٤٧) لكُثيِّر عزّة، وهو من شعراء الدولة الأموية وتوفي سنة (١٠٥هـ) في خلافة هشام. وجاء في الأمالي: «أسد هَصُور» بدل «مَزِير». وابن منظور (٥: ١٧٣) نسبه أيضًا إلى العباس بن مرداس. و«النحيف»: الهزيل، و«فتزدريه»: فتحتقره وتستخفُّ به، و«مزير»: الشديد القلب، القوي النافذ، المفترس.

(٢) «الوجه» ليست في (ب). (٣) «وكقوله تعالى» سقطت من (ك).

(٤) هذه آية من سورة الحديد [٢٠]. وأما الآية [٢١] من سورة الزمر فليس فيها إلا الجزء الأخير منها، وهو: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا﴾.

(٥) «﴿حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا﴾» ليست في (ب، ك). (٦) في (ب): «في كل ذلك».

إسلام ويب islamweb.net

هذه الجملة[١] من الجملتين المتقدِّمة والمتأخِّرة ـ على ما بيَّنّا؛ صار ما بعدها محمولًا على ما قبلها، فوجب عطف الثالثة عليه[٢] بالواو؛ لأن[٣] حجزه لا يُعتَدّ به[٤]، ولأن الفعل الذي هو: ﴿سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾[٥] يقتضي إشراكه[٦] فيما دخل فيه ما قبله، ولأنّ ﴿مَوَاخِرَ﴾ قد فصل قولُه[٧]: ﴿فِيهِ﴾ بينها[٨] وبين قوله: ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾، فاجتماع هذه الأشياء[٩] أوجب اختيارَ الواو في هذا المكان في قوله: ﴿وَلِتَبْتَغُواْ﴾[١٠].

وأما تقديم ﴿مَوَاخِرَ﴾ في هذا المكان على قوله: ﴿فِيهِ﴾ فلقوّة حكم الفعل الذي اعتدَّ الله تعالى بذكره على عباده في هذه الآية؛ لأنها مُصدَّرة بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾[١١]، وإذا قوِي حكم[١٢] الفعل في مكان وجب أن يُرتَّب[١٣]

(١) في (ب، ك): «في موضع هذه الجملة». (٢) أي: على ما قبله. وفي (ك): «عليها».
(٣) كذا في (ب، ك)، وفي (أ): «ولأن».
(٤) يعني أن قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ لم يكن في عداد ذكر النعم، وإنما هو اعتراض.
(٥) جميع النسخ الخطية والمطبوعة: «سخر لكم البحر»، والمثبت من المصحف.
(٦) في (ب): «إشراكه». (٧) «قوله» سقطت من (ك).
(٨) أي: بين كلمة «مواخر». (٩) في (ب): «الأسباب».
(١٠) ذكروا في إعراب ﴿وَلِتَبْتَغُواْ﴾ ثلاثة أوجه: **أولها**: عطفه على ﴿لِتَأْكُلُواْ﴾ وما بينهما اعتراض ـ كما تقدَّم ـ وهذا اختيار المصنف وهو الظاهر. **ثانيها**: أنه عطف على علة محذوفة تقديره: لتنتفعوا بذلك ولتبتغوا. **ثالثها**: أنه متعلِّق بفعل محذوف؛ أي: فعل ذلك لتبتغوا. وفي الوجهين الأخيرين تكلُّف لا حاجة إليه كما قال السمين. يُنظَر: الدر المصون (٧: ٢٠١)، وروح المعاني (١٤: ١١٤).
(١١) في (ك): «﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ﴾». (١٢) «حكم» ليست في (ب).
(١٣) «أن يرتب» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

ما يتعدّى إليه على[١] ما يقتضيه في الأصل، وهو أن يُقدَّم في الفعل المتعدِّي إلى مفعولين: مفعولُه الأول الذي أصله أن يكون معرفة، ثم مفعولُه الثاني الذي أصله أن يكون نكرة، ثم الظرف الذي هو كالفضلة؛ فجاء على هذا الأصل.

وأما[٢] تقديم ﴿فِيهِ﴾ في الآية[٣] الأخرى على ﴿مَوَاخِرَ﴾ فلأن الفعل الذي قُدِّم فيها، وعُطِف هذا عليه، بُولغ في تقديم الجار والمجرور فيه مبالغة لا مرمى[٤] وراءها، ولا زيادة عليها، ألا تراهما قُدِّما على الفعل نفسه، وهو: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾، فلما عرض قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ﴾ بعد فعلٍ هذه صفتُه، وقد حصل[٥] فيه مفعولان وجار ومجرور[٦]؛ قوِي تقديم الجار والمجرور ﴿فِيهِ﴾[٧] على أحد مفعوليه ليُعلَم أنه من جملة كلامٍ بُنِي الفعل فيه على تقديم الجار والمجرور عليه[٨].

---

(١) في (أ): «ممّا»، والمثبت من (ب، ك).
(٢) في (ب، ك): «فأمّا».
(٣) في (أ): «فلانه»، وهو خطأ، والمثبت من (ب، ك).
(٤) في (ط): «لا مدى».
(٥) في (ب): «حصلت».
(٦) «ومجرور» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٧) في (ب): «قوي تقديم فيه».
(٨) يعني المصنف رحمه الله أنه لمّا قُدِّم الجار والمجرور على الفعل في قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ﴾، قُدِّم ﴿فِيهِ﴾ على ﴿مَوَاخِرَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ مُوافقةً لما قبله. قال الآلوسي (٢٢: ١٨٠): «والذي يظهر لي في ذلك أن آية النحل سِيقت لتعداد النعم كما يُؤذِن بذاك سوابقها ولواحقها، وتعقبُ الآيات بقوله سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]، فكان الأهم هناك تقديم ما هو نعمة، وهو مَخْر الفُلك للماء، بخلاف ما هنا ـ أي: في سورة فاطر ـ فإنه إنما سِيق استطرادًا أو تتمة للتمثيل كما علمت آنفًا، فقدم فيه ﴿فِيهِ﴾ إيذانًا بأنه ليس المقصود بالذات ذلك».

إسلام ويب islamweb.net

وأما حذف الواو من قوله: ﴿لِتَبْتَغُواْ﴾ فلأنه[١] لما لم تُبْنَ[٢] الآية على فعل يقتضي استيعاب ما يتعلَّق به كما كان في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾ لكذا وكذا، وذُكِر بعضه إثر بعض، ثم صارت ﴿مَوَاخِرَ﴾ يليها قوله: ﴿لِتَبْتَغُواْ﴾ وصح تعلُّق الكلام بمعنى المواخر؛ لأن معناها[٣]: التي تشقّ الماء وتسير بأهلها، والله سخَّرها على هذه الصفة لتبتغوا من فضله فيما جعل الطريق[٤] إليه من المنافع التي لا تُنال إلا بها، وقد ذكرنا نُبَذًا[٥] منها. فلما اتصلت ﴿مَوَاخِرَ﴾ بقوله: ﴿لِتَبْتَغُواْ﴾ ولم يحجز بينهما ظرفٌ؛ استغنى عن الواو لذلك، ولأنه لم يتقدَّم[٦] فعلٌ بُنِيت عليه الآية دالٌّ على تعلُّقه[٧] بنعمٍ يجب أن يُنسَق[٨] بعضها على بعض كما كان في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾؛ إذ أوّلُ هذه الآية: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾؛ فبان[٩] الفرق بين الموضعين[١٠] فيما يختار له إثبات الواو وتركها[١١].

---

(١) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «فإنه». (٢) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «لم يكن».

(٣) قال صاحب المفردات (ص٧٦٢): «يقال: مَخَرَت السفينةُ مَخرًا ومخُورًا: إذا شقّت الماء بجؤجئها ـ أي: بصدرها ـ مستقبلة له، وسفينة ماخرة، والجمع: المواخر».

(٤) «الطريق» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).

(٥) النُّبَذ جمع النُّبْذة، وهي الشيء اليسير. اللسان (٣: ٥١٣ نبذ).

(٦) في (ك): «لم يتقدَّمه». (٧) في (ك): «تقدُّمه».

(٨) أي: أن يعطف، قال في المصباح (٢: ٦٠٣): «نسقتُ ـ من باب قتل ـ الكلام نسْقًا: عطفت بعضه على بعض».

(٩) في (ب): «وأن»، وهو خطأ.

(١٠) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «موضعين».

(١١) في حالة إثبات الواو يكون قوله تعالى: ﴿وَلِتَبْتَغُواْ﴾ معطوفًا على ما قبله، وأما في حالة حذف الواو فاللام متعلقة بقوله: ﴿مَوَاخِرَ﴾، وجوّز تعلُّقها بمحذوف دل عليه الأفعال =

إسلام ويب islamweb.net

[١٢٦] الآية الثالثة منها:

قوله تعالى: ﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٩].

وقال في سورة الزمر [٧٢]: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾.

وقال في سورة المؤمن [٧٦]: ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾(١).

للسائل أن يسأل فيقول(٢): ما بال الآية في سورة النحل خُصّت وحدها بدخول اللام على قوله: ﴿لَبِئۡسَ﴾(٣) فيها(٤)، وإخلاء الآيتين من السورتين منها(٥)؟

والجواب(٦) أن يقال: إن الآية من(٧) هذه السورة في ذكر قومٍ قد(٨) ضلوا في أنفسهم وأضلوا غيرهم، وهم الذين أخبر الله تعالى عن أتباعهم أنهم

= المذكورة مثل: سخر البحرين وهيّأهما، أو فعل ذلك لتبتغوا من فضله. يُنظَر: تفسير الآلوسي (٢٢: ١٨١).

(١) من قوله: «وقال في سورة المؤمن» إلى هنا سقط من (ك).

(٢) في (أ): «للسائل أن يقول».

(٣) في (ك): «فلبئس».

(٤) «فيها» سقطت من (أ، ك)، والمثبت من (ب).

(٥) في (ب): «ممّا فيما قبلها»، وفي (ك): «وإخلاء غيرها منها». وصيغة السؤال في (ح، خ، ر، س): «فلِمَ دخلت اللام في ﴿لَبِئۡسَ﴾ في النحل خاصة؟».

(٦) في (ب): «فالجواب».

(٧) في (ك): «في» بدل «من».

(٨) «قد» سقطت من (ك).

إسلام ويب islamweb.net

سألوهم عن القرآن فقالوا[١]: ليس من عند الله، وإنما هو أساطير الأولين[٢]، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾[٣] [النحل: ٢٤، ٢٥]، وهؤلاء أكثر[٤] الناس آثامًا[٥]، وأشدهم عقابًا. ومَن هذه صفتُه احتيج[٦] عند تغليظ العقاب له إلى المبالغة في تأكيد لفظه، فاختيرت اللام هنا[٧] لذلك، ولأن بعدها[٨] في ذكر أهل الجنة قوله: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٩] [النحل: ٣٠]، فاللام في ﴿وَلَنِعْمَ﴾[١٠] بإزاء اللام في ﴿لَبِئْسَ﴾[١١].

---

(١) كذا في (ب، ك، د)، وفي (أ): «قالوا».

(٢) أي: أكاذيبهم التي سطَّروها في كتبهم، جاء في المفردات للراغب (ص٤١٠): «الأساطير جمع أُسطورة، نحو أُحدوثة وأحاديث... وهي شيء كتبوه كذبًا ومَينًا، فيما زعموا». وقال السمين في الدر المصون (٤: ٥٨٠): «ومعنى الأساطير: الأحاديث الباطلة والتُّرَّهات ممّا لا حقيقة له».

(٣) في (أ): «﴿قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الآيتين»، والمثبت من (ب، ك).

(٤) في (ب): «أكبر».

(٥) الآثام جمع الإثم، وهو الذنب. اللسان (١٢: ٥ أثم).

(٦) في (ب): «اختير».

(٧) في (ب): «هاهنا».

(٨) في (ك): «ولا بعدها».

(٩) يعني المصنف رحمه الله تعالى أنه جاء قوله تعالى: ﴿فَلَبِئْسَ﴾ بزيادة لام مُوافَقةً لقوله بعده: ﴿وَلَنِعْمَ﴾، وبينهما ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ﴾.

(١٠) في (ب، ك): «لنعم» من دون الواو.

(١١) ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾. قال الآلوسي في تفسيره (١٤: ١٣٠): «والفاء عاطفة، واللام جيء بها للتأكيد اعتناءً بالذم لِما أن القوم ضالون مضلون كما ينبئ عنه قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾».

إسلام ويب islamweb.net

وليس كذلك الآيتان في سورتَي الزمر والمؤمن[١]؛ لأنهما في ذكر جملة الكفار، قال الله[٢] تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧١]، وقال في سورة المؤمن [٧٠]: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾[٣].

فلما كان المذكورون في سورة النحل ممّن لزمهم وِزرانِ[٤] عن ذنوبهم التي أتوها وعن ذنوب غيرهم التي حملوا عليها، ولم يُذكَر مَن سواهم في الآيتين الأخريين[٥] بحمل أثقال[٦] مع أثقالهم؛ حسُن[٧] التوكيد هناك[٨] فضلَ حُسنٍ[٩]؛ فلذلك خُصّ باللام.

[١٢٧] الآية الرابعة منها[١٠]:

قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ * ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ * لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾[١١] [النحل: ٥٣-٥٥].

---

(١) في (ك): «في الزمر والمؤمن».

(٢) لفظ الجلالة ليس في (أ، ب)، وأُثبت من (ك).

(٣) في (ب، ك): «﴿ٱدۡخُلُوٓاْ﴾» وهي الآية [٧٦] من سورة المؤمن.

(٤) أي: ذنبان، والوزر: الذنب. اللسان (٥: ٢٨٢).

(٥) «الأخريين» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).

(٦) في (أ، ك): «يحمل أثقالًا»، والمثبت من (ب، ح، ر).

(٧) «حسُن» جواب «فلمّا كان».

(٨) أي: في سورة النحل.

(٩) في (ب، ك): «فصل حسن».

(١٠) في (ب): «من النحل».

(١١) في (أ): «﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾»، والمثبت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

وقال في سورة الروم [٣٣، ٣٤]: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾(١).

وقال قبلها في سورة العنكبوت [٦٥، ٦٦]: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُواْۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾(٢).

للسائل أن يسأل فيقول(٣): ما بال الآية في سورة(٤) العنكبوت وحدها خُصّت بقوله: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْ﴾، وجاءت الآيتان الأخريان(٥) بلفظ الأمر على معنى التهديد، وهو ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾؟

والجواب أن يقال(٦): إن الآية الأولى افتُتحت بخطاب الشاهد(٧) فأُجرِيَ قوله: ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ على هذا اللفظ، والآية الأخيرة(٨) افتُتحت بالإخبار عن الغائب، وهو قوله(٩): ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ ومرّ(١٠)

---

(١) في (أ): «﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم﴾ إلى قوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾»، والمثبت من (ب، ك).

(٢) في (أ): «﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾»، والمثبت من (ب، ك).

(٣) في (أ): «للسائل أن يقول».

(٤) «سورة» ليست في (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(٥) في (ك): «وجاءت في الآيتين الأخريين».

(٦) «أن يقال» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(٧) في (ك): «المشاهدة».

(٨) هي الآية [٦٦] من سورة العنكبوت.

(٩) «قوله» سقطت من (ب، ك).

(١٠) في (ب، ك): «نظيرة».

إسلام ويب islamweb.net

سائر الأفعال في هذه الآية على ذلك، ولم يكن لها نظير[١] في لفظها تُرَدُّ إليه[٢]، فأُجرِيَ قوله: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْ﴾ عليه.

والآية التي في سورة الروم وإن افتُتحت بلفظ الإخبار عن الغائب فإن لها[٣] في لفظها نظيرة رُدّت إليها وصارت كالفرع عليها، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ﴾[٤] [الزمر: ٨]، فهذه الآية[٥] مُفتتَحة بمثل ما افتُتحت[٦] به تلك[٧]، إلا أنّ هذه الآية لواحد من الناس، وتلك للجمع[٨]، فصارت كالفرع على الأولى؛ فكان حملها في هذه اللفظة عليها أولى.

[١٢٨] الآية الخامسة منها[٩]:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[١٠] [النحل: ٦١].

---

(١) في (ب): «ومن»، وهو خطأ.
(٢) في (ب، ك): «إليها».
(٣) «لها» سقطت من (ك).
(٤) في (أ): «﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ﴾»، والمثبت من (ب، ك).
(٥) «الآية» ليست في (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).
(٦) في (ب): «افتتح».
(٧) أي: الآية [٣٣] من سورة الروم.
(٨) في (ك): «للجميع».
(٩) في (ب): «من سورة النحل».
(١٠) في (أ) إلى قوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ﴾، والمثبت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

وقال في سورة الملائكة[١] [٤٥]: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[٢].

للسائل أن يسأل عن قوله في الأولى[٣]: ﴿بِظُلْمِهِم﴾ وقوله: ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾، وعن قوله في الثانية: ﴿بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾[٤].

والجواب أن يقال[٥]: قد[٦] تقدَّم في العَشر التي تليها[٧]: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾ الخبرُ[٨] عن الذين نُهُوا عن[٩] أن يتخذوا إلهين اثنين، وأن يشركوا الأصنام في عبادته، وأن يجعلوا لها نصيبًا من أموالهم[١٠]، ويَدْعوا الملائكة بنات[١١] ربّهم، وأن يَئِدُوا[١٢] بناتهم خوفَ إملاقهم[١٣]. وكل ذلك من أفعالهم ظلمٌ منهم لأنفسهم مع ظلمهم لغيرهم، فقال تعالى: ولو يؤاخذ الله[١٤]

(١) أي: من سورة فاطر.
(٢) في (أ) إلى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ﴾، والمثبت من (ب، ك).
(٣) «في الأولى» سقطت من (ب).
(٤) صيغة السؤال في (ح، خ، ر): «فلِمَ قال في الأولى: ﴿بِظُلْمِهِم﴾ وقال: ﴿وَمَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾، وفي الأخرى: ﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾ وقال: ﴿وَمَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾؟».
(٥) «أن يقال» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٦) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «أن» بدل «قد».
(٧) في (ب): «قبلها»، وهو خطأ؛ لأنه يعني العَشر التي تليها هذه الآية.
(٨) جاء هذا الخبر في الآيات [٥١-٥٩] من سورة النحل.
(٩) «عن» سقطت من (أ، ك)، وأُثبِتت من (ب).
(١٠) في (ب، ك): «ما لهم».
(١١) في (خ): «ببنات».
(١٢) أي: وأن يدفنوهن في القبر وهن حيّات.
(١٣) أي: خوف فقرهم.
(١٤) في (ب): «لو يؤاخذهم»، وفي (ك): «لو أخذهم الله».

إسلام ويب islamweb.net

الناس بما ظلموا به غيرهم وأنفسهم، وأجرى حكمه على معاجلة[١] المذنبين بعقوباتهم؛ لأنه دالّ على نفس كل إنسان، إذ لا أحد يعُدّ آباءه إلا ويجد فيهم من عصى ربه، فلو اختُرم[٢] عند[٣] خطيئته لانقطع[٤] نسلُه، ولا سبيل[٥] إلى ولدٍ لا يصح أصله، فذكر في هذه الآية[٦] التابعة لِما أخبر الله[٧] به عن القوم الظالمين[٨] بأنواع[٩] الظلم التي نسَقها في العَشر التي تقدَّمتها[١٠]، ثم قال: ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾[١١] يريد: على الأرض، وذلك من الإيجاز الذي يقوم مقام الإكثار والإظهار، تقول العرب: ما فوقها أصدق من فلان ولا تحتها أكذب من فلان، يَعنُون فوق الأرض وتحت السماء، وقوِي إضمار هذا الاسم لشهرة الاستعمال فيه، ولأن المذكور مُشاهَد لكل متكلِّم يقدر على الإشارة إليه[١٢]، فجرى[١٣] مجرى «أنا» و«أنت» في صحة العلم به، والأمن من لَبسِه بغيره[١٤].

(١) في (ب، ك): «معالجة»، وفي (خ): «على معاملة».

(٢) قال في القاموس المحيط (ص١٤٢٢خرم): «واختُرم فلانٌ عنّا، مبنيًّا للمفعول: مات». وفي (ب): «اجترم».

(٣) في (و): «عبد» بدل «عند».

(٤) في (ب): «لا يقطع».

(٥) في (أ): «ولا طريق».

(٦) أي: في الآية [٦١] من سورة النحل.

(٧) لفظ الجلالة أُثبِت من (خ).

(٨) في (ب): «عن الظالمين».

(٩) في (ك): «أنواع».

(١٠) في (أ، ك): «تقدَّمها»، والمثبت من (ب).

(١١) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾».

(١٢) في (ب): «تقدّر الإشارة إليه».

(١٣) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ب، د): «يجري».

(١٤) في (ك): «بعده».

إسلام ويب islamweb.net

وأما قوله في السورة الأخرى[١]: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ﴾ فالمراد[٢]: بما كسبوا من الآثام، وإن كان «كسَب» يُستعمَل في الخير والشرّ[٣] كقوله[٤] تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فإنما[٥] حذَّر الإنسان[٦] بهذه اللفظة ما تَجْنيه[٧] يداه، فيكون[٨] هو المؤاخَذ به دون من عداه.

وجاء بعده: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ والمراد: ظهر الأرض، ولم يذكر «الظَّهر» في الآية الأولى[٩] لتقدُّم «الظاء» في المبتدأ بعد «لو»، والظاء تعِزُّ[١٠] في كلام العرب[١١]، ألا ترى أنها ليست لأُمّة[١٢] من الأمم سوى العرب؟ فلما اختُصّت[١٣] بلغتها[١٤] وتُجُنِّبت إلا فيها؛ استُعملت[١٥] في الآية الأولى

---

(١) أي: في سورة فاطر.
(٢) في (ب): «والمراد». وسقط من (ك).
(٣) «والشر» ليست في (ب، ك).
(٤) في (ك): «لقوله».
(٥) في (أ، ب): «فلما»، والمثبت من (ك، ح، خ، ر)، وهو الصواب.
(٦) في (ك): «الناس».
(٧) أي: ما ترتكبه. وفي (ب): «ما تجتنيه».
(٨) في (ب): «ويكون».
(٩) في (أ): «في الأولى»، والمثبت من (ب، ك).
(١٠) أي: يقل وجودها. قال في اللسان (٥: ٣٧٦ عزر): «عزّ الشيء يعزّ عزًّا أو عزّة: قلّ حتى كاد لا يوجد».
(١١) في (ك): «في الكلام».
(١٢) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «لأية».
(١٣) الفاعل: الظاء. وفي (أ): «اختص».
(١٤) في (ب، ك): «لغتها».
(١٥) في (ك): «واستعملت».

إسلام ويب islamweb.net

في الابتداء[١] بعد «لو»[٢]، واستُعملت[٣] في الآية الثانية[٤] في جواب ما بعد «لو» لهذا[٥]، ولم تجئ في هذه السورة[٦] إلا في سبعة أحرف تكرَّرت[٧]، نحو: الظلم[٨]، والنظر[٩]، والظلّ[١٠]، و﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ﴾[١١]، والظعن[١٢]، والعظيم[١٣]، والوعظ[١٤]، وأُجريت مُجرى ما استُثقل[١٥] من الحروف، فلم يُجمَع بينهما في جملتين معقودتين عقدَ كلامٍ واحد، وهما ما بعد «لو» وجوابها. وحُسنُ التأليف وقصدُ الحروف[١٦] مُراعًى في الفصاحة لا يخفى على أهل البلاغة.

---

(١) في (ب، ك): «في المبتدأ».
(٢) في (ب): «أن»، وهو خطأ.
(٣) في (ب): «استعملت».
(٤) «الآية» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٥) في (ك): «هذا».
(٦) أي: في سورة النحل.
(٧) في (ك): «تتكرَّر».
(٨) نحو: ﴿ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمُ﴾ [٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [٣٣]، وقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ [٤١]، وقوله: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾ [٨٥]، وقوله: ﴿وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ [١١٣]، وقوله: ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [١١٨]. هذه الآيات كلها من سورة النحل.
(٩) نحو ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾ [٣٣]، وقوله: ﴿فَٱنظُرُواْ﴾ [٣٦]، وقوله: ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ [٨٥]. هذه الآيات في سورة النحل.
(١٠) نحو ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ﴾ [٤٨]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا﴾ [٨١]. وهاتان الآيتان في النحل.
(١١) من الآية [٥٨] في سورة النحل.
(١٢) ذلك في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ﴾ [النحل: ٨٠].
(١٣) ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل: ١٠٦].
(١٤) ذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].
(١٥) في (أ، ب): «ما استعمل»، والمثبت من (ح، خ، ر).
(١٦) في (ب): «لنظم حروف»، وفي (ك): «وحسن التأليف بحروف».

إسلام ويب islamweb.net

[١٢٩] الآية السادسة منها[١]:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ * وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ * وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ * وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢] [النحل: ٦٥-٦٩].

للسائل أن يسأل في هذه الآي عن ثلاث مسائل:

إحداها عن توحيد «الآية» في جميعها، ومنها ما فيه آيات.

والثانية عن قوله: ﴿يَسۡمَعُونَ﴾ في الأولى، و﴿يَعۡقِلُونَ﴾ في الثانية، و﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ في الثالثة.

والثالثة عن قوله: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾، وقال[٣] في سورة المؤمنين [٢١]: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾[٤]، فأعاد[٥] .....

(١) في (ب): «من سورة النحل».

(٢) في (أ): «﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ الآيات»، والمثبت من (ب، ك).

(٣) في (ك): «وقال في الآية التي بعدها: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ﴾، وقال في سورة المؤمنين...».

(٤) من قوله: «وقال في سورة المؤمنين» إلى هنا سقط من (أ)، وأُثبت من (ب، ك).

(٥) في (ب): «فعاد».

إسلام ويب islamweb.net

في أحد الموضعين[١] ذكر المذكَّر، وفي الآخر ذكر المؤنَّث، واللفظان سواء، فهل كان يجوز أن يكون حيث عاد المذكَّر مذكَّرًا يكون[٢] مؤنَّثًا، وحيث عاد مؤنَّثًا يعود مذكَّرًا[٣]؟

المسألة الأولى يجاب عنها فيقال: لما كان المذكور[٤] في كل آية صنفًا واحدًا، جعل ما دلّ منه على الصانع آية واحدة.

فإن قال قائل[٥]: إنّ الأنعام[٦] وثمرات[٧] النخيل والأعناب قد جُمِعت، وليس جميعها صنفًا واحدًا، وكان على قضيتك[٨] يجب في الاختيار أن يقال هنا[٩]: إن في ذلك لآيات. **قيل له**: إن قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾[١٠] إشارة إلى ثمرات النخيل والأعناب دون الأنعام، وذلك صنف واحد؛ فلذلك[١١] قال: آية، وأما الأنعام فقد استند[١٢] بذكر الآية فيها قوله في ابتداء آيتها: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ

---

(١) في (ب): «في أحد الموضفين».
(٢) في (أ): «يعود»، والمثبت من (ب، ك).
(٣) في (ب): «فهل كان يجوز أن يكون عاد الذكر مذكرًا يعود مؤنثًا، وحيث عاد الذكر مؤنثًا يعود مذكرًا؟». وفي (ح، خ، ر): «ولِمَ قال: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾، وقال في سورة المؤمنون: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾؟».
(٤) في (ب): «المذكَّر».
(٥) «قائل» ليست في (أ، ك)، وأُثبِتت من (ب).
(٦) في (أ): «فإن»، وفي (ب): «الأنعام».
(٧) في (ب): «والثمرات».
(٨) «قضيتك» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك)، وفي (ط): «نظر قضيتك».
(٩) في (ك): «هناك»، والمثبت هو الصواب.
(١٠) ذلك في الآية [٦٧] من سورة النحل، وهي: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.
(١١) في (ك): «فلهذا».
(١٢) في (ب): «استندا»، وفي (ك): «أسند»، وفي (ح، خ): «استبدل»، وفي (ر): «استدل»، وفي (و): «ابتدأ».

إسلام ويب islamweb.net

فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾، فكأنه قال: لكم فيها آية؛ إذ الاعتبار يؤدي إليها، فخلَصت[١] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾[٢] للصنف الواحد من ثمر الشجر[٣]. وأما الثالثة[٤] فمقصود بها النحل خاصة؛ فلذلك قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾.

والمسألة الثانية يجاب عنها فيقال: إنما[٥] ذكر ﴿يَسْمَعُونَ﴾ في الأولى توبيخًا لمن أنكر البعث واستبعد الحياة الثانية، فكأنه قيل له: إن ذلك قبل التدبُّر[٦] مقرَّر[٧] في أول العقل، حتى إنّ من يسمعه يعترف به، وهو أن الأرض الميتة يسقيها الله تعالى بماء السماء فتعود حيّة بنباتها[٨]، فكذلك لا يُستنكَر أن يحيي[٩] الخليقة بعد موتها.

وأما اختصاص الثانية بقوله: ﴿يَعْقِلُونَ﴾ فلأنه قال: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦]، وقد علمنا

(١) في (خ): «فجعلت»، وفي (ح): «فحصلت»، وفي (و): «فخصّت».

(٢) هي التي جاءت في آخر الآية [٦٧] من سورة النحل.

(٣) قد يتبادر إلى الذهن أن يكون الختام بعد ذكر «الأنعام» و«ثمرات النخيل» و«الأعناب»: إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون. فيُفهَم من كلام المصنف ـ والله أعلم ـ أن اسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ لا يرجع إلى «الأنعام»؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾ قد أغنى عن ذكر اسم الإشارة، فقوله: ﴿لَعِبْرَةً﴾ كافٍ عن «لآية» ومُغنٍ ذلك الغنى، فلا حاجة للجمع بين العبرة والآية هنا. يُنظَر: ملاك التأويل (٢: ٧٤٦).

(٤) هي جملة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

(٥) «إنما» سقطت من (ب).

(٦) في (ب): «النذير».

(٧) في (ب): «مقدَّر».

(٨) في (ح، خ، ر): «مُنبتة».

(٩) في (ب): «أن تجيء».

إسلام ويب islamweb.net

أن الفرث[١] والدم لا ينعصر منه ما يسُوغ للشارب، وأن الدم أحمر، فيَحُول[٢] بقدرة الله تعالى لبنًا أبيض طيبًا[٣] بعد بُعده ممّا استحال عنه في اللون والطِّيب، ففيه عبرة لمن اعتبر. ولما قرن إليه ثمرات النخيل والأعناب وما يتحوَّل من عصيرهما إلى ما يُستلَذُّ ويجلب ما[٤] يسُرّ سوى طِيب رطبها ويابسها؛ احتاج ذلك إلى تدبُّر يُعقَل به صنعُ صانعٍ لا يقدر غيره عليه؛ فلذلك قال في الثانية: ﴿يَعْقِلُونَ﴾.

وأما اختصاص الثالثة بقوله: ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ فلأن التفكُّر استعمال الفكر حالًا بعد حال، وفي النحل عجائب من صنع الله تعالى تتبَع كلَّ أعجوبةٍ أعجوبةٌ[٥] من طاعتها لرئيسها، ثم أشكال ما تبني من بيوتها التي لو حاول الإنسان مثلها بأمثلة يحتذيها[٦] وتقديرات يقدِّمها لتعذَّر عليه، ثم أنها[٧] تجني من أزاهير النبات والأشجار ما هداها[٨] إليه إلهام الله تعالى لها وأرشدها إليه[٩]،

(١) الفرث: ما في الكرش من طعام مهضوم متغيِّر كريه الرائحة، قال الراغب (ص٦٢٨): «فرث: أي ما في الكرش».

(٢) أي: يتحوَّل، قال في اللسان (١١: ١٨٧): «حال الشيءُ نفسُه يَحُول حَولًا بمعنيين: يكون تغيُّرًا، ويكون تحوُّلًا».

(٣) «طيبًا» سقطت من (أ، ك)، وأُثبِتت من (ب).

(٤) في (أ): «ممّا»، والمثبت من (ب، ك).

(٥) في (ب): «تتبع أعجوبة أعجوبة». وفي المعجم الوسيط (ص٥٨٤): «الأعجوبة: ما يدعو إلى العجب».

(٦) في (ك): «يحتبيها»، وهو خطأ. والمعنى: يسير عليها.

(٧) في (ك): «وما تجني».

(٨) في (ك): «ما هداه».

(٩) في (ك): «وإرشاده إياها».

إسلام ويب islamweb.net

ثم تَقْلِس[١] ما يجتمع في جوفها عسلًا، فهذه أشياء تقتضي فكرًا بعد فكر، ونظرًا بعد نظر؛ فلذلك عُقِّبت[٢] بقوله: ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾.

والمسألة الثالثة يجاب عنها بأن يقال: الأنعام في سورة النحل وإن أُطلِق لفظُ جمعِها[٣] فإن المراد به بعضها، ألا ترى أن الدَّرّ[٤] لا يكون لجميعها[٥]، وأن اللبن لبعض إناثها؟ فكأنه قال: وإن لكم في بعض الأنعام لعبرة نسقيكم ممّا في بطونه، ولهذا ذهب من ذهب إلى[٦] أنه رُدّ على النَّعَم[٧]؛ لأنه يؤدي ما يؤديه الأنعام من المعنى، والمراد ـ والله أعلم ـ ما ذكرناه[٨] للدلالة[٩] التي بيَّنّا.

وليس كذلك ذكرُها في سورة المؤمنين؛ لأنه قال: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢١، ٢٢]، فأخبر عن النِّعَم التي في أصناف النَّعَم إناثها وذكورها، فلم

---

(١) أي: تمجّ وترمي، قال في اللسان (٦: ١٨٠ قلس): «قلست النحل العسل تقلسه قلسًا: مجَّته».

(٢) كذا في (ب، ك)، وفي (أ): «عقب».

(٣) في (ب): «جميعها».

(٤) قال في المصباح (١: ١٩١): «الدَّر: اللبن، تسمية بالمصدر».

(٥) في (ب): «جميعها».

(٦) «من ذهب إلى» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(٧) قال في المصباح (٢: ٦١٣): «النَّعَم: جمع لا واحد له من لفظه، وأكثر ما يقع على الإبل... وجمعه: نُعمان مثل حَمَل وحُملان، وأنعام أيضًا، وقيل: النَّعَم: الإبل خاصة، والأنعام ذوات الخفّ والظلف وهي الإبل والبقر والغنم».

(٨) في (أ): «ما ذكر»، والمثبت من (ب، ك).

(٩) في (ب، ك): «بالدلالة».

إسلام ويب islamweb.net

يحتمل أن يراد بها البعض كما كان في الأول ذلك[١].

[١٣٠] الآية السابعة منها[٢]:

قولـه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾[٣] [النحل: ٧٠].

وقال في سورة الحج [٥]: ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾[٤].

للسائل أن يسأل فيقول[٥]: ما الفرق بين قوله: ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾[٦] إذ لم يكن فيه «مِن»، وبين قوله: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾[٧]؟ ولِمَ اختصَّت الآية التي[٨] في[٩] سورة الحج بـ«من»، وخلت منها

(١) يرى المصنف رحمه الله تعالى أن المراد بالأنعام في سورة النحل: البعض، وهو الإناث دون الذكور، حيث إن اللبن لا يكون للذكور، فرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾ إلى «الأنعام»، فهي تعم الذكور والإناث بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾. وذكر الآلوسي في تفسيره (١٤: ١٧٦) توجيهًا آخر فقال: «وضمير ﴿بُطُونِهِۦ﴾ للأنعام، وهو اسم جمع، واسم الجمع يجوز تذكيره وإفراده باعتبار لفظه، وتأنيثه وجمعه باعتبار معناه، ولذا جاء بالوجهين في القرآن وكلام العرب».

(٢) في (ب): «من سورة النحل».

(٣) في (ب، ك): «﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾».

(٤) في (ب، ك): «﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾».

(٥) في (أ): «للسائل أن يقول».

(٦) في (ب، ك): «إذا».

(٧) في (ب، ك): «ولأيّ معنًى».

(٨) «التي» ليست في (ب، ك).

(٩) في (ك): «من» بدل «في».

إسلام ويب islamweb.net

الآية في سورة النحل[١]؟

والجواب أن يقال: ذُكِر في سورة النحل[٢] الجملة التي فُصِّلت في سورة الحج، وكانت لفظة ﴿بَعۡدَ﴾[٣] لجملة[٤] الزمان المتأخِّر عن الشيء، قال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ﴾ [النحل: ٧٠] فأجمل ما فصَّله في السورة الأخرى، وبعده: ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗا﴾؛ أي[٥]: يعزُب[٦] عنه في حال الهَرَم[٧] ما كان يعلمه قبلُ من الحكم، ويستدركه من الآراء المصيبة[٨]، ويرتكبه من المذاهب القويمة[٩]، فكان هذا[١٠] موضع جُمَل لا تفصيل معها ولا تحديد، ولم يكن كذلك الأمر في سورة الحج؛ لأنه قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ﴾[١١] [الحج: ٥] يعني[١٢] أصلكم، وهو آدم عليه السلام، ﴿ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ أولاده ﴿ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡ﴾[١٣]، فذكر تفصيل

---

(١) صيغة السؤال في (ح، خ، ر): «فلِمَ حذف «من» في الأولى، وأثبتها في الأخرى؟».

(٢) من قوله: «والجواب» إلى هنا سقط من (ك).

(٣) «بعد» سقطت من (ك).

(٤) في (ب): «الجملة».

(٥) في (ب): «أن» بدل «أي».

(٦) أي: يغيب عنه، قال في اللسان (١: ٥٩٧ عزب): «عزَب عني فلان يعزُب ويعزِب عزوبًا: غاب وبعُد».

(٧) الهَرَم: أقصى الكِبَر. اللسان (١٢: ٦٠٧ هرم).

(٨) «المصيبة» سقطت من (ك).

(٩) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «القوية».

(١٠) «هذا» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).

(١١) في (أ) إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم﴾، والمثبت من (ب، ك).

(١٢) هنا تكرار في (أ).

(١٣) في (ب): «﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ﴾».

إسلام ويب islamweb.net

الأحوال ومبادئها فقال: من كذا وكذا[١] لابتداء[٢] كل حال ينتقل[٣] منه إلى غيره، فبنى[٤] ذكر الحال التي ينتقل فيها من العلم إلى فقده على الأحوال التي تقدَّم ذكرها، فكما حدَّد[٥] أوائلها بـ«مِن» كذلك حدَّد الحال الأخيرة المتنقِّلة عمّا قبلها بـ«مِن» فقال: ﴿مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ﴾؛ أي: فقَد العلمَ من بعد أن كان عالمًا، فباين الموضعَ الأولَ لذلك.

[١٣١] الآية الثامنة منها:

قوله عز وجل: ﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢].

وقال في سورة العنكبوت [٦٧]: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[٦]: ما بال الآية من[٧] سورة النحل زِيد فيها ﴿هُمۡ﴾، وخلت منها الآية من سورة العنكبوت[٨]؟

والجواب أن يقال[٩]: إن الكلام في سورة النحل قد نُقِل[١٠] عن الخطاب

---

(١) في (ب): «ومن كذا».
(٢) في (أ، ب، ك): «الابتداء»، والمثبت من (ح، خ، ر).
(٣) في (ك): «يتنقّل».
(٤) في (ب): «فمتى».
(٥) في (ب، ك): «حدّث».
(٦) في (أ): «للسائل أن يقول».
(٧) في (ب): «في».
(٨) صيغة السؤال في (ح، خ، ر): «فلِمَ زاد في الأول ﴿هُمۡ﴾ دون الثاني؟».
(٩) «أن يقال» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).
(١٠) في (خ): «انتقل».

إسلام ويب islamweb.net

الذي يصلح لغير الكفار إلى الإخبار عنهم، وهو قوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾[1] [النحل: ٧٢]، ثم انتقل الكلام عن الخطاب العام إلى الإخبار الخاص فقال: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾، فأكَّد الكلام بقوله: ﴿هُمْ﴾ لئلا يُتوهَّم أن هذا الإخبار خطاب، وهو بالتاء[2] دون الياء؛ إذ لا فرق في الخطّ[3] بينهما، ولم يكن كذلك الأمر[4] في سورة العنكبوت؛ لأن الإخبار المستمر في الآية التي قبل هذه أغنى عمّا يحصره للخبر دون غيره، وهو قوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۞ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾[5] [العنكبوت: ٦٥-٦٧]، فترادُف الإخبار عن الغيب أغنى عن توكيده بما يحصره على[6] الخبر، وذلك واضح لمن تدبَّره.

انقضت سورة النحل عن ثماني آيات وإحدى عشرة[7] مسألة، والله الموفق للصواب[8].

---

(١) في (أ) إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم﴾، والمثبت من (ب، ك).

(٢) في (ب): «وبالتاء».

(٣) في (ط): «في الخلط».

(٤) في (ح، خ، ر): «الآية».

(٥) في (أ): «﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ إلى قوله: ﴿يَكْفُرُونَ﴾»، والمثبت من (ب، ك).

(٦) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «عن»، وهو خطأ.

(٧) في (ب): «عشر».

(٨) مكان هذه الجملة في (ك) بياض.

إسلام ويب islamweb.net

سورة بني إسرائيل[١]

[١٣٢] الآية الأولى منها:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤١].

وقال في هذه السورة [٨٩]: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾.

وقال في سورة الكهف [٥٤]: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾.

للسائل أن يسأل عن اختلاف هذه الآيات في قلّة لفظ الأولى، والتقديم والتأخير في الثانية والثالثة.

والجواب أن يقال: إن الأولى جاءت بعد إخبار المتمرِّدين من الكفار[٢] وعمّا آل[٣] إليه أمرهم من الدمار[٤] من مبتدأ السورة، ثم عمّا أقامه من الدلائل

(١) أي: سورة الإسراء.
(٢) «من الكفار» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٣) أي: صار.
(٤) في (أ، ب، ك، ط): «الزمان»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).

إسلام ويب islamweb.net

النيِّرة[١]، والآيات البيِّنة، وعما علَّقه[٢] من الحساب بالأهِلّة، وآية النهار المبصرة، إلى ما حذَّر[٣] من حال[٤] الآخرة، واشتمال الكتاب على ما قدَّم من الحسنة والسيئة، وما بعد ذلك من الأوامر والنواهي، فجاء بعد ذلك كله قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ﴾، فأبهم القول[٥] ليحيط بأنواع تصاريف الكلام من الخبر والعِبَر وضرب المثل والأمر والنهي والوعظ والزجر إذ كان فيما قبله: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾[٦].

وأما الآية الثانية[٧] فإنها جاءت بعد الأولى، وبعد أمثالٍ ضُرِبت[٨]، نحو: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[٩] [الإسراء ٧٢]، وبعد تخويف النبي ﷺ، وتحذيره كتحذير الناس كلهم، إذ يقول تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾[١٠] إلى قوله: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾[١١] [الإسراء: ٧٣-٧٥]، فقال بعده وقدَّم الناس: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ

---

(١) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «المنيرة».

(٢) في (أ): «وما عطفه». وفي (خ، د، ط): «وما علّقه»، والمثبت من (ب، ك).

(٣) في (ب): «حدّ».

(٤) في (أ): «حلال»، والمثبت من النسخ الأخرى.

(٥) يعني لم يذكر متعلِّق التصريف.

(٦) تتمة الآية هي: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٨].

(٧) في (ك): «وأما الثانية».

(٨) «ضربت» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).

(٩) في (أ): «﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ﴾»، والمثبت من (ب، ك).

(١٠) في (أ): «﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾»، والمثبت من (ب، ك).

(١١) من قوله: «إلى قوله» إلى هنا ليس في (أ)، وأُثبت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ تنبيهًا للناس، وليهتمُّوا بتفهُّمه، ويُعنَوْا[١] بتدبُّره، ويقفوا عند أوامره، وينتهوا عن زواجره، فكان موضع الآية يقتضي تقديم[٢] «الناس» على عادة العرب في تقديم ما عنايتُهم به[٣] أتمُّ.

وأما الثالثة فإنها وقعت في السورة التي تقدَّم فيها ذكر أصحاب الكهف، وما سئل النبي ﷺ عن الإخبار به ممّا لم يقدِر عليه إلا بأن يوحى إليه، وكان جميع ذلك من خبر موسى عليه السلام، مع مَن وُعِد لقاءَه، وقصة ذي القرنين بعدهما[٤] ممّا أُودِعَ القرآنَ وتضمَّنه الكتاب، فقال في هذا المكان: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ للدلالة على ما طلبوه من النبي ﷺ، وما[٥] قد أوحى الله تعالى به إليه في كتابه، فكان تقديم ذلك في هذا المكان أولى[٦]. والله أعلم.

[١٣٣] الآية الثانية منها[٧]:

قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا

(١) في (ك): «ويعتنوا».
(٢) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «تقدُّم».
(٣) في (ك): «بذكره».
(٤) أي: بعد قصة أصحاب الكهف وقصة موسى مع الخضر عليهما السلام.
(٥) «وما» ليست في (ب، ك).
(٦) أي: تقديم قوله: ﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ على قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾، حيث قدّم في سورة الكهف قوله: ﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ على قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾؛ لأن الكلام يجري في مقام التنويه بشأن القرآن، وهو أهم من ذكر «الناس» بالأصالة، بخلاف الآية [٨٩] في سورة الإسراء؛ لأن ذكر «الناس» هنا أهم؛ لأجل كون الكلام مسوقًا لتحدِّيهم والحجة عليهم، وإن كان ذكر القرآن أهم بالأصالة، إلا أن الاعتبارات الطارئة تُقدَّم في الكلام البليغ على الاعتبارات الأصلية. يُنظَر: التحرير والتنوير (١٥: ٢٠٤).
(٧) في (ب): «من سورة بني إسرائيل».

إسلام ويب islamweb.net

ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا * أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا﴾ [الإسراء: ٦٨، ٦٩].

وقال بعد ذلك بآيات: ﴿إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا﴾ [الإسراء: ٧٥].

ثم قال بعده[١]: ﴿وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا﴾[٢] [الإسراء: ٨٦].

للسائل أن يسأل عن اختصاص خواتم[٣] هذه الآيات الأربع: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ﴾ و﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ﴾[٤] بما خُصَّت به، وهل كان يجوز أن تكون هذه مكان تلك، وتلك مكان هذه؟

والجواب أن يقال: إن الأولى بعد قوله[٥]: ﴿أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ﴾ وهو[٦] خطاب لمن ينجيهم من ضرّ البحر ويُسلِمهم إلى البرّ فيُعرِضون عن ذكر ما كانوا فيه من المخافة[٧] عند الأمن، ويكفرون بما[٨] أنعم به[٩] عليهم من النجاة، فقال: الذي خفتموه من عذاب الله تعالى في البحر

(١) «بعده» ليست في (ب، ك).
(٢) في (أ، ب، ط): «ثم لا تجد علينا وكيلًا»، والمثبت من المصحف ومن (ك).
(٣) «خواتم» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٤) في (أ، ب): «ممّا»، والمثبت من (ك).
(٥) «قوله» ليست في (أ)، والمثبت من (ب، ك).
(٦) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «وهي».
(٧) في (ك): «إلى المخالفة»، وهو خطأ.
(٨) في (ب، ك): «ما».
(٩) «به» ليست في (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

لا تأمنوا مثله[١] في البرّ؛ لأن الغرق الذي خفتموه هناك بإزائه الخسفُ[٢] وإرسالُ الرياح الحاملة للحصباء[٣]، فلا يُعجِزه الآن ما أمكنه إذ ذاك، ثم لا تجدوا مَن يقوم مقامكم ويعصمكم ممّا يريد إنزاله بكم، وهذا أول ما يطلبه مَن يُشرِف على هلكةٍ[٤] لينقله إلى نجاة.

وأما قوله: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ يعني: في البحر، فيُغرِقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا مَن يُتبِعنا إذا أهلكناكم بمطالبةٍ بدمائكم، أو بإنكار ما أنزلناه بكم، فالذي يُلجَأ إليه إذا لم يُغنِ الوكيل في دفع الضرر ووقوع الهَلَكة مَن[٥] يُتبِع ذلك بإنكار أو انتصار، وهذا أيضًا مما لا تجدونه.

وأما قوله تعالى للنبي ﷺ: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾؛ أي: لأنزلنا بك عند قليل الركون[٦] إلى الكفار ضِعف عذاب الدنيا وضِعف عذاب الآخرة، ثم لا تجد لك عِزًّا تمتنع به ممّا نريد[٧] إحلاله بك، وهذا هو النصير.

وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾؛ أي[٨]: لأنسيناكه ولَمحونا[٩] من القلوب والكتب ذكره[١٠]، ثم لا تجد مَن يتوكَّل لك

(١) في (أ): «لا تأمنوه»، وفي (ب): «لا تأمنونه»، والمثبت من (ك).
(٢) الخسف هو انهيار الأرض بالشيء وتغييبه في باطنها.
(٣) أي: صغار الحجارة. قال في اللسان (١: ٣١٩): «الحصباء: الحصى الصغار».
(٤) في (ب): «هلاكه».
(٥) أي: الهلاك. قال في اللسان (١٠: ٥٠٤ هلك): «الهلكة: الهلاك».
(٦) أي: الميل.
(٧) في (ب): «يريد».
(٨) «أي» ليست في (أ، ب، ك)، وأُثبِتت من (ح، خ، ر، س).
(٩) في (ب): «ولمحوناه».
(١٠) «ذكره» سقطت من (ب).

إسلام ويب islamweb.net

بردٍّ شيء منه إليك، لكني دبَّرتك[١] بالرحمة لك، فأوليتك من النِّعَم والألطاف ما ثبتَّ به على الإيمان، وسلِمت به من الركون إلى ما دعاك إليه أهل الشرك، وكانوا قالوا له[٢]: لا نتركك تستلم الحجر حتى تُلِمّ[٣] بآلهتنا، فقال في نفسه: ما عليَّ أن أفعل ذلك، والله يعلم ما في نفسي، فأتمكَّن من استلام الحجر[٤]. وقيل: إنهم قالوا له: اطرُدْ[٥] عنك[٦] سُقّاط الناس[٧] ومواليهم، والذين رائحتهم رائحة الضأن؛ لأنهم كانوا يلبسون الصوف، إنْ كنتَ قد أُرسِلت إلينا لتجلس معنا ونسمع منك، فهمَّ أن يفعل ما يستدعي به إسلامهم[٨]، فنزل هذا

(١) في (ح، خ، ر، س): «دونك» بدل «دبَّرتك».

(٢) «له» ليست في (أ، ك)، وأُثبِتت من (ب).

(٣) أي: حتى تأتي وتزور، قال في المصباح المنير (٢: ٥٥٩): «ألمَّ الرجل بالقوم إلمامًا: أتاهم ونزل بهم»، وفي اللسان (١٢: ٥٥٠ لمم): «الإلمام: النزول، والزيارة غِبًّا».

(٤) معاني القرآن للزجاج (٣: ٢٥٣). وهذا القول منسوب إلى سعيد بن جبير كما في تفسير الطبري (١٥: ١٣٠) حيث أسند الطبري وغيره هذه الرواية إلى سعيد بن جبير وهي من رواية ابن حميد ـ محمد بن حميد بن حيان، أحد حُذّاق الكذب ـ كان يأخذ أحاديث الناس فيقلِّب بعضها على بعض، وكان يركِّب الأسانيد على المتون، وكان يحدِّث بما لم يسمعه... إلخ. انظر البحث بتمامه في كتاب «السيف المسلول في الذب عن الرسول ﷺ» للدكتور عويد المطرفي (ص٧٦ وما بعدها)، ومَراجعه فيه: تذكرة الحفاظ (٢: ٤٩١)، وتهذيب التهذيب (٩: ١٢٩)، وميزان الاعتدال (٣: ٥٣٠). وقال ابن الجوزي بعد إيراده (٥: ٦٧): «وهذا باطل، لا يجوز أن يُظَنّ برسول الله ﷺ... وكل ذلك مُحال في حقه وفي حق الصحابة أنهم رووا عنه».

(٥) أي: أبعد، قال في المفردات (ص٥١٧): «الطرد: هو الإزعاج والإبعاد على سبيل الاستحقاق».

(٦) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «عنّا».

(٧) أي: أراذلهم، والسُّقاط جمع ساقط، قال في اللسان (٧: ٣١٩ سقط): «والساقط والساقطة: اللئيم في حسبه ونفسه، وقوم سقطى وسُقّاط».

(٨) في (ك): «أشرافهم»، وهو خطأ.

إسلام ويب islamweb.net

الوعيد[١]؛ لأن الله تعالى أمره بغير ذلك في قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢]، وقال: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [القصص: ٨٨]؛ ولذلك قال: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾ [الإسراء: ٧٣]، وهذان البابان[٢] اللذان همَّ بأحدهما من غير عزم منه عليه، هُما غيرُ ما أوحى الله إليه، فقد تبيَّن[٣] أنّ خاتمة كل آية[٤] واقعة موقعها لا يصلح سواها مكانها. والله أعلم.

(١) معاني القرآن للزجاج (٣: ١٥٤)، وتفسير ابن الجوزي (٥: ٦٨). وقال السيوطي في الدر المنثور (٥: ٣١٨): «أخرج ابن أبي حاتم عن جبير بن نفير رضي الله عنه: أن قريشًا أتوا النبي ﷺ فقالوا له: إن كنت أُرسلت إلينا فاطرد الذين اتبعوك من سُقّاط الناس ومواليهم لنكون نحن أصحابك، فركن إليهم فأوحى الله إليه: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾».

(٢) تكرَّرت في (أ).

(٣) في (ك): «بين».

(٤) في (ب، ك): «كل خاتمة آية».

إسلام ويب islamweb.net

سورة الكهف

[١٣٤] الآية الأولى منها:

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢].

للسائل أن يسأل عن الفرق بين قوله: ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ﴾(١) و﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ﴾(٢) بلا واو، وبين قوله: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ﴾(٣) بالواو(٤).

وقد سوّى النحويّون بين الجملة التي تجري صفة للنكرة(٥)، أو حالًا للمعرفة إذا كان فيها ذكر الأول في أنّ دخول الواو عليها وحذفها(٦) منها جائزان(٧). قال الزجاج: دخول الواو هاهنا وإخراجها من الأول واحد(٨).

---

(١) في (ب): «﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾».
(٢) في (ب): «﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾».
(٣) في (ك): «﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾».
(٤) صيغة السؤال في (ح، خ، ر، س): «فلِمَ أدخل الواو في قوله: ﴿وَثَامِنُهُمْ﴾ دون الأوّلين؟».
(٥) في (ب): «مجرى الصفة».
(٦) في (ك): «وخلوّها».
(٧) مثّل الزمخشري للواو الداخلة على الجملة الثالثة وهي ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فقال (٢: ٤٧٩): «هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالًا عن المعرفة في نحو قولك: جاءني رجل ومعه آخر، ومررت بزيد وفي يده سيف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤]».
(٨) معاني القرآن للزجاج (٣: ٢٧٧).

إسلام ويب
islamweb.net

فإن قال السائل: هل في اختصاص السبعة[١] وعطف الجملة عليها فائدة تخصّها[٢] ليست فيما قبلها؟

فالجواب[٣] عن ذلك من وجهين:

أحدهما: أن يقال: إن الفِرقة التي قالت: كانوا ثلاثة، كانت بعدها فرقتان أخريان، وكذلك الثانية التي قالت: خمسة سادسهم كلبهم[٤]، وأما السبعة فانتهت عندها العِدّة، وانقطعت بها القصة[٥]، ولم تكن هناك فرقة رابعة تذكر قولًا رابعًا، والشيء إذا تمَّ وانتهى وكانت الجملة فيما لم ينتهِ تتصل[٦] بالأول اتصال الشيء منه؛ كانت الواو فيها دليلًا على انقضائها[٧]، والآخر[٨] في كلامٍ في حكم المنقطع منها في اللفظ وإن كان اتصاله[٩] بها في المعنى كاتصال الأوّلين.

والثاني: أن السبعة لمّا كانت أصلًا للنهاية في تركيب العدد[١٠]؛ لأن أصل الجمع[١١] واحد، والواحد فرد، والتركيب بعده بأن يُضَمّ فرد إلى فرد فيصيرا

---

(١) في (ب، ك): «سبعة».
(٢) في (ب، ك): «تختصها».
(٣) في (ب، ك): «والجواب».
(٤) «كلبهم» سقطت من (ك).
(٥) في (ك): «القضية».
(٦) في (أ): «يتصل».
(٧) قال الزجاج (٣: ٢٧٧): «وقد يجوز أن يكون الواو يدخل ليدل على انقطاع القصة وأن الشيء قد تمّ»، ويكون الواو على هذا للاستئناف.
(٨) يعني ما جاء بعد الواو. وفي (ك): «والأحد»، وهو خطأ.
(٩) في (أ): «اتصالها»، وفي (ب): «اتصال»، والمثبت من (خ، ر، س)، ولعله الصواب.
(١٠) في (أ): «في التركيب العدد»، والمثبت من (ب، ك).
(١١) في (ب): «الجمع».

إسلام ويب islamweb.net

زوجًا، فيحصل بضمّهما إلى الواحد السابق ثلاثة[١]؛ فرد لم يُضَمّ إليه شيء، وفرد ضُمّ إليه فرد، ثم ضُمّا إلى فرد فحصل[٢] به ضمُّ زوج إلى فرد، وبلغت عِدّة المركَّبات ثلاثة، وبقي[٣] أن يُضَمّ زوج إلى زوج، وهو اثنان يُضَمّان إلى اثنين فيصير[٤] أربعة، فإذا ضُمّت الأربعة إلى الثلاثة تكاملت التركيبات[٥]، فلا ترى بعدها تركيبًا خارجًا عن ذلك، فصارت السبعة أصلًا للمبالغة في العدد؛ ولهذا خُصّت السماوات بسبع من العدد، والأرضون مثلها، والكواكب والأسبوع، وقال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾[٦] [التوبة: ٨٠]، وقال: ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾[٧] [الحاقة: ٣٢].

وللمفسرين في ذلك جواب **ثالث**، وهو أن العرب تقول: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، وثمانية، فإذا بلغت الثمانية لم تُجرِها مُجرى الأخوات[٨] التي لا يُعطَف بعضها على بعض[٩]، كما يقال في الحروف

(١) «ثلاثة» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).
(٢) في (أ): «فيحصل».
(٣) في (ب): «وهي».
(٤) في (ب): «فيصيران».
(٥) في (ب): «المركّبات».
(٦) «﴿فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾» ليست في (أ).
(٧) «﴿فَٱسْلُكُوهُ﴾» ليست في (أ).
(٨) في (ك): «الأصوات».
(٩) وإنما العرب تُدخل الواو بعد السبعة إيذانًا بتمام العدد، فإن السبعة عندهم هي العقد التام كالعشرة عندنا، فأتوا بحرف العطف الدال على المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه. قاله أبو بكر الرازي في كتابه الأنموذج (ص١٩١). قال الزمخشري (٢: ٤٧٩): «وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ قالوه عن ثبات علمٍ وطمأنينة نفسٍ ولم يرجموا بالظن كما رجم غيرهم، والدليل عليه أن الله سبحانه أتبع القولين =

إسلام ويب islamweb.net

المقطعة[١]: ألف، باء، تاء، ثاء[٢]، واحتجوا بآيات من القرآن كقوله تعالى: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢] فعطف الثامن[٣] على ما قبله، ولم يُدخِل واو العطف على ما قبله[٤]، وكذلك قالوا في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١]؛ لأن[٥] أبواب جهنم سبعة، وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]؛ لأن أبواب الجنة ثمانية، وقالوا مثل ذلك في قوله: ﴿مُسْلِمَـٰتٍ مُّؤْمِنَـٰتٍ قَـٰنِتَـٰتٍ تَـٰٓئِبَـٰتٍ عَـٰبِدَٰتٍ سَـٰٓئِحَـٰتٍ ثَيِّبَـٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥] وإن كان هذا[٦] مخالفًا لما تقدَّم؛ إذ الثيِّبات[٧] لا توصف[٨] بالأبكار[٩]، فكانت الواو هنا من جهة أخرى، لا يجوز تركها[١٠].

= الأولين قوله: ﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾، وأتبع الثالث قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾». وقد سمّى بعضهم ـ كابن خالويه وأبي بكر راوي عاصم ـ هذه الواو واو الثمانية. الدر المصون (٧: ٤٦٨)، والتفسير الكبير (٢١: ١٠٨).

(١) «المقطعة» سقطت من (أ).

(٢) في (ك): «ب، ت، ث».

(٣) هو قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾.

(٤) في (ب، ك): «على غيره».

(٥) من هنا إلى قوله: «لأن أبواب الجنة» سقط من (ب).

(٦) «هذا» سقطت من (ب، ك).

(٧) الثيِّبات جمع الثيِّبة، قال في المصباح المنير (١: ٨٧): «قيل للإنسان إذا تزوَّج: ثيِّب، وهو فَيْعِل اسم فاعل من ثاب، وإطلاقه على المرأة أكثر لأنها ترجع إلى أهلها بوجه غير الأول».

(٨) «لا توصف» سقطت من (ب).

(٩) الأبكار جمع البِكر، قال في المصباح (١: ٥٩): «والبِكر خلاف الثيِّب، رجلًا كان أو امرأة، وهو الذي لم يتزوج».

(١٠) يعني أن الواو الداخلة على قوله: ﴿أَبْكَارًا﴾ لا بد منها؛ لأنها لو سقطت لاستحال المعنى لوجود تناقض في الصفتين. يُنظَر: النموذج لأبي بكر الرازي (ص١٩١).

إسلام ويب islamweb.net

قلت: ويمكن أن يُنصَر هذا القول ويُعضَّد[١] بطريق من القياس، تختص بثمانية، وهو أن الياء في «ثمانية» و«ثماني» ياءُ النسب التي[٢] في قولك: يَمانٍ وشَآمٍ وتَهامٍ ورَباعٍ[٣] في الفرس الرباعي، وكان الأصل يمنيّ، وشآميّ، وتهامي، وربعي، وثمنيّ[٤] فقُلِبت إحدى الياءين ألفًا، وقُدِّمت على لام الاسم، وبقيت الياء الأخيرة ساكنة[٥].

وياء النسب من خصائص الأسماء التي لا تكون في غيرها، وهي إذا دخلت على ما خرج من الاسم[٦] عن بابه كمَدْيَن وطلحة إلى باب ما لا ينصرف، أعادته إلى باب الاسم وأبطلت[٧] عنه شَبَهَ غيرِه الموجبَ لمنع الصرف، فتقول: مدائني وطَلحي، فتصرفه[٨] وإن صار بالياء أثقل ممّا كان، فلما دخل على «ثمانية» ما يخصِّصها بباب الاسم أُجرِيت على حكم الاسم، وأُزيل[٩] عنها حكم الحروف[١٠] فعُطِفت على ما قبلها بالواو.

فإن قال قائل[١١]: فإن هذا يلزَمك[١٢] في ثلاثة؛ لأن التأنيث من خصائص

---

(١) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «وبعضه»، وهو خطأ.

(٢) في (ب): «الذي».

(٣) قال في اللسان (٨: ١٠٨ربع): «فرس رَباعٍ مثل ثمانٍ: هو الذي يُلقِي رَباعيته».

(٤) من قوله: «في الفرس الرباعي» إلى هنا سقط في (أ)، وأُثبِت من (ب، ك).

(٥) من قوله: «فقلبت» إلى هنا سقط من (ك). (٦) «من الاسم» ليست في (أ).

(٧) في (أ): «وأبطل»، وفي (ب): «ولبطل». (٨) في (ب): «فصرفه».

(٩) في (ب): «وإن أزيل».

(١٠) في (ب): «حكم الصرف»، وفي (ك): «حكم الصوت».

(١١) «قائل» ليست في (أ، ك).

(١٢) في (ب): «لزمك».

إسلام ويب islamweb.net

الاسم؛ **قلت**: هذه العلامة ـ أعني أمارة[١] التأنيث ـ تتصل بالفعل في نحو: قامت وقعدت، وتتصل بالحرف في نحو: رُبَّتَ[٢] وثُمَّتَ، فيزول عنها الاختصاص.

فإن قال قائل[٣]: فالتثنية لا تكون إلا[٤] في الاسم، فوجب في قولك: اثنان أن تقول: واحد واثنان. **قيل**: لا يختلف البصريون في أنّ الكاف من «ذلك»[٥] ليست اسمًا، وهي تُثنّى وتُجمَع[٦] في قولك: ذاكما و﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٣٧] و﴿ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ [الطلاق: ٢]، فيزول بما ذكرنا[٧] اختصاصُ ما عارض به من المختص بالاسم دون غيره.

[١٣٥] الآية الثانية منها:

قوله تعالى: ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ۞ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا﴾ [الكهف: ٣٥، ٣٦].

وقال في سورة حم السجدة[٨] [٥٠]: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰ﴾.

---

(١) في (ح): «علامة».

(٢) قال في الصحاح (١: ١٣١ ربب): «وربّ: حرف خافض لا يقع إلا على نكرة، يُشدَّد ويُخفَّف، وقد تدخل عليه التاء فيقال: رُبَّتَ»، وفي اللسان (١: ٤٠٨): «رُبّ ورَبّ: كلمة تقليل يُجَرّ بها».

(٣) «قائل» ليست في (أ، ك).

(٤) في (ك): «ليست إلا».

(٥) في (ك): «ذاك».

(٦) «وتجمع» سقطت من (ك).

(٧) في (ك): «بذلك».

(٨) هي سورة فصلت. و«حم» سقطت من (أ).

إسلام ويب islamweb.net

للسائل أن يسأل عن قوله في الأولى: ﴿رُّدِدتُّ﴾، وقوله في الثانية[١]: ﴿رُّجِعْتُ﴾، وهل كان[٢] يجوز أحد اللفظين[٣] مكان الآخر[٤] في الاختيار؟

والجواب أن يقال: إن الأُولى بقوله: ﴿رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾[٥] أَولى؛ وذلك لما تقدَّم من وصف الجنتين اللتين حَوَتا مراده، واشتملتا على ما أراده، وتقديره فيهما أنهما يدومان له. والردُّ عن الشيء يتضمن معنى كراهية[٦] للمردود[٧]؛ تقول: قصد فلانٌ فلانًا فرُدَّ عنه، وقصد فلانًا فرُجِع عنه[٨]، فلما كان الأول يُنقَل عن جنته وهو خلاف محبّته[٩]؛ كان استعمال اللفظ الذي يدل على الكراهية[١٠] فيه أولى.

والثانية لم يتقدَّمها مثل ما تقدَّم هذه؛ لأن قبلها: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾[١١] إلى قوله: ﴿لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]. وليس في «رُجِع» ما في «رُدّ» من كراهة وهوان يلحقان المردود[١٢] ولا يلحقان المرجوع، فافترقا لذلك.

---

(١) في (ك): «وفي الثانية».
(٢) «كان» سقطت من (ك).
(٣) في (ب، ك): «إحدى اللفظتين».
(٤) في (ب، ك): «الأخرى».
(٥) في (ب، ك): «﴿رُّدِدتُّ﴾».
(٦) في (ب، ك): «كراهة».
(٧) في (ح، خ، ر): «كراهة المردود».
(٨) «عنه» سقطت من (ب، ك).
(٩) في (ب): «جنته»، وهو خطأ.
(١٠) في (ب، ك): «للكراهة».
(١١) في (ب، ك): «﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٤٩، ٥٠]».
(١٢) في (ك): «يلحقان المرجوع».

إسلام ويب islamweb.net

[١٣٦] الآية الثالثة منها:

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الكهف: ٥٧].

وقال في سورة السجدة [٢٢]: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن استعمال الفاء في سورة الكهف في قوله: ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾، واستعمال ﴿ثُمَّ﴾ في سورة السجدة.

والجواب أن يقال[١]: إن «الفاء» و«ثُمّ» مشتركان في أنّ ما بعدهما في اللفظ[٢] متأخِّر عمّا قبلهما في المعنى، ومختلفان في أنّ «الفاء» قرُب ما بعدها ممّا قبلها، وفي «ثم» تراخٍ عنه وبُعْد[٣]، فكان[٤] استعمال الفاء في سورة الكهف أولى، واستعمال «ثُمّ» هناك أحق وأحرى؛ وذلك أنّ ما في سورة الكهف في ذكر قوم يُستدعَون إلى الإيمان، ولم تُختَم أعمالهم بالكفر؛ لقوله تعالى: ﴿وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾ [الكهف: ٥٦].

وليس كذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ الآية، في وصف الكفار بعد موافاتهم القيامة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ

(١) «أن يقال» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).
(٢) في (ك): «في أن اللفظ».
(٣) في (ب، ك): «تراخيًا وبُعدًا».
(٤) في (ك): «وكان».

إسلام ويب islamweb.net

رَبِّهِمْ﴾ إلى قوله[١]: ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ [السجدة: ١٢-٢٢]؛ أي: ذُكِّر مُدّةَ عُمرِه بآيات ربّه[٢]، وتطاول الأمر بزجره ووعظه، ثم ختَم ذلك بترك القبول وبالإعراض[٣]، فكان هذا قولًا[٤] يقال فيهم عند الانتقام منهم كما حكى قولهم: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]، فقد بان بما ذكرنا أن «ثُمّ» هنا مكانها، والفاء هناك مكانها[٥]. والله أعلم[٦].

[١٣٧] الآية الرابعة منها[٧]:

قوله تعالى في الحكاية عن موسى عليه السلام لما خرق[٨] الخضر[٩]

---

(١) في (ب، ك): «إلى قوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ [السجدة: ٢١، ٢٢]».

(٢) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «بآيات الله».

(٣) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «والإعراض».

(٤) في (ب): «قول»، وفي (ك): «قوله تعالى».

(٥) خلاصة كلام المصنف: قال تعالى في سورة الكهف بالفاء الدالة على التعقيب؛ لأن ما هنا في الأحياء من الكفار، فإنهم ذُكِّروا فأعرضوا عقب ما ذُكِّروا، وقال في السجدة بـ«ثم» الدالة على التراخي؛ لأن ما هناك في الأموات من الكفار، فإنهم ذُكِّروا مرة بعد أخرى، ثم أعرضوا بالموت فلم يؤمنوا. يُنظَر: البرهان للكرماني (ص٢٥١)، وفتح الرحمن للأنصاري (ص٣٤٤).

(٦) «والله أعلم» ليست في (أ، ب).

(٧) في (ب): «من سورة الكهف».

(٨) أي: ثقب السفينة لدخول الماء، والخرق: الثقب. المصباح (١: ١٦٧).

(٩) بفتح الخاء وكسر الضاد ككَتِف وكَبِد، وبكسر الخاء مع سكون الضاد كحِمْل. سُمِّي بذلك ـ كما قال ﷺ ـ لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتزُّ من خلفه خضراء، وهذا الحديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر (٦: ٤٣٣ برقم ٣٤٠٢). والفروة: أرض بيضاء ليس فيها نبات. واختُلف في اسم الخضر عليه السلام ونبوّته وبقائه. وقد ألَّف الملا عليّ القاري رسالة صغيرة جيدة في هذا الموضوع، سماها «الحَذَر في أمر الخَضِر» وهي مطبوعة.

إسلام ويب islamweb.net

عليه السلام السفينة: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١]. ولما قتل الغلام: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤].

للسائل أن يسأل عن «الإمر»(١) و«النُّكر»(٢)، وهل كان أحدهما يصلح(٣) في موضع الآخر، أم لكل واحد(٤) معنى يخصِّصه بمكانه؟

والجواب أن يقال: قيل: الإمر: إنه الداهية(٥)، وقيل: إنه العَجَب(٦). والنُّكر: ما تنكره العقول ولا تعرفه ولا تجوِّزه. ويُروى عن قتادة أنه قال: النُّكر أعظم من الإمر(٧)؛ لأن الإمر إن حُمِل على الداهية فهي التي تَدْهى(٨) الإنسانَ

(١) قال في اللسان (٤: ٣٣): «أمِر أمْرُه يأمَر أمرًا: أي استدَّ، والاسم: الإمر بكسر الهمزة»، وقال الزجاج (٣: ٣٠٢) في معناه: «شيئًا عظيمًا من المنكر».

(٢) النُّكر ـ بضم النون ـ: الدهاء والأمر المنكر. اللسان (٥: ٢٣٣).

(٣) في (ب، ك): «يصلح أحدهما».

(٤) «واحد» ليست في (ب، ك).

(٥) هو قول أبي عبيدة في مجاز القرآن (١: ٤٠٩). قال في اللسان (١٤: ٢٧٥): «والداهية: الأمر المنكر العظيم».

(٦) هذا القول في تفسير الطبري (١٥: ٢٨٤) مرويّ عن قتادة. وفي تفسير الماوردي (٢: ٤٩٦) منسوبًا إلى مقاتل.

(٧) هذا الأثر أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥: ٢٨٧) فقال: «حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: ثنا سعيد عن قتادة ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾، والنكر أشد من الإمر». وهذا الأثر إلى قتادة حسن الإسناد؛ لأن بشر بن معاذ صدوق. التقريب (رقم ٧٠٢)، ويزيد هو يزيد بن زريع: ثقة ثبت. التقريب (رقم ٧٧١٣)، وسعيد هو سعيد بن أبي عروبة: ثقة حافظ، وكان من أثبت الناس في قتادة. التقريب (رقم ٢٣٦٥).

(٨) أي: تصيبه من وجه المأمن ومن حيث لا يشعر. ففي اللغة: ما دهاك؛ أي: ما أصابك، وكل ما أصابك من وجه المأمن فقد دهاك دهيًا، ودهاه: خَتَلَه؛ أي: خدعه عن غفلة ومن حيث لا يشعر. اللسان (١٤: ٢٧٥ دهو، ١١: ١٩٩ ختل).

إسلام ويب islamweb.net

ممّا لم يخشَه[١] فيحترز[٢] من وقوعه. والعَجَب قد يكون غير منكَر، والنُّكر[٣] لا يُستعمَل إلا في المذموم الذي يخرج عن المعروف في العقل[٤] أو الدين، فاختصَّ الأول بالإمر؛ لأن خرق السفينة التي لم يغرق فيها أحد أهون من قتل الغلام الذي قد هلك. وقيل: الإمر أعظم من النُّكر؛ لأن تغريق مَن في السفينة[٥] أنكرُ من قتل نفس واحدة[٦]، وليس كذلك؛ لأن الغرق لم يقع[٧]، والقتل قد حصل.

[١٣٨] الآية الخامسة منها[٨]:

قوله تعالى في الحكاية عن الخضر عليه السلام بعد قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١]: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٢].

وبعد قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤]: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٥].

---

(١) في (ك): «مما لم يجتنبه».

(٢) كذا في أكثر النسخ، وهذه الكلمة غير واضحة في (أ).

(٣) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «المنكر». (٤) في (ب، ك): «الفعل».

(٥) في (أ): «لأن تغريق عدد في السفينة»، وفي (ب، ط): «لأن تغريق عدد من في السفينة»، وفي (ك): «لأن غرق من في السفينة». و(ك) أقرب إلى الصواب، والمثبت من معاني القرآن للزجاج (٣: ٣٠٣).

(٦) هذا القول قول الزجاج في معاني القرآن (٣: ٣٠٣).

(٧) هذه الجملة تدل على أن المؤلف يرجِّح ما قاله قتادة، وهو اختيار النحاس في معاني القرآن (٤: ٢٧١). وقال ابن عطية في تفسيره (٩: ٣٦٦): «عندي أنهما لمعنيين؛ قوله: ﴿إِمْرًا﴾ أفظع وأهول من حيث هو متوقَّع عظيم، و﴿نُّكْرًا﴾ أبيَن في الفساد؛ لأن مكروهه قد وقع».

(٨) في (أ، ب): «من سورة الكهف»، والمثبت من (ك).

إسلام ويب islamweb.net

للسائل أن يسأل عن زيادة ﴿لَّكَ﴾ في الثانية، وإخلاء الأولى منها.

والجواب أن يقال: إنه في الأولى[١] لما قرَّر[٢] موسى وذكر[٣] ما كان قدَّم القول فيه من أن الصبر[٤] على ما يشاهده منه يثقُل عليه فقال: ﴿أَلَمْ أَقُل إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ معناه[٥] في غالب ظني: أنك تعجِز عن احتمال ما ترى حتى تبادر إلى الإنكار، فلما رأى قتل الغلام وعاد إلى الإنكار أكَّد التقرير الثاني بقوله: ﴿لَّكَ﴾[٦] كما يقول القائل: لك[٧] أقول، وإياك أعني، فيقدِّم «لك» و«إياك»، ولو قال: أقول لك، وأعنيك بكلامي؛ لاستويا في المعنى، إلا أنّ في ﴿لَّكَ﴾ تأكيد الخطاب[٨] بالتقديم، فكأنه قال: ألم يكن خطابي لك دون مَن سواك، وهذا وجب في الثاني لا في الأول[٩] الذي لم تتأكَّد حجة الخضر[١٠] عليه السلام كتأكُّدها في الثاني[١١].

[١٣٩] الآية السادسة منها[١٢]:

قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧].

للسائل أن يسأل عن ﴿ٱسْطَٰعُوا۟﴾ في الأولى[١٣]، فلِمَ[١٤] خُصَّت بحذف

---

(١) كذا في (ب، ك)، وفي (ح، خ): «في الآية الأولى»، وفي (أ): «في الأول».
(٢) في (ك): «قرب».
(٣) في (ب، ك): «ذكره».
(٤) في (ك): «من الصبر».
(٥) في (ب، ك): «وهذا معناه».
(٦) في (ب): «بقولك»، وهو خطأ.
(٧) «لك» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٨) في (أ، ب، ك، ط): «إلا في تأكيد الخطاب»، والمثبت من (ح، خ، و).
(٩) في (خ، و): «دون الأول».
(١٠) في (ب): «حجته».
(١١) في (ب): «في الثانية».
(١٢) في (ب): «من سورة الكهف».
(١٣) في (ب): «في الأول».
(١٤) في (أ، ب): «لمّا»، والمثبت من (ك، و).

إسلام ويب islamweb.net

التاء دون الثانية في جُلِّ القراءات[١]؟

والجواب أن يقال: إن الثانية[٢] تعدَّت إلى اسم، وهو قوله[٣] عز وجل: ﴿نَقَبَا﴾، فخفَّ[٤] متعلِّقُها فاحتملت بأن يتمَّ[٥] لفظها، فأمّا[٦] الأولى فإنها تعلَّق مكانُ مفعولها[٧] بـ«أن» والفعل بعدها، وهي أربعة أشياء: أنْ، والفعل، والفاعل، والمفعول الذي هو الهاء، فثقُل لفظ «استطاعوا»، وكان يجوز تحقيقه حيث لا يقارنه ما يزيده ثقلًا[٨]، فلما اجتمع الثقلان، واحتمل الأول[٩] التخفيف؛ أُلزِمَ في الأول[١٠] دون الثاني الذي خفَّ[١١] متعلِّقه[١٢].

انقضت سورة الكهف عن ست آيات وست مسائل. والحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين[١٣].

---

(١) «في جُلّ القراءات» ليست في (أ)، والمثبت من (ك)، وفي (ب، ط): «في جُلّ القرآن».

(٢) في (أ، ب، ك): «الثانية» من دون «إن»، والمثبت من (ح، خ).

(٣) «قوله» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(٤) في (ح، خ، ر): «فخفف».

(٥) في (ب، ك): «يتمّم».

(٦) في (ك): «وأمّا».

(٧) في (ب): «مكانها بمفعولها».

(٨) في (أ): «حيث لا يزيده ثقالًا»، والمثبت من (ب، ك، ح، خ).

(٩) في (ب): «واحتملت الأولى».

(١٠) في (ب): «القرآن»، وفي (ك): «في القراءات».

(١١) في (ك): «خفّف».

(١٢) في (ط): «خف متعلّقه واحتمل».

(١٣) من قوله: «والحمد لله» إلى هنا أُثبِت من (ب).

إسلام ويب islamweb.net

سورة مريم عليها السلام[١]

[١٤٠] الآية الأولى منها:

قوله عز وجل: ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: ٣٧].

وقال في سورة الزخرف [٦٥]: ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ﴾.

للسائل أن يسأل فيقول: هل في اختلاف لفظَي ﴿كَفَرُواْ﴾ و﴿ظَلَمُواْ﴾[٢] في الآيتين ما يخص[٣] أحدهما بمكانه، والآخر بالموضع الذي جاء فيه؟

والجواب أن يقال[٤]: كلتا الآيتين[٥] في قصّة عيسى عليه السلام وتوعُّد من أثبت[٦] لله تعالى ولدًا؛ لقوله تعالى في سورة مريم: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٧] [مريم: ٣٥]، وقال في سورة الزخرف [٦٣-٦٥]: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم

---

(١) في (ب): «بسم الله الرحمن الرحيم، سورة مريم عليها السلام».

(٢) في (ب، ك): «مِن».

(٣) كذا في (ب، ك)، وفي (أ): «يختص».

(٤) «أن يقال» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).

(٥) في (ح، خ): «إن كلتي الآيتين».

(٦) في (ك): «أثبته».

(٧) في (أ): «﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ﴾ الآية»، والمثبت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِ﴾ إلى قوله: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، والكفر أعظم من الظلم وإن كان كلُّ كافر ظالمًا لنفسه، فلما قالوا في عيسى عليه السلام: إنه ابن الله، كفروا بذلك وظلموا أنفسهم، فأخبر[١] الله تعالى عنهم في القصة التي شرح فيها ابتداء أمره بالوصف الذي يتضمن لفظ[٢] أكبر الذنوب، وهو الكفر.

ولما أجمل في السورة الثانية ما فصَّله في الأولى، وصفهم بالوصف الذي يدل على أنهم حرَموا أنفسهم ما عُرِّضوا له من الثواب، وأوجبوا[٣] عليها أليم العذاب، فبذلك ظلموها، أعني بالكفر الذي كان منهم لما دَعَوا للرحمن ولدًا[٤]، تقدَّس الله تعالى عنه[٥].

[١٤١] الآية الثانية منها:

قوله تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٥٩، ٦٠].

وقال في سورة الفرقان [٦٨-٧٠]: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ۝ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ﴾.

---

(١) في (أ، ب، ك): «أخبر»، والمثبت من (ح، خ).

(٢) في (أ): «وصف». وهو غير واضح في (ك)، والمثبت من (ب، خ).

(٣) هذه الكلمة غير واضحة في (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).

(٤) إلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا﴾ [مريم: ٨٨].

(٥) في (ب): «عن ذلك».

إسلام ويب islamweb.net

للسائل أن يسأل فيقول: ما بال الفعل في الآية الأخيرة[١] أُكِّد بذكر المصدر معه من دون الفعل في الآية الأولى؟

والجواب أن يقال: أما الأول[٢] فإنه بعد قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۞ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾[٣] [مريم: ٥٩، ٦٠]، فكان موضع إيجاز لذكر المعاصي، فبُنِي الكلام عند ذكر التوبة على ما بُنِي عليه ذكر المعصية.

ولم يكن كذلك الموضع الثاني؛ لأنه بُدِئ[٤] بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ۞ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ۞ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠]، فلما ذكر الكبائر، وأنّ أولياء الله يجتنبونها، وأن من أتاها ضُوعف له العذاب إلا[٥] أن يتوب ويعمل عملًا صالحًا؛ كان الموضع موضع تأكيد؛ لأنه لمن يعمل[٦] العمل الصالح بعد ارتكاب الكبائر التي عدَّدها[٧]. فلمّا أكَّد الكلام هناك وجب تأكيده هنا[٨]، أعني عند محو السيئات المتقدمة بالحسنات المستأنفة، فاختلاف الآيتين في التوكيد لما ذكرنا.

---

(١) في (أ): «الآخرة»، والمثبت من (ب، ك). (٢) في (ك): «الأولى».
(٣) في (أ): «﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾»، والمثبت من (ب، ك).
(٤) في (ب، ك): «بدأ». (٥) في (أ): «إلى»، وهو خطأ.
(٦) في (أ، ب، ط): «لم»، والمثبت من (ك، و).
(٧) في (ب، ك): «عدّها». (٨) «هنا» سقطت من (ب).

إسلام ويب islamweb.net

سورة طه

[١٤٢] الآية الأولى منها:

قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۞ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۞ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۞ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۞ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۞ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾[(١)] [طه: ٩-١٤] إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۞ قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾ [طه: ١٧، ١٨].

وقال في سورة النمل [٧-١٠]: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۞ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾[(٢)].

للسائل أن يسأل فيقول: قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وهل الاختلاف إلا هذا الذي جاء في سُوَره[(٣)]

(١) في (أ) إلى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾، والمثبت من (ب، ك).
(٢) في (أ) بعد ﴿تَصْطَلُونَ﴾: «إلى قوله: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾»، والمثبت من (ب، ك).
(٣) في (ب): «في سورة».

إسلام ويب
islamweb.net

في الإخبار[١] عن قصة واحدة، مرة أنه قال لأهله: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾ [طه: ١٠]، وفي آية[٢]: ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ﴾ [النمل: ٧]، وقال في القصص[٣] [٢٩]: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾.

ثم قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۞ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ [طه: ١١، ١٢] إلى قوله: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[٤] [طه: ١٧].

وفي السورة الثانية: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۞ وَأَلۡقِ عَصَاكَ﴾ [النمل: ٨-١٠].

وكذلك جاء في سورة القصص [٣٠، ٣١]: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا﴾[٥].

والجواب أن يقال: إن الله تعالى لم يخبر أنه خاطب[٦] موسى عليه السلام باللغة العربية بألفاظ إذا عدَل عنها إلى غيرها ممّا يخالف معناها كان اختلافًا في القرآن قادحًا فيه، بل معلوم أن الخطاب كان بغير هذه اللغة، وأنه تعالى

(١) في (ك): «في سورة الإخبار».
(٢) في (ب، ك): «وفي الآية الأخرى».
(٣) في (ك): «وفي آية أخرى».
(٤) في (ب، ط) بعد هذه الآية: «فأخبر عن أشياء قيلت لموسى عليه السلام، ثم جاء إلى ذكر العصا فقال: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾».
(٥) صيغة السؤال في (ح، ر): «فلِمَ اختلف هذه الألفاظ في قصة واحدة؟».
(٦) في (ب، ك): «خُوطب».

إسلام ويب islamweb.net

أخبر في بعض السور ببعض ما جرى، وفي الأخرى بأكثر ممّا أخبر به في التي قبلها، وليس يدفع بعضها بعضًا[١].

فأما قوله تعالى: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [طه: ١٠] فهو معنى قوله: ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ [النمل: ٧]؛ لأن الخبر الذي يأتيهم به هو أن يجد على النار من يهديه، ويخبره أن الطريق ما هو عليه أو غيره، ووجود[٢] الهدى وأن يخبر[٣] بخبر اهتدائه في طريقه أو غيره شيء واحد لا اختلافَ فيه.

وأما[٤] قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۞ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ [طه: ١١، ١٢] فهو ممّا جرى، ولم يخبر الله تعالى به في سائر السور[٥]، فأخبر به في هذه.

وكذلك القول في العصا وسؤاله وتقريره على ما وصف من[٦] حالها، حيث يقول: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۞ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ [طه: ١٧، ١٨] إلى قوله: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٢١] هو من[٧] ذلك.

---

(١) ذهب الشيخ الأنصاري في كتابه فتح الرحمن (ص٢٠٣) إلى أن الفائدة في ذلك: دفع الملل في حالة تكرار القصة، وتأكيد التحدّي، وإظهار الإعجاز.

(٢) في (و): «وجود» من دون الواو الأولى. (٣) في (ب): «وإن أخبر».

(٤) في (ب): «فأما».

(٥) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «في سور القرآن جميعه».

(٦) «من» ليست في (ب، ك).

(٧) «من» ليست في (أ)، وأُثبِتت من (ب، و). وقوله: «هو من ذلك» سقط من (ك).

إسلام ويب
islamweb.net

[١٤٣] الآية الثانية منها[١]:

قوله تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۞ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۞ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۞ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۞ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ۞ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۞ هَٰرُونَ أَخِي ۞ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۞ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾[٢] [طه: ٢٤-٣٢] إلى قوله: ﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[٣] [طه: ٣٦].

وقال في سورة الشعراء [١٠-١٤]: ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۞ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ۞ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ﴾[٤].

وقال في سورة القصص [٣٢-٣٥]: ﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ۞ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۞ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾[٥].

---

(١) في (ب): «من سورة طه».

(٢) في (أ): «﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾»، والمثبت من (ب، ك).

(٣) «قال» سقطت من (أ، ب)، وأُثبتت من (ك).

(٤) في (أ) إلى قوله تعالى: ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾، والمثبت من (ب، ك).

(٥) في (أ): «﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ﴾ إلى قوله: ﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾»، والمثبت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

للسائل أن يسأل عما حكى الله تعالى من قول موسى عليه السلام لما بعثه إلى فرعون، واختلافِه في السور الثلاثة[١]؛ لأنّ ما في سورة طه سوى ما في سورة الشعراء وما في سورة القصص.

والجواب عن ذلك أن قوله: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ طلبُ أمانٍ له من أن يُقتَل بمَن قتله، وهذا معنى قوله: ﴿أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۞ وَيَضِيقُ صَدۡرِي﴾ [الشعراء: ١٢، ١٣]؛ لأنهم لو صدَّقوه لَما[٢] خاف أن يقتلوه.

وكذلك قوله في السورة الثالثة: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ﴾ [القصص: ٣٣]، وقوله: ﴿وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي﴾ [طه: ٢٦]؛ أي: سهِّله حتى أؤدِّي رسالتك، وإذا أمِن من القتل[٣] فقد فعل به[٤] ما طلبه.

وأما قوله: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۞ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ [طه: ٢٧، ٢٨] فهو معنى قوله: ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾[٥] [الشعراء: ١٣].

وكذلك في سورة القصص [٣٤]: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾[٦]، فطلب أن يحُلَّ عقدة من عُقَد لسانه، وأن يُؤيَّد بأخيه، فأُجيب إليهما، ولم يطلب حلَّ كلِّ عُقَد لسانه[٧] لما حكاه الله تعالى عن فرعون[٨]: ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ

---

(١) في (ب، ك): «الثلاث».
(٢) في (ب، ك): «ما».
(٣) في (ب، ك): «فإذا أُومن القتل».
(٤) «به» ليست في (ب، ك).
(٥) في (أ): «﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾»، والمثبت من (ب، ك).
(٦) في (أ): «﴿وَأَخِي هَٰرُونُ﴾ إلى قوله: ﴿يُكَذِّبُونِ﴾»، والمثبت من (ب، ك).
(٧) من قوله: «وأن يؤيد» إلى هنا سقط من (ك).
(٨) في (ب، ك): «من قول فرعون».

إسلام ويب
islamweb.net

يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢]، وسائر ما ذُكِر(١) في سورة ولم يُذكَر(٢) في أخرى ليس من الاختلاف الذي يُعاب.

وأما قوله: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: ٢٤]، وقوله في الشعراء [١٠، ١١]: ﴿أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾، وقوله في القصص [٣٢]: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾، ففي الآية الأولى ذُكِر فرعون وحده؛ لأن قومه تبعٌ له، وكأنهم مذكورون(٣) معه، وفي الآية الثانية ذُكِر قوم فرعون من دونه، ومعلوم أنه منهم ومُخاطَب(٤) بمثل خطابهم، فإذا(٥) اتقوا وآمنوا كان فرعون وحده لا يقدر على مخالفتهم، فتُرِك ذكره؛ لأنه في هذه الحالة في حكم التابع لهم، وخطابهم خطابه(٦).

وأما الموضع الثالث(٧) فإنّ الحكاية أتت على(٨) فرعون وملئه، فبيَّنت ما انطوت عليه الآيات قبلُ(٩) من ذكر بعضٍ والاكتفاء به عن(١٠) بعض، وهذا كما قال في موضع لموسى وحده: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ [طه: ٢٤]، وفي

(١) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «ما ذكره».
(٢) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «ولم يذكره».
(٣) في (ب): «يذكرون».
(٤) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «مخاطَب» من دون الواو.
(٥) في (ك): «وإذا».
(٦) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «وخطابه خطابهم».
(٧) هو الآية [٣٢] من سورة القصص، وهي: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾.
(٨) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «عن».
(٩) في (ك): «آيتان من قبل».
(١٠) في (ك): «من».

إسلام ويب islamweb.net

موضع: ﴿أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١] [الشعراء: ١٠]؛ لأنّ هارون تابع له، وداخل في حكمه، وأبان ذلك في موضع فقال: ﴿فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[٢] [الشعراء: ١٦]، وقال بعده[٣]: ﴿فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [طه: ٤٧].

[١٤٤] الآية الثالثة منها:

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾[٤] [طه: ١٢٨].

وقال في سورة السجدة [٢٦]: ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۖ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ﴾[٥].

للسائل أن يسأل في هذه الآية عن موضعين:

أحدهما: اختصاص الأولى بالفاء، والثانية بالواو.

والثاني: أنه قال في السجدة: ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم﴾[٦] فأدخل ﴿مِن﴾ على ﴿قَبۡلِهِم﴾ هنا، ولم يدخلها هناك مع تساوي المكانين والمعنيين.

---

(١) في (ك): «و﴿أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في موضع».
(٢) من قوله: «فقال» إلى هنا سقط من (أ)، وأُثبت من (ب، ك).
(٣) «بعده» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).
(٤) في (ب، ك): «﴿أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ﴾».
(٥) في (ب، ك): «﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم﴾».
(٦) من قوله: «للسائل أن يسأل» إلى هنا سقط من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

فيقال للسائل عن ذلك: لمّا كانت هذه الآية مُفتتَحة بقوله: ﴿أَفَلَمْ﴾، وتلك مُفتتَحة بقوله: ﴿أَوَلَمْ﴾؛ اختلفتا من هذه الجهة، فكان[١] ما دخلته الفاء؛ لأنه يتعلَّق بما قبله تعلُّق الجواب بالمبتدأ، والجزاء بالشرط[٢]، فتكون[٣] جملة تمامها بجملةٍ قبلها تثقُل[٤] فيُختار لها[٥] التخفيف. وما دخلته الواو لا يقتضي ما تقتضيه الفاء بنفسها، بل حقه الانقطاع عما قبله، ولذلك يجوز أن يكون المؤخَّر بعدها في اللفظ مقدَّمًا في المعنى.

وأما[٦] دخول «من» وحذفها فقد بيَّناه[٧] في قوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾[٨] [البقرة: ١٤٥]، وفي موضع: ﴿بَعْدَ مَا جَآءَكَ﴾[٩] [الرعد: ٣٧]، وهو أن القائل إذا قال: «كم أهلكنا قبلهم» فكأنه قال: في الزمن المتقدِّم على زمانهم، وإذا قال: «مِن قبلهم» فكأنه قال: من مبتدأ الزمان الذي[١٠] قبل زمانهم[١١]، والزمان[١٢] من أوله إلى آخره ظرف للإهلاك، لا يختص به بعضه دون بعض.

---

(١) في (ب): «من».
(٢) في (ب): «والشرط»، وهو خطأ.
(٣) في (ب): «فيكون».
(٤) في النسخ المعتمدة: «تنقل»، والمثبت من (ح، خ، ر).
(٥) في النسخ المعتمدة: «يختار فيه»، والمثبت من (ح، خ، ر).
(٦) في (ب): «فأما».
(٧) ذلك في الآية التاسعة من سورة البقرة. يُنظَر من هذا الكتاب: (١: ٢٤٥).
(٨) في (أ، ب): «﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ﴾»، والمثبت من (ب، ك).
(٩) ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾.
(١٠) «الذي» تكرَّرت في (أ).
(١١) من قوله: «وإذا قال» إلى هنا سقط من (ك).
(١٢) في (ك): «فالزمان».

إسلام ويب islamweb.net

فإن قال قائل[١]: فلِمَ جاء في سورة طه: ﴿أَفَلَمْ﴾[٢] بالفاء؟

قلت: لأنه تقدَّم قولُه: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾[٣] [طه: ١٢٥، ١٢٦]، ومعناه: فتركتَ الاهتداء بها، ثم قرَّرهم على نصبه لهدايتهم واحتجَّ عليهم بتركهم الاهتداء به[٤] فقال: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾، والتقدير: مَن تأته آياتنا[٥] فعليه الاهتداء بها، وأنتم أتتكم آياتنا فلم تُوفوها[٦] حقَّها، فهلّا فعلتم ما لزِمكم منها؟ فالذي أوجب الفاء في هذا المكان هذا المعنى، ولم يكن[٧] مثله في سورة السجدة من تعلُّق[٨] ما بعد ﴿أَوَلَمْ﴾ بما قبله تعلُّقَ هذه الآية بما تقدَّمها؛ لأن هناك: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ * وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾[٩] [السجدة: ٢٣-٢٦].

فلمّا انفصل جاء بالواو، ولمّا جاء بالواو ولم يكن من شرطها تركيب

---

(١) «قائل» ليست في (أ، ك)، وأُثبتت من (ك).

(٢) في (ك): «﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾».

(٣) في (أ): «﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿فَنَسِيتَهَا﴾».

(٤) من قوله: «ثم قرَّرهم» إلى هنا سقط من (أ)، وأُثبت من (ب، ك).

(٥) «آياتنا» سقطت من (أ).

(٦) في (أ): «فلم تعرفوها».

(٧) في (ك): «ولم يذكر».

(٨) في (ك): «من تعليق».

(٩) في (أ): «﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى قوله: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾»، والمثبت من (ب، ك).

إسلام ويب
islamweb.net

جملة[١] مع جملة تكونان[٢] كلامًا واحدًا فخفَّ، وأُدخِلت[٣] عليه «مِن» التي حُذِفت من الآية الأولى لِيُحَدَّ[٤] ابتداء الزمان[٥] فيكون أبلغ في الاستيعاب.

انقضت سورة طه عن ثلاث آيات[٦].

(١) في (ك): «الجملة».

(٢) في (ب، ك): «تكونان»، وفي (أ): «يكون»، والمثبت من (ح، خ).

(٣) في (أ، ب): «وأدخل»، والمثبت من (ك، خ، و).

(٤) في (ب): «لتحر»، وهو خطأ.

(٥) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «الزمان ابتداؤه».

(٦) «انقضت سورة طه عن ثلاث آيات» أُثبِتت من (ك، ق).

إسلام ويب islamweb.net

سورة الأنبياء عليهم السلام

[١٤٥] الآية الأولى منها:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾[(١)] [الأنبياء: ٣٦].

وقال في سورة الفرقان [٤١]: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾[(٢)].

للسائل أن يسأل عن إظهار الفاعلين في: ﴿رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ من سورة الأنبياء[(٣)]، وإضمارهم من[(٤)] سورة الفرقان.

والجواب أن يقال: إنّ ما قبل الآية في سورة الأنبياء [٣٥]: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾، فلم يجرِ للكفار ذِكر في الآية التي قبل هذه، فكان الاختيار الإظهار.

وأمّا في سورة الفرقان فإن قبل الآية: ﴿أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَاۚ بَل كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾[(٥)] [الفرقان: ٤٠]؛ أي: ألم يرَ الكفار في زمانك القرية التي أُمطِرت

---

(١) في (ب، ك): «﴿إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾».

(٢) في (ب، ك): «﴿إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾».

(٣) كذا في (ب، ك)، وفي (أ): «هنا».

(٤) في (ب): «في».

(٥) في (أ): «﴿أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا﴾ الآية»، والمثبت من (ب، ك).

إسلام ويب
islamweb.net

مطر السَّوْء[١] فيحذروا[٢]؟ فلما كان الذكر متقدِّمًا في أقرب الكلام إليها؛ كان الاختيار الإضمار[٣].

[١٤٦] الآية الثانية منها[٤]:

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۞ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٢، ٥٣].

وقال في سورة الشعراء[٥] [٦٩-٧٤]: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ۞ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۞ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۞ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[٦].

للسائل أن يسأل عن اختصاص هذا المكان بقوله: ﴿بَلْ﴾، وخلوِّ المكان الأول منها.

---

(١) إلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟﴾ [الفرقان: ٤٠]. والسَّوْء ـ بفتح السين ـ: العذاب والهلاك. اللسان (١: ٩٧ سوأ). هذا العذاب الذي نزل عليهم من السماء هو حجارة.

(٢) في (ك): «فيحترزون».

(٣) جاء في البرهان للكرماني (ص٢٦٧): «لأنه ليس في الآية التي تقدَّمتها في هذه السورة ـ أي: سورة الأنبياء ـ ذكرُ الكفار فصرّح باسمهم، وفي الفرقان قد سبق في الآية التي تقدَّمتها: ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَل كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ ذكرُ الكفار، فخصّ الإظهار بهذه السورة، والكناية بتلك».

(٤) في (ب): «من سورة الأنبياء».

(٥) في (ك): «في الشعراء».

(٦) في (أ): «﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿يَفْعَلُونَ﴾»، والمثبت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

والجواب أن يقال: إن الآية الأولى وقع السؤال فيها على وجه لا يقتضي «بل» في الجواب؛ لأنه قال: ما هذه الأصنام التي نحتُّموها[١] تماثيل وعكفتم عليها[٢]؟ فكأنه[٣] سفَّه آراءهم وقال[٤] لهم: لِمَ تفعلون ذلك، وتعبدون[٥] ما تنحتون؟ فقالوا: وجدنا آباءنا لها عابدين فاقتدينا بهم.

وفي سورة الشعراء تقدَّم سؤال أضربوا عنه، ونفوا[٦] ما تضمنه؛ لأنه قال: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الشعراء: ٧٢، ٧٣]، فقالوا مُضرِبين عن هذه[٧] الأشياء التي وُبِّخوا عليها[٨] من عبادتهم ما لا يسمع ولا ينفع ولا يضر[٩] وما يعلمون أنه جماد لا حياة فيه[١٠] ولا نفع ولا ضرر عنده، وكأنهم[١١] قالوا: لا، بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون، فلأنّ السؤال هنا[١٢] يقتضي في جوابهم أن ينفوا ما نفاه إبراهيم[١٣] عليه السلام؛ أضربوا عنه إضراب مَن ينفي الأول، ويُثبِت الثاني، فاختصاص المكان بـ«بل» لهذا.

---

(١) أي: اقتطعتموها. قال في اللسان (٢: ٩٧ نحت): «نَحَت الجبلَ يَنحِتُه: قطَعَه».

(٢) أي: أقمتم عند تلك الأصنام لعبادتها. قال الراغب (ص٥٧٩): «العكوف: الإقبال على الشيء وملازمته على سبيل التعظيم». قال في اللسان (٩: ٢٥٥): «وقيل: أقام، ومنه قوله تعالى: ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ [الأعراف: ١٣٨]».

(٣) في (ك): «وكأنه».

(٤) في (أ): «قال» من دون الواو.

(٥) في (أ): «تعبدون» من دون الواو.

(٦) هذه الكلمة غير واضحة في (أ، ب)، وأُثبِتت من (ك).

(٧) «هذه» سقطت من (ك).

(٨) في (أ): «أنها»، وهو خطأ.

(٩) في (أ): «ولا يضر ولا ينفع».

(١٠) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «له».

(١١) في (ك): «فكأنهم».

(١٢) في (أ): «هناك»، والمثبت من (ب، ك) وهو الصواب.

(١٣) «إبراهيم» سقطت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

[١٤٧] الآية الثالثة منها[١]:

قوله تعالى: ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٠].

وقال في سورة الصافات [٩٨]: ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾.

للسائل أن يسأل فيقول: هذا في قصة واحدة، فجاء في موضع: ﴿ٱلْأَخْسَرِينَ﴾، وفي موضع: ﴿ٱلْأَسْفَلِينَ﴾، فهل في كلٍّ من المكانين ما يختص باللفظ[٢] الذي خُصَّ به؟

والجواب أن يقال: أمّا[٣] في سورة الأنبياء فإن الله تعالى أخبر فيها عن إبراهيم عليه السلام أنه قال: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء: ٥٧]، ثم أخبر عن الكفار لمّا ألقوه في النار وأرادوا به كيدًا: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾، والكيد[٤]: سعي في مضرة لتورد[٥] على غفلة، فذكر مكايدة بينهم وبين إبراهيم عليه السلام، فكادهم ولم يكيدوه، فخسرت تجارتهم وعادت عليهم مكايدتهم؛ لأنه كسَّر أصنامهم ولم يبلُغوا من إحراقه مرادَهم، فذكر ﴿ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ لأنهم خسروا فيما عاملهم به[٦] وعاملوه من المكايدة التي أُضيفت إليهما.

---

(١) في (ب): «من سورة الأنبياء».

(٢) في (ب): «اللفظ».

(٣) في (ب): «ما».

(٤) قال الراغب (ص٧٢٨): «الكيد: ضرب من الاحتيال». وفي اللسان (٣: ٢٨٣): «والكيد: الخبث والمكر».

(٥) في (ب): «ليورد».

(٦) «به» سقطت من (أ).

إسلام ويب islamweb.net

وأما الآية التي في سورة الصافات فإن الله تعالى أخبر عن الكفار فيها بما اقتضى من الأسفلين، وهو أنه قال: ﴿قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٩٧]، فبنوا له بناء عاليًا ورفعوه فوقه[١] ليرموا به من هناك إلى النار التي أجَّجوها[٢]، فلما علَوا ذلك البناءَ وحطُّوه[٣] منه إلى أسفل، عادُوا هم الأسفلين؛ لأنهم أُهلِكوا في الدنيا وسفَل أمرهم في الأخرى، والله تعالى نجّى نبيّه عليه السلام وأعلاه عليهم، فانقلب عالي أمرهم في صعود البناء وسافلُ أمر إبراهيم عليه السلام، فلمّا[٤] حُطَّ إلى النار صار[٥] ذلك سافلًا، وأمرُ النبي عليه السلام عاليًا[٦]؛ فلذلك اختصت هذه الآية بقوله: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾.

[١٤٨] الآية الرابعة منها[٧]:

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۞ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾[٨] [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

---

(١) في (ب): «قومه»، وهو خطأ.

(٢) أي: ألهبوها وأوقدوها، ومن ذلك الأجيج وهو: تلهُّب النار. اللسان (٢: ٢٠٦ أجج).

(٣) أي: ألقوه.

(٤) كذا في (ب، ك)، وفي (أ): «لمّا».

(٥) كذا في (ب، ك)، وفي (أ): «إن صار».

(٦) في (أ): «عالٍ».

(٧) في (ب): «من سورة الأنبياء عليهم السلام».

(٨) في (أ): «﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿لِلْعَٰبِدِينَ﴾»، والمثبت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

وقال في سورة ص [٤١-٤٣]: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۞ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۞ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[(١)].

للسائل أن يسأل عن الفرق بين موضعَي قوله: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ و﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾، وقوله: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾، وقوله[(٢)]: ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، وهل في كل مكان من المكانين ما يختص بذلك دون غيره؟

والجواب أن يقال: أخبر الله تعالى في سورة الأنبياء عن أيوب عليه السلام بأنه نادى ربّه وشكا إليه ما مسّه من الضرّ وسوء الحال بالمرض الذي طالت به أيامه حتى[(٣)] تأكَّل[(٤)] جسمه وتساقط لحمه[(٥)]، ثم بالفقر الذي ناله واجتاح[(٦)] مالَه، وكان[(٧)] الله تعالى ابتلاه بجميع ذلك وأحدث فيه[(٨)] المرض الذي أضعفه

(١) في (أ): «﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ إلى قوله: ﴿لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾»، والمثبت من (ب، ك).

(٢) «قوله» ليست في (أ، ك)، وأُثبِتت من (ب).

(٣) «حتى» سقطت من (ك).

(٤) أي: أكل بعضه بعضًا. اللسان (١١: ٢٢ أكل).

(٥) لأهل القصص في قصة أيوب ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ مبالغات لا تليق بمقام النبوة، ومما لا شك فيه أن مثل هذه الروايات موضوعة دُسّت على تفسير كتاب الله تعالى، وكتاب الله لا يحتاج في تفسيره إليها. ويقول الدكتور الذهبي في كتابه الإسرائيليات (ص١٦٥): «يمكن دفعها ـ أي: دفع مثل هذه الروايات ـ عقلًا ونقلًا، فالعقل لا يقبل بحالٍ من الأحوال أن يكون أيُّ داعية إلى مبدأ أو عقيدة، فيه كل هذه المنفِّرات التي تصدُّ الناس عنه، وتُباعِدُ بينهم وبينه، والنقل صريح في أن القادة ـ فضلًا عن الرسل ـ لا بد أن تكون لهم من الصفات البدنية ـ بجوار ما لهم من الصفات الخُلُقية ـ ما يلقي عليهم المهابة».

(٦) أي: الفقر أتى على ماله واستأصله. والاجتياح هو الاستئصال كما في اللسان (٢: ٤٣١).

(٧) في (ك): «فكان».

(٨) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «به».

إسلام ويب islamweb.net

عن تعهُّد حاله[١] حتى زال جميع ماله[٢]؛ ليعطيه[٣] على صبره الثوابَ العظيم، وليعوِّضه من نعيم الجنّة ما هو خير له ممّا سلبه من ماله[٤] وصحة بدنه، فكأنه لمّا قال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ قال: مسَّني من عندك يا ربِّ ما تعلم، وأنت الأكرم الأرحم، فقال: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾؛ أي[٥]: كما كان الضر من عندنا كان كشفُه والرحمة مكانه[٦] من عندنا، ومعنى ﴿مِّنۡ عِندِنَا﴾ أي: من حيث لا تناله قدرة العباد، فكل مكان اختص بقدرة الله تعالى وحده يُطلَق عليه: «عند الله».

وأما قوله: ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾ فالمعنى: فعلنا به ما فعلناه[٧] رحمة له[٨] منا، وتذكرةً لمن عبدَ الله بعده[٩] بإخلاص منه، فلا يحُول[١٠] عن حمده وطاعته مع ما يُصَبّ عليه[١١] من شدائد الدنيا ومصائبها التي يُنزِلها الله[١٢] به، بل يثبُت معها على إدامة العبادة[١٣]، وإمدادها بالزيادة كما فعله[١٤] أيوب عليه السلام.

---

(١) أي: عن إصلاح حالها وحفظها. ففي اللغة: تعهَّدت الشيء: تردَّدتُ إليه وأصلحته وحفظته. المصباح (٢: ٤٣٥).

(٢) في (ب، ك): «ملكه».

(٣) في النسخ الأخرى غير (أ): «ليعقّبه».

(٤) هذه الكلمة غير واضحة في (أ).

(٥) «أي» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(٦) «والرحمة مكانه» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

(٧) في (أ، ب): «ما فعلناه»، والمثبت من (ك).

(٨) «له» سقطت من (ب).

(٩) في (ط): «وحده».

(١٠) أي: فلا ينقلب.

(١١) في (ب): «مع ما يُصرَف عنه».

(١٢) لفظ الجلالة سقط من (أ)، وأُثبِت من (ب، ك).

(١٣) في (أ): «العادة»، والمثبت من (ب، ك) وهو الصواب.

(١٤) في (أ): «فعل».

إسلام ويب islamweb.net

وأما[١] في سورة ص فإن الله تعالى لمّا أخبر فيها عنه أنه[٢] قال: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]، وشكا[٣] إلى الله تعالى ما يلحقه من أذى[٤] الشيطان بوسوسته إليه، وفنون احتياله عليه ليضيِّق صدره وينقص حمدَه وشكرَه، فهان عليه المرض الذي ينقص من الأبدان في جنب[٥] ما يؤثِّر في الأديان، ويُخِلّ بالطاعات، ويشغل من الزمان في مدافعة[٦] الوسواس[٧]، فلمّا كان هذا له[٨] أعمَّ[٩]، وخاف من جهته الضررَ الأشدّ[١٠]؛ أغاثه[١١] الله برحمة منه مضافة إليه مختصة بإرادته، إذ كانت[١٢] أفعال الله تعالى منها ما يختصّ به ويضيفها إلى نفسه، كقوله تعالى: ﴿أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، ومنها ما يأمر به بعض ملائكته وإن أخبر أنه مِن فعله ومختصّ به، كقوله: ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١]، يقال: إنه أمر جبريل عليه السلام فنفخ الروح في فرجها، وخلق الله عيسى في

(١) في (ك): «فأما».
(٢) في (ب): «بأنه»، وفي (ك): «فإنه».
(٣) في (أ): «وشكايته»، والمثبت من (ب، ك).
(٤) في (ب): «داء».
(٥) «جنب» سقطت من (أ).
(٦) في (ب، ك): «بمدافعة».
(٧) قال في الصحاح (٣: ٩٨٨): «والوسواس: اسم الشيطان». اللسان (٦: ٢٥٤).
(٨) «له» سقطت من (أ).
(٩) في (أ): «أعم».
(١٠) في (ب): «الضر الشديد».
(١١) أي: كشف شدته، قال في المصباح (٢: ٤٥٦): «فأغاثه وأغاثهم الله برحمته: كشف شدتهم». وفي (أ، ب): «أعانه»، والمثبت من (ك، و).
(١٢) في (ب): «كان».

إسلام ويب islamweb.net

رحمها[١]، فلما كانت شكوى أيوب عليه السلام فيما أخبر الله تعالى به في سورة ص أعظمَ، والبلوى[٢] به أكبر؛ أخبر أنه رحمه رحمةً، وأنعم عليه نعمةً لا يجري أمثالها على أيدي خلقه، بل هي ممّا يختص[٣] بفعله، ولا يولِّيه مقرَّبًا من ملائكته، وإن كان ما يُقدِرهم عليه من مثل ذلك مضافًا إلى قدرته[٤] تعالى، فهذا فرق ما بين قوله: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾[٥] و﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾.

وأما قوله: ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ فلأنّ أولي الألباب[٦] أعمُّ من العابدين، واستدفاع وساوس الشيطان أعمُّ من الاستشفاء للأبدان، فخص كلَّ[٧] آية بما[٨] اقتضاه صدر الكلام، وتعريض[٩] أيوب عليه السلام بالسؤال[١٠].

[١٤٩] الآية الخامسة منها[١١]:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[١٢] [الأنبياء: ٩١].

---

(١) قال ابن الجوزي في تفسيره (٥: ٣٨٥): «قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ أي: أمرنا جبريل فنفخ في درعها، فأجرينا فيها روح عيسى عليه السلام كما تجري الريح بالنفخ، وأضاف الروح إليه إضافة المِلك للتشريف والتخصيص».

(٢) في (ب): «والشكوى»، وفي (ك): «البلوى» من دون الواو.

(٣) في (ك): «يُخصَّص».

(٤) في (ب): «إلى قدرة الله».

(٥) «﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾» سقطت من (أ).

(٦) «الألباب» سقطت من (أ).

(٧) في (ب، ك): «بكل».

(٨) في (ب، ك): «ما».

(٩) في (أ، ب): «تعرّص»، والمثبت من (ك، و).

(١٠) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «للسؤال».

(١١) في (ب): «من سورة الأنبياء».

(١٢) «﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾» ليست في (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

وقال في سورة التحريم [١٢]: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾[١].

للسائل أن يسأل فيقول: هل كان مختارًا أن يعود ضمير المذكَّر[٢] في الآية من سورة الأنبياء فيجيء «فنفخنا فيه» كما جاء في الآية الأخيرة[٣]؟ أم لكل مكان ما يختص[٤] باللفظ[٥] الذي جاء عليه؟

والجواب أن يقال: لمّا كان القصد في سورة الأنبياء إلى الإخبار عن حال مريم وابنها، وأنهما جُعِلا آية للناس، وكان النفخ فيها ممّا جعلها حاملًا، والحامل صفة للجملة[٦]، فكأنه قال: والتي أحصنت فرجها فصيَّرها النفخُ حاملًا حتى ولدت، والعادة جارية ألا تحمل المرأة إلا من فحل، ولا يُولَد الولد من غير أب، فلما كان القصد التعجُّب من حاليهما[٧]، وأنها بالنفخ صارت حاملًا؛ ردَّ الضمير إلى جملتها، إذ كان النفخ في فرجها نفخًا[٨] فيها أوجب القصد إلى وصفها بعد النفخ بصفةٍ ترجع إلى جملتها دون بعضها؛ كان قوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ أولى من قوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾[٩].

(١) في (ب، ك) إلى قوله تعالى: ﴿صَدَّقَتْ﴾.
(٢) في (أ، ب): «المذكور»، والمثبت من (ك، و).
(٣) في (ب): «الآخرة».
(٤) في (ك): «مما يخصّ».
(٥) في (ب، ك): «اللفظ».
(٦) في (ك): «الجملة».
(٧) في (ك): «من حالهما».
(٨) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «نفخًا».
(٩) في (ب): «فيه» فقط.

إسلام ويب islamweb.net

وأما قوله في سورة التحريم: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[١]، فلما لم يكن القصد فيه[٢] إلى التعجُّب من حالها بالحمل عن[٣] النفخ، وولادتها لا عن اقتراب فحل[٤]؛ لم يكن ثَمَّ[٥] من القصد إلى وصف جملتها بغير الصفة[٦] التي كانت عليها[٧] قبلها ما كان في الآية الأولى، فجاء اللفظ على أصله، والمعنى: نفخنا في فرجها، ولم يُسَقِ الكلامُ إلى ما سِيق إليه في سورة الأنبياء من وصف حالها بعد النفخ، فاختلفا[٨] لذلك.

[١٥٠] الآية السادسة منها[٩]:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ۞ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٢، ٩٣].

وقال في سورة المؤمنين [٥٢، ٥٣]: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ۞ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن اختلاف قوله[١٠]: ﴿فَٱعْبُدُونِ﴾، وقوله: ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ في الآيتين، وعن الواو والفاء في قوله: ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟﴾ ﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟﴾[١١].

---

(١) من قوله: «رد الضمير» إلى هنا سقط من (ك).
(٢) «فيه» سقطت من (أ).
(٣) في (أ): «على»، والمثبت من (ب، ك).
(٤) في (ب، ك): «الفحل».
(٥) «ثَمّ» سقطت من (ب)، وفي (ك): «بد»، وهو خطأ.
(٦) هذه الكلمة غير واضحة في (ب).
(٧) في (أ، ب): «عليه»، والمثبت من (ك، و)، وهو الصواب.
(٨) في (ب): «فاختلف».
(٩) في (ب): «من سورة الأنبياء».
(١٠) «قوله» ليست في (أ، ب)، وأُثبتت من (ك).
(١١) في (ب): «﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾».

إسلام ويب islamweb.net

والجواب أن يقال: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أن تكون الإشارة بـ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ إلى أمم الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، ويكون المعنى: أمتكم في حال كونهم جماعة واحدة، وعلى دين واحد في أصول[١] الشرع، كالتوحيد وصفات الله عز وجل، وإثبات[٢] النبوات، والمُقام على طاعة الله، فمتى تفرَّقوا[٣] في طُرُق الباطل لم تكن[٤] بينكم وبينهم نسبة[٥].

والثاني: أن يكون المعنى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ مقصودًا[٦] بها دين واحد، والأمة كل جماعة يُسلَك بها مقصد واحد، والأمة مِن «أمَّ» إذا قَصَد[٧]؛ أي: أممُكم[٨] وإن تفرَّقت أزمنتها[٩] فإنها[١٠] يُقصَد بها دين واحد، فهي أمتكم مقصود[١١] بها التوحيد، وهو إفراد الله تعالى بالعبادة والإخلاص له فيها.

والثالث: أن تكون الأمةُ الملّةَ، وهي الدين؛ أي: هذه ملتكم ملة واحدة؛ لأنها الإسلام[١٢].

---

(١) في (ب): «في أحوال».
(٢) في (ك): «آيات».
(٣) كذا في (ب، ك، و)، وفي (أ): «تحرّفوا».
(٤) في (ب، ك): «لم يكن».
(٥) في (أ): «سنة»، وهو خطأ.
(٦) في (أ): «مقصود».
(٧) في (ك): «أمَمت إذا قصدت».
(٨) في (ب): «أُمّتكم».
(٩) في (ب): «أزمنة».
(١٠) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «فإنما».
(١١) في (ك): «مقصودًا».
(١٢) هذا القول الثالث هو ما ذهب إليه أكثر المفسرين، وقال عنه الآلوسي في تفسيره (١٧: ٨٩): «أحسن، وعليه جمهور المفسرين، وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة». وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ دعوة إلى المحافظة على تلك الملة ومراعاة حقوقها. =

إسلام ويب islamweb.net

وقوله: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ أي[١]: وربكم القائم بمصالحكم[٢] من ابتداء كونكم إلى انتهاء أحوالكم هو أنا، فأخلصوا لي العبادةَ وحدي.

وقوله: ﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم﴾[٣] جاء بالواو؛ لأنه لم يكن ما بعد الواو كالجواب لما قبلها، كما كان ذلك في الفاء؛ لأنه يجوز أن يكون تقطُّعهم أمرَهم[٤] قبل أن خُوطبوا بقوله: ﴿فَٱعْبُدُونِ﴾، فلا تصلح الفاء، ألا ترى أن تفرُّقهم فِرَقًا وتقطُّعهم[٥] أمرَهم قِطَعًا، فصار بعضهم يعبد الله وحده[٦]، وبعضهم يعبد معه غيره، وبعضهم لا يعبده، كان قبل إخبار الله تعالى جميع الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أن هذه الأمم أممهم[٧] جماعة واحدة غير متفرقة[٨]؟ وهو الذي دعا إلى أن نبَّههم فقال: خالقكم واحد، والذي يربّيكم هو[٩]، فاقصدوه[١٠] بالعبادة دون من سواه[١١]، وإذا كان كذلك كان قوله: ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ أي: تقطَّعوا أمر دينهم قِطَعًا وافترقوا فيه فِرقًا[١٢]،

= وقال الآلوسي في معناه (١٧: ٨٩): «والمعنى: أن ملة الإسلام ملتكم التي يجب أن تحافظوا على حدودها، وتراعوا حقوقها فافعلوا ذلك».

(١) «أي» ليست في (ب).
(٢) في (ك): «بمصالحكم».
(٣) في (ك): «وتقطعوا».
(٤) في (أ): «تقطيعهم»، وفي (ب): «﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم﴾».
(٥) في (أ): «تقطيعهم».
(٦) «وحده» سقطت من (أ).
(٧) في (ك): «اسمهم».
(٨) في (ك): «غير مفرَّقة».
(٩) في (ك): «وهو الذي يرزقكم» بدل «والذي يريكم».
(١٠) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «فاعبدوه فاقصدوه».
(١١) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «سواهم».
(١٢) «فِرَقًا» ليست في (ك).

إسلام ويب islamweb.net

خبرًا غير متعلِّق بما قبله تعلُّقَ الجواب بالابتداء، بل ذلك هو ما بعد الفاء في عقب هذه الآية: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ [الأنبياء: ٩٤]؛ أي: تفرَّقوا فِرَقًا، فمن كان من فِرَقهم يعمل الصالحات وهو مؤمن فإنّ سعيه مقبول، وهو على عمله مُثاب، ومن عمل صالحًا ولا إيمان معه مثلَ معونة الضعيف، وإغاثة اللهيف[١]، وصلة الرحم، وإفاضة النِّعَم، والكفِّ عن الظلم؛ لم يُقبَل سعيُه، وهو في ضمن قوله: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥].

وأما قوله في الآية الأولى: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ واختصاصها دون[٢] قوله: ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ فلأنه[٣] خطاب للفِرَق التي تفرَّقت في طُرُق الباطل، ولم تُخلِص العبادة لله، فنبَّأهم[٤] إلى أن يعبدوه.

والتي في سورة المؤمنين إنما هي خطاب للرسل عليهم السلام؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۞ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥١، ٥٢].

وقد جاء في خطاب الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه والمؤمنين والصالحات بعدهم: اتقوا الله؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٥] [التوبة: ١١٩]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨].

---

(١) اللهيف: المضطر. اللسان (٩: ٣٢٢). وفي (أ): «الملهف»، والمثبت من (ب، ك).

(٢) في (ب): «بها دون».

(٣) في (ك): «فإنه».

(٤) في (ب): «فثناهم».

(٥) هذه الآية سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

فلمّا كان أكثرَ مَن خُوطب في السورة الأخيرة الأنبياء والمؤمنون[١]، وهم يعبدون الله جل ذكره، وضمّ إليهم غيرهم[٢] من الفِرَق[٣]؛ غُلِّبوا[٤] عليهم فخُوطبوا بما يُخاطَب به المؤمنون، وهو: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ إذ كان أكثرهم له عابدين[٥]، ومعنى «اتقوه»[٦]: احترِزوا بطاعته ممّا أعدَّه لأهل معصيته، وامتنِعوا بموجبات الثواب عن موجبات العقاب، فكان هذا موضع ﴿فَٱتَّقُونِ﴾[٧]، وفي الأولى موضع ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾[٨].

وأما الفاء في سورة المؤمنين في قوله: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ﴾ فلأنه لمّا[٩] ذكر الزُّبُر[١٠] صار قوله: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ﴾ كالجواب لما قبله؛ لأنهم قطَّعوا أمر دينهم كتبًا منزَّلة من الله عزّ اسمه، فمنهم من دان بالتوراة وكفر بما سواها[١١] من الإنجيل والقرآن، ومنهم مَن دان بالإنجيل وكفر بالتوراة والقرآن[١٢].

---

(١) في (ب): «والمؤمنين».
(٢) «غيرهم» سقطت من (ك).
(٣) في (أ): «من القرون»، والمثبت من (ب، ك).
(٤) في (أ، ب، ك): «وغُلِّبوا» بالواو، والمثبت من (ح، خ، ر، س).
(٥) في (ب): «عابدون».
(٦) في (أ): «اتقوا»، والمثبت من (ب، ك).
(٧) في (ب، ك): «اتقون».
(٨) في (ب، ك): «اعبدون».
(٩) «لمّا» سقطت من (أ، ب)، وأُثبِتت من (ك، و).
(١٠) الزُّبُر جمع زَبُور، وهو الكتاب. جاء في (أ، ب): «الذين»، وهو خطأ، والمثبت من (ك، و).
(١١) في (ك): «سواه».
(١٢) ما ذهب إليه المصنف رحمه الله من أن «الزبر» معناه هنا «الكتب» هو اختيار ابن جرير (١٨: ٣٠)، والقرطبي (١٢: ١٣٠). والتوجيه الذي ذكره مصنفنا رحمه الله ينبني على القراءة بضم الزاي والباء في قوله تعالى: ﴿زُبُرًا﴾، وهي قراءة عامّة قرّاء المدينة والعراق كما قال الطبري: (١٨: ٢٩). قال الزجاج (٤: ١٦): «ويُقرَأ: ﴿زُبَرًا﴾ بفتح الباء، فمن قرأ: ﴿زُبُرًا﴾ فتأويله: جعلوا دينهم كتبًا مختلفة، جمع زبور، وزُبُر. ومن قرأ: ﴿زُبَرًا﴾ بفتح الباء أراد قِطَعًا».

إسلام ويب islamweb.net

فلمّا كان ما قبل الفاء خطابًا للرسل وأممهم، وقال: كونوا جماعة واحدة ذات دين واحد[١]؛ صار[٢] كأنه قال: أمرتهم بالائتلاف والاتفاق في الدين فتقطَّعوا أمرهم فيه قِطَعًا، وافترقوا فِرَقًا[٣]، وكلٌّ يقدِّر أنه على الصواب، وممتثِل[٤] بما في الكتاب، فهو فَرِح بما لديه، ومُعوِّل عليه، فكان[٥] ما بعد الفاء هنا[٦] في تعلُّقه بالأول تعلُّقَ الجواب بالمبتدأ، كما بعد الفاء في قوله في الآية الأولى، وهو: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الأنبياء: ٩٤] في أنه متعلِّق بما قبله[٧] تعلُّقَ الجواب دون قوله[٨]: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ﴾. والله أعلم.

(١) «ذات دين واحد» سقطت من (ك).
(٢) في (ك): «وصار».
(٣) في (ب): «فيه فِرَقًا».
(٤) في (ب، ك): «متمسِّك».
(٥) في (ب): «فكل».
(٦) في (ك): «هاهنا».
(٧) في (ك): «قبل».
(٨) «قوله» ليست في (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

سورة الحج

[١٥١] الآية الأولى منها:

قوله عز وجل: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢٢].

وقال في سورة السجدة [٢٠]: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن قوله: ﴿مِنۡ غَمٍّ﴾ في سورة الحج، وخلوِّ الآية التي في سورة السجدة منه.

والجواب أن يقال: إنه تعالى لما وصف من أحوال أهل[(١)] النار في هذه السورة في الآية المتضمنة لهذه اللفظة بقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ * يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ﴾[(٢)] [الحج: ١٩-٢١]، فأخبر أن النار تشتمل عليهم من

(١) «أهل» سقطت من (ب).

(٢) في (أ) إلى قوله: ﴿يُصَبُّ مِن فَوۡقِ﴾، والمثبت من (ب، ك). والحميم: الماء البالغ أقصى درجات الحرارة. ويُصهَر به: يُذاب به. والمقامع جمع مِقمعة وهي كل ما ضُرِبت به الرأس، قاله ابن دريد في الجمهرة (٢: ٩٤١). وفي اللسان (٨: ٢٩٦): «أعمدة الحديد منه يُضرَب بها الرأس».

إسلام ويب
islamweb.net

جوانبهم[١] كاشتمال الثياب، وقيل: هي[٢] ثياب نحاس من نار[٣]، وهي النهاية في الإحماء[٤] والإحراق، ثم خصَّص الرؤوس بصبّ الماء المغليّ عليها، وقيل في التفسير: إنه ينفُذ[٥] إلى أجوافهم فيَسْلت[٦] ما فيها، ويذوب ما في بطونهم من الشحوم، ويتساقط ما عليهم من الجلود، مع زبانية[٧] بأيديهم عُمُدٌ[٨] من حديد يضربون بها رؤوسهم إذا حاولوا الخروج من النار[٩].

(١) في (ب): «على جوانبهم» بدل «عليهم من جوانبهم».

(٢) «هي» ليست في (ب، ك).

(٣) هو قول سعيد بن جبير كما في تفسير ابن الجوزي (٥: ٤١٧)، وفي تفسير الطبري (١٧: ١٣٣): «قال: ثياب من نحاس، وليس شيء من الآنية أحمى وأشد حرًّا منه».

(٤) أي: في التسخين. قال في المصباح (١: ١٥٣): «وحَمِيَت الحديدةُ فهي حاميةٌ، إذا اشتدّ حرُّها بالنار، ويُعدّى بالهمزة فيقال: أحميتها».

(٥) بضم الفاء، من النفوذ وهو التأثير والدخول في الشيء؛ أي: يدخل أثر حرارته من رأسه إلى باطنه. تحفة الأحوذي (٧: ٢٥٦).

(٦) بضم اللام وكسرها، من سَلَت القصعةَ؛ إذا مسحها من الطعام فيذهب. وأصل السلت: القطع، فالمعنى: فيمسح ويقطع الحميم ما في بطونهم من الأمعاء. تحفة الأحوذي (٧: ٢٥٦).

(٧) أي: ملائكة، سُمِّي بذلك بعض الملائكة لدفعهم أهل النار إليها. يُنظَر: تفسير غريب القرآن (ص٥٣٣)، واللسان (١٣: ١٩٤).

(٨) عُمُد جمع عَمُود. وبالعُمُد أشار المصنف إلى معنى «مقامع».

(٩) يشير إلى هذا المعنى الحديث الذي رواه الترمذي في كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار (٢٥٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الحميم لَيُصَبّ على رؤوسهم فينفُذ الحميم حتى يخلُص إلى جوفه فيسلِت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يُعاد كما كان»، ورواه أحمد في المسند (٨٨٧٣) إلا أنه جاء فيه: «فينفذ الجمجمة حتى يخلُص»، وقال الترمذي عقب ذكر الحديث: هذا حديث حسن صحيح غريب.

إسلام ويب islamweb.net

فلما وصفهم بأن العذاب من جميع الجوانب اكتنفهم[١]؛ صاروا بإحاطة ذلك بهم وبسدِّ[٢] أنفاسهم عليهم بمنزلة البعير[٣] المغموم بالغِمامة[٤] التي تسدُّ متنفَّسه[٥] فلا يجد فرجة، والطبقِ[٦] المغموم المستور. وقال القطامي[٧]:

إذا رأسٌ رأيتَ بـه طِماحًا شَدَدْتَ لـه الغمائمَ والصِّقاعا[٨]

وليس الغمُّ هاهنا[٩] الحزنَ، وإن كان أصله من ذلك، لكنه تغطية[١٠] بالعذاب،

---

(١) أي: أحاط بهم.

(٢) المثبت من (ك).

(٣) «البعير» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).

(٤) أي: المغطّى، من غمّ الشيءَ يَغُمُّه: غطّاه. القاموس (ص١٤٧٦ غمم). الغِمامة ـ بالكسر ـ: «خريطة ـ أي: وعاء ـ يُجعَل فيها فمُ البعير يُمنَع بها الطعام، وهي أيضًا: ما تُشَدّ به عينا الناقة أو أنفها». اللسان (١٢: ٤٤٣).

(٥) في (ب): «منفسه».

(٦) في (ب): «والطين»، وهو خطأ. والطبق: السحاب الممتلئ بالماء. قال في النهاية (٣: ١١٣): «في حديث الاستسقاء: اللهم اسقنا غيثًا طبقًا؛ أي: مالئًا للأرض مغطِّيًا لها. يقال: غيثٌ طَبَقٌ، أي: عامٌّ واسع». في اللسان (١٠: ٢١١ طبق): «والطبق: انطباق الغيم في الهواء».

(٧) هو عمير بن شييم من بني تغلب الملقب بالقطامي، شاعر غزل فحل، تُوفي نحو (١٣٠هـ). الشعر والشعراء (١: ٧٢٣)، والأعلام (٥: ٨٨).

(٨) في النسخ المعتمدة والمطبوعة: «والصفاعا» بالفاء، وهو خطأ. والبيت في ديوانه (ص٤٢)، وفي اللسان (٨: ٢٠٢ صقع، ١٢: ٤٤٣ غمم). والطماح مصدر من طَمَح الفرسُ يَطمَحُ طِماحًا وطُموحًا: رفع يديه، وكل مرتفع مُفرِط في تكبُّر: طامح، وذلك لارتفاعه. اللسان (٢: ٥٣٤ طمح). والصقاع: ما يعصبون به فوق عيني الناقة لئلا ترى ولدها.

(٩) أي: في الآية [٢٢] من سورة الحج.

(١٠) في (ب): «تغطيته»، وفي (ط): «تغطيتهم».

إسلام ويب islamweb.net

وأخذ بكَظَمهم[١]، فلمّا تقدَّمه[٢] وصف ما أحاط بهم ذكر[٣] هذا الغم؛ أي: كلّما أرادوا من الكرب الذي يأخذ[٤] بكَظَمهم أن يخرجوا من النار التي جلبت عليهم كلَّ ذلك، أقبلت الزبانية نحوهم بما يدقُّ[٥] رؤوسهم.

والآية التي[٦] في سورة السجدة لم تشتمل من إحاطة العذاب من ذكر الثياب من النار، وصبِّ الحميم، وإذابة الشحوم، على[٧] ما ذكر في هذه الآية؛ لأنه[٨] قال: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]، فلما لم يتقدَّم ذكر ما يُطيف[٩] بهم ويغمُّهم[١٠] ويصير كما يسدُّ[١١] مخارج أنفاسهم، لم يذكر[١٢] أنهم يحاولون الخروج من أجل الغمِّ الذي اقتضت الآيةُ في الحج ذِكرَه، ولم يقع مثله في سورة[١٣] السجدة من مُقتضٍ، فلم يقع المقتضى كذلك[١٤].

---

(١) في (أ، ب): «والأخذ بكظمهم»، والمثبت من (ك). قال في اللسان (١٢: ٥٢٠): «والكَظَم ـ بالتحريك ـ: مخرج النَّفَس، يقال: كظمني فلان، وأخذ بكَظَمي، ويقال: أخذت بكَظَمه؛ أي: بمخرج نَفَسه».

(٢) في (ك): «تقدَّم».

(٣) في (أ): «في ذكر»، وهو خطأ.

(٤) في (أ، ب): «أخذ»، والمثبت من (ك).

(٥) كذا في (ب، ك)، وفي (أ): «يدق به».

(٦) «التي» سقطت من (ب، ك).

(٧) «على» أُثبِتت من (ح، خ، ر).

(٨) «لأنه» ليست في (أ، ب)، وأُثبِتت من (ك).

(٩) أي: يحيط بهم. قال في اللسان (٩: ٢٢٥ طوف): «أطاف فلانٌ بالأمر: إذا أحاط به».

(١٠) في (أ): «ويعمهم».

(١١) في (ب): «يشدّ».

(١٢) في (ب): «ولم».

(١٣) «سورة» أُثبِتت من (ح، خ).

(١٤) في (خ): «لذلك».

إسلام ويب islamweb.net

[١٥٢] الآية الثانية منها:

قوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾[١] [الحج: ٤٥].

وقال بعده بآيات: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٤٨].

للسائل أن يسأل عن قوله في الأولى: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾، وقوله في الثانية[٢]: ﴿أَمْلَيْتُ لَهَا﴾[٣]، وهل لكل من اللفظين[٤] ما يوجب اختصاصه بمكانه دون الآخر؟

والجواب أن يقال[٥]: إن قوله: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ جاء بعد قوله: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [الحج: ٤٢] إلى قوله: ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[٦] [الحج: ٤٤]، فلما جاء عقيب ما وصف من إهلاكهم وصفهم بذلك.

والثانية بعد قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[٧] [الحج: ٤٧]، .....

---

(١) في النسخ الخطية: ﴿أَهْلَكْتُها﴾ بالتاء، وهي قراءة أبي عمرو، والمثبت من المصحف، وهي قراءة الباقين. كتاب السبعة لابن مجاهد (ص٤٣٨).

(٢) في (أ): «وفي الثانية»، والمثبت من (ب، ك).

(٣) من قوله: «للسائل» إلى هنا سقط من (ك).

(٤) في (ب، ك): «لكل واحد» بدل «لكل من اللفظين».

(٥) «أن يقال» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).

(٦) من قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ﴾ إلى هنا سقط من (أ)، وأُثبت من (ب، ك).

(٧) في (أ): «﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ الآية»، والمثبت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

فذكر[١] عقيب استعجالهم العذاب: والله يريد غيره من الإملاء[٢] لهم، وتأكيد الحجة عليهم، فكل[٣] لفظة في مكانها الذي تليق به[٤].

[١٥٣] الآية الثالثة منها[٥]:

قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [الحج: ٥٠].

وقال بعده بآيات: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِۚ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الحج: ٥٦].

للسائل أن يسأل فيقول[٦]: هل كان يجوز في الأول[٧]: «في جنّات النعيم»، وفي الثاني[٨]: «لهم مغفرة ورزق كريم»؟ وما المعنى الذي خصَّ كلًّا من اللفظين[٩] بمكانه؟

---

(١) في (أ): «فلما ذكر»، وفي (ك): «قد ذكر»، والمثبت من (ب، ح، خ، د، ر).

(٢) أي: تأخير العذاب لهم بعض الوقت.

(٣) في (ح، خ، ر): «فكل لفظ في مكانه الذي يليق به».

(٤) يشير المصنف رحمه الله إلى أن قوله: ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾ موافق لما قبله، إذ معنى الإهلاك تقدَّم في قوله تعالى: ﴿فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡ﴾، وأما قوله تعالى: ﴿أَمۡلَيۡتُ لَهَا﴾ في الآية الثانية فقد تقدَّمه قوله تعالى: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ﴾ وهو يدل على أن العذاب لم يأتهم عند استعجالهم بالعذاب.

(٥) في (ب): «من سورة الحج».

(٦) في (أ): «أن يقول».

(٧) «في الأول» سقطت من (أ).

(٨) كذا في (ب، ك)، وفي (أ): «وفي الثانية».

(٩) في (ب): «اللفظتين».

إسلام ويب islamweb.net

والجواب: أن الأول خبر عن حال القوم في الدنيا؛ لقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الحج: ٤٩]، ثم قال[١]: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وُعِدوا بالغفران[٢] والرزق الكريم، ولم يجُز هنا[٣] أن يقال: هم في جنات النعيم، إلا على ضرب من المجاز أنهم مستحقون لها، فكأنهم فيها.

وليس كذلك الآية الأخيرة؛ لأنها خبر عن الحال في الآخرة؛ لقوله: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[٤]؛ أي: يوم القيامة يكونون في دار الثواب، فلما اختلف المقتضِيان اختلف المقتضَيان[٥]، فذكر كل واحد في المكان[٦] الذي لاق به.

[١٥٤] الآية الرابعة منها[٧]:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

وقال في سورة لقمان [٣٠]: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[٨].

---

(١) من قوله: «في الدنيا لقوله...» إلى هنا سقط من (أ).

(٢) في (ب، ك): «الغفران».

(٣) في (ب): «هناك»، وهو خطأ.

(٤) في (أ): «﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾»، والمثبت من (ب، ك).

(٥) في (أ): «فلما اختلف المقتضيان فذكر...».

(٦) في (ب): «في المكانين».

(٧) في (ب): «من سورة الحج».

(٨) هذه الآية سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

للسائل أن يسأل عن تخصيص[١] الآية من سورة الحج بالتوكيد في قوله: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾، وإخلائه منه[٢] في سورة لقمان.

والجواب أن يقال[٣]: إن الأولى وقعت في مكان تقدَّمت فيه توكيدات مترادفة في ستة مواضع، وهي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾[٤] [الحج: ٥٨]، فاللام والنون مؤكِّدتان[٥]، وبعده: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الحج: ٥٨]، واللام مع «هو» مؤكِّدتان[٦]، وبعده: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ﴾ [الحج: ٥٩]، واللام والنون سبيلهما تلك السبيل، وبعده: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج: ٥٩]، واللام[٧] التي في[٨] خبر «إنّ» كذلك، وبعده: ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠].

فلما ترادفت التوكيدات في هذا الموضع[٩]، وجاء بعده خبر بين خبرين أُكِّدا، وهو: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾، وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾؛ اقتضت إشباهه مثلَه[١٠]، فجاء الخبر الثاني[١١] الواقع بين[١٢] الخبرين وبعد[١٣]

---

(١) في (ك): «تخصُّص».
(٢) «منه» سقطت من (أ)، وأُثبِتت من (ب، ك).
(٣) «أن يقال» سقطت من (أ، ب)، وأُثبِتت من (ك).
(٤) في (أ): «﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ إلى قوله: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ﴾»، والمثبت من (ب، ك).
(٥) في (أ): «مؤكدان»، والمثبت من (ب، ك). (٦) في (أ، ب): «مؤكدان»، والمثبت من (ك).
(٧) في (ب): «اللام». (٨) «والتي» سقطت من (أ).
(٩) في (أ، ب): «وجاء في هذا الموضع»، والمثبت من (ك)، وهو الصواب.
(١٠) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «اقتضت أشياء هذه مثلها».
(١١) في (ب): «في الخبر الثاني».
(١٢) في (ب): «من» بدل «بين».
(١٣) في (ك): «وبعده»، وهو خطأ.

إسلام ويب islamweb.net

الأخبار المؤكَّدة مؤكَّدًا بقوله: ﴿هُوَ﴾، فقال: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾، وليس كذلك ما جاء في سورة لقمان؛ لأنه لم يتقدَّمه التوكيدات التي تستتبع[١] أمثالها كما تقدَّمت في الأولى.

[١٥٥] الآية الخامسة منها:

قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الحج: ٦٤].

وقال في سورة لقمان [٢٦]: ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

للسائل أن يسأل عن إعادة «ما» في الآية الأولى في قوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وإخلاءِ الثانية منها بقوله[٢]: ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وعن قوله في الآية الأولى[٣]: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[٤]، فأدخل اللام على قوله: «هو»[٥]، ولم يدخلها في التي[٦] في سورة لقمان.

والجواب عن ذلك نحو الجواب الأول[٧]، وهو شاهد يحقِّق ما أجبنا

---

(١) في (ب): «تتبع».
(٢) في غير (ب): «لقوله».
(٣) في (ب، ك): «في الأولى».
(٤) «الحميد» ليست في (أ، ب)، وأُثبِتت من (ك).
(٥) في (ب، ك): «على هو».
(٦) «في التي» ليست في (ب).
(٧) الذي تقدَّم في الآية السابقة، وكان حاصل الجواب أن الآيات في سورة الحج تابَع بعضها بعضًا في ذكر التأكيد في ثناياها. وجاء في (ب): «عن الأول» بحرف جر، وفي (خ): «والجواب عنه كالجواب عن الأول».

إسلام ويب islamweb.net

بـه مـن اختيار التوكيد[١]، حيث يُقصَد بناؤه على الـكلام المتقدِّم له[٢]؛ لأن[٣] هذه الآية تالية لتلك لا يحجزها عنها إلا قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[٤] [الحج: ٦٣]، فحُمِلت على نظائرها المذكورة قبلها[٥]، وخالفت التي[٦] في سورة لقمان تلك بموقعها، فلم تُوكَّد كما وُكِّدت الأولى لذلك[٧].

(١) في (ك): «التوكيدات».
(٢) «له» سقطت من (أ).
(٣) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «إلا أن»، وهو خطأ.
(٤) في (أ): «﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ الآية»، والمثبت من (ب، ك).
(٥) في (أ): «فيها»، وهو خطأ.
(٦) أي: الآية التي، وهي هنا صفة للفاعل المحذوف.
(٧) «لذلك» سقطت من (ك).

إسلام ويب islamweb.net

سورة المؤمنون

[١٥٦] الآية الأولى منها:

قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ [المؤمنون: ٢٤].

وقال بعد هذه القصة: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[(١)] [المؤمنون: ٣٣].

للسائل أن يسأل عن تقديم: ﴿مِن قَوْمِهِۦ﴾[(٢)] في الآية الأخيرة، وتأخيره[(٣)]

(١) اختلف المفسرون فيمن هذه القصة؟ فذهب الطبري في تفسيره (١٨: ١٩) إلى أنهم قوم صالح، والرسول هو صالح عليه السلام، وهو اختيار ابن عاشور في تفسيره (١٨: ٤٩). وذهب بعضهم ـ ومنهم أبو حيان في تفسيره (٦: ٤٠٣) ـ إلى أنهم قوم هود، والرسول هو هود عليه السلام، واستدلوا بقوله تعالى حكاية عنهم: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: ٦٩]، وبمجيء قصة عاد بعد قصة قوم نوح في سورة الأعراف. والذي نميل إليه هو ما ذهب إليه أصحاب الرأي الأول، حيث استدلوا بذكر الصيحة في آخر القصة: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ﴾ [المؤمنون: ٤١]؛ لأن مَن أُهلِكوا بها ثمودُ قومُ صالحٍ، لا قوم هود الذين أُهلِكوا بريح صرصر عاتية كما أخبر تعالى في قوله: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦].

(٢) في (ك): «قومه».

(٣) في (ك): «تأخيرها».

إسلام ويب
islamweb.net

في الآية الأولى، وهل كان يصلح أحدهما[١] مكان الآخر[٢]؟

والجواب أن يقال: لمّا انقطعت صفة الملأ في الآية الأولى إلى[٣] المحكيِّ من قولهم، قُرِن الوصف بـ«الذين» إلى الموصوف، ثم جيء[٤] بالجار والمجرور فكانا منتهى بيان فاعل «قال»، ولم تكن كذلك القصة[٥] في الآية الأخيرة؛ لأنه عُدِّدت فيها[٦] أفعالٌ عُطِفت على الفعل الذي هو صلة «الذين»[٧]، فقُدِّم الجار والمجرور لئلا يُحال بين الصلة[٨] وما عُطِف عليها، فقال: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[٩] [المؤمنون: ٣٣]، فكان كل ذلك ما[١٠] أتبع قوله: ﴿كَفَرُواْ﴾، ولو قال: وقال الملأ الذين كفروا من قومه وكذبوا بلقاء الآخرة[١١]، لم يكن على النظم المرتضى فيما يُستفصَح[١٢] من الكلام وإن[١٣] كان جائزًا؛ فلذلك قُدِّم[١٤] الجار والمجرور في

(١) في (ك): «إحداهما».

(٢) هنا يَرِد سؤال آخر، وهو لماذا جاء لفظ «قال» بالفاء هنا وفي سورة الأعراف، وبغير الفاء في سورة هود مع أن القصة واحدة وهي قصة نوح عليه السلام، فقد أجاب المصنف رحمه الله عن هذا السؤال في الآية [٨] من سورة الأعراف، وانظر من هذا الكتاب: (٢: ١٠٤).

(٣) «إلى» سقطت من (ك).

(٤) في (ب): «جاء».

(٥) في (ب، ك): «القصد»، والمثبت هو الصواب.

(٦) «فيها» سقطت من (ب، ك).

(٧) في النسخ المعتمدة والمطبوعة: «الذي»، وهو خطأ، والمثبت من (ح، خ ر).

(٨) في (ك): «الصفة».

(٩) في (أ) خلل، وأُثبِتت الآية من (ب، ك).

(١٠) في (ب، ك): «ممّا».

(١١) «وكذبوا بلقاء الآخرة» سقطت من (أ).

(١٢) في (ب): «يستفتح»، وهو خطأ.

(١٣) في (ب): «إن» من غير واو.

(١٤) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «فقدّم».

إسلام ويب islamweb.net

الأخيرة وأُخِّر في الأولى[١].

[١٥٧] الآية الثانية منها[٢]:

قولـه عز وجـل: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾[٣] [المؤمنون: ٢٧].

وقال في سـورة هود، وكان حقُّ ذلك أن يذكر هناك: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾[٤] [هود: ٤٠].

للسائل أن يسأل فيقول[٥]: لِمَ اختلف في الآيتين قوله: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾، وقوله: ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾؟ وهل كان يصلح[٦] واحد منهما مكان الآخر أم هناك معنًى يُخصِّص كلًّا بمكانه؟

والجـواب أن يقـال[٧]: إن[٨] قولـه: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ﴾ إخبـارٌ[٩] عمّا كان من الله تعالى إلى نوح عليه السلام من الأمر بحمل ما يحمله في السفينة، ومَن يحمله[١٠]

---

(١) قالوا: لأن تأخير ﴿مِن قَوْمِهِ﴾ عن المفعول يلتبس، وتوسيطه بينه وبين ما قبله ركيك، فخصّ بالتقديم. يُنظَر: البرهان للكرماني (ص٢٧٦)، وفتح الرحمن للأنصاري (ص٣٨٩).

(٢) في (ب): «من سورة المؤمنين».

(٣) في (أ، ب): «﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾» في أول الآية، وهو خطأ، والمثبت من المصحف ومن (ك).

(٤) في (ب، ك) من دون قوله تعالى: ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾.

(٥) في (أ): «أن يقول».

(٦) في (ب): «يصح».

(٧) «أن يقال» سقطت من (أ).

(٨) «إن» ليست في (ب، ك).

(٩) في (ب): «إخبارًا»، وهو خطأ.

(١٠) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «ومن حمل ما يحمله».

إسلام ويب islamweb.net

من المؤمنين، وتقدَّم إليه بإعدادهم[١] للركوب معه ومنعِ مَن حُظِر[٢] عليه استصحابُه، ثم بعد ذلك أمره بقوله: ﴿ٱرۡكَبُواْ فِيهَا﴾ [هود: ٤١]، فالأول أمرٌ بتهيئته ما يستبقي[٣] من الحيوان، ومَن يستبقي من المؤمنين[٤]، والثاني أمرٌ بركوب السفينة، والثالث أمرٌ بالهبوط منها بقوله: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ﴾[٥] [هود: ٤٨]، فالذي جاء في سورة[٦] هود جاء على مقتضى أوامر الله تعالى المفصَّلة من[٧] إعداد مَن يركب معه، ومن الركوب، ومن النزول.

وأما قوله في سورة المؤمنين: ﴿فَٱسۡلُكۡ فِيهَا﴾[٨] فإنه مُجمَل ما فُصِّل[٩] في الآية الأولى، إذ كان الشرح والبيان مقصورَين[١٠] عليها[١١]، وكانت الثانية مشتملة على بعض ما اشتملت[١٢] عليه الأولى، وفي قوله[١٣]: ﴿ٱسۡلُكۡ﴾ ما يتضمن[١٤]: «احمل» و«اركب» و«اعبر»، ومن ذلك سُمِّي الطريق مَسلَكًا[١٥]،

---

(١) في (و): «لإعدادهم».
(٢) في (ب): «خطر»، وفي (ك): «حصر»، وهو خطأ.
(٣) في (ك): «استبقى».
(٤) في (ب، ك): «من المكلفين».
(٥) «﴿عَلَيۡكَ﴾» ليست في (ك).
(٦) «سورة» ليست في (أ).
(٧) «من» سقطت من (أ، ب)، وأُثبِتت من (ك).
(٨) في (ك): «﴿فَٱسۡلُكۡ﴾».
(٩) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «مجمل على ما فصّل».
(١٠) في (ب): «مقصودين».
(١١) في (أ، ب): «عليهما»، والمثبت من (ك)، وهو الصواب.
(١٢) في (أ): «اشتمل»، والمثبت من (ب، ك).
(١٣) في (أ، ب): «وفي قولك»، والمثبت من (ك، خ).
(١٤) في (ك): «ينظم» بدل «يتضمَّن».
(١٥) قال الخليل في العين (٥: ٣١١): «والمسلك: الطريق».

إسلام ويب islamweb.net

وسلكه ينابيعَ في الأرض[١]؛ أي: أجراه[٢]، وسلك الطريقَ: نفَذ فيه[٣]، فكان موضع الاختصار أولى بالمُجمَل[٤] من الكلام، وموضعُ البيان أولى بالبسط، فقصة نوح في سورة هود قد[٥] شُغِلت بها خمس وعشرون آية[٦]، وهي في سورة المؤمنين واقعة في ثمان آيات[٧]، فاقترن بكل من المكانين[٨] ما اقتضاه القصد من زيادة بيان أو اختصارِ[٩] كلامٍ.

[١٥٨] الآية الثالثة منها[١٠]:

قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١١] [المؤمنون: ٤١].

---

(١) إلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٢١]. قال الزجاج في معاني القرآن (٤: ٣٥٠): «ومعنى ﴿يَنَٰبِيعَ﴾: الأمكنة التي ينبع منها الماء، وواحد الينابيع: ينبوع»، وهو على وزن «يَفْعُول» من نبَع ينبُع. وقوله: «في الأرض» سقط من (أ).

(٢) في معاني القرآن للنحاس (٦: ١٦٥): «أدخله فجعله».

(٣) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (٣: ٩٧): «السين واللام والكاف أصل يدل على نفوذ شيء في شيء، يقال: سَلَكتُ الطريقَ أسلُكُه، وسَلكتُ الشيءَ في الشيء: أنفذته»، وفي المفردات للراغب (ص٤٢١): السلوك: النفاذ في الطريق».

(٤) في (ك): «بالحمل»، وهو خطأ.

(٥) في (أ): «وقد»، وزيادة الواو خطأ.

(٦) هي الآيات [٢٥-٤٩] من سورة هود في قصة نوح عليه السلام.

(٧) هي الآيات [٢٣-٣٠] من سورة المؤمنين في قصة نوح عليه السلام.

(٨) في (ب): «في كل المكانين».

(٩) في (ك): «واختصار».

(١٠) في (ب): «من سورة المؤمنين».

(١١) في (أ): «أحاديث» بدل «غثاء»، وهو خطأ.

إسلام ويب islamweb.net

وقال بعده في ذكر القرون: ﴿فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾[١] [المؤمنون: ٤٤].

للسائل أن يسأل: ما الذي أوجب في الأولى[٢]: ﴿لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وفي الثانية: ﴿لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾؟

والجواب أن يقال: إن القصة الأولى وإن خرجت[٣] على لفظ التنكير فقال[٤]: ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ * فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ﴾ [المؤمنون: ٣١، ٣٢]، فإنه معلوم مَن المراد بالرسول، وبالمُرسَل إليهم[٥]، ودلَّ على ذلك بأن قال: أهلكتهم بالصيحة، وهم قوم صالح عليه السلام، فلمّا كان في أقوام معلومين أتى بذكرهم معرفةً فقال: ﴿فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وخصَّ وصفهم بالظلم؛ لأنه شيء عاملوا به غيرهم، وعاملوا به أنفسهم لتكذيبهم الرسل، وظلمِهم لهم بنسبتهم إلى ما هم مُنزَّهون عنه، ثم هم ظالمون[٦] لأنفسهم بأن منعوها ما عُرِّضوا له من النعيم[٧] الأبد والثواب السرمد[٨].

وأما قوله: ﴿فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ فإنه جاء بعد[٩] خاتمة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٢]، فلم يبيَّن بالمعنى[١٠] مَن

(١) في (ب): «للقوم»، وهو خطأ.
(٢) في (أ): «في الأول».
(٣) في (ك): «أخرجت».
(٤) في (ك): «وقال».
(٥) في (أ): «والمرسل»، وفي (ب): «وبالمرسل»، والمثبت من (ك).
(٦) في (أ): «الظالمون».
(٧) في (أ): «من يقيم»، وفي (ب): «من نعم».
(٨) السرمد: الدائم الذي لا ينقطع. اللسان (٣: ٢١٢ سرد).
(٩) «بعد» سقطت من (ك).
(١٠) في (ب): «المعنى».

إسلام ويب islamweb.net

المراد كما بُيِّن في الأولى، وكانوا منكورين للمسلمين، فلمّا أمرهم بلفظ[١] الدعاء عليهم استعمل فيهم ما يُستعمَل[٢] فيمن لم يتعيَّن ولم يشتهر، فنكَّر اللفظ فقال[٣]: ﴿لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: أهلك الله كلَّ قوم لا يؤمنون عند ظهور آيات الله[٤] لهم، ووجوب حُجَجه عليهم[٥]. والمعنى: بُعدًا لكل قوم[٦]، ليليق بقوله: ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ [المؤمنون: ٤٤]، فأخبر خبرًا عامًّا وأمر بأن[٧] يُدْعَى عليهم دعاءً عامًّا، فوجب في كل موضع ما جاء فيه دون الآخر.

[١٥٩] الآية الرابعة منها[٨]:

قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ۞ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۞ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[٩] [المؤمنون: ٨١-٨٣].

وقال في سورة النمل [٦٧، ٦٨]: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ۞ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

---

(١) في (ب، ك): «بلفظة».
(٢) في (أ، ب): «ما استعمل»، والمثبت من (ك).
(٣) في (ب، ك): «وقال».
(٤) في (ك): «الآيات».
(٥) في (ب، ك): «حجة الله تعالى عليهم».
(٦) في (ب): «بعد كل قوم لا يؤمنون».
(٧) في (أ): «أن».
(٨) في (ب): «من سورة المؤمنين».
(٩) في (أ): «﴿بَلْ قَالُوٓاْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ إلى قوله: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾»، والمثبت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

للسائل أن يسأل عن تقديم توكيد المُضمَر[١] المرفوع بقوله: ﴿نَحْنُ﴾، وتأخير المفعول وهو ﴿هَٰذَا﴾ في الآية الأولى، وعكسِ ذلك في الآية الثانية، وهل لذلك فائدة تقتضي لكل مكانٍ ما خُصَّ به؟

والجواب أن يقال: لمّا كان الأول في حكاية تظاهرت فيها أفعالٌ أُسنِدت[٢] إلى فاعليها[٣] متصلة بها، وهي: ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾، فهذان فعلان تعلَّق بهما هذا المحكيُّ، وكل واحد منهما جاء بعده فاعله مواصلًا له[٤] غير منفصل عنه، ثم بعده: ﴿قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا﴾، فكل هذه الأفعال قُصِد[٥] بها حكاية ما جاء بعدها، فلمّا كان[٦]: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا﴾ وجب في البناء على الأفعال[٧] المتقدِّمة أن يُتمَّم[٨] حكم الفاعل، وهو توكيده، والعطف عليه، فقُدِّم ﴿نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا﴾ على المفعول الثاني وهو ﴿هَٰذَا﴾ لذلك[٩]، ولأن الأصل إذا أُجرِيَ[١٠] عليه الشيء أولى من غيره.

وأما الآية الثانية من سورة النمل فإن الذي[١١] تقدَّمها[١٢]: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ

---

(١) في (ب): «الضمير».
(٢) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «استندت».
(٣) في (أ): «فاعليهما»، وفي (خ): «فاعلها»، والمثبت من (ب، ك)، وهو الصواب.
(٤) في (ك): «موصولًا به».
(٥) في (ك): «قُصدت».
(٦) في (ك): «قال».
(٧) من قوله: «قُصد بها» إلى هنا سقط من (ب).
(٨) في (ب): «تمم»، وفي (ك): «يتم».
(٩) في (ب): «كذلك».
(١٠) في (ك): «جرى».
(١١) في (ك): «الذين»، وهو خطأ.
(١٢) في (ك): «تقدَّمها في قوله».

إسلام ويب islamweb.net

﴿كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ﴾[١]، فأُخِّر المعطوف على اسم «كان» الذي هو كالفاعل لها، وهو قوله: ﴿وَءَابَآؤُنَآ﴾ عن المنصوب الذي هو كالمفعول لها[٢]، وهو قوله: ﴿تُرَٰبًا﴾، فصار ما هو كالمفعول مقدَّمًا على ما هو معطوف على الفاعل، فاقتضى البناءُ عليه تقديمَ المفعول ثم العطفَ على الفاعل[٣] المُضمَر، فجاء: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ لذلك[٤].

[١٦٠] الآية الخامسة منها[٥]:

قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۞ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾[٦] [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

للسائل أن يسأل عن خاتمة الآية الأولى بقوله: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، وخاتمة الثانية بقوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، وخاتمة الثالثة بقوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾، وما الذي خصَّ كلًّا بمكانه؟

---

(١) «وآباؤنا» سقطت من (ب).
(٢) «لها» سقطت من (أ).
(٣) من قوله: «فاقتضى» إلى هنا سقط من (أ)، وأُثبت من (ب، ك).
(٤) قال الكرماني في البرهان (ص٢٧٧): «إن الضمير المرفوع المتصل لا يجوز العطف عليه حتى تؤكده بالضمير المنفصل، فأكَّد ﴿وُعِدْنَا﴾ بـ﴿نَحْنُ﴾ ثم عطف عليه ﴿ءَابَآؤُنَا﴾ ثم ذكر المفعول وهو ﴿هَٰذَا﴾. وقدَّم في النمل المفعول ﴿تُرَٰبًا﴾ ليسدّ مسدّ «نحن»؛ فكانا متوافقَين».
(٥) في (ب): «من سورة المؤمنين».
(٦) في (أ): «﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾»، والمثبت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

والجواب أن يقال[١]: إنّ هذه الآي جاءت بعدما أخبر الله تعالى عن الكفار من إنكار البعث، وهو[٢] في الآية التي تكلمنا فيها[٣]، واتصلت هذه بها، فأمر نبيّه ﷺ بأن يسألهم: لمِن الأرض ومَن فيها؟ أي: مَن يملكها، ويملك الناس الذين فيها؟ فإنهم يقرُّون أن جميع ذلك لخالقها، وهو الله تعالى، فإذا[٤] أقرُّوا بذلك فقل لهم: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ إذا[٥] قلنا لكم: إنه يُنشئ نشأة ثانية ما كان من النشأة الأولى كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]؛ أي: عندكم[٦]، وفي تقديركم الفاعلين منكم[٧]، فخُصّت بالتذكُّر[٨]؛ لأنهم إذا أثبتوا الخلق الأول لزِمهم الخلق الثاني.

وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ فإنّما

---

(١) «أن يقال» سقطت من (أ).
(٢) في (أ): «وهي».
(٣) أي: في الآية السابقة وهي الرابعة على ترتيب المؤلف في سورة المؤمنين، وانظر: (٢: ٣٨٥).
(٤) في (ب): «وإذا».
(٥) في (ح، ر): «إذ».
(٦) في (ح): «أي: عندكم، وإلا لا تفاوت بين المقدورات عنده، ليس بعضها أهون وأسهل من بعض». قلت: قد تكون هذه الزيادة تفسيرًا من غير المؤلف.
(٧) بنى المؤلف رحمه الله تعالى المعنى على وجه الخطاب، وهو: أن إعادة الخلق أيسر وأسهل على الله تعالى من ابتداء الخلق على ما تقرَّر في عقولكم أن إعادة الشيء أهون من ابتدائه، فكأنه قال لهم: كيف تقرُّون بما هو أصعب عندكم وتنكرون ما هو أهون عندكم؟ وإلى هذا الوجه ذهب الزجاج بعد أن ذكر وجهين آخرين فقال (٤: ١٨٣): «وأحسن من هذين الوجهين: أنه خاطب العباد بما يعقلون، فأعلمهم أنه يجب عندهم أن يكون البعث أسهل وأهون من الابتداء والإنشاء».
(٨) يعني رحمه الله تعالى: ناسب أن يكون الختام بالتذكُّر وهو التفكُّر.

إسلام ويب islamweb.net

معناه: مَن الذي به قوام[١] السماوات السبع والعرش العظيم[٢]، ولا يُستغنى عنه؟ وهذه الأشياء من[٣] أكبر ما يُرى من خلق الله تعالى، وما ثبت بالصدق من الخبر عندنا[٤]، فمن[٥] يملك هذه الأشياء من السماوات السبع والأرض والعرش العظيم، وأقررتم له بذلك، فلِمَ لا تجتنبون[٦] معصيته، ولا تتقون عقوبته؟ إذ كانت هذه الأجرام العظيمة لا تستغني عنه ساعة، فأنتم أحوج إلى أن يربّكم، وأن تقوموا بحقِّ ربّانيته[٧] لكم، فتمتنعوا[٨] بطاعته من مُوجِب عقابه، فهذه لائقة بمكانها، حالّة في موضعها[٩].

وأما الثالثة وهي: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ فإنها جاءت بعد تقرير ثالث، وهو: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾؛ أي: مَن الذي مُلكه على الأشياء أتمُّ ملكٍ؟ فهو يَمنع ولا يُمنَع منه[١٠]؛ أي: يمنع[١١] من المكروه مَن شاء، ولا يملك أحد منع من أراده[١٢] بسوءٍ، وهذا أعظم مُلكٍ وأبلغه، فإذا أقرُّوا بذلك فقل لهم: كيف تُخدَعون عن عقولكم حتى تتخذوا[١٣] الأوثان

(١) في (ر): «قيام».
(٢) من قوله: «فإنما معناه» إلى هنا سقط من (أ)، وأُثبِت من (ب، ك).
(٣) «من» سقطت من (أ).
(٤) في (ب): «عنده»، وهو خطأ.
(٥) في (ب، ك): «فمن كان مالك السماوات والأرض...».
(٦) في (ر): «لا تجتنبون».
(٧) في (ك): «ربابته».
(٨) في (ب) «فتمنعوا»، وهو خطأ.
(٩) في (ب): «في موضعها له».
(١٠) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «ولا يمتنع عليه».
(١١) في (أ): «من يمنع»، وهو خطأ.
(١٢) في (ب): «أخذ نفع عن إرادة» بدل «أحد منع من أراده»، وهو خطأ.
(١٣) من قوله: «فإذا أقرُّوا» إلى هنا سقط من (ك).

إسلام ويب islamweb.net

والأصنام آلهة، وهي لا تسمع ولا تبصر مع القادر العليم الذي قد أقررتم له بأتمِّ المُلك، وبكلّ الخلق الذي يشهدكم والذي يغيب[١] عنكم؟ وقوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ أي: من أين يأتيكم ما يغلب على عقولكم فيُخيِّل الباطلَ إليها حقًّا، والقبيحَ عندها حسنًا؟ أمِنْ علمكم[٢] بأن الله تعالى مالك الأرض ومَن فيها، أم من علمكم بأنه ربّ السماوات السبع[٣] وربّ العرش العظيم، أم مِن علمكم بأن له الملك الأغلب والعزَّ الأغلب، وأنه يَمنع[٤] ولا يُمنَع[٥] منه، ويحمِي عقابه[٦]، ولا يُحمَى منه؟ وليس في شيء من ذلك ما يُري الفاسد صحيحًا، والمُعوَجَّ قويمًا. فهذا الذي ختم[٧] به الثالثة ناظمٌ معناه بخواتيم ما قبله. وكلٌّ في[٨] مكانه اللائق به[٩]. والله أعلم.

(١) في (ب): «تغيبت»، وفي (ر): «تغيب».
(٢) في (أ): «أمّن أعلمكم»، وفي (ب): «أم من»، والمثبت من النسخ الأخرى.
(٣) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «الأرض» بدل «السبع».
(٤) في (ب): «ويمنع ماله»، وهو خطأ.
(٥) في (أ): «ولا يمتنع».
(٦) أي: يمنع عقابه، وفي اللسان (١٤: ١٩٨): «حمى الشيءَ حَمْيًا وحمايةً: منعه ودفع عنه». وفي (ك): «ويحمي من عقابه».
(٧) في (ك): «هذه ختمت».
(٨) في (ك): «وكل ذلك».
(٩) في (ك): «لائق به».

إسلام ويب islamweb.net

سورة النور

[١٦١] الآية الأولى منها[١]:

قوله تعالى في آخر[٢] العَشر من أول السورة: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٠].

وقال في آخر العَشرين[٣] من أول السورة[٤]: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٠].

للسائل أن يسأل عن خاتمتَي[٥] العَشرين واختلافهما بقوله في الأولى: ﴿تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾، وفي الثانية: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ مع حذف جواب «لولا» في[٦] الآيتين.

والجواب أن يقال: لمّا ذكر في أول السورة حدَّ الزنا والقذف[٧] وختم ذلك بقذف الرجل امرأتَه، والحكمِ فيه[٨]؛ اعتدَّ عليهم بأن أمهلهم ليتوبوا[٩]

---

(١) «منها» ليست في (ب).
(٢) في (أ): «في أول»، وفي (ك): «في العشر»، والمثبت من (ب)، وهو الصواب.
(٣) في (أ): «العشر»، وهو خطأ.
(٤) «من أول السورة» سقطت من (ك).
(٥) في (ب): «خاتمة».
(٦) في (ك): «من».
(٧) ذلك في الآيات [١-٤] من سورة النور.
(٨) ذلك في الآيات [٦-٩] من سورة النور.
(٩) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «أن يتوبوا».

إسلام ويب
islamweb.net

ولـم يعاجلهم بالعقوبـة على ما قارفوا، فقـال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ﴾، فإنّه يرجع بـه[١] لمن رجـع إليه، وأن من تاب تـاب الله عليه، لعجَّـل[٢] إهلاككم، ورمى بكـم[٣] إلى[٤] العقـاب الدائم، والعذاب الواصب[٥]. وهذا الجواب قد ذُكِر[٦] فـي الآية التي في أهل الإفك[٧]، وهـي: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٤]، فهـذا معنـى قولـه[٨]: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾[٩]. ومعنـى ﴿حَكِيمٌ﴾[١٠]: أن أفعالـه مبنيـة على الحكمة، ومن الحكمة ألا يعاجل[١١] كلَّ مذنب بعقوبته عند وقوع خطيئته.

وأمـا خاتمـة العَشـرين بقولـه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ فـإن معناه: لولا أن الله أنعم عليكم، ورَحِمَكم، وقد أجرى حكمه بأن يرحم أمثالكم

(١) «به» ليست في (ب، ك).

(٢) في (ب): «يعجّل».

(٣) في (ب): «وربكم»، وهو خطأ. وفي (ك): «إهلاكهم ورمى بهم».

(٤) في (ك): «في».

(٥) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ك): «الواصل»، والواصب: الدائم الثابت.

(٦) في (أ): «فذكر»، والمثبت من (ب، ك).

(٧) الإفـك هـو أبلغ الكذب وأسـوأ الافتراء. وأهل الإفك هم الذين جاؤوا بأسـوأ ما يكون من الكذب والافتراء على عائشـة أم المؤمنين رضي الله عنها، وهو قذفُها بصفوان بن المعطل السلمي. والآية التي في هؤلاء هي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النور: ١١].

(٨) «قوله» ليست في النسخ المعتمدة، وأُثبِتت من (ح).

(٩) «حكيم» ليست في (ك).

(١٠) «ومعنى ﴿حَكِيمٌ﴾» سقطت من (ب).

(١١) في (أ): «أن لم يعاجل»، والمثبت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

ويرؤُفَ[١] بكم عند هذا الذنب الكبير والإفك العظيم[٢]، فهذا موضع الرحمة لما تخوَّلهم بالموعظة[٣] فقال: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٧].

والأول مطلق غير محصور على قوم بأعيانهم، وإنما المراد مَن فعل ذلك[٤] منكم[٥] فحكمه[٦] كذا، وحدُّه كذا في الدنيا، وعذاب دائم في الأخرى. ومخاطبة[٧] أهل الإفك لأقوام معيَّنين أكبرُ لعِظَم ذنبهم[٨]، وأنهم لم يُهلَكوا لرأفته بهم[٩]، .....

(١) مِن: رؤُفت بالرجل أرؤُف به رأفة ورآفة. ويقال: رَأفَ بِه يَرأَفُ رَأفَةً. قال ابن منظور (٩: ١١٢ رأف): «كلٌّ من كلام العرب، والرأفة: الرحمة، وقيل: أشد الرحمة».

(٢) هنا لم يذكر المؤلف رحمه الله تقدير جواب «لولا». قال الكرماني في البرهان (ص٢٧٨): «تقديره: لعجّل لكم العذاب، وهو متصل بقصتها ـ أي: عائشة ـ رضي الله عنها وعن أبيها. وقيل: جوابه محذوف دلّ عليه قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٤]، وقيل: جوابه محذوف دلّ عليه ما بعده وهو قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١]».

(٣) أي: لما تعهَّدهم بالموعظة. قال في اللسان (١١: ٢٢٥ خول): «التخوُّل: التعهُّد... وفي الحديث: «كان رسول الله ﷺ يتخوَّلنا بالموعظة» أي: يتعهَّدنا بها مخافة السآمة علينا».

(٤) يشار به إلى قذف المرأة زوجةً كانت أو غيرَ زوجة بريبةٍ وتهمة الزنا.

(٥) في (ب): «منكم ذلك»، بتقديم وتأخير. و«ذلك» سقطت من (ك).

(٦) في (ب): «فجده»، وفي (ك): «فحده كذا في الدنيا، وعذاب دائم في الأخرى».

(٧) في (ب): «وغاطبة»، وهو خطأ.

(٨) في (ك): «أخبر بعظم ذنبهم».

(٩) قال ابن جماعة في كتابه كشف المعاني (ص٢٧١) في الفرق بين المكانين: «أن الأولى تقدَّمها ذكر الزنا والجلد، فناسب ختمه بالتوبة، حثًّا على التوبة منه، وأنها مقبولة من التائب، وناسب أنه ﴿حَكِيمٌ﴾؛ لأن الحكمة اقتضت ما قدَّمه من العقوبة لما فيه من الزجر عن الزنا، وما يترتَّب عليه من المفاسد. وأما الثانية فقوله تعالى: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ذكره بعدما وقع =

إسلام ويب islamweb.net

فكان كل موضع من الموضعين مقتضيًا لما[١] اختصَّ به من الآيتين.

[١٦٢] الآية الثانية منها[٢]:

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٣] [النور: ٥٨، ٥٩].

للسائل أن يسأل فيقول[٤]: لِمَ قال في الأولى: ﴿ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾، وفي الثانية: ﴿ءَايَـٰتِهِۦ﴾[٥]؟

والجواب أن يقال[٦]: إن الأولى[٧] إشارة إلى ما تقدَّم ذكره فيما أوَّله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ﴾[٨] إلى قوله: ﴿ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ﴾[٩] [النور: ٥٨]، وجعل الأوقات

= به أصحاب الإفك، فبيَّن أنه لولا رأفته ورحمته لعاجلهم بالعقوبة على عظيم ما أتوه من الإفك، ولذلك قال تعالى فيما تقدَّمه: ﴿لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾».

(١) في (ب، ك): «ما».

(٢) في (ب): «من سورة النور».

(٣) في (أ): «﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ الآيتين»، والمثبت من المصحف ومن (ب، ك).

(٤) في (أ): «أن يقول».

(٥) في (ب، ك): «لِمَ قال في الأولى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾، وفي الثانية: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾؟».

(٦) «أن يقال» أُثبتت من (ح، خ، ر).

(٧) في (ب، ك): «إن الأول».

(٨) في (أ): «﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ﴾ الآية».

(٩) من قوله: «إلى قوله» إلى هنا سقط من (أ، ب)، وأُثبت من (ك).

إسلام ويب islamweb.net

الثلاثة[١] آياتٍ لهم، وعلامات للمنع[٢] من دخول المماليك والأطفال[٣] على النساء، وجوازه فيما سواها[٤]، وعبَّر عنها بـ«الآيات» لمّا لم يكن الدخول في تلك الأوقات[٥] من الأفعال التي تختصُّ بقدرته.

ولمّا كان بلوغ الحُلُم ممّا يختصُّ بفعله، ولم يقدِر فاعل على مثله[٦]؛ أضافه إلى نفسه فقال: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾. ويبيِّن ذلك[٧] قوله تعالى في العَشر الأخير بعد قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ إلى قوله: ﴿أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ [النور: ٦١]، فعدَّ[٨] القرابات التي أجاز تناوُل طعامها: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور: ٦١]، فلم يُضِفها إلى نفسه؛ لأنها آيات مثل الأُوَل التي تقدَّمت أنها[٩] لا تختصُّ بقدرته؛ أي: يبيِّن لكم العلامات التي نصبها[١٠] على ما يبيح وما يحظر[١١]، وما يضيِّق فيه[١٢] وما

(١) هي الأوقات التي يحتمل أن تكون العورات مكشوفة فيها. وإلى ذلك يشير قوله تعالى في نفس الآية: ﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ﴾ [النور: ٥٨].

(٢) في (أ): «لما منع»، وفي (ح): «علامات المنع»، والمثبت من (ب، ك).

(٣) في (ب): «والأوقات والأطفال».

(٤) أي: في غير تلك الأوقات، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ﴾ [النور: ٥٨].

(٥) في (ب، ك): «تبيين الأوقات» بدل «الدخول في تلك الأوقات».

(٦) في (ب، ك): «ولم يقدرنا على مثله»، وفي (ح، ر): «ولم يقدر على مثله أحد سواه».

(٧) في (ب): «لك»، وهو خطأ.

(٨) في (أ، ب): «بعد»، والمثبت من (ك، ح، ر).

(٩) في (ب): «في أنها».

(١٠) في (ب، ك): «ينصبها».

(١١) في (أ): «ويخطر»، والمثبت من (ب، ك).

(١٢) «فيه» سقطت من (أ).

إسلام ويب islamweb.net

يوسِّع، ومثله قوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۞ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1] [النور: ١٧، ١٨] لمّا أشار إلى حدِّ[2] الزاني والقاذف. والفرق بين المكانين واضح، فاعرفه إن شاء الله تعالى.

(١) في (أ): «﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآيتين»، والمثبت من (ب، ك).

(٢) في (ك): «جلد».

إسلام ويب islamweb.net

سورة الفرقان

[١٦٣] الآية الأولى منها[١]:

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

وقال قبله في سورة الرعد ـ وكان حكم هذه الآية أن تُذكَر هناك ـ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾[٢] [الرعد: ١٦].

للسائل أن يسأل عن تقديم «نفع» على «ضر» في سورة الرعد، وعكسِ ذلك في سورة الفرقان، وما الذي أوجب هذا الاختلاف؟

والجواب أن يقال: أما في سورة الرعد فإنه قدَّم فيها[٣] الأفضل على الأنقص[٤]؛ لأن اجتلاب النفع أشرفُ من استدفاع الضر[٥]، وهو رتبة فوقه،

(١) «الآية» سقطت من (ك).

(٢) في (ب، ك): «﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾».

(٣) في (ب، ك): «فيه».

(٤) «الأنقص» غير واضحة في (ك).

(٥) في (ب): «الضرر».

إسلام ويب
islamweb.net

فمن فاته ذلك[١] طلب دفع الضر[٢]، فهو على وجهه[٣] في الترتيب.

وأما في سورة الفرقان فإنه بنى على ما قبله، وهو: ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾، وقوله: ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا﴾ نفي، [وقوله][٤]: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[٥] إثبات، فقدَّم النفي على الإثبات، وكان الضرّ نفيًا، والنفع إثباتًا، إذ[٦] النفع إثبات المصالح وإيجادها[٧]، والضرّ نفيها، فكما قدَّم[٨] فيما قبله ما نفى على ما أثبت، حمل المعطوف عليه ليكون مُشاكِلًا له[٩].

[١٦٤] الآية الثانية منها:

قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٥].

وقال في سورة يونس[١٠]، وكان[١١] هذا يجب أن يُذكَر فيها[١٢]: ﴿وَيَعْبُدُونَ

(١) في (ب، ك): «ذاك».
(٢) في (ب، ك): «الضرر».
(٣) في (ب): «على وجه».
(٤) زيادة اقتضاها السياق.
(٥) من قوله: «وقوله: ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا﴾» إلى هنا سقط من (أ).
(٦) في (أ، ب): «أي»، والمثبت من (ك).
(٧) في (ب): «واتخاذها».
(٨) «قدم» سقطت من (ك).
(٩) انظر الحاشية (٦) من صفحة (٢٩٤) حيث هناك توجيه في تقديم النفع على الضر.
(١٠) في (ب): «وكذلك في سورة يونس».
(١١) في (ب، ك): «وكان هناك يجب أن تُذكَر الآيتان».
(١٢) قد ذُكِرت هذه الآية الأولى من سورة يونس وتناولها المؤلف هناك بالشرح أيضًا. انظر: (٢: ٢١٦). ولعله رحمه الله تعالى كان يُملي كتابه في أوقات مختلفة وغاب عنه أنه أملى هذه الآية في سورة يونس، فأملاها هنا من جديد ظنًّا منه بأنه لم يُملِها هناك.

إسلام ويب islamweb.net

مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾[١] [يونس: ١٨].

للسائل أن يسأل في هاتين الآيتين عن مثل ما سأل عنه[٢] في الأوليين.

والجواب أن يقال: أمّا في سورة يونس فإنه بدأ بما هو أبلغ إذا ابتُدئ به؛ لأن امتلاك الضرّ أسهل من امتلاك النفع، فالواحد منّا يقدِر[٣] لغيره من الضرّ[٤] على ما لا يقدر عليه من النفع[٥]، ويتسهَّل عليه ضرُّه ما لا يتسهَّل عليه نفعُه؛ أي: يعبدون أصنامًا لا تقدِر على ما يتسهَّل على الفاعلين، فكيف ما يتعذَّر؟ ثم ذكر[٦] بعده: ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ لاستيعاب ما في الباب.

وأما في سورة الفرقان فإنه تبعٌ على[٧] ما قدَّم[٨] فيه[٩] الأفضل على الأنقص؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان: ٥٣]، وقوله بعده: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]، فقدَّم خِلطة[١٠] النسب على خِلطة السبب[١١]، وهي

(١) في (ب، ك): «﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾».
(٢) «عنه» سقطت من (أ، ب)، وأُثبتت من (ك).
(٣) في (أ): «يقتدر».
(٤) في (ب، ك): «الضرر».
(٥) في (ب): «من نفعه».
(٦) في (أ): «ذكره».
(٧) في (ب، ك): «تبع ما».
(٨) في (ك): «تقدَّم».
(٩) «فيه» سقطت من (أ).
(١٠) قال في اللسان (٧: ٢٩٣): «الخِلطة ـ بكسر الخاء ـ: العشرة».
(١١) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «خلطة المصاهرة».

إسلام ويب islamweb.net

المصاهرة[1]، ثم جاء بعد ذلك: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾، فقدَّم النفع على الضرّ إتباعًا لما تقدَّم.

(١) تقدَّم معنى المصاهرة في (٢: ٢١٧).

إسلام ويب islamweb.net

سورة الشعراء

[١٦٥] الآية الأولى منها[١]:

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء: ٥].

وقال في سورة الأنبياء [٢] ـ وهو ما وجب ذكره هناك ـ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[٢].

للسائل أن يسأل: ما الذي خصَّ[٣] ذكر ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بسورة الشعراء[٤]، وذكر ﴿رَّبِّهِم﴾ بسورة الأنبياء؟

والجواب أنه إنما خصَّ هذين الوصفين[٥] من صفات الله تعالى في هذين الموضعين[٦]؛ لأن الرب هو القائم بمصالح الخلق من ابتداء[٧] التربية إلى

(١) «منها» ليست في (ب).
(٢) في (ب): «﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم﴾».
(٣) في (ب، ك): «خصَّص».
(٤) في (ك): «بالشعراء».
(٥) في (أ، ب، ك): «الموضعين»، وهو خطأ، والمثبت من (خ، و).
(٦) «في هذين الموضعين» ليست في (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).
(٧) «ابتداء» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).

إسلام ويب
islamweb.net

آخر العمر، والرحمن هو المُنعِم عليهم[١] في الدنيا بما خلق فيها، والمُعرِّض للنعيم الدائم بعدها. وإتيانهم[٢] بالذكر من عنده، وهو القرآن، ممّا يصلحهم فوق ما تصلحهم الأغذيةُ المخلوقة لهم، فذكر أن الرب الذي أصلح بأنواع ما خلق أجسادَهم أصلح بما صرفهم عليه من طاعة الله[٣] أديانَهم، فهو ما[٤] يقتضيه الوصف بالربّ والوصف بالرحمن[٥].

فأما اختصاص سورة الشعراء بـ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ فلأن[٦] السورة مقصود بها ذكر الأمم[٧] الذين بُعِث إليهم الأنبياء عليهم السلام، وختم على كل قصة من قصصهم بقوله[٨]: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٩] [الشعراء: ٨، ٩]، وأُولاها[١٠] قصة موسى عليه السلام:

---

(١) في (ك): «عليه»، وهو خطأ.
(٢) في (أ): «وإيتائهم»، والمثبت من (ب، ك).
(٣) في (ب، ك): «من طاعته».
(٤) في (ك): «كما».
(٥) «والوصف بالرحمن» ليست في (أ).
(٦) في (أ): «فإن»، والمثبت من (ب، ك).
(٧) في (أ): «بما ذكر من الأمم».
(٨) «بقوله» ليست في (أ).
(٩) ذُكرت أوّلًا هاتان الآيتان المختومة ثانيهما باسميه تعالى ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ عقب ذكر حال المشركين المعاصرين لرسول الله ﷺ، المعاندين والمعارضين في أن القرآن من عند الله تعالى. وقد تكرَّرتا سبع مرات أخرى في هذه السورة الكريمة عقب القصص المذكورة فيها، فأُولى تلك المرات في آخر قصة موسى عليه السلام (الآيتان: ٦٧، ٦٨)، وفي آخر قصة إبراهيم عليه السلام [١٠٣، ١٠٤]، وفي آخر قصة نوح عليه السلام، الآيتان [١٢١، ١٢٢]، وفي آخر قصة هود عليه السلام، الآيتان [١٣٩، ١٤٠]، وفي آخر قصة صالح عليه السلام، الآيتان [١٥٨، ١٥٩]، وفي آخر قصة لوط عليه السلام، الآيتان [١٧٤، ١٧٥]، وفي آخر قصة شعيب عليه السلام، الآيتان [١٩٠، ١٩١].
(١٠) في (أ، ب): «وأولها»، والمثبت من (ك).

إسلام ويب islamweb.net

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ [الشعراء: ١٠]، فاتصف تعالى بـ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ لما يوجبانه من الخوف والرجاء اللذين بهما لزوم الطاعات، والرغبة فيما علا من الدرجات، وأراد بالرحمة أن هذه الأمم(١) أُمهِلت لِتُقلِع عن تمرُّدها، وتعود إلى ربها، وتتوب من ذنبها، فلما لم تفعل عُوقبت في الدنيا سوى ما أُعِدّ لها في الأخرى. وقال في أول هذه السورة: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤]؛ لأنه أراد ألا يكونوا كالمُلجَئِين(٢) في دينهم إلى اعتقاد ما يعتقدونه، فأمهلهم(٣) رحمةً منه بهم فقال: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾، فاختص هذا الوصف هنا(٤) لذلك(٥).

وأما قوله في سورة الأنبياء: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ فلأنه عدَّ إصلاح أديانهم من جملة إصلاح أبدانهم، والربُّ: القائم بما يصلح العبد، والدين أبلغ في إصلاحه(٦) ممّا يغذوه(٧) من طعامه، وخصَّ هذا الموضع

(١) في (أ): «الأمة»، والمثبت من (ب، ك).

(٢) في (ب): «كالملحدين»، وهو خطأ.

(٣) في (أ، ب): «وأمهلهم»، والمثبت من (ك).

(٤) ذكر الآلوسي وجهًا آخر لإيراد اسم الرحمن هنا فقال (١٩: ٦١): «والتعرُّض لعنوان الرحمة لتغليظ شناعتهم، وتهويل جنايتهم، فإن الإعراض عما يأتيهم من جنابه جلَّ وعلا على الإطلاق شنيع قبيح، وعمّا يأتيهم بموجب رحمته تعالى لمحض منفعتهم أشنع وأقبح؛ أي: ما يأتيهم تذكير وموعظة أو طائفة من القرآن من قِبَله عز وجل بمقتضى رحمته الواسعة...».

(٥) في (أ، ب): «هناك»، والمثبت من (ك، خ).

(٦) من قوله: «فلأنه عدّ» إلى هنا سقط من (ك).

(٧) في (ب، ك): «يعدوه»، وهو خطأ.

إسلام ويب islamweb.net

بذكر ﴿رَّبِّهِم﴾[١] لأنه قال: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]، ولا يغفُلون[٢] إلا إذا[٣] كانوا في رغَدٍ من عيشهم، ولا سبيل إليه إلا بمظاهرة النعمة من الله تعالى، وفعلُه هذا بهم يقتضي وصفه بـ﴿رَّبِّهِم﴾.

[١٦٦] الآية الثانية منها[٤]:

قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ [الشعراء: ٦٩-٧١].

وقال في سورة الصافات [٨٣-٨٧]: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۞ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۞ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۞ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

للسائل أن يسأل عن زيادة «ذا» في قوله في الصافات: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾، وإخلاء «ما» في الشعراء منها.

والجواب أن يقال: إن قوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ معناه: أيَّ شيء تعبدون؟ وقوله: «ماذا» في كلام العرب على وجهين:

أحدهما: أن تكون «ما» وحدها اسمًا، و«ذا» بمعنى الذي، والمعنى: ما الذي تعبدون؟ و﴿تَعْبُدُونَ﴾[٥] صلة لها.

---

(١) «بذكر ربهم» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).

(٢) في (أ، ب، ك): «ولا يعقلون»، والمثبت من (خ، و).

(٣) «إذا» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).

(٤) في (ب): «من سورة الشعراء».

(٥) «وتعبدون» سقطت من (أ)، وأُثبتت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

والآخر: أن تكون «ما» مع «ذا» اسمًا واحدًا، بمعنى: أيّ شيءٍ، وهو في الحالين أبلغ من «ما» وحدها إذا قيل: ما تفعل؟

فـ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ في سورة الشعراء إخبار عن تنبيهه لهم؛ لأنهم أجرَوا مقاله مُجرى مقال المستفهِم، فأجابوه وقالوا: ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾، فنبَّه ثانيًا بقوله: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ [الشعراء: ٧٢].

وأما ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ في سورة الصافات فإنها تقريع، وهو[١] حال بعد التنبيه، ولعلَّهم إذا علموا بأنه[٢] يقصد[٣] توبيخهم وتبكيتهم لا يجيبون[٤] بإجابتهم[٥] في الأول، ثم أضاف تبكيتًا إلى تبكيت، ولم يستدعِ منهم[٦] جوابًا، فقال: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۞ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

فلما قصد في الأول التنبيه كانت «ما» كافية، ولما بالغ وقرَّع استعمل اللفظ الأبلغ، وهو «ماذا» التي إن جُعِلت[٧] «ذا» منها[٨] بمعنى «الذي» فهو أبلغ من «ما» وحدها، وإن جُعِلا[٩] اسمًا كان أيضًا أبلغ[١٠] وأوكد من «ما» إذا خلت من «ذا».

---

(١) كذا في (ب، ك)، وفي (أ): «وهي».
(٢) في (ب، ك): «ولعلمهم بأنه».
(٣) الفاعل: إبراهيم عليه السلام.
(٤) في (ب، ك): «لم يجيبوا».
(٥) في (ب، ك): «كإجابتهم».
(٦) في (ب): «منه».
(٧) في (أ): «جعل».
(٨) في (أ، ب): «منهما»، والمثبت من (ك).
(٩) في (أ): «وإن جعل»، والمثبت من (ب، ك).
(١٠) هنا تكرار في (ب).

إسلام ويب islamweb.net

[١٦٧] الآية الثالثة منها[١]:

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ * وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾[٢] [الشعراء: ٧٨-٨١].

للسائل أن يسأل فيقول[٣]: ما الذي أوجب إدخال «هو» في قوله: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾، وقوله: ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾، وإخلاءَ قوله: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى﴾ منها، ولم يقل: والذي هو يميتني، كما قال: والذي هو يطعمني؟

والجواب أن يقال: لو جاء[٤]: والذي يطعمني ويسقين، وإذا مرضت يشفين؛ لَكان معلومًا أن مراده الله تعالى.

وذكر ﴿هُوَ﴾ توكيدًا[٥] لمعنى الكلام، وتخصيص الفعل به دون غيره، واحتاج ذكر الإطعام والشفاء إلى هذا التوكيد؛ لأنهما ممّا يدَّعي الخلقُ فِعله، فيقال: فلان يُطعِم فلانًا، والطبيب يداوي ويسبِّب الشفاء، فكانت[٦] إضافة هذين الفعلين إلى الله تعالى محتاجة إلى[٧] لفظ التوكيد ـ لِما يُتوهَّم من إضافته[٨] إلى المخلوق ـ إلى ما لا يحتاج إليه إضافة الموت والحياة؛ لأن أحدًا لا يدَّعي فعلهما كما[٩] يدَّعي الأوّلَين[١٠]؛ فافترقا لهذا الشأن[١١].

---

(١) في (ب): «من سورة الشعراء».

(٢) في (أ): «﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ إلى قوله: ﴿يُحْيِينِ﴾»، والمثبت من (ب، ك).

(٣) في (أ): «أن يقول».

(٤) في (ب): «لو قال».

(٥) في (ك): «توكيد».

(٦) في (ب): «فكان».

(٧) في (ك): «من» بدل «إلى».

(٨) في (ب، ك): «من يضيفه».

(٩) في (ب): «كما كان».

(١٠) في (أ): «الأول»، وفي (ب، ك): «الأولان»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).

(١١) «لهذا الشأن» ليست في (ك).

إسلام ويب islamweb.net

[١٦٨] الآية الرابعة منها:

قوله تعالى في قصة صالح عليه السلام: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ۞ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[١] [الشعراء: ١٥٣، ١٥٤].

وقال في قصة شعيب عليه السلام: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۞ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ۞ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[٢] [الشعراء: ١٨٤-١٨٦].

للسائل أن يسأل عن إثبات الواو[٣] في قصة شعيب في قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾، وحذفِها من مثله في قصة صالح عليه السلام.

والجواب أن يقال: إن قوم صالح في حال هذا الخطاب لم يدفعوا أمره، كما دفع أمرَ شعيب قومُه كما[٤] حكى الله تعالى من قولهم[٥] لصالح عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ۞ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾، ثم[٦] لم يطلبوا منه ما ليس لهم طلبه؛ لأنهم قالوا: ﴿فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، وهذا لا شطط[٧] فيه، ولا في قولهم: ﴿أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾، وقولِهم: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾؛ لأن الله تعالى قال[٨] لنبيه ﷺ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [فصلت: ٦].

---

(١) في (أ) إلى قوله تعالى: ﴿فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ﴾، والمثبت من (ب، ك).
(٢) في (أ) إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ﴾، والمثبت من (ب، ك).
(٣) في (ب، ك): «عن الواو».
(٤) في (ب، ك): «فيما».
(٥) في (ب، ك): «من قولهم فقولهم».
(٦) «ثم» سقطت من (أ).
(٧) أي: لا إفراط فيه، يُنظَر: المفردات للراغب (ص٤٥٣).
(٨) في (ب، ك): «يقول».

إسلام ويب islamweb.net

والمُسحَّرون فيهم[١] أقوال؛ أحدها: أنهم[٢] الذين لهم سَحْرٌ ورِئَة[٣]، وقيل: المُعلَّلون بالطعام والشراب كما قال امرؤ القيس:

أرانا مُوضِعِينَ لأمْرِ غَيْبٍ ونُسْحَرُ بالطعام وبالشرابِ[٤]

وقال لبيد[٥]:

فإنْ تَسْألِينا فِيمَ نحن فإنّنا عَصافِيرُ مِن هذا الأنامِ المُسَحَّرِ[٦]

---

(١) في (ك): «فيه».

(٢) «أنهم» سقطت من (ب، ك).

(٣) كلمة «رئة» معطوفة على «سحر» عطف تفسير. قال الزجاج (٤: ٩٧): «﴿مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ أي: ممن له سحر، والسحر: الرِّئة؛ أي: إنما أنت بشر مثلنا». قال ابن الأثير في النهاية (٢: ٣٤٦): «السحر: الرئة... وقيل: السحر: ما لصق بالحلقوم من أعلى البطن». كأن أصحاب هذا القول يرون أن المسحَّرين هم المخلوقون المحتاجون إلى الأكل والشرب.

(٤) ديوان امرئ القيس (ص٩٧). وانظر: جمهرة اللغة (١: ٥١١)، والطبري (١٩: ١٠٣)، واللسان (٤: ٣٤٩ سحر). وفي النسخ المعتمدة وفي الجمهرة: «لحتمِ أمرٍ»، وما أثبتناه في (ر) وفي المراجع الأخرى، فمعناهما واحد؛ يقول: نرى أنفسنا مُوضِعين؛ أي: مُسرِعين، وقوله: «لأمر غيب» يريد الموت، وأنه قد غُيِّب عنّا وقته، وقوله: «ونُسحَر بالطعام» أي: نُلهى ونخدع ونُعلَّل.

(٥) هو لبيد بن أبي ربيعة بن مالك العامري، ويكنى أبا عقيل، وكان من شعراء الجاهلية وفرسانهم، وقد أدرك الإسلام ويُعَدّ من الصحابة ومن المؤلفة قلوبهم. توفي سنة (٤١هـ). الشعر والشعراء لابن قتيبة (١: ٢٧٤)، والأعلام (٥: ٢٤٠).

(٦) شرح ديوان لبيد بتحقيق إحسان عباس (ص٥٦). وانظر: جمهرة اللغة (١: ٥١١)، ومجاز القرآن (٢: ٨٩)، ومقاييس اللغة (٣: ١٣٨)، ومعاني القرآن للفراء (٢: ٢٨٢). قال أبو عبيدة في المجاز: «كل من أكل من إنس أو دابة فهو مسحَّر، وذلك أن له سحرًا يقري، يجمع ما أكل فيه، قال لبيد...» وأنشد البيت.

إسلام ويب islamweb.net

وقيل: المُسحَّرون: المسحورون[١]، كأنه سُحِر مرارًا حتى خبل وفسد عقله واضطرب رأيه[٢]؛ عن مجاهد[٣] وقتادة[٤].

وقيل: المُسحَّرون: المخلوقون، عن ابن عباس[٥].

فالموضع الذي لا واو فيه هو[٦] بدل من الجملة التي قبله، ثم قال: ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، ولهم[٧] أن يقولوا ذلك.

فأما[٨] قوم شعيب فإنهم في خطابهم المحكيِّ عنهم مُشِطُّون[٩] ومُبالِغون

(١) في (ب): «المسحَّرون»، وهو خطأ.

(٢) قال الزجاج في معاني القرآن (٤: ٩٧): «وجائز أن يكون ﴿مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ من المفعَّلين، من السحر؛ أي: ممّن قد سُحِر مرة بعد أخرى».

(٣) تفسير مجاهد (ص٤٦٤): ﴿مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ يعني من المسحورين؛ أي: سُحِرتَ، وهو في تفسير الطبري (١٩: ١٠٢)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٦: ٣١٦)، وعزاه إلى الفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، وذكره ابن كثير في تفسيره (٣: ٥٤٩).

(٤) تفسير الطبري (١٩: ١٠٢)، وتفسير ابن كثير (٣: ٥٤٩).

(٥) أخرجه ابن جرير (١٩: ١٠٢) بإسناده عن ابن عباس، وأورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والخطيب وابن عساكر. قال ابن جرير (١٩: ١٠٣) بعد أن ذكر الروايات: «والصواب من القول في ذلك عندي القولُ الذي ذكرته عن ابن عباس أن معناه: إنما أنت من المخلوقين الذين يعلَّلون بالطعام والشراب مثلنا، ولست ربًّا ولا ملكًا فنطيعك...». وقال ابن كثير في تفسيره (٣: ٥٥٠): «والأظهر في هذا قول مجاهد وقتادة أنهم يقولون: إنما أنت في قولك هذا مسحور لا عقل لك»، وهذا المعنى هو الذي استقر عند أكثر المفسرين.

(٦) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «فهو».

(٧) في (ب): «فلهم».

(٨) في (ك): «وأمّا».

(٩) جائرون، قال في اللسان (٧: ٣٤٤): «أشطّ: جاوز القدر وتباعد عن الحق وجار».

إسلام ويب islamweb.net

في ردِّه وتكذيبه، فقالوا[١]: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ * وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾، فدلَّ[٢] على خبرين عُطِف أحدهما على الآخر، وقالوا[٣] بعده: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ على معنى: وإنا لنّظنك كاذبًا؛ أي: الغالب في أمرك عندنا أنك كاذب، فلم يجعلوا الخبر[٤] خبرًا[٥] واحدًا، بل جعلوه[٦] أخبارًا ثلاثة؛ قولهم: أنت[٧] من المُسحَّرين؛ أي: لستَ من الملائكة الذين هم رسل الله إلى خلقه، فلا يطعَمون ولا يشربون، بل أنت من المتغذِّين[٨] بالطعام والشراب؛ وقولهم: ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾؛ أي: لا فضل لك علينا، فهو خبر ثانٍ؛ وقولهم: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ خبر ثالث، ثم طلبُهم إسقاط كِسفٍ[٩] من السماء عليهم[١٠] يكون أمارة لصدقه خلاف ما طلبته ثمود حين قالت: ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[١١] ولم تقترح، والحالة[١٢] التي كانت فيها[١٣] عند

---

(١) «فقالوا» سقطت من (ك).
(٢) «فدل» سقطت من (ب، ك).
(٣) في (ك): «وقال».
(٤) في (ب، ك): «الخبرين».
(٥) «خبرًا» سقطت من (أ).
(٦) في (أ، ب): «وجعلوها»، والمثبت من (ك، خ، و).
(٧) كذا في (ب، ك)، وفي (أ): «إنك».
(٨) اسم فاعل من تغذّى. وفي (ب، ك): «المغتذين»، وهو اسم فاعل من اغتذى، وكلاهما بمعنًى واحد؛ أي: تناول الغذاء.
(٩) قال في المفردات (ص٧١١): «الكِسفة: قطعة من السحاب والقطن... وجمعها كِسَف».
(١٠) «عليهم» ليست في (أ، ب)، وأُثبتت من (ب، ك). ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٧].
(١١) في (أ): «ولم تقدح»، وهو خطأ.
(١٢) في (أ): «بالحالة»، وهو خطأ.
(١٣) في (أ): «فيه».

إسلام ويب islamweb.net

مخاطبة نبيّها لها[١]، لم[٢] يقارنها من التمرُّد ما قارن حال قوم شعيب حين ردُّوا عليه في خبر بعد خبر، فكان موضع الواو في قصتهم لذلك، ولم يكن لها موضع في الأولى[٣] لما بيَّنّا من إبدالهم الجملة الثانية من الأولى، واقتصارهم على بعض ما انبسط فيه غيرهم.

(١) في (أ): «له».
(٢) في (أ): «ولم».
(٣) أي: القصة الأولى وهي قصة صالح عليه السلام. وفي (أ): «في الأول».

إسلام ويب
islamweb.net

سورة النمل

[١٦٩] الآية الأولى منها[١]:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ * إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢] [النمل: ١٠، ١١].

وقال في سورة القصص [٣١، ٣٢]: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ * ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾[٣].

للسائل أن يسأل فيقول: في سورة النمل ما ليس في سورة القصص، والمحكيُّ شيء واحد، والزيادة قوله: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾[٤] الآية، وفي سورة القصص[٥]: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ * ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ

---

(١) «منها» ليست في (ب).

(٢) قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ غير مذكور في النسخ كلها، وقد أثبتُّه لأن به يتمُّ المعنى، ولأنه مذكور في الآية الثانية.

(٣) كذا في (ب، ك)، وفي (أ) إلى قوله تعالى: ﴿ٱسْلُكْ﴾.

(٤) في (ب، ك): «﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾».

(٥) كذا في (ب، ك)، وفي (أ): «وقال في سورة القصص».

إسلام ويب islamweb.net

بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾[١].

الجواب[٢] أن يقال: إنّ[٣] المحكيات ليس يُشترَط فيها إذا أُدِّيت معانيها دون ألفاظها استيعابُ جميعها في مكان واحد، بل يجوز أن تُفرَّق[٤] في أماكن كثيرة، فهذا وجه، ويكون معنى: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾؛ أي: من المرسلين الذين لا يخافون، ويجوز أن يكون[٥]: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ خارجًا عن الحكاية، ويكون خبرًا من[٦] الله تعالى يخبر به نبيّنا[٧] ﷺ، فيعترض بين جُمل ما يُحكى، كما قال الله تعالى فيما حكى[٨] من كلام صاحبة سبأ[٩]: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]، فيكون: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ غير محكيّ، وإنما يكون خبرًا من الله تعالى معترِضًا بين ما حُكِي تصديقًا لها[١٠]، ثم قال عائدًا إلى حكاية قولها: ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ [النمل: ٣٥]، ويجوز في هذا المكان[١١] أن يكون معنى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ على[١٢] الحكاية[١٣] على معنى أن الملوك تأثيرهم في القرى التي يدخلونها

---

(١) في (ك) إلى قوله: ﴿فِى جَيْبِكَ﴾.
(٢) في (ب، ك): «والجواب».
(٣) «إن» ليست في (ب، ك).
(٤) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «تفترق».
(٥) في (أ): «ويجوز أن يكون معنى».
(٦) في (ب): «عن».
(٧) في (ب): «لنبينا».
(٨) في (أ): «يحكى».
(٩) أي: ملكة سبأ. قال ابن كثير في تفسيره (٣: ٨٤٤): «كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها... وبلقيس صاحبة سليمان عليه السلام من جملتهم».
(١٠) في (ك): «له». قلت: هذا قول الزجاج في معاني القرآن (٤: ١١٩).
(١١) «في هذا المكان» ليست في (ك).
(١٢) في (ب، ك): «من».
(١٣) يعني أن قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ من تمام كلامها. حكاه الماوردي في تفسيره (٣: ١٩٧) ونسبه إلى ابن شجرة. وضعَّف هذا القول الزجاج فقال (٤: ١١٩): «لأنها هي =

إسلام ويب islamweb.net

تخريبها، وكذلك يفعل هؤلاء، تعني[١] سليمان عليه السلام وخيله.

ومعنى قوله في الآية الأولى[٢]: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ محمول على وجهين؛

أحدهما: أن يكون استثناءً مِن متصل لا من[٣] منقطع، فيكون مستثنًى ممّا يدلُّ عليه: ﴿لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾، وهذا يدلُّ على أن غيرهم يخافون، فترك ذِكرهم لقوّة الدلالة عليه، كما قال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] فحذف البرد[٤] لعلم المخاطَبين به، وإذا كان: «لكن[٥] غير المرسلين يخافون» مقدَّرًا[٦] إثباته، كان الاستثناء[٧] منهم؛ [أي:][٨] أنهم يخافون إلا مَن محا ظلمه بتوبته.

والوجه الثاني أن يكون استثناءً منقطعًا[٩]، تقديره[١٠]: لكن مَن ظلم من

= ـ أي: بلقيس ـ قد ذكرت أنهم يُفسِدون، فليس في تكرير هذا منها بفائدة». وقال الآلوسي (١٩: ١٩٨): «﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ تصديق لها من جهته عز وجل، أو هو من كلامها جاءت به تأكيدًا لما وصفت من حالهم بطريق الاعتراض التذييلي، وتقرير له بأن ذلك عادتهم المستمرة، فالضمير للملوك».

(١) في (ك): «يعني».

(٢) «الأولى» أُثبِتت من (ح، ر).

(٣) «من» سقطت من (ك).

(٤) في (أ): «والبرد».

(٥) «لكن» سقطت من (ب).

(٦) في (ب): «بقدر»، وهو خطأ. ومكان هذه الكلمة بياض في (ك).

(٧) في (ب): «مستثنى».

(٨) زيادة يقتضيها السياق، وهي موجودة في (ط).

(٩) في (ب): «منقطع».

(١٠) في (ب): «تقدروه»، وهو خطأ.

إسلام ويب islamweb.net

غير المرسلين، ثم بدَّل سيئةً[١] بحسنة، ومحا خطيئةً[٢] بتوبةٍ؛ فإن[٣] الله غفور رحيم[٤].

[١٧٠] الآية الثانية منها[٥]:

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۞ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۞ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[٦] [النمل: ٥٩-٦٤].

للسائل أن يسأل عمّا خُتِمت[٧] به هذه الآيات بعد قوله: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾،

---

(١) في (ر، و): «سيئته».
(٢) في (ب): «خطيئته».
(٣) في (أ): «فا الله»، والمثبت من (ب).
(٤) من قوله: «والوجه الثاني» إلى هنا سقط من (ك).
(٥) في (ب): «من سورة النمل».
(٦) في (أ): «﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾»، والمثبت من (ب، ك).
(٧) في (ب): «اجتمعت».

إسلام ويب islamweb.net

وهل تقدَّم ما يوجب اختصاص ذلك به دون غيره؟

والجواب أن يقال[١]: إنّ قوله: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بُنِيت[٢] عليه هذه الآيات. وتكلَّم[٣] أهل النظر في قولك: هذا أفضل من هذا، وهذا خير من هذا، فقال بعضهم: يقال في الخير الذي لا شر فيه، والشر الذي لا خير فيه، إذا كان يتوهَّم بعض الجهال الأمرَ على خلاف ما هو به، هذا الخير خير من الشرّ، وأنكر على من خالف هذا، وعلمُ هذا[٤] عند أهل الإعراب، وهو أن الأصل في باب «أفعل من كذا» للتفضيل[٥]، فإذا قيل: هذه الأسطوانة أطول من تلك، فقد وصفها بالطول، إلا أنه يزيد طول[٦] إحداهما[٧] على الأخرى، وألزم[٨] «أفعلُ مِن» لابتداء[٩] الغاية؛ كان[١٠] المعنى ابتداء زيادة[١١] طولها منتهى الأسطوانة الأخرى، فلا يقال: أفضل[١٢] من كذا، إلا والمفضَّلُ عليه[١٣]

---

(١) «أن يقال» سقطت من (أ).
(٢) في (ب): «ثبتت».
(٣) في (ب): «تكلَّم» من دون الواو.
(٤) في (ب): «ذلك».
(٥) يُنظَر: المقتضب للمبرد (٣: ٣٨). قال ابن الأنباري في البيان (٢: ٢٢٥): «إنما جاءت المفاضلة هاهنا ـ أي: في قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ـ وإن لم تكن في آلهتهم خير، بناءً على اعتقادهم، فإنهم كانوا يعتقدون أن في آلهتهم خيرًا. وزعم بعضهم أن «خيرًا» ليست هاهنا «أفعل» التي للمفاضلة، وإنما هي «خير» التي على وزن «فَعْل» الذي لا يراد به المفاضلة، والمراد الخير الذي هو ضد الشر... والأظهر أنها للمفاضلة».
(٦) في (ب، ك): «في طول».
(٧) في (ب): «أحدهما»، وفي (ك): «إحدهما».
(٨) في (ك): «ولزم».
(٩) في (أ، ب): «ابتداء»، والمثبت من (ك، خ).
(١٠) في (خ): «كأن».
(١١) «زيادة» سقطت من (ب).
(١٢) في (ك): «أفعل».
(١٣) في (ك): «إلا للمفضول عليه».

إسلام ويب islamweb.net

فيه[١] ذلك المعنى الذي زاد به المفضَّلَ عليه[٢].

فأمّا قوله تعالى بعد وصف النار: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ إلى قوله: ﴿وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا * قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[٣] [الفرقان: ١٢-١٥]، ولا خير في الأول، فإنّما المعنى أن هؤلاء الكفار يحرصون على ما يُكسِبهم النار، كأنهم يرونها خيرًا لهم، ثم وصف ما يختارونه بصفته[٤]، وأتبعه الخيرَ الذي لا شر معه[٥]، فقال: فِعلكم فعلُ من يرى النار خيرًا له[٦] من الجنة، فانظروا هل هي كذلك أم لا؟ وكذلك قوله: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥]؛ أي: يتعرَّضون لها ويكسبونها، ففِعلهم[٧] فعلُ من يصبر عليها، وكذلك قوله[٨]: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾؛

(١) من هنا إلى آخر الجملة سقط من (ك).

(٢) يقال مثالًا لذلك: زيد أفضل من عمرو، تقديره: زيد فضله على فضل عمرو. قال القيسي في مشكل إعراب القرآن (٢: ١٣٠): «لا يجوز عند النحويين: السعادة خير من الشقاء؛ لأنه لا خير في الشقاء فيقع فيه التفاضل، وإنما يأتي «أفعل» أبدًا في التفضيل بين الشيئين في خير أو شر، في أحدهما من الفضل أو من الشر ما ليس في الآخر، وكلاهما فيه فضل أو شر، إلا أن أحدهما أكثر فضلًا أو شرًّا. وقد أجاز الكوفيون: العسل أحلى من الخل، ولا حلاوة في الخل فيفاضل بينه وبين حلاوة العسل، ولا يجيز هذا البصريون، ولا يجوز: المسلم خير من النصراني؛ إذ لا خير في النصراني».

(٣) أُثبتت الآيات من (ب، ك).

(٤) «بصفته» سقطت من (أ)، وفي (ب): «بصفة»، والمثبت من (ك، خ، و).

(٥) في (أ، ب): «فيه»، والمثبت من (ك، خ، ر، و).

(٦) «له» أُثبتت من (ب).

(٧) في (ب): «فعل فعل من يصبر».

(٨) «قوله» أُثبتت من (د).

إسلام ويب islamweb.net

أي: هم مشغولون بعبادة الأوثان عن عبادة الرحمن، ففِعلهم يُنبئ[١] أنها تنفعهم فوق ما ينفعهم خالقهم، فكأنهم قالوا: إن تلك أنفع لهم منه تبارك وتعالى، ثم قرَّرهم فقال: آلله أنفع لكم أم الأوثان؟

وفصَّل[٢] عِظَم المنافع التي أنعم الله تعالى بها ولم يشاركه غيره فيها، فقال: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾؛ أي: إذا اعترفتم[٣] بأن الله تعالى سنَّى[٤] لكم المصالح، ويسَّر[٥] لكم المنافع، وخلق السماوات والأرض[٦] اللتين بهما أمسك[٧] الخلقَ، وأنزل[٨] المطر من فوق، وأنبت به ما به[٩] قوام الناس من تحت، من بساتين ذوات المناظر الحسنة سوى المآكل الطيبة، ثم قال: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾[١٠]؛ أي: أيحتاج[١١] من يفعل[١٢] هذا إلى عضُد[١٣] ومُعِين[١٤]؟ بل الكفار قوم يعدلون عن الحق، وقيل: يعدلون بمن

---

(١) في (ب): «وفعلهم».
(٢) في (ب): «وفضل».
(٣) في (ر): «عرفتم».
(٤) أي: سهَّله. قال في القاموس (ص١٦٧٢): «سنّاه تسنيةً: سهَّله وفتحه». وفي (ب): «ينشئ»، وهو خطأ.
(٥) في (ك): «فسّد»، وهو خطأ.
(٦) من قوله «أي: اعترفتم» إلى هنا سقط من (أ)، وأُثبِت من (ب، ك).
(٧) في (أ): «إمساك»، والمثبت من (ب، ك).
(٨) في (أ): «إنزال»، والمثبت من (ب، ك).
(٩) «ما به» أُثبِتت من (خ، ر).
(١٠) لفظ الجلالة سقط من (أ).
(١١) في (أ): «ما يحتاج»، وفي (ك): «ويحتاج»، والمثبت من (ب، خ، ر، و).
(١٢) «من يفعل» سقطت من (أ).
(١٣) أي: ناصر ومعين.
(١٤) «معين» سقطت من (ك).

إسلام ويب islamweb.net

يفعل هذا غيرَه[١]، تعالى الله عن ذلك، فهذا موضع: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾؛ لأن أوّلَ الذنوب العدولُ عن الحق وقبولِه، وأن يُثبِت مع الله إلهًا[٢] آخر[٣] فيعدِله به.

وقوله: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ وصف ما أظهر الله[٤] تعالى من قدرته في البر والبحر ممّا به مِساك[٥] الأرض، ثم قال: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أ[٦]مع الله من يفعل مثل فعله؟ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما لهم[٧] في عبادة الله تعالى وإخلاصها، وما عليهم في إشراك غيره فيها؛ أي: لو علموا ما تنتهي[٨] إليه عواقب هذين[٩] لَما عدَلوا عمّا هو لهم أنفع إلى ما هو لهم أضرُّ، وهذا مكانه بعد قوله[١٠]: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾.

وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ذكَّرهم بما لا يكاد ينفكُّ[١١] منه أحدٌ إذا دُفِع إلى شدة، واضطُرَّ إلى الانقطاع إلى الله تعالى، فدعاه فكشف[١٢] شدته،

---

(١) ذكر الماوردي هذين القولين في تفسيره (٣: ٢٠٧) ونسب الثاني إلى قطرب ومقاتل. واقتصر الزجاج على الأول فقال (٤: ١٢٨): «معناه يكفرون؛ أي: يعدلون عن القصد وطريق الحق». قال في اللسان (١١: ٤٣٦): «عدَلَ الكافرُ به عدلًا وعدولًا: إذا سوّى به غيره».

(٢) في (ب، ك): «إلهًا مع الله».

(٣) «آخر» سقطت من (ك).

(٤) لفظ الجلالة ليس في (أ).

(٥) قال في اللسان (١٠: ٤٨٩): «المِساك: الاسم من الإمساك».

(٦) الهمزة سقطت من (ك).

(٧) في (ك): «فإنهم».

(٨) في (ب): «ما ينتهي».

(٩) هما: عبادة الله تعالى وعبادة الأوثان.

(١٠) «بعد قوله» سقطت من (ك).

(١١) في (ب): «يخلو».

(١٢) في (ب): «وكشف».

إسلام ويب islamweb.net

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾[١]؛ أي: يقيم المظلوم مقام الظالم في أرضه، ويجعل مَن في العصر الثاني خلفًا ممّن في العصر قبله[٢]، وهذا موضع ينسى فيه الإنسان سالفَ شدّته بِراهن نعمته، فقال: قليلٌ[٣] يذكّركم[٤] ما مرَّ في دهرهم[٥] من بلائهم وشرِّهم[٦]، وهذا موضع يليق به ما جاء فيه، وهو: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

وقوله: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٧].

قوله: ﴿يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[٨] معناه: يُنجيكم منها بهدايته، وما نصب لكم من آياته بالنجوم التي تُعوِّلون[٩] عليها في البحر[١٠] وفي البر إذا لم تهتدوا في الظلمات، وهو مثل قوله: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۞ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾[١١] [الأنعام: ٦٣، ٦٤]، فلما

---

(١) من قوله: «ذكّرهم» إلى هنا سقط من (ك).

(٢) في (أ، ب): «ممن في العصر من قبله الأول»، والمثبت من (ك، م).

(٣) في (م): «قليلًا ما».

(٤) في (ب): «تذكّركم».

(٥) في (ب): «في ذكركم»، وفي (ك): «في دهركم».

(٦) في (ب، ك): «من بلائكم وشركم».

(٧) في (أ) إلى قوله: ﴿وَمَن يُرْسِلُ﴾، والمثبت من (ب، ك).

(٨) من «قوله: ﴿يَهْدِيكُمْ﴾» إلى هنا سقط من (أ).

(٩) أي: تعتمدون.

(١٠) في (ب، ك): «في الماء».

(١١) في (ب، ك): «﴿لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا﴾»، وهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وأبي عمرو، والمثبت من المصحف وهو قراءة عاصم وحمزة والكسائي. يُنظَر: السبعة لابن مجاهد (ص٢٥٩).

إسلام ويب islamweb.net

كانت هدايته[١] في البحر[٢] وتسييره جواريَ الفلك بالريح، ضمَّ إليه الريح الأخرى المبشِّرة بالقَطر[٣]. فلما ختم الآية التي هي في معناها بقوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾، ختم هذه بقوله: ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٤]؛ لأن المذكورين في هذه الآية هم المذكورون في تلك.

وأما قوله: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[٥]؛ أي: مَن لابتداء[٦] كونكم وهو خلقُكم، ومَن لانتهائه وهو بعثُكم لمجازاتكم، ومَن لِلحال[٧] المتوسطة بين[٨] هذين، وهي[٩] حفظُ حياتكم بأقواتكم وأرزاقكم من السماء والأرض؟ أإلـه[١٠] مع الله هاهنا[١١]؟ مَن يعدِل ربَّ العالمين؟ هاتوا[١٢] برهانكم، وما يظهر في النفوس أنّ ما تقولونه حقّ، وأنّ ما عداه باطل، فإنكم[١٣] لا تقدرون إلا على ضده، ممّا يدل على أنّ ما تقولونه[١٤] باطل، وما عداه ممّا[١٥] تخالفونه حق. فقد بان ووضح أن كل خاتمة لائقة بمكانها. والله أعلم[١٦].

---

(١) في (ب): «هذه آيته».
(٢) في (أ، ب): «في البر»، والمثبت من (ك، خ، ر، و).
(٣) أي: المطر. اللسان (٥: ١٠٥).
(٤) من قوله: «ختم هذه» إلى هنا سقط من (أ).
(٥) في (أ): «﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ الآية»، والمثبت من (ب، ك).
(٦) في (ب): «ابتداء».
(٧) في (ب): «الحال».
(٨) «بين» سقطت من (ك).
(٩) في (ب، ك): «هو».
(١٠) في (ك): «إله».
(١١) في (ك): «أهاهنا».
(١٢) في (ب): «هلمُّوا».
(١٣) في (أ): «فإنهم».
(١٤) في (أ): «على ما تقوله»، وفي (ب): «على ما تقولونه»، والمثبت من (ك).
(١٥) في (أ): «ما».
(١٦) في (ب): «والسلام».

إسلام ويب islamweb.net

إسلام ويب
islamweb.net

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
سورة الأنعام	٥
سورة الأعراف	٨١
سورة الأنفال	١٧٩
سورة براءة	١٨٧
سورة يونس عليه السلام	٢١٦
سورة هود عليه السلام	٢٣٢
سورة يوسف عليه السلام	٢٦٧
سورة الرعد	٢٨١
سورة إبراهيم عليه السلام	٢٨٣
سورة الحجر	٢٨٥
سورة النحل	٢٨٩
سورة بني إسرائيل	٣٢٠
سورة الكهف	٣٢٧
سورة مريم عليها السلام	٣٤٠
سورة طه	٣٤٣
سورة الأنبياء عليهم السلام	٣٥٣
سورة الحج	٣٦٩
سورة المؤمنين	٣٧٩
سورة النور	٣٩١
سورة الفرقان	٣٩٧

إسلام ويب
islamweb.net

الموضوع الصفحة

سورة الشعراء ٤٠١
سورة النمل ٤١٢
فهرس الموضوعات ٤٢٣

إسلام ويب
islamweb.net